



موقف مصر

من حرب ١٩٤٨

أسماء محمد محمود

2016



تهدف هذه الدراسة إلى بيان موقف القوى السياسية فى مصر من قرار الاشتراك فى حرب فلسطين عام 1948، وفى مقدمة تلك القوى القصر والحكومة المصرية، وعلى الرغم من عدم وجود اختلاف جذرى بينهما حول خطورة قيام دولة يهودية على الأمن المصرى، فإنه كان بينهما خلاف فى سياسة المواجهة. وقد كانت هناك خطتان للمواجهة: خطة علنية تبنتها الحكومة المصرية، وقد اتسمت بطابع سلمى قانونى فى إطار يتفق مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة من أجل الوصول إلى حل عادل، وخطة سرية تبناها القصر، وذلك بوضع خطة للتقدم شرقاً دون علم السلطات العليا - الحكومة المصرية والبرلمان - وفرض وصاية عربية على فلسطين بإنشاء إدارة مدنية عربية مؤقتة تحت رعاية الدول العربية وفق ما اتفق عليه خلال مؤتمر أنشاص من أجل الحفاظ على الأمن المصرى وتحقيقاً للزعامة على الدول العربية، وما إن نجح الجيش المصرى فى السيطرة على صحراء النقب، تصدى له المجتمع الدولى دبلوماسياً وعسكرياً؛ ولهذا لا يجب النظر إلى المشكلة على أنها مشكلة عسكرية بحتة، بل إن الناحية السياسية فيها أدق وأعقد، وإن أى حل لا يرضى عنه المجتمع الدولى محكوم عليه بالفشل حتماً.

موقف مصر من حرب ١٩٤٨

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية
محمود، أسماء محمد
موقف مصر من حرب ١٩٤٨، تأليف/ أسماء محمد محمود القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة ، ط ١ ، ٢٠١٦ . ٣٨٤ ص، ٢٤ سم
١ - فلسطين - تاريخ - العصر الحديث - الاحتلال البريطاني ١٩٥٧ - ١٤٨
٢ - فلسطين - العلاقات الخارجية - مصر.
٣ - مصر - العلاقات الخارجية - فلسطين.
أ - العنوان
٩٥٦،٩٠٢
رقم الإيداع / ١٥٣٢٤ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي: 2 - 206 - 704 - 977 - 978 - I. S. B. N
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التي تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هي اجتهادات أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس.

حقوق النشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 27352396 Fax: 27358084

موقف مصر من حرب ١٩٤٨

أسماء محمد محمود



2016

المجلس الأعلى للثقافة

الأمين العام
أ.د. أمل الصبيان

رئيس الإدارة المركزية
د. وفاء صادق أمين

مدير التحرير والنشر
د. عبد الرحمن حجازي

سكرتير التحرير التنفيذي
عزة أبو اليزيد

الإخراج الفني
عبد الحكيم صالح

التصحيح اللغوي
كريمان السيد البدوي

المحتويات

11المقدمة
	الفصل الأول: الجهود الدبلوماسية للحكومة المصرية لمقاومة المشاريع
15 السياسية لتقسيم فلسطين قبل عام ١٩٤٨:-
	- أهمية فلسطين الاستراتيجية السياسية لمصر:
20 - تحكم فلسطين بمصير مصر سياسيًا
22 - أطماع اليهود في الأراضي المصرية "سيناء والعريش"
29 - أهمية النقب بالنسبة لليهود
	- موقف الحكومة المصرية من مشاريع التقسيم بعد الحرب العالمية
32 الأولى
34 - موقف الحكومة المصرية من تقرير لجنة بيل ١٩٣٧
	- موقف القصر من مشاريع الوحدة العربية:-
36 ١- مشروع سوريا الكبرى:
	- رد فعل بريطانيا إزاء رفض الملك فاروق إعلان الحرب
37 على المحور
38 ٢- مشروع الهلال الخصيب
	- موقف الحكومة المصرية من إعلان بريطانيا إنهاء الانتداب على
41 فلسطين
	- العوامل المؤثرة في موقف الحكومة المصرية من الحكومتين
43 البريطانية والأمريكية إزاء تطورات الأحداث في فلسطين:
	- أثر القضية الفلسطينية في وجود القوات البريطانية في منطقة قناة
51 السويس
	- محاولة "النقراشي باشا" لدى الولايات المتحدة الأمريكية لإعادة النظر
62 في مشروع التقسيم وحدوده
	- محاولة الياهو ساسون إقناع مصر بالتفاهم مع اليهود ضد بريطانيا
72 قبل صدور قرار التقسيم

72	- رد فعل الوكالة اليهودية إزاء فشل محاولة التفاهم مع مصر.....
76	- صدور قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ على الشعب المصرى.....
	- تأمين الحدود الشرقية لمصر:
	- موقف الحكومة المصرية من رد فعل الشارع المصرى إزاء
76	صدور قرار التقسيم.....
	الفصل الثاثنى: موقف الحكومة المصرية إزاء النشاط الصهيونى فى
99	الداخل:-
101	١ - جمع التبرعات لحركة تحرير الوطن القومى اليهودى.....
105	٢ - التجسس وانتشار المحطات السرية اللاسلكية.....
109	٣ - دخول عناصر خطرة بغرض التخريب.....
115	٤ - تهريب اليهود للأسلحة من القطر المصرى إلى فلسطين.....
121	٥ - محاربة النشاط الشيوعى وعلاقته بالصهيونية.....
128	- استلام خط سكة حديد مصر - فلسطين.....
	الفصل الثالث: الانتقال من الدبلوماسية إلى التدخل العسكرى لحل
137	مشكلة فلسطين:
139	• إقرار الحكومة المصرية التطوع فى ظل جامعة الدول العربية وأسبابه:..
	١ - ازدياد تيار التطوع من قبل الضباط والإخوان المسلمين وتأيد
139	الرأى العام المصرى له.....
146	٢- تطور الأحداث والأوضاع فى فلسطين ومجلس الأمن.....
148	- تدخل مصر عسكريًا بقوات غير نظامية.....
149	- رد الفعل البريطانى والأمريكى.....
154	• معركة كفار دبروم للأخوان المسلمين
156	• رد الفعل البريطانى إزاء نشاط المتطوعين.....
	• قرار الحكومة المصرية التدخل العسكرى بقوات غير نظامية
158	ضمن القوات العربية تحت قيادة الملك عبد الله.....
	- سقوط حيفا وموقف الحكومة من الاعتداء الصهيونى على الرعايا
158	المصريين فى حيفا.....
163	- ثورة الرأى العام المصرى.....

- 165 - موقف الحكومة البريطانية من قرار الحكومة المصرية.....
- إقرار الحكومة المصرية الاشتراك بقوات نظامية مصرية تحت قيادة الملك عبد الله إلى جانب هيئة مستشارين عسكريين مصريين.....
- 166 - دوافع الحكومة المصرية لإقرار دخول القوات النظامية المصرية لإنقاذ فلسطين:.....
- 167 أ - ضغط العوامل الداخلية: -.....
- 167 ١ - المحنة السياسية.....
- 168 ٢ - المحنة الاقتصادية.....
- 172 ٣ - المحنة الصحية.....
- 178 ب - ضغط العوامل الخارجية "تطور الأحداث والأوضاع في فلسطين ومجلس الأمن".....
- 190 - استكمال استعدادات القوات المصرية بالعريش.....
- 191
- الفصل الرابع:

صدى قرار التقسيم في البرلمان المصري

- الإجراءات القانونية التي اتبعتها الحكومة المصرية لاشتراك القوات النظامية المصرية في إنقاذ فلسطين:.....
- 195 ١ - دعوة الحكومة المصرية البرلمان للانعقاد للنظر في مساعدة فلسطين عسكريًا واقتصاديًا واتخاذ التدابير اللازمة لذلك:.....
- 195 أ - التدخل العسكري.....
- 197 ب - إعلان الأحكام العرفية.....
- 199 ٢ - الرأي القانوني لاشتراك القوات النظامية:.....
- 205 - مذكرة مصر إلى ممثلي الدول.....
- 206 - الموقف الدولي إزاء إعلان الحكومة المصرية.....
- 212
- 215 الفصل الخامس: موقف القصر من المشاريع السياسية لتقسيم فلسطين.
- مؤتمر أنشاص ٢٨ - ٢٩ مايو ١٩٤٦ وأسباب انعقاده وتولى الملك فاروق رئاسته:.....
- 218

- ١ - لخطورة ما يجري وراء حدود مصر الشرقية على الأمن المصري:
- أ - الدعاية الصهيونية. ب - بناء التشكيلات العسكرية..... 222
- ج - تأسيس المستعمرات اليهودية..... 224
- ٢ - أثر النشاط السياسى لليهود عقب الحرب العالمية الثانية وتشكيل اللجنة الأنجلو - أمريكية فى القضية المصرية..... 224
- رد فعل مصر إزاء النشاط السياسى والعسكرى لليهود والملك عبد الله:..... 229
- أ- انعقاد مؤتمر أنشاص ٢٨ - ٢٩ مايو ١٩٤٦..... 229
- ب- لجوء مفتى فلسطين إلى مصر بتدبير من الملك فاروق وموقف أهالى فلسطين منه..... 239
- موقف القصر من إحياء مشروع سوريا الكبرى فى أثناء تشكيل لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين..... 244
- رد فعل مصر من تأييد الملك عبد الله لتقرير لجنة التحقيق الدولية الخاص بفلسطين..... 251
- الفصل السادس: موقف القصر من قرار التقسيم ١٩٤٧ وقرار الاستعداد للتقدم شرقاً:..... 253
- زيارة الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع الوطنى لمنطقة العريش بناء على أمر ملكى:..... 255
- ١ - رسالة الملك عبد الله إلى الملك فاروق فى ٥ فبراير ١٩٤٨..... 256
- أهم توصياته وقراراته:..... 258
- ١ - استخدام القوة الموجودة بالعريش للتقدم شرقاً (غزة - بئر سبع) لواء غزة..... 258
- ٢ - جمع المعلومات عن الحالة العامة بجنوب فلسطين ومدى تأثيرها فى العمليات الحربية..... 268
- ٣ - غيار القوات الموجودة بمعسكر التدريب بالعريش كل ثلاثة أيام..... 279
- الموقف العربى والدولى من مصر إزاء تسليحها للمفتى..... 281
- رد فعل مصر إزاء الموقف العربى الدولى:..... 286
- أ - الإعداد للتقدم شرقاً..... 286

- ب - قرار الاستعداد العسكرى دون علم السلطات العليا - الحكومة المصرية والبرلمان - للاشتراك فى العمليات الحربية بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ 289
- تولى مصر القيادة الجنوبية للمتطوعين فى فلسطين واسبابها..... 298
- الفصل السابع: موقف القصر من التدخل العسكرى العربى فى فلسطين:..... 309
- موقف مصر من اقرار التطوع فى ظل جامعة الدول العربية:..... 311
- ١- البيان الذى ألقاه إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى على رؤساء الوفود العربية..... 311
- ٢ - تكليف المقدم أحمد عبد العزيز باستكشاف المنطقة الجنوبية لفلسطين تمهيداً للتقدم..... 312
- موقف مصر من الاجتماعات العسكرية العربية لوضع ترتيبات دخول الجيوش النظامية العربية حرب فلسطين:..... 321
- اجتماع عمان وقرار تولى الملك عبد الله قيادة جيش التحرير العربى ورسالة الملك عبد الله للملك فاروق..... 321
- اجتماع الزعفران:..... 323
- أ - قرار التدخل العسكرى بالمتطوعين للمصريين تحت قيادة الملك عبد الله..... 323
- ب - استكشاف المقدم أحمد عبد العزيز المنطقة الجنوبية حربياً وإدارياً وسياسياً وتوصياته..... 325
- المؤتمر العسكرى الأول - ١ مايو ١٩٤٨ - بعمان "قصر الرغدان" وقرار الاشتراك بقوات نظامية عربية ما عدا القوات المصرية كقوات متطوعة، ورسالة الملك عبد الله للملك فاروق لتعيين قائد عام مصرى لجميع القوات المسلحة للدول العربية..... 331
- اجتماع دمشق ١٠ مايو ١٩٤٨..... 342
- تقدم قوات المتطوعين المصريين فى فلسطين لعمل ستارة أمام القوات النظامية المصرية:..... 351
- أ - معركة كفار دبروم ١١ مايو ١٩٤٨..... 351

- ب - عدم قبول المقدم أحمد عبد العزيز فكرة الانضمام إلى قيادة الجيش
360المصري عند دخوله فلسطين
- ج - موقف الملك عبد الله من قرار تدخل الجيش المصري.....
363
- الخاتمة.....
365
- قائمة المصادر.....
369

المقدمة

تتناول هذه الدراسة موقف القوى السياسية في مصر من قرار الاشتراك في العمليات الحربية التي تمت بعد انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨، وفي مقدمته موقف الحكومة المصرية والقصر، وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع؛ لأنه لم يسبق أن تطرق إليه أحد وإن كان قد سبق لبعض الكتاب منذ سنوات عدة تناوله ضمن دراسات عامة، ولكن على حد علمنا لم يفرد أحد من الباحثين عن ذلك الموضوع؛ وإنما كان ذلك في ثنايا علاج موقف مصر من القضية الفلسطينية بوجه عام وفي ثنايا التاريخ المصري المعاصر.

وبناء عليه قمنا بتقسيم الدراسة إلى سبعة فصول:

الفصل الأول: بعنوان "الجهود الدبلوماسية للحكومة المصرية لمقاومة المشاريع السياسية لتقسيم فلسطين" وذلك حتى صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧.. وقد وضعنا له مقدمة تضمنت أهمية فلسطين الاستراتيجية والسياسية لمصر وأطماع اليهود في الأراضي المصرية (سيناء والعريش)، وبعد ذلك تعرضنا لجهود الحكومة المصرية الدبلوماسية وموقفها من تقرير لجنة بيل عام ١٩٣٧ التي اقترحت تقسيم فلسطين ثم اشتراكها في عقد مؤتمرات عربية دولية، سواء بصفة غير رسمية أحياناً ورسمية أحياناً أخرى، معلنة موقفها من تقرير مصير فلسطين، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى موقف القصر من مشاريع الوحدة العربية (سوريا الكبرى والهلال الخصيب) الذي يمنح من خلالها لليهود حكم ذاتي وتزعم مصر حركة الوحدة العربية التي انتهت بتأسيس جامعة الدول العربية.

كما تناولنا العوامل المؤثرة في موقف الحكومة المصرية من الحكومتين البريطانية والأمريكية إزاء تطورات الأحداث في فلسطين والمتمثلة في القضية المصرية ومسألة تدريب وتجهيز الجيش المصري، وكذلك أثر القضية الفلسطينية

فى وجود القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ومحاولة النقراشى باشا لدى الولايات المتحدة الأمريكية إعادة النظر فى مشروع التقسيم وحدوده وصدى قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ على الشارع المصرى وتوجه الحكومة إلى تأمين الحدود الشرقية لمصر عقب صدور ذلك القرار.

أما الفصل الثانى: فعنوانه "موقف الحكومة المصرية إزاء النشاط الصهيونى فى الداخل"، إذ تمثل فى جمع التبرعات لحركة تحرير الوطن القومى اليهودى والتجسس وانتشار المحطات السرية اللاسلكية، ودخول عناصر خطيرة بغرض التخريب، وتهريب اليهود للأسلحة من القطر المصرى إلى فلسطين ومحاربة النشاط الشيوعى وعلاقته بالصهيونية، وكرد فعلى لذلك فى جانب سن الحكومة المصرية، التشريعات القانونية لمواجهة ذلك النشاط الضار والخطر على الأمن المصرى، فقد نشطت الحكومة المصرية لاستلام خط سكة حديد مصر - فلسطين لإحكام السيطرة على ذلك النشاط داخليا وخارجيا.

وتناولنا فى الفصل الثالث : "الانتقال من الدبلوماسية إلى التدخل العسكرى لحل مشكلة فلسطين" ومراحل ذلك، بداية من قرار الحكومة المصرية بإقرار التطوع ووصولاً إلى قرار تدخل القوات النظامية المصرية والضغوط الداخلية التى دفعت الحكومة المصرية إلى تحول موقفها من المعارض إلى المؤيد لفكرة دخول الجيش المصرى فلسطين لمشاركة الجيوش العربية فى العمليات الحربية التى أعقبت انتهاء الانتداب البريطانى فى فلسطين.

وكان الفصل الرابع: بعنوان "الإجراءات القانونية التى اتبعتها الحكومة المصرية لاشتراك القوات النظامية المصرية فى إنقاذ فلسطين"، وفيه تعرضنا لصدى قرار التقسيم البرلمانى المصرى بمجلسيه الشيوخ والنواب ثم انتقلنا إلى الإجراءات التى اتبعتها الحكومة فى دعوة البرلمان للانعقاد للنظر فى مساعدة فلسطين عسكرياً واقتصادياً ومذكرة مصر إلى ممثلى الدول لتدبير اشتراك القوات

النظامية المصرية فى إنقاذ فلسطين، وأخيرًا الموقف الدولى إزاء إعلان الحكومة المصرية والحكومات العربية قرار التدخل العسكرى.

أما الفصل الخامس: فعنوانه "موقف القصر من المشاريع السياسية لتقسيم فلسطين عقب الحرب العالمية الثانية"، وفيه تعرضنا لظروف انعقاد مؤتمر أنشاص ٢٨ - ٢٩ مايو ١٩٤٦ لخطورة ما يجرى وراء حدود مصر الشرقية على الأمن المصرى وتشكيل اللجنة الأنجلو-أمريكية على القضية المصرية ونشاط الملك عبد الله لتحقيق مشروعه، سوريا الكبرى، وصدر ميثاق عن مؤتمر أنشاص باحتلال البلدان العربية فلسطين احتلالاً عسكرياً وإدارياً مؤقتاً لحين تسليمها لأهلها وتقرير مصيرها، ثم انتقلنا إلى موقف أهالى فلسطين من لجوء مفتى فلسطين إلى مصر بتدبير من الملك فاروق.

وتناولنا فى الفصل السادس: "موقف القصر من تقرير قرار التقسيم وقرار الاستعداد للتقدم شرقاً"، وفيه تعرضنا لزيارة الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع الوطنى لمنطقة العريش بناء على أمر ملكى فى ١٧ فبراير ١٩٤٨ لاستخدام القوة الموجودة بالعريش للتقدم شرقاً إلى لواء غزة (غزة - بنر سبع) وجمع المعلومات عن الحالة العامة بجو فلسطين ومدى تأثيرها فى العمليات الحربية، ثم انتقلنا إلى الموقف العربى والدولى من مصر إزاء تسليمها للمفتى ورد الفعل الدولى إزاء تلك المسألة وقرار الاستعداد العسكرى دون علم السلطات العليا - الحكومة المصرية والبرلمان - للاشتراك فى العمليات الحربية بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ وتولى مصر القيادة الجنوبية للمتطوعين فى فلسطين.

وخصصنا الفصل السابع: "موقف القصر من التدخل العسكرى العربى فى فلسطين"، بداية من إقرار التطوع والبيان الذى ألقاه إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى على رؤساء الوفود العربية، وتكليف المقدم أحمد عبد العزيز باستكشاف المنطقة الجنوبية لفلسطين تمهيداً للتقدم، ثم انتقلنا إلى موقف القصر من

الاجتماعات العسكرية لوضع ترتيبات دخول الجيوش النظامية العربية حرب فلسطين بداية من اجتماع عمان ووصولاً إلى اجتماع دمشق في ١٠ مايو ١٩٤٨، وتقدم قوات المتطوعين المصريين في فلسطين لعمل ستارة أمام القوات النظامية المصرية وخوض المقدم أحمد عبد العزيز معركة كفار ديروم في ١١ مايو ١٩٤٨، ثم عدم قبول المقدم أحمد عبد العزيز فكرة الانضمام إلى القوات النظامية وتصميمه على انفصال قواته كقوات متطوعة عن القوات النظامية المصرية وموقف الملك عبد الله من قرار تدخل الجيش المصري.

وفى نهاية الدراسة قمنا بوضع خاتمة للدراسة.

وإذا كنت قد وفقت في إبراز الموقف المصري من قرار الاشتراك في حرب فلسطين لعام ١٩٤٨ بصورة موضوعية؛ فإن الفضل في ذلك يعود إلى الله أولاً وأخيراً ثم إلى أستاذي الجليل أ.د يونان لبيب - رحمه الله - لأنه أعطاني الكثير من وقته وجهده، حيث كان لدقته العلمية وإرشاداته البناءة وتوجيهاته السديدة أكبر الأثر في بلوغ الدراسة هذا المستوى العلمي، كما أتقدم بشكري وامتناني إلى أستاذتي الفاضلة أ. د لطيفة سالم لما قدمته من إرشادات علمية، كما أتقدم بشكري وخالص الدعاء لأمي وأبي متعهما الله بتمام الصحة والعافية..

والله الموفق

أسماء محمد محمود

بورشيد ٧ نوفمبر ٢٠١٠

الفصل الأول

الجهود الدبلوماسية للحكومة المصرية لمقاومة المشاريع السياسية لتقسيم فلسطين:

- أهمية فلسطين الاستراتيجية والسياسية بالنسبة إلى مصر:
- تحكم فلسطين بمصير مصر سياسيًا.
- أطماع اليهود في الأراضي المصرية "سيناء والعريش"
- أهمية النقب بالنسبة لليهود
- موقف الحكومة المصرية من مشاريع التقسيم بعد الحرب العالمية الأولى.
- موقف الحكومة المصرية من تقرير لجنة بيل ١٩٣٧.
- موقف القصر من مشاريع الوحدة العربية:-
- ١ - مشروع سوريا الكبرى: رد فعل بريطانيا إزاء رفض الملك فاروق إعلان الحرب على المحور.
- ٢ - مشروع الهلال الخصيب.
- موقف الحكومة المصرية من إعلان بريطانيا إنهاء الانتداب على فلسطين
- العوامل المؤثرة في موقف الحكومة المصرية من الحكومتين البريطانية والأمريكية إزاء تطورات الأحداث في فلسطين:
- أ - القضية المصرية. ب - تدريب وتجهيز الجيش المصري.
- أثر القضية الفلسطينية في وجود القوات البريطانية في قناة السويس.

- محاولة "النقراشي باشا" لدى الولايات المتحدة الأمريكية إعادة النظر في مشروع التقسيم وحدوده.
- محاولة الياهو سامون إقناع مصر بالتفاهم مع اليهود ضد بريطانيا قبل صدور قرار التقسيم.
- رد فعل الوكالة اليهودية إزاء فشل محاولة التفاهم مع مصر.
- صدى قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ على الشارع المصري:-
- موقف الحكومة المصرية من رد فعل الشارع المصري إزاء صدور قرار التقسيم .
- تأمين الحدود الشرقية لمصر منذ صدور قرار تقسيم ١٩٤٧.

• أهمية فلسطين الاستراتيجية والسياسية لمصر:

لقد لعب موقع مصر الجغرافى - الذى يركز بقدمه فى إفريقيا ويتجه بوجهه إلى أوروبا ويمتد بذراعه اليمنى إلى الشرق عبر فلسطين وسوريا وبذراعه اليسرى عبر ليبيا والمغرب العربى - دوراً كبيراً؛ بأن جعل مصر مركز النواة العربية، وجعل اتصال مصر بجيرانها ليس مجرد ضرورة يفرضها الجوار والمصالح الاقتصادية فحسب؛ ولكن الضرورة الاستراتيجية التى تتصل بأمن وسلامة مصر من جانب والمنطقة كلها من جانب آخر.

وغنى عن البيان أن مصر كانت تترك الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة الحيوية لها وتأثيرها فى أمنها وسلامتها، وتتأكد، جيلاً بعد جيل، أن حمايتها من جهة الشرق أهم من حمايتها من الجهات الأخرى؛ ولا تكون فى مصر نفسها بل فى فلسطين لعدم وجود عوائق طبيعية تعوق تحرك الجيوش المعتدية ومن ثم يسهل اجتيازها، ولكنها فى الوقت نفسه تتيح لمصر سهولة الاتصال وإمكان تجمع قواها بسرعة لمواجهة الاعتداء الخارجى وملاقاة العدو خارج الحدود المصرية لتأمين سلامة مصر بل والمنطقة كلها^(١).

وقد هيات هذه الظروف مصر؛ لأن تقوم بدور القوة التى تستطيع توحيد العالم العربى من خلفها وتحمل عبء معظم الحروب التى دارت فى الشام، لذلك شهدت أرض فلسطين حملات تاريخية عدة التى استهدفت ضرورة استراتيجية تتصل بأمن وسلامة مصر من جانب والمنطقة كلها من جانب آخر، منها وقائع عظمى بين الفرس والمصريين: تحمل الدولة الأيوبية عبء دفع الغارة الصليبية، بالإضافة إلى نفقات الإعداد • جيوش بالمون والسلاح حتى تم الانتصار فى

(١) د. عبد الحميد موافى: مصر فى جامعة الدول العربية.. دراسة فى دور الدولة الأكبر فى التنظيمات الإقليمية ١٩٤٥ - ١٩٧٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٣ - ص ٥١-٥٠.

حطين عام ١١٨٧م بقيادة " صلاح الدين الأيوبي"، ومواجهة الغزو المغولي وهزيمته في عين جالوت بقيادة "المظفر قطز" عام ١٢٦٠م^(١).

ثم الخطوة التي أقدم عليها محمد علي باشا في مطلع القرن التاسع عشر، حينما تمكن من حكم مصر عام ١٨٠٥م؛ كون قوته العسكرية المصرية لتكوين أول دولة عربية مستقلة عن السلطة التركية، لتخضع لسيطرته الجزيرة العربية والشام كله، وقد أوشك أن ينجح في تحقيق خططه لولا أن الخلافة في تركيا معضدة بالاستعمار الأوروبي الطامع في المناطق العربية، رأى فيما جرى خطراً عليه، والمعروف أن الذي دفع محمد علي إلى القيام بتلك الفتوحات وعياً منه لوجود علاقة عضوية بين مصر ومنطقة الشام بصفة خاصة، وتكامل هذه المناطق العربية بعضها بعضاً جغرافياً ولغوياً وحضارياً واقتصادياً^(٢).

ومن الملاحظ أن تلك المعارك تمت في فلسطين خارج الحدود المصرية، وبالتحديد في منطقة صحراوية عرفت منذ القدم بصحراء النقب وقد سماها العبرانيون "النجب" وتقع في جنوب فلسطين، وفي أقصى النقب من الجنوب تقع مدن العقبة والمرشش وطابا التي يحدها خليج العقبة الذي يتصل جنوباً بالبحر الأحمر، وفي الغرب يقع البحر المتوسط وصحراء سيناء، وتعتبر صحراء النقب منطقة اتصال مهمة قريبة من إفريقيا وآسيا، وتساعد حاكمها في أن يفرض نفوذه في المنطقة المجاورة - مصر - وأن يتحكم في خليج العقبة^(٣).

-
- (١) د. حسن أبو طالب: عروبة مصر بين التاريخ والسياسة - ندوة (مصر والعروبة وثورة يوليو) - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - د. ت - ص ٧٢.
- (٢) د. محمد رضا محرم: عروبة مصر وأعبائها - ندوة (مصر والعروبة وثورة يوليو) - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - د. ت - ص ١٠٧-١٠٨.
- (٣) محمد نمر الخطيب: حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية - دار المكتبة - بيروت - ١٩٦٩ - ص ٦٩-٧٢.

فلسطين بالنسبة إلى مصر، حسب تعريف علماء الجغرافيا السياسية والعسكرية منذ أقدم العصور، دهليز مصر، من فوق أرضها نزل بها كل الغزاة والفاتحين منذ العهود القديمة إلى زمن الانتداب، حيث إن حماية حدود مصر الشرقية ليست في مصر نفسها بل في فلسطين بالذات في "صحراء النقب"، لن يقوى بلد على تهديد مصر بأكثر من البلد الذي يتخذ من فلسطين قاعدة له للعدوان عليها، ومن ثم أتاح الموقع الجغرافي لفلسطين أن يتحكم إلى حد بعيد تحكماً عسكرياً في مصر، وأن يربط مصير مصر بفلسطين؛ إذ تمثل فلسطين بوابة مصر من جهة الشرق وخط الدفاع الأول عنها، وأن تحظى فلسطين وما يحدث بها باهتمام القائمين على حكم مصر^(١).

وهكذا يتضح أن تصنيف مصر بين الأقطار العربية من الأقطار المواجهة [سوريا - لبنان - الأردن] التي يدفعها تحركها ليس تطوعاً ونخوة، ولكن الدوافع الوطنية تسبق الدوافع القومية التي تأتي في الدور الثاني ويرتب على مصر حكومة وشعباً أعباءً اقتصادية كبيرة وقاسية ترتبط أساساً بضرورات الحفاظ على سلامة الوطن المصري ووحدة أرضه وأمن سكانه قبل أن تكون موجهة إلى الدفاع عن الأمن العربي أو الجهاد من أجل استعادة الحق العربي^(٢).

ومن ثم كانت سياسة مصر دفاعية ولم تتغير تلك السياسة حتى مع ظهور الخطر الصهيوني، وما له من أطماع توسعية في تحقيق دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ونشاطه من أجل تحقيق ذلك سواء ببناء التشكيلات العسكرية والهجرة اليهودية وشراء الأراضي، والحصول على مساندة دولية، ومن ثم جاء موقف مصر الرافض لأي مشاريع سياسية تقوم في فلسطين كحل للقضية الفلسطينية

(١) د. أنيس صايغ: فلسطين والقومية العربية - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٦ - ص ١٧ - ١٩.

(٢) عودة بطرس عودة: القضية الفلسطينية في الواقع العربي - المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة - ١٩٧٠ - ص ٤٧٩.

سواء مشاريع التقسيم أو الوحدة العربية [سوريا الكبرى - الهلال الخصيب] التي تهدف جميعها إلى إعطاء اليهود حكمًا ذاتيًا يستطيعون من خلاله تأسيس دولتهم ذات الأطماع التوسعية التي تهدف في النهاية إلى عزل مصر عن العالم العربي وعدم الاضطلاع بدورها كزعيمة للدول العربية^(١)، وتهديد أمن وسلامة مصر.

• تحكم فلسطين بمصير مصر سياسيًا:

وإدراكًا من بريطانيا بحقيقة أن: لن يقوى بلد على تهديد مصر بأكثر من البلد الذي يتخذ من فلسطين قاعدة له للعدوان على مصر، نظرًا إلى تحكم الموقع الجغرافي لفلسطين إلى حد بعيد تحكمًا عسكريًا وسياسيًا في مصر^(٢).

لذلك كانت سياسة بريطانيا المرسومة تجاه مصر وفلسطين وفق ما جاء في تقرير اللجنة التي ألفها "بانرمان" رئيس الوزراء البريطاني عام ١٩٠٧ اتخاذ وسائل وتدابير تحافظ على المصالح البريطانية وتحول دون إنهاء الإمبراطورية في آسيا وإفريقيا وبأن تقوم هذه السياسة على الآتي:

١ - يجب أن يشكل حاجز بشري قوى في المنطقة على القرب من قناة السويس، صديق للاستعمار وعدو لسكان المنطقة لفصل الجزء الإفريقي عن الآسيوي، ولمقاومة حركة التحرر، بمعنى لو حصلت مصر على استقلالها لصارت دولة قوية يمكنها أن تهب لنجدة فلسطين وتخضعها لسيطرتها.

٢ - على الدول ذات المصالح المشتركة في هذه المنطقة أن تعمل على استمرار تجزئة المنطقة وتأخيرها وإيقائها على حالة من التفكك والجهل والتأخر والفقر.

(١) د. عائدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٨٦ - ص ٤٣.

(٢) أنيس صايغ: فلسطين والقومية العربية - ص ١٧ - ١٩.

وما جاء فى التقرير الذى بعثه اللورد اللنبى قائد قوات الحلفاء من خلال الحرب العالمية الأولى إلى المستر لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى حول تأمين مصالح بريطانيا فى مصر يكون من خلال سيطرة بريطانيا على فلسطين جاء فيه: "إن فلسطين حجر الزاوية فى الشرق الأوسط.. وإننى أرى فى مصر العدو المسلح الخطير لليهود؛ وبتطور القومية العربية إلى مرحلة السيادة وبخسارتنا قناة السويس فإن بريطانيا سوف تخسر مراكزها فى الشرق الأوسط، ومن أجل تقوية هذه المراكز أقترح ضم سيناء إلى فلسطين لإحباط أي محاولة مصرية لإغلاق القناة فى وجه ملاحتنا، كما يمكننا من حفر قناة تربط البحر الأحمر بالمتوسط"^(١)، خصوصًا بعد أن واجهت بريطانيا خطر غزو قناة السويس من فلسطين عن طريق صحراء النقب فى الحملة التى قامت بها الدولة العثمانية بقيادة جمال باشا عام ١٩١٥، وتصدت لها القوات البريطانية، بغزو فلسطين من أطراف النقب المختلفة حتى تمكنت فى عام ١٩١٧ من احتلال فلسطين بعد هزيمة الأتراك فى غزة وبئر سيع.

ويفهم من ذلك، لماذا، هبت الدول الأوروبية مجتمعة رغم تنافر المصالح فيما بينها للتصدي للخطوة التى أقدم عليها محمد على باشا لتكوين دولة عربية كبرى، فاجتمعت انجلترا وفرنسا والنمسا وروسيا مع تركيا على "محمد على باشا" وقاتلته وفرضت عليه أن يتوقع داخل حدود مصر وقيدت حركته داخل حدوده، وفصل الشام عنه بمقتضى معاهدة لندن عام ١٨٤٠^(٢).

لذلك فكر بالمرستون وزير خارجية بريطانيا ثم رئيس وزرائها بعدئذ فى أن يقيم حاجزًا بشريًا لعزل مصر عن بقية البلاد العربية، فلقد أقلقه قيام دول عربية

(١) حسن جميل: بطلان الأسس التى أقيم عليها وجود إسرائيل على الأرض العربية وسلامة الموقف العربى من القضية الفلسطينية - ط٢ - دار الجمهورية - بغداد - ١٩٦٨ - ص ٨٠-٨٥.

(٢) د. محمد رضا محرم: عروبة مصر وأعبائها - ندوة (مصر والعروبة وثورة يوليو) - ص ١٠٧.

واحدة ممتدة من مصر إلى المشرق تهدد خطوط مواصلات الإمبراطورية والطريق إلى الهند.. لاسيما أن النفوذ الفرنسي وراء محمد علي، ما يؤثر في مجمل صيغة توازن القوى في أوروبا التي تعود إلى معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨^(١).

لذلك رأت بريطانيا في اليهود أقلية تعتمد عليها لتكون حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه وبين الشام، وعزل مصر داخل حدودها، فافتتحت قنصلية لها في القدس عام ١٨٣٨ وغايتها حماية اليهود^(٢)، ومن ثم كانت العلاقة بين الصهيونية والإمبريالية علاقة وجودية مصيرية^(٣).

• أطماع اليهود في الأراضي المصرية "سيناء والعريش":

مع احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢، أصبحت فكرة التوطين اليهودي قابلة للتنفيذ، وكانت أول مغامرة لهؤلاء مغامرة "بول فريدمان" في أرض "مدین" لإنشاء دولة يهودية في الأراضي المصرية، والمقصود بأرض مدین هي المنطقة الساحلية الواقعة شمال غرب الجزيرة العربية حيث تتأخم حدودها الشمالية، مدينة العقبة، وتمتد جنوباً مسافة ٤٠٠ كم حتى تصل إلى مرفأ "العوجة"، وأرض "مدین" هي من ضمن الأراضي التي أسندت إدارتها إلى ولاية مصر وفق الفرمان الصادر في يونيو عام ١٨٤٠ لمحمد علي، وفيها بعض المراكز على الساحل الشرقي لخليج العقبة "ضبا وموليج والعقبة" إلا أنها ظلت تحت الإدارة المصرية إلى عام ١٨٩٢، عندما نشبت أول أزمة بشأن سيناء وخليج العقبة، وبدأت هذه الأزمة

(١) د. طارق البشري: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ص ٢٣٣.

(٢) د. أسعد مرزوق: إسرائيل الكبرى - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٨ - ص ٤١٠.

(٣) عبد الوهاب الكيالي: المطامع الصهيونية للتوسعية - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٦ - ص ٣٩.

بمحاولة فريدمان التوطن في مناطق الساحل الشرقي للخليج، فزار مصر لدراسة أوضاع "مدین وتعرف على اللورد كرومر ونصحہ الأخير بأن يجتمع مع رئيس الوزراء المصري "رياض باشا" عام ١٨٩٠ الذي أبلغه معارضة الاستعمار الأوروبي في بلاده، فذهب "فريدمان" إلى لندن محاولاً إقناع المسؤولين بأهمية قيام مستعمرة يهودية مهمتها فرض الاحترام على البدو، والواقع أنه كان يريد تأسيس دولة يهودية فراح يجمع المتطوعين مرتدًا بدلة عسكرية ووضع تاجًا ذهبيًا على رأسه ومثل دور "ملك اليهود"..
فتدخلت الحكومة العثمانية لتضع حدًا للمغامرة الاستعمارية، وأصدر السلطان عبد الحميد فرمانًا في ١٧ يناير عام ١٨٩٢ للخديو "عباس الثاني" قصد منه حرمان مصر ليس فقط من المراكز التي كانت لها - شرق خليج العقبة "أرض مدین" - وإنما قسم من أراضيها "شبه جزيرة سيناء".

وما أن علم المعتمد البريطاني بمحتويات فرمان التي كانت تعنى محاولة من جانب السلطان العثماني الاعتداء على تسوية عام ١٨٤٠ - ١٨٤١ التي وضعتها الدول الكبرى، والاقتراب بصورة خطيرة من قناة السويس، تبع ذلك ضغط دبلوماسي بريطاني، ما اضطر الباب العالي إلى أن يرضخ ويترك سيناء التي حاول سلخها وضمها إلى ولاية الحجاز، فجاءت برقية الصدر الأعظم جواد باشا إلى الخديو "عباس حلمي الثاني" في ٨ أبريل التي ورد منها: "أما من جهة شبه جزيرة سيناء فهي باقية على حالتها وتكون إدارتها بمعرفة الخديوية المصرية..
وأضاف: إن شبه جزيرة سيناء هي الأراضي المحددة من الشرق بخط يسير في اتجاه جنوب شرقى من نقطة قريبة من شرق العريش إلى رأس خليج العقبة سوف تظل تحت "الإدارة المصرية"^(١).

(١) مجلة شؤون فلسطينية - جلال السيد - فلسطين قضية مصرية ١٧٩٨ - ١٩١٤ - ص ٣٥ - ٦٢.

وكان ذلك بمثابة بداية لصناعة أول خط حدود فى التاريخ الحديث بين مصر والوطن العربى الواقع شرقها^(١).

ولما كان تيودور هيرتزل على علم بأهداف "فريدمان" لذلك اهتم اهتماماً خاصاً بقناة السويس، خصوصاً أن تلك الأراضى كانت تراود حلمه أيضاً؛ فذهب إلى ألمانيا وكان قيصرها "وليم الثانى" صديقاً للسلطان عبد الحميد، ولكن رفض السلطان إيواء اليهود فى فلسطين، وعاد هيرتزل بمحاولة أخرى بعرض مبلغ ضخّم على السلطان عبد الحميد ليصدر السلطان فرماناً بتهجير اليهود إلى فلسطين ومنحهم نوعاً من الحكم الذاتى، ولم يوافق السلطان رغم كل هذه الإغراءات بل واتخذ قرارات على العكس تماماً فقد منع تدفق اليهود على فلسطين، وأصدر فرماناً يحدد إقامة اليهود الزائرين إلى فلسطين بثلاثة أيام فقط حتى لا يبقى فى فلسطين أحد من اليهود القادمين إليها فيزيد عددهم.

ولم يجد "هيرتزل" أمامه إلا أن يلجأ إلى بريطانيا - بعد أن خذلته ألمانيا وأخفقت محاولته لإغراء السلطان عبد الحميد - ودارت المفاوضات بينهما على أساس إسكان اليهود فى شبه جزيرة سيناء ليقيموا دولة تتمتع بالحكم الذاتى تحت الإشراف البريطانى، ووافق وزير المستعمرات البريطانى على أساس أن هذا المشروع يودى إلى عزل مصر عن غرب آسيا وإضعاف الدولة العثمانية، وزرع دولة غربية فى البلاد العربية^(٢)، خصوصاً أن بريطانيا كانت تسعى لبسط سيطرتها على المناطق الواقعة شرق السويس بحجة حماية الطريق إلى الهند، وتمت المقابلة بين هيرتزل وتشميرلن، وأبدى تأييده لفكرة إقامة جاليات ومستعمرات يهودية فى وادى العريش وشبه سيناء.

(١) د. يونان لبيب رزق: مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية، (٣) موقف بريطانيا من الوحدة العربية ١٩١٩ - ١٩٤٥ - ط١ - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ١٩٩٩ ص ٣٠.

(٢) عبد اللطيف البغدادي: مذكرات عبد اللطيف البغدادي - ج ١ - المكتب المصرى الحديث - القاهرة - ص ١٣٦.

وكتب تشمبرلن رسالة إلى اللورد كرومر ليسهل زيارة المستر غرينبرغ (مبعوث هيرتزل)، وبالفعل قدمت البعثة الصهيونية إلى مصر وأعدت تقريراً عن سيناء يدرس إمكانية استغلالها بإيصال مياه النيل إليها بسحارات تمر تحت قناة السويس، وصيغ المشروع في شكل ميثاق استعماري بحيث يكون لها "حق احتلال" الأرض الكائنة شرق قناة السويس من ساحل البحر المتوسط شمالاً إلى خط عرض ٢٩ جنوباً وتضم خليجي السويس والعقبة، والتوقيع على عقد ٩٩ سنة، ومنح الحركة الصهيونية الضمانات والحقوق في استغلال النفط والفحم وغيرهما من المعادن في صحراء سيناء، فحددت الحدود المراد التنازل عنها من البحر المتوسط شمالاً والحدود التركية شرقاً ومساقط مياه وادي العريش ومرتفعات التبة جنوباً وقناة السويس وخليجها غرباً، وإعارة قناة السويس، وأن يرتدوا ملابس البريطانيين.

ويتضح من صياغة المشروع ومطالبته بالحصول على الحقوق والضمانات أن هيرتزل يريد ألا يكون تحت رحمة الشرقيين في حالة انسحاب الإنجليز من المنطقة^(١).

ورد رئيس الحكومة المصرية "مصطفى فهمي باشا" الذي اشتهر بممالأة الإنجليز والانصياع شبه التام لنصائح كرومر الملزمة وكذلك وزير خارجيته "بطرس غالي" على اللورد كرومر بالرد الآتي: "إن الحكومة المصرية لا تستطيع وفقاً للفرمانات الشاهانية لأي سبب أو مبرر التنازل عن جزء أو كل من الحقوق المتعلقة بالسيادة، لذا يجب أن تستبعد بصفة قاطعة كل فكرة ترمي إلى الحصول على اتفاقات من هذا النوع"، وبناء على ذلك الرد أرسل كرومر إلى حكومته: "يجب صرف النظر عن الموضوع"، وأبلغت الخارجية البريطانية هيرتزل في ١٩ يونيو عام ١٩٠٣ بنص عبارات كرومر: "تأسف لعدم استطاعة الضغط أكثر من ذلك على الحكومة المصرية لحملها على تغيير موقفها"^(٢) ويرجع تغير موقف بريطانيا إلى أن تنفيذ ذلك المشروع يتطلب تحويل مقادير هائلة من مياه النيل^(٣)، كما احتمت الخارجية

(١) عبد الوهاب الكيالي : المطامع الصهيونية التوسعية - ص ٨٩.

(٢) طارق البشرى : مصر في إطار الحركة العربية - ص ٣١.

(٣) عبد اللطيف البغدادي : مذكرات عبد اللطيف البغدادي - ص ١٣٦.

المصرية بالقوانين لهدم كل محاولة عنصرية أو دينية أهدافها غير المعلنة إقامة دولة لليهود في سيناء والعريش.

ورغم فشل مشروع هيرتزل، فإنه ظهر مشروع جديد في جنوب مصر "كوم أمبو" محافظة أسوان، بإقامة مستعمرة صهيونية على مساحة ١٣٠ ألف فدان، وقد أشارت جريدة الأهرام في عددها الصادر ١٩ ديسمبر عام ١٩٠٣ تحت عنوان "النيل في خطر" إلى فكرة إقامة مستعمرات صهيونية عدة داخل الأراضي المصرية؛ لأن الصهيونيين يخشون أى تحرك مصرى ضد استعمارهم فلسطين.

ويتضح مما سبق كيف حاولت الحركة الصهيونية أيام هيرتزل الاستيلاء على العريش وسيناء على أساس أنهما تمثلان جزءًا من فلسطين الكبرى، أى من الوطن القومى اليهودى، وضمان استقرار السيطرة الاستعمارية الصهيونية في فلسطين وعدم الاعتماد على بريطانيا؛ لأنها كانت مدركة أنه سيأتى اليوم وتخرج بريطانيا من المنطقة وتمنع بذلك أى تحرك مصرى لنجدة فلسطين، ومن ناحية أخرى يلاحظ عدم تشجيع بريطانيا على فكرة سيطرة صهيونية على جانب من جانبى قناة السويس^(١)، وإن كانت تشجع على فكرة إقامة وطن قومى لليهود في فلسطين فى حدود تحددها بريطانيا، وبذلك تستمر السيطرة الاستعمارية على مصر، وحاجة مصر للحماية البريطانية ضد الخطر الصهيونى.

لذلك جاء موقف بريطانيا من أزمة ١٩٠٦، وهى الأزمة التى عرفت باسم أزمة طابا، بتوجيه إنذار إلى حكومة الأستانة خلال شهر مايو من ذلك العام بتسليم هذه الحكومة الأخيرة بتعيين خط فاصل (*Separating Line*) بين مصر والحجاز ومتصرفية القدس، وتم توقيع اتفاق بين ممثل مصر "إبراهيم فتحي باشا" وممثل الباب العالي "مصطفى فهمى" الذى جاء فى مادته الثالثة: "تقام أعمدة على طول الخط الفاصل من النقطة التى على ساحل البحر الأبيض المتوسط (تل الخراب عند رفح) إلى النقطة التى عند ساحل خليج العقبة (ورأس طابا) بحيث إن كل عمود

(١) مجلة شؤون فلسطين - جلال السيد - فلسطين قضية مصرية - ١٧٩٨، ١٩١٤ - ص ٣٥ - ٦٢.

منها يمكن رؤيته على أن يحافظ على أعمدة الخط الفاصل هذه كل من الدولة العلية والخديوية المصرية^(١).

ومن ثم كان المشروع الصهيوني في نظر السياسة البريطانية صفقة سياسية لضمان استقرار السيطرة الاستعمارية على مصر، ولم يأت وعد بلفور ١٩١٧ بعيداً عن هذا السياق، وكذلك أحاديث وايزمان مع رجال الخارجية البريطانية والتي جاء فيها: "إن وجود شعب يهودى قوى على حدود مصر سيكون خطأ قوياً ضد أى غزو من الشمال وستجد إنجلترا فى اليهود أصدق وأحسن أصدقائها وأن صيرورة فلسطين يهودية أمر يفيد الإنجليز كثيراً ويخدم مصالحهم خصوصاً فى منطقة قناة السويس"، لذلك كان يرى "كيرزون" وزير الخارجية البريطانى تأييد وعد بلفور باعتبار "أن فلسطين خط الدفاع الاستراتيجى بالنسبة إلى مصر، وإذا وجب أن ندافع عن قناة السويس فى المستقبل وهى الجبهة الضعيفة فى مصر، فسيتم ذلك من جبهة فلسطين" ويذكر "ريد ريولارد" الذى كان سفيراً لبريطانيا فى طهران (١٩٣٩ - ١٩٤٦) أن من دوافع صدور وعد بلفور "الرغبة فى تأمين قلعة الدفاع عن قناة السويس"، وبوقوع فلسطين تحت الانتداب البريطانى، عملوا على ربط سيناء بفلسطين وجعلها منطقة عازلة يمتد إليها النفوذ البريطانى، لا من مصر المنادية باستقلالها ولكن من فلسطين، وأقاموا خطأ للسكة الحديد ووضعوه فى أيدي حكومة فلسطين على الرغم من وجوده على أرض مصرية وتشبيده بأموال وعمال مصريين وفرضوا على المسافرين شرقاً من مصر أن يقدموا جوازات سفرهم لا عند رفح أو حتى العريش ولكن فى القنطرة على ضفاف قناة السويس^(٢).

ومن ثم ما كانت تعتبره مصر من موجبات أمنها، تعتبره بريطانيا تهديداً لوجودها فى منطقة الشرق الأوسط؛ لذلك رأت ضرورة قيام قوة معادية لمصر تهدد استقلالها، وأمام هذا التهديد يسكت الصوت الداعى إلى استقلال مصر وجلاء القوات البريطانية عنها بل والتمسك بوجودها حماية من الخطر الصهيونى.

ولم تقتصر محاولة تحقيق حلم اليهود على محاولة هيرتزل، فقد صارت الأراضى المصرية هدفاً وجزءاً من الدولة اليهودية، فعندما انعقد المؤتمر الصهيونى

(١) د. يونان لبيب رزق: موقف بريطانيا من الوحدة العربية ١٩١٩ - ١٩٤٥ ص ٣٠ - ٣١.

(٢) طارق البشرى: مصر فى إطار الحركة العربية - ص ٣١ - ٣٢.

السابع فى أغسطس عام ١٩٠٥ طرحت أفكار "ماكس نوردوا" التى تدعو إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين والأقاليم المجاورة تشمل فلسطين وسوريا وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص، ولم تكن سيناء والعريش بعيدتين عن ذهنه، حيث كان يرى أن فلسطين غير قادرة على استيعاب اثنى عشر مليوناً أو خمسة عشر مليوناً من البشر^(١).

وفى المؤتمر الثامن الذى عقد فى لاهاي عام ١٩٠٧ وضع "ديفيد تريتش" ما سماه "فلسطين الكبرى" التى تضم إليها الأراضى الخاضعة للإدارة المصرية والمعروفة بشبه جزيرة سيناء.

وأدخل "هربرت سايدويتام" القائد العسكرى والاستراتيجى تعديلاً على الفكر التوسعى الصهيونى عند التفكير فى فلسطين الجديدة، والحدود الطبيعية فى الجنوب، حيث رأى أنه يجب أن تمتد إلى خليج العقبة حتى لا يكون ذلك الخليج قاعدة عدوانية تهدد الدولة اليهودية^(٢).

ولا يختلف موقف الجناح الأرثوذكسى اليهودى المتدين عما يحلم به الصهاينة عموماً بضم مساحات شاسعة تمتد من نهر الفرات إلى نهر مصر (وادي العريش) وتشمل خليج العقبة.

ومن الملاحظ أن الحدود المرسومة تعتبر جوهرًا للأساس الاقتصادى الضرورى للبلاد، بحيث تكون لها منافذها الطبيعية على البحار والسيطرة على الأنهار ومنابعها^(٣).

وعندما سئل "بن جوريون" عن موقف الوكالة اليهودية من حدود فلسطين، رأى ضرورة ضم العريش وسيناء للوطن القومى اليهودى، حيث أكد على ما ذكره "هيرتزل" أن أرض سيناء والعريش هما أرضا اليهود العائدين إلى وطنهم، وأن

(١) عبد الوهاب الكيالى: المطامع الصهيونية للتوسعية - ص ٨٩ - ٩١.

(٢) مجلة شؤون فلسطينية - جلال السيد - فلسطين قضية مصرية - ١٧٩٨ - ١٩١٤ - ص ٣٩ - ٦٢.

(٣) محمد العابدى وآخرون: فلسطين أرضاً وشعباً وقضية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ص ١٨٤ - ١٩١.

الجزء الشرقى لفلسطين ليس أصغر رقعة من الجزء الغربى وتبلغ مساحته ٢٧ ألف كم^٢، فإذا جمعنا ذلك إلى أرض العريش أصبحت المساحة ١٦٠ ألف كم^٢(١).

بل ظهرت خريطة إسرائيل التى توضح أطماعها الإقليمية والتوسعية بضم الإسكندرية والوجه البحرى وقناة السويس وسيناء(٢).

• أهمية النقب بالنسبة إلى اليهود:

لقد كان النقب محور اهتمام اليهود، وكما جاء فى جريدة "دافار" لسان حال الحركة الصهيونية فى فلسطين أيام الانتداب البريطانى: "تحنثوا عن الطاقات اليهودية العالمية فيما لو تيسر لها الانطلاق عبر البحر الأحمر صوب الكنوز الدفينة فى شبه جزيرة العرب وما وراءها من عوالم الشرق الواسع"، ويطلقون اسم النقب على مثلث (عسقلان - بئر سبع - العقبة)، وبلغ من اهتمام اليهود بالنقب قبل قيام الدولة اليهودية، أن اقتحموا سهولها وجبالها ووديانها وأغوارها بالبعثات الدراسية فى جميع فصول السنة، وبلغ عدد الكتب التى تحدثت عن النقب أكثر من سبعين كتاباً، وفى ظل الانتداب البريطانى ألحقت النقب بقائمقام بئر سبع، ولكن العناية بهذه الصحراء لا تكاد تذكر، حيث كان يتركز سكان النقب فى غزة ورفح ودير البلح وبئر سبع نتيجة لإهمال الحكومة البريطانية لتطويرها(٣)، ووضعت القيود المشددة على بيع الأراضى لليهود فى هذه المنطقة(٤)، لأهميتها الاستراتيجية بالنسبة إلى بريطانيا لتأمين وجودها فى منطقة قناة السويس ولإدراكها أطماع اليهود التوسعية فى الأراضى المصرية ومحاولتهم السابقة وتصدى بريطانيا بطريق غير

(١) عبد الوهاب الكيالى: المطامع الصهيونية التوسعية - ص ٨٩ - ٩١.

(٢) محمود دياب: الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيونى المعاصر - مطبوعات القاهرة ١٩٧٦ - ص ٢٢.

(٣) محمد نمر الخطيب: حقيقة اليهود والمطامع للصهيونية - ص ٨٠ - ٨١.

(٤) جوان كوماى: دليل إسرائيل - وزارة الإعلام - هيئة الاستعلامات - ص ١٤٩.

مباشر لتلك المحاولات من خلال الموقف المصرى الراض لها وخلفه رأى البريطانى.

ولم يستصلح أكثر من سدس النقب خصوصاً فى الأراضى المقام عليها المستعمرات اليهودية؛ ما يؤكد أهمية إعمار النقب بالنسبة إلى اليهود وذلك لاعتبارات كثيرة فى جدول الأهداف اليهودية أهمها:

١ - أهمية النقب من حيث القيمة العسكرية، فهى الحصن المنيع لحماية الدولة اليهودية ولتثبيت جنورها فى بوابة الشرق العربى.

٢ - تفصل النقب بين شطرى العالم العربى فى آسيا وإفريقيا وتمنع عن إسرائيل خطر الامتداد أو الاتصال البرى بينهما.

٣ - تشكل النقب أفضل قاعدة انطلاق استراتيجية فى نظرهم، إذ تطل على قناة السويس والبحر الأحمر والمحيط الهندى وعلى الكنوز البكر فى شبه جزيرة العرب وتطلعهم إلى مياه نهر الأردن - عنصر من أهم عناصر الحياة للنقب ولعمرانه^(١)، إلى جانب تخزين المياه ورى حقول صغيرة بإقامة السدود وتحويل المجارى فى الوديان من أمطار الشتاء إلى الجبال^(٢).

ونتيجة لاهتمامهم بتعمير النقب، أقاموا المستعمرات المحصنة بالأسلاك الشائكة والألغام وبعضها كان يحوى أربع دشم خرسانية، كما كان يوجد فى وسط كل مستعمرة برج مرتفع للمراقبة وبه مزاغل لعدد كبير من الأسلحة الأوتوماتيكية تلجأ إليه السيدات والأطفال فى حالة الهجوم، فضلاً عن ذلك فإن جميع المنازل داخل المستعمرة كانت محصنة بأكياس الرمل وبها مزاغل على المنافذ والاتصال

(١) محمد نمر الخطيب: حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية - ص ٨٠ - ٩١.

(٢) جوان كوماى: دليل إسرائيل - ص ١٤٩.

بين المستعمرات باللا سلكى فقط، وفى حالة قطع هذه المواصلات أو تلفها يكون الاتصال بإشارات ضوئية متفق عليها بينهم^(١).

هذا إلى جانب مشاريع اليهود الاقتصادية بحفر قناة موازية لقناة السويس من إيلات على خليج العقبة إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط بين غزة وحيفا، وحيث كانت هناك ثلاثة مشاريع لحفر تلك القناة اليهودية المقترحة؛ فالمشروع الأول: يبدأ من إيلات وينتهى جنوب غزة ويبلغ طوله ٢٨٠ كم؛ أى بزيادة ١٢٠ كم عن قناة السويس، والثانى: يبدأ من إيلات وينتهى عند المجدل وطوله ٣٠٠ كم، وأخيراً المشروع الثالث: يبدأ من إيلات وينتهى عند حيفا وطوله ٣٩٠ كم.

ومن الجدير بالذكر أن وضع تلك المشاريع كان قبل الحرب العالمية الثانية؛ لتخوف اليهود من قيام النازى بعمل يعوق الملاحة بقناة السويس، إذ إن قناة السويس كانت معرضة للقلق ومن اليسير تعطيلها.

إذ إن من أهداف حفر قناة موازية لقناة السويس إيصال بترول الشرق الأوسط إلى أوروبا بإقامة خط أنابيب لمرور البترول عبر إسرائيل من إيلات إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط ويسد حاجة ٣٠ قافلة بترول حمولة ٤٥ ألف طن أو عشرين قافلة حمولة ٦٠ ألف طن، ويؤدى ذلك إلى توفير رأسمال مستثمر يتراوح بين ٢٧٠ و ٣٠٨ ملايين دولار، وبدلاً من الاعتماد فقط على قناة السويس سيكون فى إمكان أوروبا والعالم بأسره الاستفادة من ثروات الشرق الأوسط البترولية عن طريق تلك القناة المقترحة^(٢).

ومن ثم باستطاعة اليهود ضرب الاقتصاد المصرى، كما أنه بقيام دولة يهودية على حدود مصر سيؤدى بالضرورة إلى خلق أقلية تتجه بتطلعاتها إلى بلد

(١) محفظة (١٢) - حديث رقم ٥ - وزارة الدفاع الوطنى - إدارة المخابرات الحربية - مذكرة إلى وزير الدفاع الوطنى من البكباشى محمد نوح من إدارة المخابرات الحربية واليوزباشى عصام حلمى المصرى قائد الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا فى ١٩٤٨/٢/٢٣.

(٢) محمد نمر الخطيب: حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية - ص ٨٢.

غير الذى تعيش فيه، ما يخلق مشاكل داخلية تصرف مصر عن قضيتها ويؤدى ذلك إلى زيادة التدخل الأجنبى فى البلاد، لذلك كانت القضية الفلسطينية جزءاً من القضية المصرية ويحتم على مصر الدفاع عنها بكل ما لديها من وسائل^(١).

ولذلك يجدر بنا تتبع موقف الحكومة المصرية والقصر إزاء ظهور المشاريع السياسية لتقسيم فلسطين، التى تمنح اليهود حكماً ذاتياً يستطيعون عن طريقه تحقيق حلمهم من إقامة دولتهم ذات الأطماع التوسعية على الحدود المصرية.

• موقف الحكومة المصرية من مشاريع التقسيم بعد الحرب العالمية الأولى:

كانت إقامة دولة يهودية على جزء من الأراضى الفلسطينية بعد تقسيمها أحد محاور السياسة البريطانية الرئيسية، وكان الاحتفاظ بالنقب - لقرىها من قناة السويس تحت الإدارة البريطانية المباشرة - محوراً من محاور هذه السياسة.

وينضح مدى الاهتمام بهذه السياسة عندما أصدرت لجنة بيل تقريرها عام ١٩٣٧^(٢)، وأخطأت اللجنة الملكية فى عدم إيلاء هذا الموضوع حقه من الاهتمام إذ اقترحت فى مشروعها أن تكون النقب جزءاً من الدولة العربية.

وهكذا احتاطت الحكومة البريطانية لمنع تكرار الخطأ عند تعيين اللجنة الفنية برئاسة وودهد^(٣)، فقبل توجه اللجنة إلى فلسطين، اجتمع وزير المستعمرات مع أعضائها فى ٣٠ مارس عام ١٩٣٨، وأوضح لهم أهمية النقب الاستراتيجية بالنسبة إلى بريطانيا.

(١) د. عايدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ٩٩ - ١٠٢.

(*) انظر الملحق رقم (١).

(**) انظر الملحق رقم (٢).

ورد وودهيد على ذلك بأن اللجنة نظرت فى المتطلبات الاستراتيجية بالنسبة إلى هذا الموضوع تحت عنوانين: المتطلبات الاستراتيجية الأوسع الناشئة عن :-

١ - الحاجة للمحافظة على خطوط مواصلات الإمبراطورية.

٢ - الحاجة للاحتفاظ فى فلسطين بجيوش إمبراطورية احتياطية للشرقين الأدنى والأوسط.

وقد أخذت هذه المتطلبات فى الاعتبار، إذ فصلت النقب عن الدولة العربية وتقرر جعلها منطقة خاضعة للانتداب البريطانى، وأمام المقاطعة العربية للجنة تقدم الصهيونيون بطلب زيادة مساحة الدولة اليهودية لتشمل مساحات إضافية فى مناطق غزة وبئر سبع والجزء الجنوبى من سهل بيسان وأجزاء من شرق الأردن ووافقوا على وضع النقب تحت هذا الانتداب.. وجدير بالذكر أن هذه الموافقة سبقت عمل اللجنة، حيث حصل وزير المستعمرات البريطانى أورمبسى جور من خلال اجتماعين عقدهما مع كل من دافيد بن جوريون فى ٢٨ من يونيو عام ١٩٣٧، ووايزمان فى ١٩ يوليو، على وعد بالآيهتم اليهود بالنقب، كذلك الموافقة على أن تبقى النقب تحت الانتداب البريطانى، وصدر تقرير لجنة وودهيد فى أكتوبر عام ١٩٣٨ وكانت أبرز ملامحه: تقسيم فلسطين خمسة أقسام، قسم يتبع الدولة العربية وآخر للدولة اليهودية وثلاث مناطق انتدابية؛ واحدة فى الشمال وأخرى حول القدس وثالثة فى الجنوب "منطقة النقب"، حيث تشمل جميع القسم الجنوبى من فلسطين إذ يبدأ خط حدودها من الشمال من نقطة على الساحل تقع بين رفح وخان يونس شرقاً إلى نقطة تقع على شاطئ البحر الميت^(١).

بينما رأى بن جوريون وجوب استعمار النقب بتأسيس المستعمرات رداً على ما جاء بتقرير اللجنة؛ لأنه رأى أن لورد بيل أعطاهم الأراضي التى يكونون فيها

(١) عصام شحتة: فلسطين الدولة.. جذور المسألة فى التاريخ - مركز الأبحاث - نيقوسا - ١٩٨٥ - ص ١٣٤ - ١٣٦.

الغالبية وأن هذا الإقصاء من الجنوب الفلسطيني يرجع إلى المصالح الاستراتيجية البريطانية^(١).

موقف الحكومة المصرية من تقرير لجنة بيل ١٩٣٧:

بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا وشعور الحكومة المصرية بقدر من الاستقلال في سياستها الخارجية ودخول القضية الفلسطينية في مراحل خطيرة وزيادة ارتباط مصر بما يحدث في فلسطين، باعتبارها بوابة مصر من جهة الشرق وخط الدفاع الأول عنها^(٢).

وقد انعكس ذلك في البيان الذي ألقاه النحاس باشا رئيس الوزارة الوفدية ردًا على استجواب قدمه "محمد حسين هيكل" حول الوضع في فلسطين في ١٢ أغسطس ١٩٣٧ وموقف الحكومة المصرية، فقال النحاس باشا: "كانت لي أبحاث ومناقشات مع الحكومة البريطانية الصديقة بواسطة ممثلها في مصر أولاً بطريق الاتصال المباشر بلندن في صيف ١٩٣٦ ولم ينقطع اتصالي بالحكومة البريطانية مع مغادرتي لندن بالوسائل الدبلوماسية المختلفة وبعد ظهور تقرير اللجنة الملكية البريطانية بادرت إلى استئناف الاتصال بالحكومة البريطانية^(٣)، عن طريق السفير البريطاني فأوضحت له أنه لا نستطيع أن نشعر بالاطمئنان وهو يفكر في قيام دولة يهودية على حدود مصر، إذ ما الذي يمنع اليهود من ادعاء حقوق لهم في سيناء فيما بعد؟" وأعرب لوزير الخارجية عن عدم رضائه عن مشروع تقسيم فلسطين، وصرح بأن مصر لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه ما يجري في فلسطين^(٤).

(١) تهناني هلسة: دافيد بن جوريون - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٨ - ص ٥١.

(٢) عبد الحميد موافي: مصر في جامعة الدول العربية - ص ٦٢.

(٣) د. عبد العظيم رمضان: العلاقات المصرية - الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٧٩ - البيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٢ - ص ١٦.

(٤) طارق البشرى: مصر في إطار الحركة العربية - ص ٣٦.

والواقع أن النحاس باشا رأى أن مشروع التقسيم يكشف عن مخاطر الصهيونية ، إذ لم تعد المسألة مجرد قيام وطن قومي بل إنشاء دول غربية على حدود مصر الشرقية تضر بمصالح مصر السياسية والاقتصادية، لذلك سعى لدى المسؤولين في بريطانيا إلى التخلي عن هذه الفكرة بالوسائل الدبلوماسية الودية.

كما وقف وزير الخارجية الوفدى المصرى "واصف غالى" فى عصبية الأمم فى ١٨ سبتمبر عام ١٩٣٧ معارضا مشروع التقسيم البريطانى ومطالبًا بعقد معاهدة بين انجلترا وفلسطين على غرار المعاهدات المعقودة مع البلاد العربية الأخرى بمنح استقلال فلسطين وضمان جميع المصالح والمحافظة بنوع خاص على حقوق اليهود المقيمين فى فلسطين.

وكان هذا أول موقف رسمى سياسى اتخذته الحكومة المصرية والذى يتضح منه حرصها على الصداقة البريطانية باتباع الأساليب الدبلوماسية، وفى الوقت نفسه أظهرت مدى الإدراك المصرى للأخطار المحدقة بمصر من وجود دولة يهودية على حافة أراضيها، ورأت أن أفضل حل لتلك المشكلة إقامة دولة عربية مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة على غرار المعاهدات المعقودة مع الدول العربية المستقلة والتعامل مع اليهود كأقلية لهم حقوق وضمانات لا ترقى إلى مستوى الحصول على حكم ذاتى.

وفى ٨ ديسمبر عام ١٩٣٧ عندما انعقد المؤتمر العربى القومى كرد فعل لمشروع التقسيم وشاركت مصر بصفة غير رسمية أوضحت من خلاله أن مجرد قيام دولة يهودية فى فلسطين يعتبر خطرًا يهدد كيان مصر والعالم العربى واجب أن يستأصل وإبلاغ بريطانيا أن استمرار الصداقة بينها وبين الأمة العربية يتوقف على طلب إلغاء الانتداب ووعد بلفور وقف الهجرة، وبيع الأراضى ومنح فلسطين حقها فى السيادة والاستقلال^(١).

(١) د. عايدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٣، ٢٧ - ٣٦، ٤١.

وبعد أن فشلت لجان التحقيق فى الوصول إلى حل للقضية الفلسطينية، رأت الحكومة البريطانية ضرورة عقد محاولة للتوفيق بين الطرفين من خلال مؤتمر لندن عام ١٩٣٩، توقعاً لقيام حرب عالمية ثانية، فأصدرت الكتاب الأبيض فى مايو ١٩٣٩ الذى وضعت فيه حداً أقصى لانتدابها عشر سنوات مع تحديد الهجرة اليهودية بمعدل ٧٥ ألف مهاجر سنوياً خلال السنوات الخمس الأولى.

وقد رفضت الحكومة المصرية الموافقة على الكتاب، حيث أكدت رفضها مبدأ إقامة الوطن القومى اليهودى باستمرار الهجرة خلال الفترة الانتقالية وتحويله إلى غالبية وتمسكت بضرورة قيام حكومة موحدة تقوم على التمثيل النسبى للسكان.

- موقف القصر من مشاريع الوحدة العربية:

١ - مشروع سوريا الكبرى:

شهدت مصر خلال الأشهر الأولى من الحرب العالمية الثانية صراعات بين القصر والإنجليز، فبينما رغب الجانب البريطانى فى دخول مصر الحرب تنفيذاً لمعاهدة ١٩٣٦، رأى الملك ومناصروه خصوصاً على ماهر أنه لا مصلحة لمصر من دخول تلك الحرب ^(١)، وتزايدت ضغوط بريطانيا على حكومة على ماهر حتى أقيل "عزيز المصرى" من رئاسة أركان الجيش فى فبراير عام ١٩٤٠ ثم استقال على ماهر فى ٢٣ يونيو عام ١٩٤٠ ^(٢)؛ لأنهما أشد الفئات معارضة لدخول الحرب؛ لأن معيار المفاضلة بين المحور والحلفاء من وجهة النظر العربية أن انتصار المحور قد يحقق الأهداف الوطنية ^(٣).

(١) د. عائدة سليمة : مصر والقضية الفلسطينية - ص ٤١.

(٢) عبد الحميد المواقى : مصر فى جامعة الدول العربية - ص ٧٤.

(٣) د. عائدة سليمة : المرجع نفسه ص - ٤٢.

• رد فعل بريطانيا إزاء رفض الملك فاروق إعلان الحرب على المحور:

فى أواخر عام ١٩٤٢ حدث تحول مهم فى ميدان المعارك بين الحلفاء والمحور، فأدى انتصار بريطانيا فى معركة العلمين إلى استعادة مكانتها فى المنطقة العربية^(١)، وتبدل الموقف البريطانى الذى سار يؤيد فكرة عدم اشتراك مصر فى الحرب رغبة فى الحفاظ على مصر كقاعدة حربية بريطانية^(٢).

وبتولى "النحاس باشا" الوزارة المصرية فى أعقاب حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢، وجه وزير الخارجية البريطانى الدعوة لتأسيس اتحاد عربى، لإدراك بريطانيا أنه ليس هناك حل لعشرات المشكلات العربية سياسية واقتصادية واجتماعية إلا بوحدة العرب، وأن مصر ضمانة أكيدة لنجاح أى مخطط وحدوى يفكر فيه العرب بل وهى الضمان الأوحد^(٣).

على أن الغرض الحقيقى لبريطانيا من طرح تلك الفكرة أن تكون طليقة اليد فى الشرق، وحتى تكون أداة لتنفيذ برامجها الاستراتيجية فى حرب محتملة مع روسيا، والتخلص من وجود فرنسا كدولة تشاركها فى السيطرة على الشرق الأوسط بجلاتها عن سوريا ولبنان لتخضعه لسيطرتها، ولكن الذى حدث هو العكس فقد وقفت البلاد العربية فى وجه الاستعمار رغبة فى التخلص من سيطرته، لذلك وضع ساسة بريطانيا الخطط لتحطيم الوحدة العربية والقضاء عليها، وأول الخطط التى اهتدى إليها تفكير ساسة الإنجليز، الإيعاز لشرق الأردن لتنفيذ "مشروع سوريا الكبرى" كحل للقضية الفلسطينية والذى يهدف إلى عزل مصر عن شقيقاتها وجاراتها الدول العربية ويفقدها مركزها الممتاز من حيث كونها زعيمة الدول العربية وتعزيد بعض البلاد العربية للقضية المصرية إذا ما عرضت على الهيئة الدولية^(٤).

(١) عبد الحميد المواقى : مصر فى جامعة الدول العربية - ص ٧٤.

(٢) د. عايدة سليمة : مرجع سبق ذكره - ص ٤٢.

(٣) أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين - ص ٢٩٧.

(٤) مصر - ٢٧ فبراير ١٩٤٧.

لأن المبادئ التي يقوم عليها المشروع كالاتي:

- (أ) وحدة البلاد السورية (سوريا - فلسطين - لبنان - شرق الأردن) وتشكيل حكومة واحدة على رأسها الملك عبد الله^(١)، وتحظى بحماية بريطانية.
- (ب) تصغير لبنان وتحويله إلى وطن طائفي مستقل عن المجموعة العربية.
- (جـ) يجب إبقاء الاحتلال البريطاني للسودان.
- (د) لا ضرورة لإقامة كيان عربي موحد ومستقل في ليبيا.
- (هـ) يجب قبول توصي اللجان البريطانية لفلسطين وتحقيق مشروع سوريا الكبرى وإبعاد مصر والسعودية عن السوريين واللبنانيين^(٢).

٢ - مشروع الهلال الخصيب:

من مشاريع الوحدة العربية الذي تضمن حلاً للقضية الفلسطينية من خلال تكوين جامعة عربية من سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق، وتقسيم فلسطين إلى مديريات بعضها يهودي والآخر عربي، على أن ينشأ مجلس بالجامعة تتمثل فيه حكومات تلك الأقطار ويختص بتقرير الشؤون العسكرية والمالية والسياسة الخارجية لتلك البلاد، وإبعاد مصر عن هذا الحلف واقتصاره على دول الهلال الخصيب والاكتماء فقط بترك الأمر مرهوناً برغبتها^(٣).

وعارضت مصر ذلك المشروع لأنه يعضد الجبهة الهاشمية ويمنح اليهود حكماً ذاتياً ويهدف إلى عزلتها، كذلك عارضته بريطانيا؛ لأنه يتعارض مع مخططاتها

(١) الأهرام - ٤ مايو ١٩٤٧.

(٢) أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين - ص ٣١١.

(٣) الجماهير - ٢٨ ديسمبر ١٩٤٧.

بإدخال مصر فى الجامعة لضمان إحكام سيطرتها على سياسة الدول العربية كافة وجعلت موافقتها مرهونة باشتراك مصر؛ لأهمية مصر باعتبارها قلب الوطن العربى، فسبق مصطفى النحاس زميليه العراقى والأردنى وتلقف الإشارة قبلهما وشرع فى مباحثاته، فى حين فهم الهاشميون من ذلك رفض أيدن للمشروعين، لذلك عقد فى ١٨ أبريل عام ١٩٤٣ مؤتمراً فى عمان لإعلان مولد دولة سوريا الكبرى التى لم تلقَ قبولاً شعبياً فاضطر إلى المشاركة فى مباحثات الإسكندرية ولكن دون تراجع عن فكرة سوريا الكبرى أو التقيد ببروتوكول الإسكندرية ١٩٤٤، والميثاق فى ٢٢ مارس عام ١٩٤٥^(١).

وجاء رد فعل القصر إزاء مشاريع الوحدة العربية كالآتى:

١ - حرصه على أن يتضمن بروتوكول وميثاق الجامعة العربية تأكيداً على استقلال فلسطين، فقد جاء فى بروتوكول الإسكندرية فى ٧ أكتوبر عام ١٩٤٤: "إن فلسطين ركن من أركان البلاد العربية، وأن حقوق العرب لا يمكن أن تمس".

ثم جاء فى ميثاق جامعة الدول العربية فى ٢٢ مارس عام ١٩٤٥ الآتى: "منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأى دولة أخرى وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب شأنها.. إن ميثاق العصبة سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله"، وكان موسى العلمى الزعيم الفلسطينى الذى أجمعت الأحزاب الفلسطينية عليه آنذاك مندوباً ممثلاً لفلسطين لدى مجلس الجامعة العربية.

(١) الجيش اللبنانى (الأركان العامة الشعية الخامسة): القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى - ط١ - بيروت - ١٩٧٣ - ص ٢٤٣.

ومعنى ذلك أن واضعى ميثاق الجامعة رأوا أن يستثنوا فلسطين من القاعدة العامة المتبعة في إنشاء مثل هذه المنظمات الدولية وهي أن تقتصر عضويتها على الدول المستقلة، لإدراك مؤسسى الجامعة خطورة المسألة الفلسطينية وبعد تأثيرها في مستقبل أعضاء الجامعة^(١).

٢ - الحصول على الإجماع من الدول العربية بتوقيعها بما يتضمنه بروتوكول وميثاق الجامعة العربية، فيما يتعلق بتأكيد استقلال فلسطين، واتضح ذلك في أثناء مشاورات الوحدة العربية وتأليف لجنة تحضيرية لإعداد المشروع والتي أجراها النحاس باشا وممثلو الدول العربية، فعندما أوفد الملك عبد العزيز في مارس عام ١٩٤٣ سكرتيره الخاص والشيخ حافظ وهبة وزير السعودية المفوض في لندن حاملين معهما رأى العاهل السعودى بتأجيل النظر فى عقد اللجنة التحضيرية إلى أن يتم التفاهم مع الحكومة البريطانية حول الإطار العام لحل مشكلة فلسطين^(٢)، حيث رأى أن مصالح العرب بالتحالف مع بريطانيا وهو لا يرغب فى المشاركة فى أى حل يشتم منه روح العداء لها وقدم اقتراحاً بديلاً بعقد معاهدات ثنائية على غرار المعاهدتين المعقودتين بينه وبين كل من اليمن والعراق^(٣).

وعند انعقاد اللجنة التحضيرية - أبريل عام ١٩٤٤ - تباطأت السعودية فى إيفاد مندوبها وانتهر نورى السعيد ذلك فأخرج مشروعاً كاد يقضى على فكرة الجامعة العربية من أساسها - مشروع الهلال الخصيب - وصرح الملك عبد العزيز بمعارضته للمشروع وقال إنه يريد ألا يترتب على قيام الوحدة العربية أن تستفيد دولة على حساب دول أخرى.

(١) د. عابدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ٤٤ - ٤٦.

(٢) حسن يوسف: القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ - ١٩٥٢ - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - مطابع الأهرام للتجارية - القاهرة - ١٩٨٢ - ص ١٩٧.

(٣) د. يونس لبيب رزق : موقف بريطانيا من الوحدة العربية ١٩١٩ - ١٩٤٥ - ص ١٩٤.

لذلك عند اجتماع اللجنة التحضيرية في الإسكندرية يوم ١٦ سبتمبر، كان من بين ما اتخذته من قرارات تمهيدية اختيار من يمثل فلسطين وبرضى من بريطانيا، حيث حصلت من النحاس باشا على تأكيدات أن موسى العلمي لن يشترك في التصويت أو في اتخاذ القرارات، وعندما أسفرت مناقشات الوحدة عن البروتوكول، وقع مندوبو الدول العربية يوم السبت ٧ أكتوبر عام ١٩٤٧ بقصر أنطونيادس بالإسكندرية ولم يوقع مندوب السعودية انتظاراً لتعليمات حكومته^(١).

ولما كانت هناك ضرورة بالحصول على موافقة السعودية لإحداث توازن داخل الجامعة العربية عند اتخاذ قراراتها في مواجهة الكتلة الهاشمية ووقوفها ضد الاعتراف بالكيان الفلسطيني في تلك الفترة لتحقيق الحلم الأرمني بضم الضفة الغربية^(٢)، أبحر الملك فاروق في ٢٢ يناير عام ١٩٤٥ على اليخت الملكي (المحروسة) إلى ينبع ومنها إلى رضوى، حيث اجتمع بالملك عبد العزيز لإقناعه وأهداه قلادة محمد على الكبير^(٣).

• موقف الحكومة المصرية من إعلان بريطانيا إنهاء الانتداب على فلسطين:

اتسم تحرك الحكومة المصرية إزاء إعلان بريطانيا عزمها على إنهاء انتدابها على فلسطين بعد أن طلبت في أبريل عام ٤٧ مناقشة القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة بطابع سلمى قانونى فى إطار يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة^(٤). لحرص الحكومة المصرية على ألا يؤثر موقفها من تطورات الأحداث فى فلسطين فى العلاقات بينها وبين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ومحاولاتها التوصل إلى نتائج إيجابية فى مفاوضات الجلاء عن مصر.

(١) حسن يوسف: القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ - ١٩٥٢ ص ١٩٧ - ١٩٩.

(٢) د. عابدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٥٩.

(٣) د. يونس لبيب رزق: موقف بريطانيا من الوحدة العربية ١٩١٩ - ١٩٤٥ - ص ١٩٤.

(٤) عبد الحميد المواقى: مصر فى جامعة الدول العربية - ص ١٣٩.

لذلك جاء حرصها على اتخاذ خطواتها فى إطار قانونى ودى مع الإشارة إلى خطورة الوضع فى فلسطين، وهذا ما أشار إليه النقراشى باشا حينما تناول مجلس الجامعة العربية مسألة عرض القضية على الأمم المتحدة، فمنهم من عارض الذهاب إلى الأمم المتحدة وإعادة النظر فى العلاقات العربية - الإنجليزية والأمريكية من النواحي السياسية والاقتصادية؛ لكن "النقراشى" باشا عارض كل خطوة تتعارض مع نص أو روح ميثاق هيئة الأمم المتحدة^(١)، وأشار إلى: "لأننا وقد قبلنا الذهاب إلى هذه المنظمة فيجب أن تكون فى حدود القواعد التى تتبعها الدول عند عرض قضاياها على هذه المنظمة"^(٢).

وجاء جواب الحكومة الأمريكية إلى الجامعة فى ١٧ يناير ١٩٤٧، بأن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية حكومة وشعباً منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ترمى إلى اتخاذ التدابير التى ترمى إلى إبراز هذه الفكرة إلى حيز الوجود، وختمت جوابها تقول: "...ووجوب إشراك جميع الشعوب فى مسؤولية إيجاد حل يساعد أولئك الذين وجدوا أنفسهم مضطرين إلى ترك أوروبا على إيجاد أوطان لهم بعيد ومخالف للمبادئ الإنسانية كإنكار حق الباقين من المشردين فى أوروبا فى البحث عن مأوى"^(٣).

وبناء على ما أشار إليه "النقراشى باشا" تم الاتفاق على تبليغ المفوضين الإنجليزية والأمريكية حكومة مسئوليتهما عن النتائج المترتبة على الوضع الحرج القائم فى فلسطين، وتذكير بريطانيا بالالتزام بتعهداتها التى جاءت فى الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩، ولفت نظر الحكومة الأمريكية إلى خطورة التصريحات التى جاءت فى تقرير اللجنة الأنجلو - أمريكية من تشجيع وتسهيل الهجرة الصهيونية

(١) د. عابدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) عبد الحميد محمد للموافى: المرجع نفسه - ص ١٣٩.

(٣) وزارة الإرشاد القومى: ملف وثائق فلسطين (مجموعة وثائق ولورق خاصة بالقضية الفلسطينية عام (١٩٣٧ - ١٩٤٩) ط - ١ الهيئة العامة للاستعلامات - للقاهرة - ١٩٦٩ ص ٤٠٣.

إلى فلسطين، فجاء في مذكرة الحكومات العربية إلى الحكومة الأمريكية في ٤ ديسمبر عام ١٩٤٦: "لفت نظر حكومة الولايات المتحدة إلى ما تحدثه هذه التصريحات من انزعاج كبير في البلاد العربية وإلى ما يترتب عليها من إساءة لطيب العلاقات التي ترغب حكومات الجامعة في أن تظل دائماً بينها وبين الحكومة الأمريكية.. ويرجو أن يعمل على وضع حد لهذه التصريحات أملاً في الوصول إلى حل عادل"^(١).

• العوامل المؤثرة في موقف الحكومة المصرية من الحكومتين البريطانية والأمريكية إزاء تطورات الأحداث في فلسطين:

(أ) القضية المصرية :

عندما وصلت القضية المصرية إلى طريق مسدود نتيجة لتصميم الجانب البريطاني على الجلاء عن الأراضي المصرية، مقابل عقد معاهدة دفاع مشترك تعد في نظر الشعب المصري مرادفاً للاحتلال السافر وانفصال السودان عن مصر يمنحه حقه في تقرير مصيره.

ومتى اختلف صديقان فخير لهما فض نزاع بتحكيم طرف ثالث، وأعلن النقراشي قطع المفاوضات رسمياً والالتجاء إلى مجلس الأمن في ٢٥ يناير عام ١٩٤٧، وكانت بريطانيا والولايات المتحدة تخشيان موقف الاتحاد السوفييتي في حين تعتبر الحكومة المصرية أن اللجوء إلى "المجلس مناسبة صالحة للاتصال بالولايات المتحدة لتوثيق الروابط معها سياسياً واقتصادياً، وبذل الوفد المصري قصارى جهده لاسترضاء الولايات المتحدة لتقف بجانبه، وصرح النقراشي باشا بأنه عندما يخرج الإنجليز من مصر سيحضر إليها خبراء جدد أمريكيون، لكن الولايات المتحدة حددت موقفها من القضية المصرية بأنها ليست مستعدة لتأييد

(١) د. عائدة سليمة : المرجع نفسه - ص ١٥٠.

مطلب مصر بجلاء الإنجليز ولا التصويت ضدها، ومصلحتها تأجيل البت في النزاع وكانت حصيلة الموقف في المجلس ضد مصر وبقاء المسألة معلقة ومدرجة في جدول الأعمال، وترجع نتيجة التحكيم إلى إحكام التنسيق بين السياسة البريطانية - الأمريكية حيث تم بينهما "ساكس بيكر" جديدة بالنسبة إلى مصر وفلسطين، حيث صرح يفرن بأنه: "أصبح من الأمور الحيوية للإمبراطورية البريطانية وللسلام العالمي ألا يحدث أى تغير في تلك المناطق من العالم"، ونقل رويتر أن الولايات المتحدة لا تتوى أن تضطلع بالمسؤوليات البريطانية في الشرق الأوسط وإنما تؤكد على وجود التعاون بين الدولتين^(١) ضد الاتحاد السوفييتي.

(ب) تدريب وتجهيز الجيش المصري:

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد خذلت النقراشي بأشأ سياسيا في تدعيم القضية المصرية مع بريطانيا فقد خذلته أيضا عندما طلب معونتها العسكرية لتدريب وتجهيز الجيش المصري، فعندما دارت محادثات بين النقراشي والمستر لوفيت وكيل وزارة الخارجية الأمريكية والمستر كنت رويال وزير الحربية الأمريكية حول تلك المسألة^(٢). صرح له وكيل الخارجية الأمريكية بأنه ليست لديهم خطة بإمداد الجيش المصري، بخبراء عسكريين^(٣).

ونشرت جريدة نيويورك تايمز تصريحًا للمستر لوفيت بأن الولايات المتحدة تدرك أن مقترحات رئيس الوزراء ذات ارتباط مهم بالوضع الاستراتيجي في الشرق الأوسط خصوصا أن الولايات المتحدة تقوم بدور مباشر من اليونان وتركيا^(٤).

(١) طارق البشرى: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٢ - ص ١٤٠ - ١٥٣.

(٢) الكتلة - ٥ سبتمبر ١٩٤٧.

(٣) طارق البشرى : المرجع نفسه - ص ١٧٧.

(٤) الكتلة - ٤ سبتمبر ١٩٤٧.

الواقع أن الحكومة المصرية كانت ترغب فى التقرب سياسيًا إلى الولايات المتحدة على أن تشملها المعونة الاقتصادية مثل تركيا واليونان وكذلك تزويد جيشها مثل تركيا؛ ولكن كانت معاهدة ١٩٣٦ حجر عثرة، إذ تفرض على مصر أن تستجلب عتادها الحربى من بريطانيا أو تستأذنها فى استجلبه من بلد آخر^(١).

من ناحية أخرى كانت نظرة الولايات المتحدة إلى مصر من الناحية الاستراتيجية تأتى فى المحل الأول بعد الرغبة فى قيام دولة عزيزة الجانب من الناحية السياسية ، ويبدو أن أمريكا وجدت أن قرار تدريب القوات قد يكون له رد فعل شديد داخل الولايات المتحدة حيث يعتقد أنه إذا توافرت الكفاية والوسائل الحديثة إلى الجيش المصرى بفضل التدريب الأمريكى؛ فإن المهمة الأولى للجيش المصرى هى إخراج اليهود من فلسطين لا الدفاع عن قناة السويس وأدرك الصهيونيون الأمريكيون بلا ريب ما فى هذا من خطر ولو أنهم كانوا فى هذه اللحظة يميلون إلى الموافقة على كل عمل من شأنه إضعاف النفوذ البريطانى، غير أن كبار رجال وزارتى الخارجية والحربية الأمريكية أكدوا أن الولايات المتحدة لا تستطيع مد مصر بالخبراء العسكريين الفنيين؛ لأن الكونجرس الأمريكى لا يخلو لها إرسال خبراء عسكريين إلى الخارج والاكتفاء بإرسال خبراء مدنيين أمريكيين للقيام بالأعمال الإنسانية والعلمية، من ناحية أخرى لقد كان من المسلم به دائماً أن بريطانيا هى المدافعة الأولى عن قناة السويس وقيام بعثة أمريكية بمهمة البعثة العسكرية البريطانية قد يؤثر جتاً فى العلاقات الأنجلو - أمريكية.

وجاء رد فعل بريطانيا إزاء طلب النقراشى المعاونة العسكرية من الولايات المتحدة بأن صرح الجنرال مارتن، قرب زوال البعثة البريطانية من مصر عن مسألة ما سيكون عليه مستقبل القوات البريطانية ومراكز قيادتها فى الشرق الأوسط المربطة فى منطقة قناة السويس بأن هناك حقيقتين لا تزالان جديرتين بالذكر:

(١) الأهرام - ٧ مايو ١٩٤٧.

أولاهما: إن العدد المحدد ١٠٠٠٠ جندي والمساحة المخصصة لهم وفقاً لمعاهدة ١٩٣٦ لم تعد كافية لمواجهة المطالب الحربية الحديثة.

ثانيتها : إننا مستعدون وفقاً لاتفاق صدقي - بيفن الذي لم يكتب له الحياة سحب قواتنا قبل أول يناير عام ١٩٤٩، ولكن هناك مسألتين أوليتين لا مندوحة عنهما في تصفية قاعدة القناة:

١ - أن تجد وسيلة ما لإنهاء أزمة فلسطين.

٢ - يجب علينا أن نجد موقفاً آخر نستعيض به عن منطقة قناة السويس يصلح لإقامة قاعدة حربية وإيجاد مركز للقيادة العامة في الشرق الأوسط، لذلك لا يحق لمصر الاستعانة بخدمات بعثة عسكرية أمريكية ما دامت معاهدة ١٩٣٦ نافذة^(١)، ووفقاً لما جاء في بيان بيفن حول قطع المفاوضات: "أنه في حالة فشل المفاوضات تستمر معاهدة ١٩٣٦ نافذة المفعول"^(٢).

ويتضح من هذا أنه ينظر إلى القضية المصرية على أنها قضية دولية تتعلق بالحالة الدولية، وبذلك تتوازن القوى الثلاث إنجلترا وأمريكا وروسيا^(٣).

وبناء على تصريحات المستر لوفيت وكيل وزارة الخارجية الأمريكية والمستر كينث رويال وزير الحربية الأمريكية بأن عدم إجابة طلب النقراشي باشا لا يعنى عدم إرسال خبراء مدنيين أمريكيين للقيام بالأعمال الإنسانية والعلمية، فقد زارت بعثة عسكرية مصرية الولايات المتحدة في ٧ يونيو عام ١٩٤٧ وعلى رأسها الفريق إبراهيم عطا الله باشا والضباط المصريون وأنعمت بأوسمة على أعضاء البعثة العسكرية^(٤).

(١) الكتلة - ٤ سبتمبر ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٥ سبتمبر ١٩٤٧.

(٣) مصر - ٢٨ يناير ١٩٤٧.

(٤) الأهرام - ٢٧ مايو ١٩٤٧.

وأوضح الفريق إبراهيم عطا الله أن بعثتهم علمية محضة تهدف إلى الاطلاع على شئون الحرب الفنية ومعداتنا، وأكد أن المعدات الحربية لا تصدر من أمريكا إلا بأمر الحكومة الأمريكية فهي تتولى الإشراف على جميع مصانع الأسلحة، وعلقت الدوائر الإنجليزية على وضع البعثة المصرية، أن الولايات المتحدة الأمريكية تعهدت بأن وجود البعثة العسكرية المصرية مجرد استضافة لزائرين.

واقترنت مساعدة أمريكا لمصر في تلك الفترة على إفاد فنيين أمريكيين يلتحقون بخدمة الجيش المصرى ويمكنونه من تخصيص بعض نقاط دفاعية على سواحل مصر أو قناة السويس، ومنح مصر قرض مئة مليون من الدولار لتبتاع ما تزود جيشها من العتاد الحربى الذى خلفه الجيش الأمريكى.

ومن مظاهر التعامل العسكرى المقتصر على شراء مخلفات الجيش الأمريكى، وصول ثلاث كاسحات ألغام إلى السلاح البحرى الملكى الباقية من الكاسحات التسع التى باعته لجنة المخلفات الأمريكية فى الخارج إلى الحكومة المصرية بعشرة أضعاف تكاليف صنعها وسلمت إلى موظفى السلاح البحرى الملكى المصرى، وهى مجهزة بمدافع من عيار ثلاث بوصات ومدافع مضادة للطائرات وفى كل واحدة منها محركان يوزل قوة الواحد منهما ٥٠٠ حصان، ولها محركات احتياطية للطوارئ وسرعة الواحدة منها ١٤٤٥ عقدة^(١).

وكتب وكيل الخارجية إلى سفير الولايات المتحدة بشأن كاسحات الألغام: "فيما يتعلق بقبولنا الكاسحات على أن تكون كاملة المعدات والتسليح كما كانت وفق معاينتها بمالطة فى فبراير عام ١٩٤٧، تبين من تقرير معاينة الكاسحات بمالطة يوم ١٧ فبراير بمعرفة كل من البكباشى محمد حسن عامر كبير مهندسى السلاح والبكباشى سليمان عزت ياور الملك ورئيسى إمداد وتموين البحرية كل من مستر

(١) الأهرام - ٨ يونيو ١٩٤٨.

Doyle مندوب الإدارة الخارجية بمصر، لتصفية المخلفات الأمريكية والفتنات كوماندر Cody مندوب الإدارة الخارجية بباريس لتصفية المخلفات الأمريكية، أن الكاسحات كانت مجهزة برادار وكانت وقت المعاينة كاملة المعدات والتسليح، ويؤسفني أن أفيدكم بأن الكاسحات الست التي وصلت للإسكندرية من قبل والثلاث كاسحات المنتظر وصولها يوم ١١ أكتوبر قد انتزعت منها أجهزة الرادار^(١).

وترجع قصة الكاسحات إلى أن شركة جونسون أوتوماتيكي الأمريكية أوفدت ثلاثة من مندوبيها لعرض أسلحة خفيفة على وزارة الحربية ولدى هؤلاء المندوبون تعليمات إلى السلطات المصرية بالاتصال بوزارة المالية للإفراج عن نماذج الأسلحة ومنحهم التسهيلات الجمركية، ومع وصولها ومعاينتها انكشف عدم وجود الرادار.

وأوضح سفير الولايات المتحدة لوكيل الخارجية المصري ردًا على رسالته "إن سبب عدم وجود هذه الأجهزة بالكاسحات يرجع إلى أنها كاسحات ملك خاص للسلطات البحرية البريطانية والغالب أنها هي التي انتزعتها قبل تسليمها، وقد طلب منا مسيو Henortin رئيس مكتب الإدارة البحرية بمكتب المبيعات أن نقدم له مذكرة مطالبين بحق الحكومة المصرية في الحصول على الأجهزة وتعد السلطات الأمريكية بالحصول على هذه الأجهزة وأنها مستعدة في هذه الحالة لتحمل الثمن وتكاليف التركيب"^(٢).

(١) الأهرام - ٢٤ إبريل ١٩٤٧.

(٢) محفظة رقم (١١٧١) - الأرشيف السري رقم ٦٨-٢٣ / ٦-١ ج٢ / الجيوش - الجيش المصري الأسلحة والذخائر التي يستعملها الجيش المصري - ٢٨ أكتوبر ١٩٤٧ - من أمير البحار ياور جلالة الملك وقائد عام السلاح البحري الملكي - محمد حمزة - رأس التين إلى وكيل وزارة الدفاع الوطني في ٣ أكتوبر ١٩٤٧.

والى جانب عقبة نزع أجهزة الرادار، كانت هناك عقبة أخرى وهى عدم الوفاء بالمواعيد، فكان الميعاد المتفق على وصول الكاسحات فى ١١ أكتوبر عام ١٩٤٧ لكنها وصلت فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٤٧^(١).

ومن الجدير بالذكر جاء أن التأخير فى التسليم مع إصدار "لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين" تقريرها فى سبتمبر عام ١٩٤٧ وانعقاد مؤتمر صوفر ببيروت ثم مؤتمر عالية ٧ - ١٠ أكتوبر، الذى كان من أهم قراراته اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين ومساندة فلسطين عسكرياً بقوات غير نظامية، لذلك وضعت العراقيل فى سبيل حصول مصر على السلاح إلى جانب الحظر المفروض على مصر لسريان معاهدة ١٩٣٦.

ومهما يكن من الأمر، فقد تم الاتفاق على تكليف الصاغ محمد أنور عبد اللطيف بمعاينة الكاسحات من طراز Yms تمهيداً لاختيار ثلاث منها بدلاً من الكاسحات التى سبق اختيارها (٢٤ yms، ٢١١ Yms، ٢٧٩ yms)^(٢).

ولكن بصدر قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧، أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية وقف شحنات الأسلحة والذخائر إلى المناطق التى يسودها الاضطرابات فى الشرق الأوسط ومنها فائض مخلفات الجيوش الأمريكية من الأسلحة والذخائر وكانت من بينها مصر، ولذلك كان "النقراشى باشا" يصرح مع استمرار الاضطرابات التى كانت كرد فعل لصدر قرار التقسيم، بأن ذلك يضر بالقضيتين المصرية والفلسطينية.

فبالنسبة إلى القضية المصرية حال قرار أمريكا - يحظر تصدير الأسلحة إلى منطقة الشرق الأوسط خصوصاً مصر - دون تعزيز وتقوية الجيش المصرى الذى يعد سند الحكومة المصرية فى قضيتها أمام بريطانيا.

(١) المصدر نفسه - الملف نفسه - من وكيل الخارجية أحمد جلال الدين إلى سفير مصر المفوض بباريس - ٢٢ أكتوبر ١٩٤٧ بشأن للردارات المطلوبة.

(٢) مصر - ٨ ديسمبر ١٩٤٧.

أما بالنسبة إلى القضية الفلسطينية؛ فإن استمرار الاضطرابات يظهر اليهود كقناة مضطهدة يجب إنقاذها بقيام دولة خاصة بها ذات أطماع توسعية ترغب في إنشاء "دولة إسرائيل الكبرى" من النيل إلى الفرات، تساندها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، وتضغط الحوادث لتدفع مصر إلى التدخل عسكرياً لإنقاذ فلسطين، وهي غير مستعدة عسكرياً من حيث التنظيم والتسليح والتدريب، في حين أن السلطات البريطانية تتبع مخلفات الجيوش البريطانية وتصدرها إلى الخارج مع شدة حاجة البلاد إليها^(١).

على أن الخطأ الذي وقعت فيه الحكومة هو رفضها الحصول على أسلحة من تشيكوسلوفاكيا ولو بطريقة غير مباشرة .

يتضح ذلك مما جاء في برقية الوزير المفوض ببراغ في ١٨ أكتوبر عام ١٩٤٧ عن رغبة مصنع أسلحة في تشيكوسلوفاكيا في أن يرسل بواسطة هذه المفوضية عينات من بعض الأسلحة الصغيرة التي طلبها مصطفى صادق لوزارة الدفاع الوطني^(٢)، وترى السفارة، كسباً للوقت، الاتصال مباشرة بالإدارة المختصة بالشركة *The Babb Company* في جنيف وتم حجزها على ذمة الحكومة المصرية أكثر من عشرة أيام، وكان ضمن ما عرضته الشركة قطع غيار طائرات داكوتا الحربية وكرسات الطائرات من مخلفات الجيش الأمريكي بأوروبا بأسعار أقل من الأسعار المدرجة بكشوف مبيعات المخلفات الحربية^(٣).

ثم جاءت إجابة وكيل الخارجية إلى سفير مصر: "إن وزارة الدفاع الوطني ليست في حاجة إلى قطع الغيار التي ترفضها الشركة المذكورة *The Babb Company*"^(٤).

(١) الكتلة ١٦ يناير ١٩٤٧.

(٢) محفظة رقم (١١٧١) - الأرشيف السري رقم ٦٨-٢٣ / ٦-١ ج ٢ - الجيوش - برقية من الوزير المفوض ببراغ في ١٨ أكتوبر ١٩٤٧.

(٣) المصدر نفسه - الملف نفسه - برقية من سفير مصر المفوض ببراغ إلى وكيل الخارجية.

(٤) المصدر نفسه - الملف نفسه - برقية من وكيل الخارجية أحمد جلال الدين إلى سفير مصر المفوض.

من هنا يتضح حرص الحكومة المصرية على المحافظة على علاقاتها الودية التي كانت من طرف واحد من ناحيتها مع الدول الديمقراطية ومسايرتها في سياساتها المعادية للاتحاد السوفييتي.

• أثر القضية الفلسطينية في وجود القوات البريطانية في منطقة قناة السويس:

نشرت مجلة نيو تايمز (الأزمة الحديثة) السوفييتية أن من أهم خصائص الحالة الدولية بعد الحرب نمو الحركات التحريرية في المستعمرات والدول التابعة نموًا هائلًا^(١)، حيث تطالب الشعوب العربية بإلغاء المعاهدات وانسحاب القوات الاستعمارية من الشرق، إزاء هذا الكفاح كانت مشكلة فلسطين فرصة سانحة لتحويل أذهان الشعوب العربية عن مشكلاتها الحيوية الأخرى، ليس فقط لإثارة العرب ضد اليهود، بل لتعكير صفو العلاقات بين الدول العربية والاتحاد السوفييتي^(٢).

ومن المعروف أن قرار التقسيم يعني خروج بريطانيا من فلسطين، ومصر تطالب بجلاء بريطانيا عن أراضيها ووحدة وادي النيل ما يعني خروج بريطانيا من الشرق الأوسط ونهاية إمبراطوريتها، إذ تمثل مصر وفلسطين لبريطانيا وجهين لعملة واحدة، لذلك اتجهت إلى استئناف المفاوضات مع مصر حرصًا منها على علاقاتها بالعالم العربي والاحتفاظ بمركزها الاستراتيجي في هذا العالم القلق المضطرب، ولا ريب في أن تحفز روسيا للتوسع والخروج من حدودها ما يضطر بريطانيا إلى الحذر والحيلة، وساعدها في تحقيق سياستها اتفاقها مع الدول العربية على ضرورة وحدة العمل في منع روسيا من التدخل في الشؤون العربية.

وعندما انتقلت القضية الفلسطينية إلى الجمعية العامة، دار جدال بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي حول المرحلة الانتقالية، ولكنهما اتفقتا في النهاية على حل وسط في ١١ نوفمبر يقضى بإنهاء الانتداب في أول مايو على أن

(٢) الجماهير - ٢٨ ديسمبر ١٩٤٧.

(٣) الكتلة - ٦ يناير ١٩٤٨.

تظهر الدولتان العربية واليهودية في ١ يوليو وتتشكل لجنة للمراقبة من الدول الصغرى الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة والمؤيدة للتقسيم^(١).

فى ظل هذه الظروف الدولية كان العالم منقسمًا إلى معسكرين شرقى وغربى، يمثلهما الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية، وظهور الحرب الباردة التى لا تعتمد على أسلحة بقدر اعتمادها على السيطرة على مناطق استراتيجية تكفل لكل معسكر تهديد مصالح المعسكر الآخر.

تمت مقابلة بين السفير البريطانى رونالد كامبل ومحمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء المصرى وتناولوا بحث القضية المصرية وعودة المفاوضات بين الدولتين، ولكن صمم النقراشى على عدم العودة للمفاوضات إلا بتحقيق مطالبه كاملة واكتفى بتصفية الحساب فى المسائل الاقتصادية^(٢).

وكان رأى بريطانيا عدم العودة إلى المفاوضات من جديد إلا:

١ - بتخلى هذه الوزارة عن مكانها تمهيدًا لفتح باب المفاوضات لأنها وزارة أقليات ليست لها صفة التمثيل الشعبى، فقد تكونت من ستة وزراء سعديين: للنقراشى، إبراهيم عبد الهادى، عبد المجيد بدر، السنهورى، نجيب إسكندر، محمود حسن وستة وزراء من الأحرار الدستوريين أحمد خشبة باشا، محمد على علوية، أحمد عبد الغفار، عبد المجيد صالح، إبراهيم دسوقى أباطة، لواء أحمد عطية، وكان هذا التشكيل مطابقًا لرأى النقراشى باشا: "إن الوزارات الحزبية تنتج خيرًا من الوزارات القومية"^(٣).

٢ - عدم التوسع فى سياسة التبادل التجارى مع بعض الدول ومن بينها روسيا.

(١) د. عابدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٦٢.

(٢) مصر - ٥ نوفمبر ١٩٤٧.

(٣) د. يونس لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام بالقاهرة - ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

٣ - تأييد السياسة التي ترمى إلى إنشاء مجلس مشترك بين بريطانيا ودول الشرق الأوسط^(١).

ولكنها لا تسعى إلى التخلص من بطل التجاهل النقراشي باشا لتحل محله حكومة وطنية قومية لا تومن إلا بالإنتاج وتكون بظلة الجلاء والوحدة وترى في السياسة السلبية مرادفاً لسياسة الخنوع والذل والتفريط^(٢)، تلك السياسة التي أعلنها النقراشي عقب عودته من مجلس الأمن "سياسة تجاهل الإنجليز" و"الوقت المناسب والصمت" وأثر طرح القضية المصرية جانباً للتفرغ إلى غيرها من الشؤون الداخلية، في حين أعلنت بريطانيا رغبتها في الجلاء ولكنها تصر على سد الفراغ الذي ينشأ عن الجلاء في صورة مجلس دفاع مشترك^(٣)، وعدم التدخل في شئون مصر الداخلية والترحيب بسياسة التجاهل ماداموا يظفرون فيها بكل شيء وتخسر مصر بها كل شيء^(٤).

ونتيجة لتصلب موقف النقراشي، اتجه مستر تشامبان أندروز الوزير المفوض البريطاني، وقد زودته حكومته بتعليمات لتصفية الجو بين مصر وبريطانيا، لإجراء مفاوضات سرية بينه وإبراهيم عبد الهادي رئيس الديوان الملكي عن الجانب المصري، وكان إبراهيم عبد الهادي أحد الاثنين اللذين انفردا بتوقيع مشروع صدقي - بيفن واشتراكا في الدفاع عنه^(٥).

(١) الكتلة - ٢٨ يناير ١٩٤٨.

(٢) الكتلة - ٢٦ يناير ١٩٤٨.

(٣) الكتلة - ٣ نوفمبر ١٩٤٧.

(٤) الكتلة - ٩ نوفمبر ١٩٤٨.

(٥) الكتلة - ١٥ نوفمبر ١٩٤٧.

ويرجع نشاط بريطانيا لعودة المفاوضات إلى مخاوفها من الخطر الشيوعي والصهيوني وإدراكها لأطماعه واتفاق بريطانيا مع الولايات المتحدة على الخروج من فلسطين والبقاء في مصر^(١).

وبذلك يتضح أن بديهيات السياسة الإنجليزية هي التي دفعتها إلى عدم الوصول إلى حل لا يتفق مع مطالبه ويمكن أن تتلخص في:

(١) إن معاهدة ١٩٣٦ في نظر المسؤولين البريطانيين ما زالت صالحة للتطبيق ولا تتعارض مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة خصوصاً أن حكم مجلس الأمن جاء لصالح بريطانيا بعودة المفاوضات مرة أخرى.

(٢) إن المسألة المصرية ينظر إليها على أنها مسألة حربية متعلقة بحفظ الدفاع عن الإمبراطورية أكثر منها مسألة سياسية وكنوع من إحداث التوازن بين القوى الثلاث إنجلترا وروسيا وأمريكا.^(٢)

(٣) إن بريطانيا لا تخشى معارضة الأحزاب بقدر ما تخشى انتشار "الدعاية الشيوعية" التي لا تجد تربة خصبة إلا في البيئات الفقيرة الجاهلة المضطربة.

(٤) عدم التدخل في شئون مصر الداخلية، والتمسك بإجراء مفاوضات مع حكومة غير الحكومة التي أجريت معها المفاوضات ثم انقطعت.

وبالفعل عادت المفاوضات؛ ومن الأمور التي شجعت على عودتها ما أشار إليه هيكل عقب زيارته للندن بأنه أصبح مؤمناً بأن الاحتكام إلى أى منظمة دولية في قضايا الأمم الصغيرة لن يجدى نفعا أمام فشل مصر في مجلس الأمن وفشل قضية فلسطين في هيئة الأمم المتحدة، ويرى ضرورة العودة إلى التفاهم الثنائي لحل قضية مصر، ودارت مباحثات سرية بين رئيس الديوان الملكي وإسماعيل صدقي وهيكل للرجوع إلى المفاوضات الثنائية.

(١) طارق البشري: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - ص ١٤٤.

(٢) مصر - ٢٨ يناير ١٩٤٧.

وأُسفرت عودة المفاوضات عن تعديل وزارى بتولى النقراشى رئاسة الوزراء والمالية والداخلية، أما الخارجية فتولاها "أحمد خشبة باشا".

ومن الملاحظ استمرار وجود النقراشى فى الوزارة، وهذا أمر يستفيد منه البريطانيون والقصر؛ لأنه بطل "سياسة التجاهل" ما يجعلهم يرحبون بتلك السياسة مادام يظفرون بكل شىء وفى الوقت نفسه يحول دون وجود وزارة قومية تطالب باتخاذ خطوات إيجابية للقضية المصرية^(١).

ويبدو أن الطرفين المصرى والبريطانى اتفقا على قيام حالة دولية مفاجئة متمثلة فى الخطر الشيوعى، وقيام دولة يهودية يساندها الاتحاد السوفيتى كوسيلة لنشر مبادئه الشيوعية ويخشى خطرهما على الطرفين.

ووفق ما جاء فى معاهدة ١٩٣٦ التى حددت الحالات التى تقدم فيها مصر معونتها إلى بريطانيا بثلاث حالات:

١ - حالة الحرب. ٢ - حالة خطر الحرب الداهم.

٣ - قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرهما.

وتعتبر الحالة الأخيرة، الحالة التى تتماشى مع الظروف القائمة فى تلك الفترة، أما حدود المعاونة التى تقدمها مصر فى تلك الظروف فقد نصت المادة السابعة من المعاهدة على: "تتخصر معاونة صاحب الجلالة ملك مصر فى أن يقدم إلى صاحب الجلالة الملك أو الإمبراطور داخل حدود الأراضى المصرية مع مراعاة النظام المصرى للإدارة والتشريع جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعه، بما فى ذلك استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات"^(٢).

(١) الكتلة - ٩ فبراير ١٩٤٨.

(٢) د. عبد العظيم رمضان: الجيش المصرى فى السياسة ١٩٣٦، ١٨٨٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٧ - ص ٣٣٩.

وبناء على هذا اتخذت خطوات عملية من طرف واحد وهو البريطاني لتولى الدفاع عن الحدود الشرقية، كما لو كانت الحالة "حالة دولية مفاجئة يخشى خطرهما"، حيث تلقى البريجادير "بلارد" تعليمات من القائد العام بوجوب تنظيم إدارة للجاسوسية على الحدود الشرقية التى تفصل بين مصر وفلسطين واختيار أقدر ضابط من قيادته لتولى هذا العمل، ووضع الاختيار على الكابتن "ديفز" الذى كان يعتبر فى نظر إدارة المخابرات المعروفة باسم (G. S. I) من أقدر وأدهى ضباط المخابرات وتمت ترفيته إلى رتبة مجر، وعهد إليه أمر تنظيم فيلقين *two butts* وزود بعدد السيارات المجهزة بآلات للإذاعة والالتقاط، وسيارة مصفحة وعدد من جنود الهابطات "المظلات الواقية" ليخبروه بطبيعة الأرضى الفلسطينية وأصدر أمراً بسفرهم إلى العريش والمرابطة على الحدود التى تفصل بين مصر وفلسطين، وبعثت إدارة المخابرات عدداً من الأعوان الذين يجيدون التحدث بمختلف اللهجات العربية ليكونوا خير معاون لمجر ديفز^(١).

وتم حصر القوات والمهمات التى نقلت من فلسطين إلى القنال خلال الفترة من ٢٧ ديسمبر عام ١٩٤٧ إلى ٢ يناير عام ١٩٤٨: ٥٦٠٦ عساكر و ٣٨٥ ضابطاً و ١٤٠٥ عربات بضائع مشحونة جرارات وسيارات نقل وذخائر ومهمات، كما أمرت القيادة البريطانية بإخلاء المستعمرات فى غزة - بنز سبع، بحجة فشل اليهود فى التصدى لهجمات البدو على المستعمرات اليهودية بقطع أنابيب المياه.

وتلقت قيادة القوات البريطانية فى مصر أمراً من القيادة العسكرية فى فلسطين يفيد بأنها قررت نقل الفرقة البريطانية المعروفة باسم "هامشاير" من المنطقة المعسكرة فى فلسطين إلى مصر وتعسكر عند الحدود الشرقية لمصر فى منطقة العريش - رفح، وصدرت الأوامر إلى إدارة التموين التابعة للجيش والمعروفة باسم

(١) الكشكول الجديد - ٣ نوفمبر ١٩٤٧.

"D.I.D" باتخاذ الإجراءات اللازمة بمد الفرقة الجديدة بما يلزمها من مختلف مواد التموين.. وتضاف مشكلة جديدة كهذه إلى مشاكل التموين في مصر^(١).

وبعد جلاء الجيوش البريطانية عن القاهرة والإسكندرية، رابطت قواتها في الإسماعيلية وبورسعيد واتخذت فيهما معسكرات ومطارات عدة أكبرها مطار الفردان مسافة ٤٥٠ فداناً ويحتوى على ٢١ حظيرة تتسع إلى عشرين طائرة، كما أن بها ورشة كبيرة لتصليح السيارات، وأشرف الجنود البريطانيون على المطار وأعمال المكاتب والمراسلات السرية ولا يعمل المصري إلا في النظافة ويحرم عليه الاقتراب من الورش والحظائر، وعلى مسافة ١٩ كيلو متراً من مطار الفردان كانت تقع مدينة البلاح وتبلغ مساحتها ٢٠٠ فدان وبها ورش عدة لإصلاح المدافع على اختلاف أنواعها، وتبعد عن الإسماعيلية ٢٢ كيلو متراً.. وهكذا يحتل الإنجليز الطريق من بورسعيد إلى الإسماعيلية بمطاراتهم ومعسكراتهم وجنودهم^(٢).

كما أقام سلاح الطيران البريطانى مصنعا فى منطقة شبرا على بضعة كيلو مترات من قلب العاصمة يضم ٨٣ ضابطاً وضابط صف لصنع الذخيرة^(٣).

وقسمت القيادة العسكرية منطقة القتال إلى ثلاث مناطق وتقوم فى كل منطقة قيادة خاصة، قيادة وسط القتال تقوم على مقربة من قرية القصاصين ويدخل فى دائرة نفوذها التل الكبير، المنطقة الثانية تعرف باسم "قيادة القتال" وتدخل فى دائرة اختصاصها الوحدات المعسكرة فى أبو صوير والإسماعيلية والبلاح والقنطرة وبورسعيد، أما المنطقة الثالثة "قيادة جنوب القتال" فهى مسؤولة عن الوحدات المعسكرة فى السويس وشندورة وكبريت وكسفرية وجنيبة وفنارة وفأيد وأبو سلطان^(٤).

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية (قسم الأمن) إلى وزارة الدفاع الوطنى من مندوبها بالقتال.

(٢) الكشكول الجديد - ٣ نوفمبر ١٩٤٧.

(٣) الكتلة - ١٩ نوفمبر ١٩٤٧.

(٤) الكشكول الجديد - ٣ نوفمبر ١٩٤٧.

ورابطت القوات البريطانية على حافة مدينة بورسعيد عند الصحارى وتكثفتها على الضفة الشرقية في بورفؤاد مع العلم أن معاهدة ١٩٣٦ تحرم عليها النزول إلى مدينتي بورسعيد والسويس بالملابس العسكرية، كما يحرم عليها استعمال أبنية المدنيين للأغراض العسكرية، بل تلتزم تكثفتها، لكنها كانت تتجول في بورسعيد، وكانت تسير سيارات الجيش التابعة للبوليس الحربى ليل نهار لحراسة أفراد القوات البريطانية.

وكانت تشغل القوات البريطانية ثلاثة أرباع مساحة الجمارك المصرية في بورسعيد وتطلق عليها اسم "المنطقة الحرة" لبيع البضائع الواردة للبلاد والمصدر منها، ويرفرف العلم البريطانى على مباني بورسعيد التى يحتلها عسكريون بريطانيون ومحوطة بالأسلاك الشائكة محروسة بدبابات إنجليزية ورغم ذلك أطلق عليها الإنجليز "المنطقة الحرة"^(١).

ويعد ذلك مخالفة لنصوص المعاهدة لما تضمنه ملحق المادة الثامنة من المعاهدة المصرية - البريطانية التى أبرمت سنة ١٩٣٦ على إقامة القوات البريطانية فى منطقة القنال كما يلى:

أ - فيما يتعلق بالقوات البرية فى المعسكر ومنطقة جنيفة على الجانب الغربى للبحيرة المرة الكبرى.

ب - فيما يتعلق بالقوات الجوية على مسافة خمسة أميال من سكة حديد بورسعيد - السويس من القنطرة شمالاً إلى ملتقى سكة حديد السويس - القاهرة، السويس - الإسماعيلية جنوباً على امتداد خط سكة حديد الإسماعيلية - القاهرة حيث يشمل محطة القوات الملكية للطيران بأبى صوير وما تتبعها من الأراضى المعدة لنزول الطائرات والميادين الصالحة التى يقتضى الأمر بإنشائها شرقى القناة

(١) الكتلة - ٢٤ نوفمبر ١٩٤٧.

لإطلاق النار وإلقاء القنابل من الطائرات، وقد خالف الإنجليز هذه الفقرة الأخيرة من الملحق، فقد بنوا معسكرًا على بعد ١٦ كيلو مترًا من شرق القنال، فيه قوات كبيرة ومساكن ومدافع وآلات حربية؛ مع أنه ليس لهم بمقتضى المعاهدة إلا أراضى نزول الطائرات وميادين لإطلاق النار، بل ورغم ذلك فقد بنوا فى رفح وفى داخل الحدود المصرية معسكرًا شحنوه بالآلات الحربية والذخيرة وكان يحرسه أردنيون وهم تابعون للجيش الإنجليزى وجنود بريطانيين^(١)، نصفه داخل الحدود المصرية والآخر داخل فلسطين وكانت توجد به كتيبة مشاة بريطانية ووحدات صيانة وأسلاك شائكة على الحدود بين مصر وفلسطين، يتفرع الطريق من أبو عجيلة عابر الحدود مارًا بالمنطقة المشتركة داخل منطقة الدنجور على بعد ٣ كيلو مترات من الحدود المشتركة ٦ كيلو مترات من الحدود المصرية^(٢).

إلى جانب زيادة عدد الجيش البريطانى المرابط فى الإسماعيلية وبورسعيد إلى ما يزيد على ٧٠٠٠٠ جندى، وفى هذا مخالفة لما جاء فى معاهدة ١٩٣٦ التى تقضى بمرابطة عشرة آلاف جندى وأربعمئة طيار^(٣).

بل يعزز الإنجليز منشأتهم التى تعد مخالفة صريحة لمبدأ الجلاء عن المدن وعقدوا الصفقات واشتروا من مخازن "باسيلى باشا" آلاف الأطنان من الخشب من الإسكندرية ومواد البناء كالحديد والطوب لإنشاء الثكنات العسكرية والمدارس والكنائس ومختلف مظاهر العمران للإقامة^(٤)، ووضع أيديهم على جميع الكبارى المقامة على قناة السويس مثل كبرى القرش والفردان وعلى مسالك الحدود الشرقية التى تعد مركزًا لنشاط التهريب بنوعيه تهريب الصهيونيين والمخدرات والذخيرة، ولا تسمح للقوات المصرية بالمرور إلا بعد أن يصدر أمر من قيادة

(١) البلاغ - ٣ إبريل ١٩٤٧.

(٢) محفظة رقم (٢) - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية إلى وزارة الدفاع الوطنى.

(٣) الكتلة - ٧ نوفمبر ١٩٤٧.

(٤) الكتلة - ١٩ نوفمبر ١٩٤٧.

قوات الاحتلال، ما يعنى شل حركة الاتصال بالشرق بالسيطرة على الكبارى وقطع كل سيطرة لمصر على الصحراء الشرقية، وإن كان غرضهم الحقيقى سلامة مصر فلا فرق بينهم والقوات المصرية؛ لأن الهدف واحد والخطر مشترك خصوصاً بعد أن وضع دور مصر فى مكافحة الصهيونية^(١).

كما تمتعت القوات البريطانية المعسكرة فى منطقة القنال وما جاورها بامتيازات جمركية وضرائب؛ فى حين أن هذا الإعفاء من دفع الضرائب كان أمراً استثنائياً فى زمن الحرب، وحصلت على تراخيص لبعض سياراتها العسكرية بوصفها سيارات مدنية؛ ليباح لها التجول خارج منطقة فايد، وأجاز النقراشى التراخيص دون تحصيل الرسوم، من جهة أخرى كى تكفل بريطانيا عدم خروجها من فلسطين خصوصاً من منطقة النقب لما لها من أهمية حيوية تستطيع عن طريقها حماية قناة السويس، تعمل على إقرار التقسيم وتعلن عن عجز القسم العربى من فلسطين عن الوقوف وحده وضرورة مساندته من خلال عقد معاهدة دفاع مشترك مع شرق الأردن تمهيداً لضم القسم العربى من فلسطين لشرق الأردن وإعداد جيشه على أحدث النظم والتدريب والتسليح، فكان الجيش العربى الأردنى جزءاً من الجيش البريطانى يخضع للقيادة من خلال قيادة "جلوب باشا".

وسعى القادة البريطانيون إلى تقوية الجيش العربى الأردنى وإمداده بالأسلحة، ففى معسكر الإسماعيلية حيث مخازن الذخيرة والأسلحة الواقعة فى أبو سلطان التابعة للسلاح البريطانى المعروف باسم "R.A.O.C" شرعوا فى شحن سيارات كبيرة حمولة ٣ أطنان بمختلف أنواع الأسلحة والذخائر وتم شحنها إلى فلسطين ولم يعهد إلى الموظفين المصريين بكتابة الفواتير المعروفة باسم *INDENTS* وعهد بأمر تحريرها إلى جنود من الإنجليز^(٢).

(١) الكتلة - ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧.

(٢) الكشكول الجديد - ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧.

وفى ١٠ يناير عام ١٩٤٨ أرسلت سبع عربات سكة حديد مملوءة بالذخيرة عليها علامات الصليب الأحمر إلى فلسطين^(١)، وعبور الدبابات البريطانية الثقيلة القتال أمام الإسماعيلية ووجهتها الشرق وقد نقلت على مراكب خاصة نظراً إلى تلف كوبرى الفردان، وبلغ عدد القوة التى عبرت ٢٥ دبابة ماركة Comft، ٣٠ حاملة دبابة، ٣٠ لورى جر، ٣٠ لورى ذخيرة وبنزين، والقوة بقيادة بكباشى ومعظمها لوارى النجدة، وقيل إنها متجهة لعمل مناورات بشبه جزيرة سيناء؛ غير أنها كانت متجهة إلى فلسطين وتكتم البريطانيون عن وجهتها، كما أرسلت السلطات البريطانية عربات قتال مدرعة بالسكة الحديد من القنطرة شرق إلى فلسطين، وأوضح الجنود البريطانيون المراقبون للقطار أن هذه العربات مرسلة كهدية إلى الملك عبد الله^(٢)، وصرح مستر بيغن بضرورة بقاء النقب فى الأيدى العربية حتى يكون هناك اتصال مباشر بين مصر وشرق الأردن والبلاد العربية، وكان يرى ضرورة أن تكون إدارة العقبة مشتركة بين العرب واليهود^(٣).

ونشرت مجلة "نيشونز" مقالاً لصحفى يهودى مسيو ليلى شولتز "مدير شركة نيشونز، اتهم فيه بريطانيا بالتآمر مع الملك عبد الله ملك شرق الأردن على أن تغزو قواته أراضى فلسطينية وإلحاقها بشرق الأردن والاكتفاء بمنح الباقي لليهود - مساحة محدودة من الأرض حول مدينة تل أبيب - فى مقابل حصول بريطانيا على مراكز حربية على البحر الأحمر واستخدام مستعمرة النقب^(٤).

-
- (١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - تقرير عن زيارة الطيار أول محمد أفندى حسين خيرى لمنطقة القتال والعريش من ٣١ ديسمبر ١٩٤٧ إلى ٥ يناير ١٩٤٨، إلى قائد أسراب محمد صلاح الدين مهيب، مدير إدارة المخابرات الجوية فى ٦ يناير ١٩٤٨.
- (٢) محفظة رقم (٦) إشارة تليفونية من إدارة المخابرات الحربية إلى مكتب الوزير.
- (٣) محفظة رقم (٢٥٨) - مقابلة بين وزير الخارجية ونورى السعيد - ٢٢ أغسطس ١٩٤٩.
- (٤) الكتلة - ٣٠ يناير ١٩٤٨.

ويتضح من هذا:

كيف استغلت بريطانيا القضية الفلسطينية في استمرار الوجود البريطاني في منطقة قناة السويس بحجة قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها، ومن المفترض أن هذا الخطر يهدد مصر أيضاً؛ لكن بريطانيا اكتفت بالاضطلاع بمهمة التصدي للخطر بمفردها وصرف أنظار الساسة عن القضية الوطنية عندما اتخذت الحكومة المصرية قرارها باشتراك قواتها النظامية في حرب فلسطين أخذت السلطات المختصة المصرية في اختيار أماكن تقيم عليها محطات المراقبة الجوية وأماكن أخرى تضع فيها المدافع المضادة للطائرات في كل من القاهرة والإسكندرية فقط، في حين تركز أمر الدفاع الجوي عن منطقة القناة على وجود القوات البريطانية، وجاء ذلك بناء على طلب اليريجادير (Luyden) المعين (B.G.S) للقوات البريطانية بمصر وقائد القوات بالنيابة، من أميرالاي قائد منطقة القناة وشرق الدلتا بالنيابة جاء فيه: "إنه نظراً للظروف الحالية فإن القوات البريطانية ستقوم بعمل ترتيب للدفاع الجوي عن المعسكرات والقوات البريطانية الموجودة بمنطقة القناة (الإسماعيلية - فايد - كبريت)"^(١).

• محاولة النقراشى باشا لدى الولايات المتحدة الأمريكية إعادة النظر في مشروع التقسيم وحدوده:

كانت مسألة عرض بريطانيا موضوع فلسطين على الأمم المتحدة ليس إلا مناورة للبقاء في فلسطين ومحاولة البحث عن حل لحماية مصالحها في الشرق

(١) محفظة رقم (١) - ١ - ٢٦ / س ج / ٣٠ - الموضوع "الدفاع الجوي عن المعسكرات والقوات البريطانية بمنطقة القنال" - إدارة منطقة القنال وشرق الدلتا - الإسماعيلية - مذكرة من أميرالاي قائد منطقة القنال وشرق الدلتا بالنيابة إلى مدير العمليات الحربية في ٢٧ مايو ١٩٤٨.

الأوسط وقناة السويس خصوصاً أن عام ١٩٤٧ قد شهد انتفاضة الشعب المصري مطالباً إنجلترا بالجلء^(١).

وكادت بريطانيا تصل إلى حل مع اليهود لولا التدخل الأمريكى الذى زاد من تعقيد القضية، وهذا ما عبر عنه بيفن وزير الخارجية البريطانى فى خطابه إلى مجلس العموم بتاريخ ١٣ فبراير عام ١٩٤٧ الذى جاء فيه: "ولو وقف أمر هذا التدخل عند حال إدخال مئة ألف مهاجر يهودى إلى فلسطين لكن فى الإمكان معالجته ولكن الحديث يدور حول مجيء الملايين"^(٢).

والدليل على مناورة بريطانيا ما ذكره "كريستوفر سايكس" - الكاتب البريطانى - فى هذا الخصوص: "لقد كان ما تتشده بريطانيا الآن (١٩٤٦) فى فلسطين بعد قرار الجلء عن مصر، خلق قاعدة مضمونة وسليمة".

وما ذكره "كريتش جونز" وزير المستعمرات البريطانى فى أثناء المناقشة فى مجلس العموم فى فبراير عام ١٩٤٧: "إننا نتوجه إلى هيئة الأمم المتحدة لا لكى نرفض الانتداب ولكن كى نحصل على نصيحة فى كيفية إدارة الانتداب"، وشاهد من إسرائيل "إسرائيلى غوتمان" - كاتب إسرائيلى - حيث ذكر: "حين عرضت إنجلترا المسألة الفلسطينية، كانت على يقين أن هذا النقاش سيدفن فى المتناقضات وبقوة بين دهاeliz الحرب الباردة وفى تلك الحالة كانت يد بريطانيا ستطلق فى نظامها الانتدابى، فتتصرف على هواها بعد أن تعترف المنظمة الدولية بعجزها؛ ولكن كانت تتنظرها مفاجأة ضخمة حين وافق الاتحاد السوفييتى رغم عدائه للصهيونية على إقامة إسرائيل"^(٣).

(١) محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيونى - مكتبة القاهرة الحديثة - القاهرة - ١٩٦٨ ص ٢٠٠.

(٢) د. عايدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٥٠ - ١٥١.

(٣) محمد فيصل عبد المنعم: المرجع نفسه - ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

ومن هنا يتضح أسلوب بريطانيا في حل مشكلاتها إذا أرادت أن تلغى مشروعًا جاءت بمشروع بعده يلغى ما قبله، لذلك اتجهت إلى هيئة الأمم المتحدة لتلغى ما جاء من توصيات في تقرير اللجنة الأنجلو - أمريكية، ما يعنى خروج أمريكا وعدم تدخلها في وضع حلول لا تناسب بريطانيا.

من ناحية أخرى أدركت الدول العربية خصوصًا مصر خطورة التدخل الأمريكى في القضية الفلسطينية على مصالحها منذ صدور توصيات اللجنة الأنجلو - أمريكية، لذلك عقد في العاشر من سبتمبر عام ١٩٤٦ "مؤتمر لندن" الذى استمر حتى ٢ أكتوبر ثم توقف على أن تستأنف مناقشاته في ديسمبر من ذلك العام، بناء على القرار الذى اتخذته وزراء خارجية الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية في أثناء اجتماعهم في ١٢ أغسطس عام ١٩٤٦ الذين قرروا فيه مفاوضة الحكومة البريطانية خصوصًا بعد إخفاقها في الوصول إلى حل يرضى الأطراف المتنازعة، وكانت مهمة الوفد المصرى لفت الأنظار إلى خطورة وجود دولة يهودية في قلب الوطن العربى من الناحية السياسية والاقتصادية وأثرها في مستقبل الصداقة العربية - البريطانية^(١).

وافتح "كليمت أتلى" رئيس الوزراء البريطانى كلمته بالإشارة إلى المشروع الذى ستقدمه بريطانيا أمام المجتمعين لإيجاد حل لمشكلة فلسطين، وعرف بـ "مشروع موريسون" الذى كان يقترح فيه تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق، عربية ويهودية ومقاطعة القدس وأخرى فى النقب، وبإمعان النظر فى المشروع يتضح أنه لا يختلف تمامًا فى جوهره عن مشروع التقسيم الذى اقترحه بريطانيا فى عام ١٩٣٧.

ويرجع التفكير فى هذا المشروع إلى انتظار أمريكا الرد العربى على توصيات لجنة التحقيق الأنجلو - أمريكية والذى جاء بعد خمسين يومًا من صدوره

(١) د. عايدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ٥١ - ٥٢.

وكان مجرد مذكرة بتاريخ ١٠ يونيو عام ١٩٤٦ وتضمن: "إنه ليس لأمریکا حق التدخل فى قضية فلسطين"، وعندما وقفت أمريكا على هزال الموقف العربى، سارعت إلى تشكيل لجنة وزارية برئاسة "هارى غرارى"، الذى اتجه إلى لندن فى ١٠ يونيو للتباحث مع ممثلى الحكومة البريطانية فى الطريقة التى ينفذ بها التقرير، وبعد أسبوعين وفى ٢٢ يوليو قدم هؤلاء الخبراء تقريراً عرف بـ "مشروع موريسون"^(١).

وقد اعترض الوفد المصرى على المشروع وعال عبد الرزاق السنهورى - عضو الوفد المصرى - معارضته على أساس العواقب السياسية الآتية لتنفيذ المشروع:

١ - إن قرار التقسيم سيخصص منطقة يهودية تتمتع بالحكم الذاتى ويسمح فيها بهجرة لا رابط لها تبدأ بإدخال ١٠٠٠٠٠ مهاجر وتباع الأراضى لليهود دون قيد ولا شرط، ومن ثم ليس إقامة دولة اتحادية، خصوصاً بعد أن أعلن اليهود صراحة أن الهدف الرئيسى الذى يسعون إليه هو إقامة دولة يهودية مستقلة وهو الأساس الذى يقوم عليه برنامجهم الذى أطلق عليه "بليتيمور".

٢ - سيؤدى السماح بالهجرة إلى ازدحام المنطقة المخصصة لليهود إلى درجة لا تسمح معها باستيعاب مهاجرين جدد، ما ينتج عن ذلك مطالبته بتوسيع حدود منطقتهم وتهديد البلاد العربية المجاورة تهديداً خطيراً وستكون بمثابة قاعدة تمكن اليهود من اجتياح كل العالم العربى فى الشرق؛ لأن التقسيم سيؤدى إلى حدود مصطنعة لا يمكن التحكم فيها لذلك فإن التقسيم المقترح والمعروف باسم مشروع "موريسون" يجب أن يرفض رفضاً قاطعاً^(٢).

(١) عودة بطرس عودة: القضية الفلسطينية فى الواقع العربى - ص ٤٢٥.

(٢) محمد فائز القصرى: قضية فلسطين - وثائق فلسطين - ص ٨٣٩ - ٨٤٢.

وما أن رفض العرب مشروع "موريسون"، حتى عرض عليهم بيفن تقديم مقترحاتهم التي تتضمن حصول فلسطين على الاستقلال في موعد محدد، وقد حاولت بريطانيا عرقلة تنفيذ "المشروع العربي" بإعطاء فترة من الوقت لدراسة هذا المشروع امتدت حتى يناير عام ١٩٤٧^(١).

كما أصدر ترومان بياناً يعبر من خلاله عن موقفه من مشروع موريسون الذي جاء فيه: "إن تنفيذ توصية هجرة مئة ألف يهودي لا يجوز أن يعلق على نتيجة مؤتمر لندن".

لكن الموقف الأمريكي لم يستمر طويلاً فسرعان ما تخلى عنه؛ لأن خبراء وزراء الدفاع في واشنطن كانوا ينظرون إلى الشرق الأوسط بعيون بريطانية من خلال المصالح النفطية التي تلعب دوراً كبيراً في اتجاه السياسة، ففي ١٢ أغسطس انتهى ترومان إلى رئيس الوزراء البريطاني اتلي بالآتي: "لا أستطيع أن أؤيد رسمياً الخطة في شكلها الحاجز كخطة أنجلو - أمريكية مشتركة فالمعارضة في هذه البلاد أصبحت من العنف"، وانسحب ترومان من الخطة المشتركة مع بريطانيا لحل مسألة فلسطين انسحاباً مؤقتاً^(٢).

ونتيجة لتراجع ترومان المؤقت ولأهمية النقب لليهود سافر "بن جوريون" إلى لندن عارضاً قبول التقسيم مقابل صحراء النقب إليهم وإنشاء قواعد إنجليزية فيها بديلة للسويس^(٣).

لكن لم يؤيده بيفن، وعرض عليه مشروعاً آخر عرف باسمه "مشروع بيفن" الذي لا يختلف كثيراً عن مشروع موريسون، إذ أدخل عليه بعض التعديلات لصالح اليهود حيث ضم إلى منطقتهم بعض مناطق النقب، ووصاية بريطانية خمس

(١) د. عابدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ٥٤.

(٢) وايزمان: مذكرات وايزمان ترجمة أحمد الشقيري - مكتب الأمين العام المساعد بجامعة الدول العربية - القاهرة - د. ت. - ص ٣٦٨ - ٣٧٧.

(٣) محمد فيصل عبد المنعم: أسرار ١٩٤٨ - مكتبة دار الهنا للطباعة - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ١٨٨.

سنوات تنشأ من خلالها حكومات ومجالس عربية ويهودية تتمتع بالاستقلال الذاتى على ألا يودى ذلك إلى التقسيم، وتكون الهجرة منحصرة فى المنطقة اليهودية على حسب قاعدة الاستيعاب الاقتصادى ثم تعاد دراسة الموقف بعد مرور السنين الخمس والسماح بهجرة تقدر بـ ٩٦ ألفاً من اليهود، وفى نهاية السنوات الخمس تقام دولة مستقلة ثنائية الجنسية ويقرر العرب واليهود مبدأ الهجرة فيما بينهما.

ولكن بن جوريون رفض هذا الاقتراح، وهنا رأت الحكومة البريطانية أنه لم يعد بإمكانها عمل شيء بعد تقديمها "مشروع بيفن" كأخر محاولة قبل عرض الأمر على هيئة الأمم المتحدة.

ويتضح من هذا مدى التعارض بين رغبة بريطانيا فى عدم التخلي عن انتدابها، ورغبة "بن جوريون" فى إنهاء الانتداب البريطانى وإقامة دولتين إحداهما عربية وأخرى يهودية وأن يكون النقب من نصيب اليهود^(١)، إذ يعتبر النقب الركن الرئيسى الذى لا تقوم دونه قائمة الدولة اليهودية^(٢).

لذلك نجدهم يتعاملون بلغة المصالح الدولية عندما لاحت فى الأفق بوادر قيام دولتهم، ويتجهون للدولة ذات المصلحة المباشرة - بريطانيا - وهم يدركون ما يمثله النقب لبريطانيا وهذا ما عبر عنه كيرزون "خط الدفاع الاستراتيجى بالنسبة لمصر.. وإذا وجب أن ندافع عن القناة فى المستقبل، وهى الجبهة الضعيفة فى مصر، فسيتم ذلك من جهة فلسطين"^(٣)، وأن خسارة بريطانيا لقناة السويس سيفقدوها مركزها فى الشرق الأوسط، وعلى الرغم من أن بريطانيا صانعة الدولة اليهودية وأسهمت فى توفير جميع مقومات قيامها؛ فإن ذلك لا يأتى على حساب مصالحها، لذلك جاء حرصها، من خلال مشاريع التقسيم، على أن تكون النقب خاضعة لسيطرتها المباشرة، مثل ما جاء فى تقرير لجنة وودهيد

(١) محمد فيصل عبد المنعم: أسرار ١٩٤٨ ص ١٣٦.

(٢) محمد نمر الخطيب: حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية - ص ٩٧.

(٣) طارق البشرى: الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - ص ٢٣٣.

عام ١٩٣٨، ومشروع موريسون، أو ضمن الأراضي المخصصة للدولة العربية بعد انتهاء انتدابها بعقد معاهدة دفاع مشترك مع تلك الدولة التي تعد الباب الخلفى الذى تتسلل منه بريطانيا إلى تلك المنطقة مرة أخرى مثل مشروع لجنة بيل عام ١٩٣٧م، ومشروع برنادوت عام ١٩٤٨^(١)).

إلى جانب دراية بريطانيا بوجود بترول فى النقب، ويتضح ذلك من خلال الحوار الذى دار بين السير عبد الرحمن - العضو الهندى - بلجنة التحقيق الخاصة بفلسطين - والمندوب السامى لفلسطين حول ما توصلت إليه الأبحاث الفنية فى النقب (جنوب فلسطين)^(٢)، ما يعد حلاً لأزمته الاقتصادية التى كانت تعانيها منذ بداية عام ١٩٤٦، ويجعلها فى غنى عن الاعتماد الكلى على "مشروع مارشال الأمريكى"^(٣).

كما كانت بريطانيا على دراية بأحلام اليهود التوسعية ورغبتهم فى السيطرة على العريش وسيناء وما تحتويه أراضي سيناء على بترول، حيث صرح وزير التجارة والصناعة المصرى فى أثناء وجوده بصحراء سيناء وقتئذ لزيارة منابع البترول لبحث شروط التعاقد مع الشركة الإنجليزية التى اكتشفت آبار البترول الجديدة فى سيناء^(٤): "جاء هذا النبع الجديد ليضيف إلى الإنتاج نحو عشرين إلى ثلاثين ألف طن كل شهر"^(٥).

(١) عصام شحتة: فلسطين الدولة - جنود المسألة فى التاريخ - ص ٢٣٤ - ٢٣٦.

(*) انظر الملحق رقم (٣) .

(٢) محفظة رقم (٢٥٨) - برقية من القنصل العام بالنيابة إلى وكيل وزارة الخارجية بفلسطين وشرق الأردن حول الحوار الذى دار بينه والسير عبد الرحمن العضو الهندى والمندوب السامى لفلسطين حول الأبحاث الفنية فى النقب.

(٣) محفظة رقم (٢٥٨) تقرير القنصلية الملكية بنيويورك عن مشروع مارشال - القاهرة - ٥ إبريل ١٩٤٨.

(٤) الكتلة - ٨ ديسمبر ١٩٤٧.

(٥) الكتلة - ١٥ ديسمبر ١٩٤٧.

ولإدراك بريطانيا كل هذه الأمور رفضت الاقتراح اليهودى لإنهاء انتدابها، ورفعت الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة عندما رأت أنها غير قادرة على فرض حل بالقوة فى فلسطين يقوم على أساس مشاريع تقسيمها، وما يلفت النظر أن كلاً من القضيتين المصرية والفلسطينية انتقلتا إلى أروقة الأمم المتحدة فى عام واحد وهو عام ١٩٤٧م.

وعندما قدمت لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين فى سبتمبر عام ١٩٤٧ مشروعين للتقسيم، عقد فى الفترة من ١٦ - ١٩ سبتمبر اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية فى صوفر، وأهم ما أقره المجتمعون إرسال تحذير رسمى إلى كل من لندن وواشنطن باستعمال القوة فى حالة قيام الدولة اليهودية^(١)، وعند مناقشة القضية فى لجنة فلسطين الخاصة التابعة للجمعية العامة وضح تماماً ميل معظم الأعضاء نحو التقسيم مدفوعين فى تأييدهم للتقسيم من منطلق العطف على المشردين، رغم ما أعرب عنه المندوب المصرى عن قلق بالغ لإقامة مستوطنات يهودية بالقرب من الحدود المصرية فذلك ليس إلا إشارة البدء فى الخطوة الأولى نحو تنفيذ الأطماع اليهودية فى سيناء^(٢).

عندئذ سافر "النقراشى باشا" إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإقناعها بضرورة إعادة النظر فى مشروع التقسيم وحدوده^(٣) مدفوعاً بذلك من حرصه على الأمن القومى لمصر بالطرق الدبلوماسية، متفادياً التدخل العسكرى فى فلسطين وتعكير صفو العلاقة المصرية - الأمريكية.

وظهرت بوادر الاقتناع الموقت من خلال تحفظات مندوب أمريكا - فى أثناء انعقاد لجنة التقسيم الفرعية - على حدود الدولتين، وأعلن وجهة النظر

(١) د . عائدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ٥٥، ١٥٧.

(٢) الأمم المتحدة: منشأ القضية الفلسطينية وتطويرها ١٩١٧ - ١٩٨٨ - أبحاث اللجنة المعنية لممارسة الشعب الفلسطينى لحقوقه تحت إرشادها - نيويورك - ١٩٩٠ ص ١٤٤ .

(٣) مصر - ٢٩ أكتوبر ١٩٤٧.

الأمريكية وبين أن رأس الزاوية الجنوبية من النقب وشمال النقب يجب اندماجهما في الدولة العربية وإلا أصبحت الدولة اليهودية بمثابة "إسفين" في دول الجامعة العربية لأنها ستفصل شرق الأردن عن مصر^(١).

ومن الجدير بالذكر أن إقدام "النقراشي باشا" على تلك المحاولة الدبلوماسية لدى أمريكا جاءت بعد تكليفه لسيد مرعى - مهندس زراعى - بمهمة سرية لتقصي الحقائق حول التوسع اليهودى فى فلسطين ودور بريطانيا الخفى الذى تلعبه هناك، وقد جاء ذلك التكليف عقب رسالة الملك عبدالله للملك فاروق فى ٢٢ أكتوبر عام ١٩٤٦ وتحذيره له من "أن اليهود سيمتلكون أغلب الأراضى فى غضون سنتين، ومن ثم صدر التكليف كى يقوم بأول مهمة سياسية خارج حدود مصر بالسفر إلى فلسطين بواسطة الخط الحديدى الذى كان يربط بين القاهرة والقدس عبر سيناء وغزة، للوقوف على نشاط الوكالة اليهودية عن كثب، وتم ذلك على نفقة سيد مرعى الخاصة حتى يحيط تلك المهمة بالسرية والكتمان الشديدين، وبوصول "مرعى" إلى القدس التقى هناك على الفور الدكتور محمود فوزى - قنصل مصر آنذاك - وأحاطه علماً بالهدف من تلك الزيارة على أنها بمثابة دراسة للمزارع اليهودية ونظمها والوقوف على الفارق بينها ومزارع العرب فى فلسطين، وانتهى من مهمته بمدى التفوق اليهودى فى إقامة المستوطنات والمزارع الجماعية - بالإضافة إلى توسعهم فى شراء الأراضى^(٢)، ذلك إلى جانب ما توصلت إليه إدارة المخابرات الحربية المصرية من وجود أربع عشرة مستعمرة بالمنطقة الجنوبية بفلسطين؛ منها ثلاث مستعمرات قوام كل منها نحو ٢٠٠ شخص والجملة بصفة عامة نحو ٩٥٠ شخصاً قابليين للزيادة، ومسلحين جيّداً بالبنادق والبرن والتومى والقنابل اليدوية وأدوات النسف ومستعمراتهم عبارة عن برج عال من

(١) مصر - ١٢ أكتوبر ١٩٤٧.

(٢) صموئيل ليبب سيحة: السياسة المصرية تجاه المشكلة الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٥٦ رسالة دكتوراه أجازت بجامعة أسيوط - كلية أداب سوهاج - ١٩٩٢ - ص ٢٢ - ٢٣.

الخشب للمراقبة وحوله بعض الأكشاك للسكن محاطة بالأسلاك وقد أقيمت
للأسباب الآتية:

- أ - لنقوم برصد تحركات العرب.
- ب - كنقطة لتهريب الأسلحة المختلفة للعاصمة تل أبيب.
- ج - لإغراء العرب المحاربين لبيع أراضيهم.
- د - لاكتساب محبة العرب بدعوة أنهم يهود وليسوا صهيونيين.
- هـ - لإيهام لجان التحقيق الدولية بأنهم يملكون أراضٍ في جميع بقاع فلسطين^(١).

(١) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم المعلومات - منكرة عن
عقد اجتماع يوم ٣١ أكتوبر ١٩٤٧ بالعريش بمنزل محافظ سيناء وبعض الضباط والقائمين
بالحركة العربية بجنوب فلسطين.

• محاولة الياهو ساسون إقناع مصر بالتفاهم مع اليهود ضد بريطانيا قبل صدور قرار التقسيم:

عندئذ جرت مقابلة بين الياهو ساسون - الذى كان موظفاً كبيراً فى وزارة الخارجية بإسرائيل - وهىكل محاولاً إقناعه بأنه من الخير تفاهم مصر مع اليهود حول قبول التقسيم مقابل عقد معاهدة على غرار المعاهد المصرية - البريطانية التى عقدت فى سنة ١٩٣٦، وتتضمن شروطها: "الدولتان الساميتان المتعاقدتان يجب ألا تتخذ إحداهما سياسة تتناقض مع سياسة الدولة الأخرى، وتخف أيهما لنجدة الدولة الثانية إذ تعرضت للاعتداء"، فكان رد هىكل: "كنكم تعلمون أن المصريين جميعاً يعترضون اليوم أشد معارضة على معاهدة ١٩٣٦"، فقال الياهو ساسون: لكن توقيع معاهدة بيننا وبين مصر سيكون المقدمة لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وستعمل إسرائيل من وسائل تعاونكم على إلغائها"، فرد هىكل: "إن مصر قادرة بمفردها على تحقيق أهدافها"^(١).

• رد فعل الوكالة اليهودية إزاء فشل محاولة التفاهم مع مصر:

أدركت الوكالة اليهودية خطورة الطلب الأمريكى بالنظر فى حدود التقسيم، لأهمية النقب لليهود باعتبارها المنفذ الذى يصل الدولة المقترحة بالبحر الأحمر، فبادرت الوكالة بإرسال "حاييم وايزمان" لمقابلة ثرومان ليثى الأعضاء عن فكرة المساومة على المنطقة المخصصة لليهود^(٢).

(١) محمد حسين هىكل : مذكرات فى السياسة المصرية - ج ٣ - ط ٢ - دار المعارف - القاهرة - ص ٥٠ - ٥٤.

(٢) صلاح العقاد: المرحلة الحرجة ١٩٤٥ - ١٩٥٦ - معهد الدراسات العربية - المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ٤٤.

وكتب د. حاييم وايزمان في مذكراته "التجربة والخطأ" يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر عام ١٩٤٧: "استقبلني الرئيس ترومان بلطف وتحدثت إليه عن النقب عندما أعيد النظر في مسألة النصف الجنوبي من فلسطين، الذي خصص برمته للدولة اليهودية بموجب مشروع الأغلبية للجنة الأمم المتحدة الخاصة المعنية بفلسطين، وقدم اقتراحاً بتقسيمها بين الدولتين العربية واليهودية، وكان الزعماء الصهاينة يتطلعون إلى منطقة النقب بأكملها حتى يمكن الوصول إلى خليج العقبة في نطاق سيطرته.. ولقد كانت هناك لحظات توتر كثيرة لإنجاز قرار ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧، حيث رأى البعض من المندوبين الأمريكيين أن اليهود يحصلون على قطعة كبيرة من فلسطين والعرب يثيرون اعتراضات مشروعة، واقترح أن ينقطع من الدولة اليهودية المقترحة جزء كبير من النقب، بحيث تؤخذ العقبة منا، وقد كنت أعلق قيمة كبرى على العقبة منذ وقت إعلان بلفور، فالعقبة هي المدخل إلى المحيط الهندي وتشغل طريقاً من فلسطين إلى الشرق الأقصى أقصر بكثير من الطريق الذي يمر ببورسعيد وقناة السويس، وأنه إذا اختار المصريون معاداة الدولة اليهودية وهو ما أمل بالألا يحدث ففى وسعهم إغلاق القناة أمامنا عن طريق قناة السويس عندما تصبح القناة ملكاً لهم، ومن ثم تتقطع سبل وصولنا إلى الشرق^(١). والعقبة مهمة بالنسبة لنا إن ضمت إلينا حولناها إلى ميناء عظيم وفتحنا قناة تصل البحر الأحمر بالمتوسط إما بين تل أبيب والعقبة وأما بين حيفا والعقبة ونستغنى بذلك عن قناة السويس، وهذه أحلام تراودنا منذ تصريح بلفور إلى يومنا هذا بخصوص شق القناة المزعومة بين إيلات وحيفا وأسود وتسمى قناة العقبة، من ناحية أخرى إن اليهود هم أقدر على تعمير الصحراء من خلال الحصول على المياه لرى أرضها إما عن طريق المياه الجوفية التى تكثر فيها وإما عن طريق نقل المياه من الشمال وفقاً لمشروع أودرمالك".

ولما كانت إسرائيل تؤمن بأن مخططات السياسات العالمية تقوم على خرائط البترول وآباره وطرقه والقواعد الاستراتيجية فى الشرق الأوسط، ويتضح ذلك من عرضها على بريطانيا إقامة قواعد إنجليزية فى النقب مقابل قبول التقسيم ونهاية

(١) الأمم المتحدة: منشأ القضية الفلسطينية وتطورها ١٩١٧-١٩٨٨ - ص ١٦٤.

انتدابها^(١). ويبدو أن الساسة اليهود قدموا العرض نفسه إلى الولايات المتحدة الأمريكية عندما سافر وايزمان في ١٤ نوفمبر إلى واشنطن، وكان مدركاً أن السياسة الأمريكية نحو فلسطين تقوم على مبادئ أربعة أساسية: دعم الإنعاش الأوروبي، إزاحة التفوق البريطاني، احتواء التهديد السوفييتي، وتشجيع المصالح التجارية الأمريكية.

ولما كان النفط أهم المستوردات الأساسية للإنعاش الاقتصادي في أوروبا ونتيجة لما عانته الولايات المتحدة الأمريكية لاتساع نفوذ بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط وضغطها على الدول العربية لإصدار قرارات تهدد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية مثل إصدار قرار بعدم السماح للدولة ورعاياها المؤيدين للتقسيم بأى امتياز اقتصادى والنظر فى إلغاء ما لها من امتيازات وذلك ما جاء ضمن القرارات السرية لمؤتمر بلودان ٨ يونيو عام ١٩٤٦ كرد فعل لتقرير اللجنة الأنجلو - أمريكية والتدخل الأمريكى، عندئذ عرض "حاييم" بترول منطقة النقب عند ضمها إلى الدولة اليهودية، ومن ثم يكون اليهود قد حلوا مشكلة تواجه الولايات المتحدة فى تلك الفترة، وهذا ما جاء فى تقرير أعده جورج كنان مدير هيئة التخطيط السياسى فى وزارة الخارجية الأمريكية: "إن برنامج الإنعاش الأوروبى الذى أعلن فى يونيو عام ١٩٤٧ سيتطلب مقداراً إضافياً يبلغ ١,٢ مليون برميل من النفط يومياً.. ويأتى هذا المقدار كله من منتجين فى الشرق الأوسط"، أما بالنسبة إلى أهمية النقب كقاعدة استراتيجية فيمكن استخدامها قاعدة احتواء للنشاط السوفييتى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية التى عرفها جورج كنان باسم "النقاط القوية" وذلك بعدم فرض السيطرة المباشرة على تلك النقاط وفى الوقت نفسه لا تسمح لأحد آخر بتلك السيطرة^(٢).

(١) محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيونى - ص ١٨٨.

(٢) ميخائيل سليمان وآخرون: فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون - ط ١ مركز دراسات للوحدة العربية - بيروت - ١٩٥٦ - ص ٧٥، ٩٧.

وهكذا نجحت الصهيونية فى الضغط على أمريكا بالعدول عن فكرتها بشأن النظر فى حدود التقسيم، عندئذ نظر ترومان فى الخريطة وأبلغ ممثله فى الأمم المتحدة بالضغط على الوفود بعدم إثارة ذلك الموضوع.

ثم انتقلت المناقشة إلى الجمعية العامة حول المرحلة الانتقالية من نهاية الانتداب إلى أن يتم تأسيس الدولتين فى أول يوليو عام ١٩٤٨ وتشكيل لجنة للمراقبة من الأمم المتحدة من الدول الصغرى التى تؤيد التقسيم، عندئذ طرح مشروع التقسيم للتصويت أمام الجمعية العامة مرتين، وفى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ صدر قرار التقسيم على أساس مشروع الغالبية بموافقة ٣٣ صوتاً ضد ١٣ امتنعوا عن التصويت^(١).

وعقب محمد على علوبة باشا رئيس هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين على حدود التقسيم بأنه: "أعطى اليهود منطقة بمثابة سهم فى قلب الأراضى المصرية تصل حتى العقبة وتحيط بهذا الميناء المصرى من جميع الجهات"^(٢).

كما أوضح هيكى أن هذا معناه "فصل البلاد العربية عن بعضها.. فهذه المنطقة الفلسطينية هى التى تصل مصر وشرق الأردن.. فأعطواها لإسرائيل واتصالها بمنطقة الشاطئ المعطاة لإسرائيل برأس المثلث معناه فصل مصر تماماً"^(٣).

(١) صلاح العقاد: قضية فلسطين المرحلة الحرجة ١٩٤٥-١٩٥٦ - ص ٤٤، ٤٦ - ٤٧.

(٢) البلاغ - ١١ يناير ١٩٤٨.

(٣) محمد حسين هيكى: مذكرات فى السياسة المصرية ج ٣ - ص ٣٢.

• صدى قرار التقسيم على الشعب المصري:

- موقف الحكومة المصرية من رد فعل الشارع المصري إزاء صدور قرار التقسيم:

بصدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧، كثرت الاحتجاجات وعمت المظاهرات في مصر، معلنين سخطهم وهاتفين لفلسطين وبسقوط الاستعمار الصهيوني والدول التي وافقت على قرار التقسيم^(١).

واجتمع طلبة الأزهر والمعاهد الدينية ومختلف الهيئات والطوائف معلنين سخطهم يهتفون: أين السلاح يا نقراشي؟ أين الجلاء يا نقراشي؟ نريد عملاً لا قولاً^(٢).

وأجمعوا على اتخاذ القرارات الآتية:

١ - مطالبة الحكومة بالاشتراك الحربي في الدفاع عن فلسطين الشقيقة.

٢ - مطالبة الحكومة بالانسحاب من هيئة الأمم المتحدة.

٣ - فتح مكاتب للتطوع من أجل فلسطين.

٤ - المبادرة بتدريب أكبر عدد ممكن لإنقاذ فلسطين.

٥ - مشروع قرش فلسطين.

وبلغ عدد المتظاهرين أكثر من خمسة آلاف من طلبة المدارس وقصدوا مقر الجامعة العربية فخطب فيهم عزام: "أنتم تطلبون السلاح وأقول لكم أن تتقدموا للتطوع وعلينا أن نضع في أيديكم العدة للقتال"^(٣).

(١) مصر - ٢ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٥ ديسمبر ١٩٤٧.

(٣) البلاغ - ٣ ديسمبر ١٩٤٧.

ومن الملاحظ أن ألوف المتظاهرين في يوم فلسطين عز عليهم أن ينسوا قضية الجلاء، فاقترن هتافهم بجلاء الاستعمار الصهيوني عن أرض فلسطين بالجلاء البريطاني عن مصر.

ولوحظ أيضا عدم وجود النقراشي مع سائر رؤساء الحكومات لاستقبال جموع المصريين في فندق الكونتنتال بل كانت قوات البوليس في انتظارهم؛ فانهالت بالضرب المبرح على الهائفين حيث "باعدت تصرفات النقراشي بينه وبين الشعب مسافات تعد بالفراسخ".

ولم تقتصر أعمال المتظاهرين على الهتافات بل وتعدت إلى إتلاف وشغب، فقد ورد في تقرير إدارة الأمن العام عن حوادث المظاهرات أنه بلغ عدد مركبات الترام التي أحرقت في أحياء العاصمة تسع عربات، واعتدى المتظاهرون على شركة إفريقيا وصيدلية بشارع قصر العيني، وأشعلت النار في إحدى الشركات بدائرة عابدين، وحاول المتظاهرون أكثر من مرة اقتحام السفارتين الأمريكية والإنجليزية؛ ولكن قوات البوليس المرابطة استطاعت صدهم، واعتدى المتظاهرون على الجامعة الأمريكية بالحجارة فقابلهم رجال البوليس بالضرب والعصى واستطاعوا أن يشعلوا النيران في عربتين بشارع قصر العيني أمام الجامعة الأمريكية، كما ألقى بعضهم الحجارة على مدرسة الليسيه الفرنسية، وصرح مرتضى المراغى مدير عام الأمن العام "بأن أعمال البطولة ليست في حرق مركبات الترام ولا في مهاجمة وجهات المحال التجارية أو الاعتداء على المواطنين مما أثار الشغب، وقد ألقى القبض على عدد كبير منهم ولم تسمح الحكومة بأن تستمر هذه الحالة التي تضر بقضية البلاد وفلسطين أبلغ الضرر"^(١).

ونتيجة لرد فعل الشعب المصرى إزاء قرار التقسيم، اجتمع الأستاذان رينيه ويوسف قطاوى بك، وهما من كبار رجال الطائفة اليهودية في مصر، مع النقراشي

(١) الكتلة - ٦ ديسمبر ١٩٤٧.

باشا وأكدا له عدم صحة ما نشر حول جمع مبلغ قدر بنحو عشرة ملايين من الجنيهاً من يهود مصر وأرسل إلى الإرهابيين في فلسطين ليستعينوا به في تشريد العرب وتقتيلهم، فقال أحدهما: وكيف تم إخراج مثل هذا المبلغ من مصر في مثل هذه الظروف؟^(١).

وعلى أثر أعمال المتظاهرين أصدرت الحكومة المصرية بلاغاً رسمياً جاء فيه: "أعربت الأمة في وضوح عن استنكارها لقرار هيئة الأمم المتحدة بشأن تقسيم فلسطين وعن تصميمها على إحباط هذا الإجراء الظالم المجحف بحقوق العرب؛ ولكن بعض عناصر انتهزت هذه الظروف وارتكبت أموراً تتطوى على الإخلال بالأمن العام رغماً عن الاحتياطات الدقيقة التي اتخذت لتفادي وقوعها فمن أجل ذلك تقرر منع المظاهرات وصدرت التعليمات لرجال البوليس بتنفيذ هذا المنع، ووزارة الداخلية ترحو أبناء الوطن أن يعاونوا البوليس على تأدية واجبه في هذا السبيل وذلك باتباع تعليماته واحترام القوانين والمحافظة على الأمن العام حرصاً على المصلحة العليا للبلاد"^(٢)، وتنفيذاً لما جاء في البلاغ تقرر منع المظاهرات إلا تحت إشراف الحكومة على أن تكون سلمية، وصرح وزير الداخلية بأن الحكومة قررت منع المظاهرات أيا كان نوعها بسبب تحولها إلى حوادث شغب واعتداء مما يسئ إلى قضية فلسطين والبلاد، على أن يكون الإعراب عن الشعور نحو قضية فلسطين بطريقة سلمية، لذلك تقرر أن يكون الاجتماع الذي دعت إلى عقده بعض الهيئات في الجامع الأزهر مقتصرًا على المؤتمرين في داخل الجامع ويمنع أي تظاهر خارج الأزهر.

والمفهوم أن هذا البلاغ جاء نتيجة لزيارة وزير الخارجية البريطاني إلى وزارة الداخلية ومقابلة محمود فهمي النقراشي باشا وأبلغه أن بعض الدول احتجت

(١) الكتلة - ٤ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٣ ديسمبر ١٩٤٧.

على ما جرى من مظاهرات الاحتجاج ضد تقسيم فلسطين^(١)، خصوصًا بعد أن عقد اجتماع في معسكر الإسماعيلية بفايد برئاسة اللفتنانت كولونيل آلبرت الرئيس العام لإدارة المباحث الخصوصية "S. I. B" وبعث بخطاب سرى إلى مساعد الميجور "أروسمت" في مقر عمله بمدينة بورسعيد، وطلب مقابلته بغرض تأمين الرعايا الإنجليز المقيمين في المدن المصرية، وذهب إلى مخزن الذخيرة الواقع في جهة "قنارة" ليتسلم عددًا من المسدسات وضعت في سيارة نقل بريطانية التي كانت تتردد تقريبًا بين الإسماعيلية والقاهرة^(٢)، أما موقف الولايات المتحدة إزاء المظاهرات ومحاولات المتظاهرين الاعتداء على السفارة الأمريكية والجامعة الأمريكية، فقررت وزارة الخارجية الأمريكية وقف إرسال الأسلحة والذخائر إلى منطقة الشرق الأوسط بسبب نشوب الاضطرابات إزاء صدور قرار التقسيم ومصر ضمن هذه البلاد، ولا يشمل قرار الحظر منع إرسال الأسلحة التي تصنعها المصانع الخاصة في الولايات المتحدة فحسب بل ويشمل جميع الأسلحة والذخائر الموجودة في الخارج بما فيها المهمات الفائضة التي توجد في المستودعات الأمريكية فيما وراء البحار وفقًا لقانون الإعارة والتأجير، وصدر قرار الحظر هذا بعد البيان الذي أصدرته وزارة الخارجية الأمريكية إلى مندوبي الولايات المتحدة وقناصلها في دول الشرق الأوسط، وقد تلقوا تعليمات بحماية أرواح الأمريكيين وممتلكاتهم ضد كل اعتداء محتمل، وجاء في بيان وزارة الخارجية: "إن حظر الأسلحة والذخائر إلى منطقة الاضطراب يرجع إلى الاضطرابات الحالية وشمل هذا القرار مصر ولبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية وشرق الأردن والعراق وفلسطين وهي الدول التي اجتاحتها موجة من الاضطرابات والتي وقعت فيها بعض الحوادث المضادة للأمريكيين إثر الموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة من

(١) للكتلة - ٥ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) الكشكول الجديد - ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧.

قرار تقسيم فلسطين^(١) وإثر قرار الحظر الأمريكى، صرح النفراسى "إننى أنصح الشبان بأن ينصرف إلى دور العلم، فلا فائدة مطلقاً فى اضطرابات لا تعود على البلاد وعلى فلسطين إلا بالضرر"^(٢)، وقرر احتواء الموقف وتهدئة رأى العام المصرى بعقد مظاهرات ولكن سلمية وتتولى الأزهر قيادة اجتماع المؤتمرين فى جامعة الأزهر وتحت سيطرة الحكومة المصرية وباعتماد "هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين" الشعبية كهيئة رسمية تتولى مهمة جمع التبرعات وتنظيم التطوع لأنفراد بعض الهيئات الشعبية خصوصاً الإخوان المسلمين ومصر الفتاة بتأييد الكفاح المسلح ضد الصهيونية.

وكان الإخوان المسلمون أول من أذاعوا أنباء عن المتطوعين الذين بلغ عددهم، كما قال المرشد العام، عشرة آلاف شاب ككتيبة أولى لإنقاذ فلسطين، ثم أخذت تنهال عليهم البرقيات للتطوع فى كتائبهم إلى جانب جمع التبرعات من أجل إنقاذ فلسطين وتحريرها^(٣).

هذا إلى جانب جهود "أحمد حسين" رئيس حزب مصر الفتاة، عقب إصدار قرار اجتماع القاهرة فى ديسمبر عام ١٩٤٧ بإقرار التطوع تحت إشراف اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، حيث اتجه "أحمد حسين" إلى سوريا لمقابلة الرئيس "شكرى القوتلى" رئيس جمهورية سوريا بمعسكر قطنا، مرتدياً زى المتطوعين العسكرى وطلب عمل التسهيلات اللازمة للكتيبة المصرية التى تحمل اسم الشهيد "مصطفى الوكيل"، ويبدو أن الكتيبة التابعة لحزب مصر الفتاة التى أشرف عليها الأستاذ "محمد حلمى الغندور" المراقب العام لحزب مصر الفتاة، قد واجهت عقبات وهذا ما صرح به "أحمد حسين": "لا بد أن نشير هنا إلى أن القنصلية السورية قد امتنعت عن إعطاء استمارات للمتطوعين، فنحن مع دهشتنا

(١) البلاغ ٦ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) مصر - ٣ ديسمبر ١٩٤٧.

(٣) د. عائدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية . ص ١٦١.

نرجو ان يكون المنع مؤقتاً وأن يكون القصد به الصالح العام وأن تقوم الحكومة المصرية بتقديم التسهيلات اللازمة لإخواننا من الشباب المصري حتى لا يحرّموا من شرف الجهاد إلى جانب إخوانهم العرب^(١).

لا شك أن ما حدث من حالات إتلاف وشغب أو عدوان، أمر يدعو إلى الأسف والاستنكار ولا سيما أن المحال التي نالها بعض التلّف محال يملكها مصريون أو عرب أو يونانيون، أو يهود، ولا شك أيضاً من واجب الحكومة أن تحول دون وقوع الشغب، وأن تضرب بشدّة على أيدي المشاغبين العابثين؛ لكن هذا شيء ومنع الشعب من إظهار شعوره إزاء نكبة فلسطين شيء آخر، خصوصاً أن هذا المنع جاء تحت ضغط قوى خارجية أجنبية - الولايات المتحدة - بريطانيا، بينما تعم موجة الحماس جميع البلاد العربية وتستحثّ همة كبار المسؤولين، ويعدّهم عزام بفتح مكاتب التطوع وإعطائهم سلاحاً، وعن أسباب ذلك الشغب ذكر عزام باشا: "أن الحكومة المصرية الوحيدة بين الحكومات العربية التي لم تفتح مكاتب التطوع والتجنيد من أجل إعداد جيش التحرير العربي"^(٢).

واعتمد رئيس الوزراء "النقراشي باشا" هيئة وادي النيل العليا لإنقاذ فلسطين "هيئة رسمية" تتألف من محمد علي علوبة باشا، والشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية، مقصود حلمي باشا، الأرشمنديت ملايتوس سويتى، إسماعيل الأزهرى، محمد توفيق خليل ومحمد أسعد سلهب، مهمتها جمع التبرعات لإنقاذ فلسطين وجمع الاككتابات ومقرها دار الاتحاد العربى^(٣).

وصرح محمد علي علوبة باشا رئيس هيئة وادي النيل العليا لإنقاذ فلسطين بمناسبة إصدار الهيئة خريطة تفصيلية تتعلق بقرار التقسيم بـ: "يكفى النظر إلى

(١) وزارة الداخلية إدارة المطبوعات - رقابة الصحف الشرقية - النشرة الشرقية رقم ٢١ لسنة ١٩٤٧ - خاصة بأخبار الشرق العربية ٢٩ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) البلاغ - ٦ ديسمبر ١٩٤٧.

(٣) الكتلة - ٢٠ يناير ١٩٤٨.

هذه الخريطة التى أصدرتها اللجنة ليعلم أنه أعطى اليهود منطقة بمثابة سهم فى قلب الأراضى المصرية تصل حتى العقبة وتحيط بهذا الميناء المصرى من جميع الجهات^(١)، ونظمت الهيئة المظاهرة الكبرى السلمية بتحديد ميعادها، ومكان التجمع، وسيرها فى صفوف سلمية منتظمة تتقدمها الأعلام المختلفة فى المظاهرة ولافتات الاحتجاج على تقسيم فلسطين^(٢).

وبعد هذا مؤتمراً تاريخياً حيث حضره رجال الدين المسلمون والمسيحيون وشارك فيه الطلبة والطالبات والفتيات وجمعيات للشبان المسلمين والإخوان المسلمين^(٣).

واشترك عدد كبير من رجال الدين المسيحى بالهتاف للهلال والصليب وبحياة وحدة الأمة، وزار وفد من المسلمين كنيسة العذراء وأوضح ما تتطلبه القضية الفلسطينية من رجال ومال، ورد عليه القمص أرسانيوس الأنبا بيشوى أحد رهبان المدرسة اللاهوتية بعلاقة مصر بفلسطين منذ زمن بعيد.. وبعث طلبة مدرسة الأقباط الكبرى بالقاهرة برقية للمؤتمر جاء فيها: "إن فلسطين للعرب وهى وطنهم وتعلن أشد احتجاجها على قرار التقسيم بالتطوع والدفاع عن هذه الأراضى المقدسة"^(٤).

وأهم قرارات المؤتمر:

١ - استنكار الاعتداء على فلسطين العربية بقرار هيئة الأمم الذى يتعارض مع حقوق العرب الثابتة.

٢ - تكوين هيئة عليا لتنظيم الجماعات والهيئات لإنقاذ فلسطين من محنتها.

(١) البلاغ - ١١ يناير ١٩٤٨.

(٢) مصر - ١١ ديسمبر ١٩٤٧.

(٣) مصر - ٩ ديسمبر ١٩٤٧.

(٤) مصر - ٣٠ ديسمبر ١٩٤٧.

٣ - دعوة شباب مصر على اختلاف طبائعهم للدفاع عن العروبة.

٤ - مطالبة الأمة بإعداد الوسائل للدفاع عن الأمة العربية واستقلالها^(١).

وفيما يختص بالتبرع وضعت هيئة وادى النيل العليا نظاما لجمع التبرع كالآتي:

١ - تقبل التبرعات من الشركات والدوائر وكبار رجال الأعمال والأعوان على أن تكون بشيكات على أى بنك، بحيث يكون الدفع إلى [هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين] ولحسابها ببنك مصر بالقاهرة.

٢ - تقبل التبرعات من الهيئات التى تفضل إرسال تبرعاتها بالبريد وذلك بإرسال حوالات واجبة الدفع إلى (هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين) وتقبل التبرعات كذلك من الأفراد بنفس النظام، بدار الاتحاد العربى مقر الهيئة، وتصدر الهيئة ايصالات إلى كل من يتبرع بمبلغ.

٣ - أعدت الهيئة طائفة من القسائم والطوابع بفئات مختلفة، وأعلنت أنها غير مسؤولة عن أى تبرع لا يقدم فى مقابله على الفور قسيمة أو طابع، وتشتترط دائما أن يكون بيع القسائم والطوابع فى خلال مدة محددة وبمعرفة مندوبين معتمدين من الهيئة ويحملون بطاقات صادرة من الهيئة^(٢).

وقد اتخذت الهيئة هذا الإجراء إثر إصدار لجنة فلسطين تقريرها الذى تم رفعه لمجلس الأمن فى أواخر يناير عام ١٩٤٨، إذ أكدت فيه ضرورة استخدام جيش دولى لتنفيذ قرار التقسيم^(٣).

(١) مصر - ١٠ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٦ ديسمبر ١٩٤٧.

(٣) السياسة - ١ يناير ١٩٤٨.

وفى فبراير ١٩٤٨ تلقت وزارة المالية المصرية كتاباً من الحكومة المصرية جاء فيه: "إن مؤتمر بلودان كان قد قرر أن تصدر البلاد العربية طابعاً للبريد إسهاماً منها فى نصره فلسطين، وأن تقوم مصلحة المساحة بعمل طابع تذكارى من فئة عشرة مليمات تتولى الأمانة العامة دفع نفقات التوزيع لمصلحة البريد"^(١).

لذلك تقرر صنع طوابع بريدية ومالية فى كل دولة من دول الجامعة يرصد ربعها لعرب فلسطين، وتشكيل لجان وجمعيات شعبية للدفاع عن فلسطين فى الأقطار العربية ويتم جمع المال وتسليمه إلى صندوق إعانة فلسطين بالأمانة العامة^(٢).

وعهد إلى هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين تخصيص أسبوع لجمع التبرعات عرف باسم "أسبوع فلسطين" بدأ من أول مارس حتى السابع منه وقامت بإعداد طوابع خاصة^(٣)، ونشرت تنبيهها بعد أن نعى إلى علمها من مصادر مسؤولة أن بعض الأفراد ذوى الأهداف المعادية لقضية العروبة قد قاموا بإعداد طوابع خاصة بأسبوع فلسطين دون أن يتسلموا طوابع باسم "هيئة وادى النيل العليا" لإنقاذ فلسطين، وزود رجال البوليس بتعليمات لتشديد المراقبة على كل من يشتبه فيهم بخيانة الفتبات الصهيونيات خصوصاً أن جميع المتطوعين لأسبوع فلسطين من الشباب والطلبة، وعينت ٥٠ مفتشاً لمراقبة المتطوعين للجمع فى هذا الأسبوع ليتحققوا من شخصياتهم فى الطرق والأماكن العامة، وطالبت الهيئة المتطوعين بالآلا ينادوا بهتافات أو يعتدوا على طائفة معينة، وأكدت الهيئة فى تنبيهها إلى الآتى: "إننا جميعاً أبناء وطن واحد وكلنا أمل فى أن يبادر الشعب إلى تأدية واجبه بالتبرع للهيئة من أجل القضية المقدسة"^(٤).

(١) البلاغ - ١٦ فبراير ١٩٤٨.

(٢) تقرير لجنة التحقيق فى قضية فلسطين - مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٤٩ - ص ٥٥.

(٣) انظر الملحق رقم (٤).

(٤) الإخوان المسلمون - ٣ مارس ١٩٤٨.

وأصدرت الهيئة بياناً على لسان سكرتيرها "مصطفى مؤمن" ترجو فيه:

١ - جميع الوعاظ والخطاب أن يعدوا خطبهم حول موضوع فلسطين لحث الشعب القاهري على التبرع.

٢ - جميع المتطوعين أن يذهبوا إلى المساجد القريبة منهم.

٣ - تحذر مرة أخرى من أنه لا يجوز إعطاء التبرعات إلا لمن يحمل بطاقة الهيئة الخضراء الخاصة بها والممضاة من "محمد على علوبة باشا رئيس الهيئة مع أمين الصندوق أو أمين السر وسكرتير الدعاية".

ويبدو أن هذه الإجراءات المشددة اتخذت لتحول دون قيام أى جهة شعبية أخرى بجمع التبرعات مثل الإخوان أو قيام الصهيونيين بجمع التبرعات بتقليد طابع الهيئة وتهريب التبرعات إلى فلسطين لصالح قضيتهم وشراء السلاح لمحاربة العرب.

وشددوا فى حالة نفاد بطاقات الهيئة لدى جامعى التبرع على أن يستخدموا بطاقاتهم الجامعية على أن يكون ذلك فى الحرم الجامعى والكليات فقط^(١).

وصرح "محمد على علوبة باشا" رئيس هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين بأن عبء الدفاع عن فلسطين ملقى على كواهل الأمم العربية وبنوع خاص الأمم المحيطة بفلسطين؛ لأن الخطر عليها مباشر كما هو على فلسطين نفسها، وقد أسهمت الحكومة المصرية بدفع نسبة ٤٢٪ مما تقرر دفعه فى جامعة الدول العربية بجمع مليون جنيه إسهاماً لإنقاذ فلسطين، ودفعت الحكومة ٤٢٠ ألف جنيه، ثم دفعت المبلغ مرة أخرى عندما تقرر جمع مليون جنيه إسهاماً، وأنشأت الحكومة هذه الهيئة للمساعدة مادياً وأدبياً، كما تسعى إلى إسعاف المصابين، وقد ألغت قافلة طبية برئاسة الدكتور سليمان عزمى باشا، وكبار الأطباء أرسلوا إلى فلسطين، وهى مؤلفة من ٢٥ سيارة محملة بالأدوية والأدوات الطبية وبلغت نفقات تجهيزها ٦٠٠٠٠ جنيه^(٢).

(١) الإخوان المسلمون - ٥ مارس ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ١٨ مارس ١٩٤٨.

- تأمين الحدود الشرقية المصرية في أعقاب صدور قرار التقسيم ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧:

إزاء ما بدا في الجمعية العامة من اتجاه نحو التقسيم، رأت الدول العربية أن تتخذ مواقف أكثر حزمًا إما بقصد التنفيذ وإما على الأقل التأثير في الأمم المتحدة حتى تعيد النظر في خطة إنشاء الدولة اليهودية، خصوصًا بعد أن رفعت اللجنة العسكرية الدائمة برئاسة إسماعيل صفوت - التي اتخذت دمشق مقرًا لها - تقريرها إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ٩ أكتوبر ١٩٤٧، حيث أوضح التقرير الحقائق الآتية:

١ - الموقف السياسي: الممثل في إعلان الحكومة البريطانية عزمها على الانسحاب، وينذرنا بوقوع أحداث خطيرة لا يفيد منها سوى الجانب الصهيوني.

٢ - للصهيونيين منظمة سياسية عظيمة النفوذ هي الوكالة اليهودية التي تعتبر بمثابة حكومة صهيونية وتملك من التنظيمات والتشكيلات ما يمكنها من تأسيس حكومة من خلال مدة قصيرة^(١).

٣ - تصريح بيفن: "لقد عرضت حلولاً مختلفة في الماضي ومنها مشروع التقسيم ولكن جميع هذه الحلول يحتاج تنفيذها إلى استخدام القوة، وأن سياسة ترومان الانتخابية قضت على آماله بالوصول إلى اتفاق مع اليهود في شأن فلسطين"^(٢).

أمام هذه الحقائق فكر العرب في فترة ما بعد انتهاء الانتداب، وقرروا اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين، خصوصًا بعد أن حذر رئيس الوزراء

(١) تقرير لجنة التحقيق للنيابية - التقرير الأول الذي رفعه اللواء الركن إسماعيل صفوت إلى اللجنة السياسية بجامعة الدول العربية - الملحق أ و ج - ص ١٣٢، ١٣٦.
(٢) الكتلة - ٢٨ فبراير ١٩٤٧.

المصرية - النقراشى باشا - من خطورة التورط فى أى مغامرة حربية وفضل تشجيع المتطوعين العرب وإمدادهم بالسلاح، وأعلن: "أن القوات البريطانية مازالت تحتل قواعد فى منطقة القناة ولذلك يتعذر مجابهتها فى فلسطين.. ومصر غير متحمسة لفكرة الحرب وفى الإمكان التظاهر بذلك بحشد الجيوش المصرية على الحدود الفلسطينية"^(١).

وتقدمت إدارة الجيش بطلب لوزارة الدفاع للبدء فى تنفيذ قانون التجنيد الإجبارى بانداب بعض الموظفين المدنيين والعسكريين لإنشاء ثلاثة مراكز تجنيد جديدة^(٢)، ولحاجة الجيش المصرى الماسة إلى تقويته وتعزيزه بالأسلحة الحديثة - على أن هذا كان يحتاج إلى مبالغ طائلة قد لا تتحملها خزانة الدولة - اقترح فرض ضريبة حربية يدفعها كل مصرى ولتكن عشرة قروش عن كل فرد^(٣)، كما قام الفريق إبراهيم عطا الله رئيس أركان الجيش بحملة كشفية بالطائرة على الحدود المصرية^(٤).

وفى ١٥ أكتوبر صدرت التعليمات بتحريك قوة كتيبة من المشاة - ٩ بنادق مشاة مدعمة ببعض الأسلحة الإدارية والمساعدة لمنطقة العريش لتعزيز القوات الموجودة بها أصلاً ووصلت إلى مواقعها فى ٢٦ أكتوبر ووضعت تحت قيادة الأميرالاي أحمد المواوى^(٥).

وبخصوص تلك القوة أرسل السكرتير الأول لحكومة الانداب بالقدس فى أكتوبر عام ١٩٤٧ إلى السفارة البريطانية يستفسر عن المدى الذى تكون فيه مصر مهتمة بمساعدة عرب فلسطين واحتمالات إرسال مصر بالرجال والسلاح، فردت

(١) د. عايذة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٦٠.

(٢) مصر ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧.

(٣) مصر - ١٠ أكتوبر ١٩٤٧.

(٤) مصر - ١٥ أكتوبر ١٩٤٧.

(٥) إبراهيم شكيب: حرب فلسطين - رؤية مصرية - ط ١ - دار الزهراء للسلام العربى - القاهرة ١٩٨٦ - ص ١٥٣.

السفارة في ٢٤ أكتوبر عام ١٩٤٧ على ذلك بقولها "إن قوة صغيرة من ٢٠٠٠ عسكري من الجيش المصري لا تظهر في الحاضر حماساً متميزاً للدعم العسكري الفعلي لعرب فلسطين، وأن الجيش المصري يعاني نقصاً في الأسلحة والمعدات، ومع هذا فإنه ليس مستحيلاً أن السلطات الحربية المصرية إذا دعيّت تستطيع أن تمدّ المقاتلين في فلسطين بألاف قليلة من البنادق.. ويمكن أن يفعل هذا بطريقة سرية أظهرتها التقارير السرية..". وكانت هناك حركة مرور للأسلحة المهربة من الصحراء الغربية من خلال مصر بتواطؤ سلطات مصرية معينة^(١).

ويرجع شك المسؤولين البريطانيين في السلطات الحربية المصرية إلى أنها كانت تأتمر بأمر الملك فاروق الذي يتمسك بأن يكون صاحب السلطة العليا على الجيش، عن طريق إبراهيم عطا الله رئيس الأركان المنفذ لأمره والذي لا يقوم بأى خطوة إلا بعد الرجوع إليه^(٢). من ناحية أخرى، مساندة الملك فاروق للمفتى - أمين الحسيني - الذي يمثل الغالبية في فلسطين.

وعندما تمت مناقشة القضية في لجنة فلسطين الخاصة التابعة للجمعية العامة وضح تماماً ميل معظم الأعضاء نحو التقسيم ما يعنى إيداناً بقيام دولة يهودية على الحدود الشرقية لمصر، وأصدر وزير الحربية والبحرية أحمد عطية إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش أمراً شفويّاً في ١٠ فبراير عام ١٩٤٧ بإرسال القوات الجاهزة للتنظيم إلى العريش للتدريب ووضع الخطط اللازمة لحماية الحدود الشرقية في داخل الحدود ضد أى اعتداء مسلح، وفي ١٤ نوفمبر عقد مؤتمر برئاسة هيئة الأركان وقوات الأسلحة وتقرر إرسال مجموعة ألوية وصدر الأمر الإداري بتحريكها للعريش في أيام ١٨ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٦ من

(١) د. عبد الوهاب بكر: الجيش المصري وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥٢ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٢ - ص ٥٠ - ٥١.

(٢) لطيفة سالم: الملك فاروق وسقوط الملكية ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - ط ١ مكتبة مدبولي القاهرة - ١٩٨٩ - ص ٨٥٢.

نوفمبر^(١)، خصوصًا بعد ما توصلت إليه إدارة المخابرات الحربية المصرية من معلومات عن نشاط اليهود في المستعمرات الجنوبية من فلسطين وما لديهم من كميات هائلة من الذخيرة وأدوات النسف (الديناميت) ومعامل سرية للإنتاج فضلاً عن قواتهم العسكرية المسلحة كانت تقدر بنحو ٢٥٠٠٠ مقاتل على أتم الاستعداد من حيث التسليح والتنظيم الحديث بخلاف عدد كبير جدًا من السيدات والأنسات يقمن بالأعمال الإدارية والكتابية والمخابرات - بخلاف الفدائيين وكل يهودى يحمل سلاحًا ويتدرب على استخدامه، كما كانت لديهم أجهزة لا سلكية ومدرسة لتعليم الطيران بتل أبيب، إلى جانب اهتمامهم بإنشاء المستعمرات وتحصينها، ومد أنابيب المياه بجوار الطرق العامة مثل "غزة - بنر سبع" لتكون من المرافق العامة ولا يتعرض لها العرب.

- لذلك أوصت إدارة المخابرات الحربية بالآتى:

١ - نسف السكة الحديد والمواصلات الخطية واللا سلكية باعتبارها خير طريق لتطهير جميع المنطقة الجنوبية.

٢ - التدريب على أعمال النسف وسد الطرق ومقاومة الطائرات^(٢).

• مرور طائرات صهيونية فوق "معسكر تدريب العريش":

عندما بادر مجلس الأمن بتشكيل لجنة خماسية من الدول الصغرى التى وافقت على التقسيم لمتابعة تنفيذ المشروع والتى تشكلت من: بوليفيا والدنمارك وبنما والفلبين وتشيكوسلوفاكيا، واختيرت الأخيرة لرئاسة اللجنة^(٣).

(١) محفظة رقم (١٣) - ج ٥ - مذكرة عن الحملة المصرية فى فلسطين.

(٢) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم المعلومات - مذكرة عن عقد اجتماع يوم ٣١ أكتوبر ١٩٤٧ بالعريش بمنزل محافظ سيناء وبعض الضباط والقائمين بالحركة العربية بجنوب فلسطين.

(٣) صلاح العقاد قضية فلسطين - المرحلة الحرجة ١٩٤٥ - ١٩٥٦، ص ٥٢.

وفى ذلك الشأن يذكر الطيار أول محمد حسين فى تقريره إلى قائد أسراب محمد صلاح الدين مهيب - مدير إدارة المخابرات الجوية - فى ٦ يناير عام ١٩٤٨: "إن الحوادث الجارية فى فلسطين قد ساعدت فى جعل فكرة التقسيم حقيقة واقعة يلمس وجودها كل متتبع للحوادث الحربية الجارية.. فكل من العرب واليهود يهاجم بعضهم بعضاً ثم يعود كل منهم لمراكز تجمعهم سواء فى المناطق العربية أو الصهيونية، ما جعل فلسطين مقسمة إلى مناطق بعضها تابع للعرب والبعض الآخر للصهيونيين، وهذا التقسيم الفعلى يطابق التقسيم الذى وضعته هيئة الأمم المتحدة إذا ما روجع على الخريطة، لذلك من المحتمل جداً عندما تلمس اللجنة المزمع إرسالها هذا الوضع الفعلى أن تبين للعالم أجمع أن التقسيم قد تم فعلاً وأصبح حقيقة واقعة، وأن هناك أرضاً يحتلها العرب ويدافعون عنها وأرضاً أخرى يحتلها ويدافع عنها الصهيونيون"^(١)، ومع إعلان بريطانيا فى ١١ ديسمبر عام ١٩٤٧ موعد انتهاء انتدابها فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ وموعد الجلاء لآخر فرقة من قواتها فى أغسطس ١٩٤٨ وصرح "الأدون ناتان" رئيس جريدة "هابوكر" اليهودية فى جموع حاشدة من اليهود فى تل أبيب: "إننا لن ننزل عن حقوقنا فى أرض إسرائيل كلها من وادى النيل إلى الفرات ولكننا نقبل الآن تقسيم فلسطين ولن نحارب حتى نكمل استعدادنا ونأخذ كل أهبتنا" وما نشرته جريدة "هامشكيف" لسان حال الإصلاحيين المتطرفين وهم ثمانية عشر فى المئة من يهود فلسطين رفضهم الاشتراك فى الحكم مع الوكالة اليهودية أو فى الانتخابات؛ لأن معنى اشتراكهم هو قبولهم مبدأ التقسيم وهو مبدأ يعارض تطلعاتهم الصريح بقيام دولة يهودية فى فلسطين كلها"^(٢).

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ س ج / ملف أ - تقرير عن زيارة الطيار أول محمد حسين لمنطقة القنال والعريش من ٣١ ديسمبر ١٩٤٧ إلى ٥ يناير ١٩٤٨ - إلى قائد أسراب محمد صلاح الدين مهيب مدير إدارة المخابرات الجوية.
(٢) الكتلة - ٤ ديسمبر ١٩٤٧.

ما يعنى ذلك أن التقسيم هو بداية حدود دولتهم المزيفة، لذلك كانت الصهيونية الشغل الشاغل لجميع الزعماء العرب؛ لأنها تهدد الشرق الأوسط بأكمله إذا ما تركزت واستقرت فى فلسطين، وتقاطر رؤساء الحكومات العربية إلى القاهرة فى الفترة من ٨ - ١٧ ديسمبر عام ١٩٤٧ لأخذ الاستعدادات لتنفيذ قرار جامعة الدول العربية الخاص بحشد جميع الجيوش العربية على حدودها مع فلسطين إذا ما حاولت جيوش أجنبية دخول فلسطين لتنفيذ قرار التقسيم^(١).

ومصر كدولة عربية ترى أن قيام دولة صهيونية أمر خطير للغاية يهدد الشرق الأوسط والأدنى معاً؛ لأن قيام هذه الدولة التى تشرف على البحر الأبيض المتوسط وتعتمد على أموال طائلة وأعوان من الدول الكبرى وفى مقدمتها أمريكا سيجعلها تزدهر بسرعة وتنمو معها الأطماع الاستعمارية لما لها من قوة عسكرية لا يستهان بها، كما أن وفرة المال لديها - خصوصاً أن أصحاب شركات البترول الأمريكية يهود - سيجعلها تعمل على شراء الأراضي فى شبه جزيرة سيناء من ملاكها^(٢).

ومع وجود القوات المصرية على الحدود المصرية - الفلسطينية نشط اليهود فى تحويل قرار التقسيم من مجرد خبر على ورق إلى حقيقة واقعة لرفض مصر وجود مستعمرات على حدودها وإعطاء النقب لليهود، وذلك على الرغم من انسحاب اليهود من مستعمراتهم اليهودية المقامة بين الحدود الفلسطينية والمصرية قبل صدور قرار التقسيم، بناء على نصيحة القائد البريطانى قائد لواء غزة - بنر سبع بإخلاء المستعمرات لتعدد هجمات البدو عليهم وقطع أنابيب المياه وصعوبة التصدى لهم، إلا أنهم عاودوا تعزيز مستعمراتهم بعد وصول قوات الجيش المصرى إلى العريش^(٣).

(١) مصر - ٩ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) مصر - ١٢ ديسمبر ١٩٤٧.

(٣) محافظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / س ج/ ملف أ - تقرير عن زيارة الطيار أول محمد حسين خيرى لمنطقة القنال والعريش من ٣١ ديسمبر ١٩٤٧ إلى ٥ يناير ١٩٤٨ - إلى قائد السراي صلاح الدين مهيوب مدير إدارة المخابرات الجوية.

وأصبح يشغل المستعمرة ٤٠٠ فرد تقريبًا بعد أن كان نحو ٥٠ فردًا، إلى جانب وجود أرض لنزول الطائرات بجوار المستعمرات عرفت باسم مطار النجور على زاوية ١٢٠ درجة من خان يونس ويبعد عنها نحو ٨ أميال^(١).

وفي ٢٠ ديسمبر عام ١٩٤٧ أبلغ مدير سلاح المشاة وقائد معسكر تدريب العريش مدير العمليات الحربية والمخابرات بمرور طائرة فوق منطقة المعسكر ذات محرك، بطيئة السرعة ليس بها أى علامات مميزة وبارتفاع بسيط وحامت حول منطقة المعسكر، وفي ٢١ ديسمبر أبلغوا أيضًا بمرور طائرة كبيرة ذات محرك ودارت مرتين فوق المنطقة إلى جانب كثرة مرور طائرة أو اثنتين بارتفاع بسيط مشكوك فيه، ولما كان المتوقع أن تكون هذه الطائرات تابعة للصهيونيين لمراقبة تطورات الموقف داخل المعسكر من زيادة القوات والأسلحة وأخذ صور فوتوغرافية للانتفاع بها عند الحاجة ومن ناحية أخرى لإضعاف الروح المعنوية بإظهار قوة طائراتهم^(٢).

رفع الأمر إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش في ٢٤ ديسمبر، الذي رفعه بدوره إلى وزير الدفاع في ٢٥ ديسمبر وأمر الأخير بعقد مؤتمر برئاسة المدفعية ومدير العمليات الحربية مع المختصين للنظر في استكمال وسائل الدفاع الجوى والأرضى عن منطقة العريش ومطاراتها^(٣).

واتخذ المؤتمر قرارات عدة بناء على الملاحظات التى أبدتها شعراوى بك مدير السلاح الجوى الملكى فى تقريره عن الإصلاحات الضرورية لمطار العريش والتى تضمنت الآتى:

(١) مصر - ١٢ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم الأمن - مذكرة معلومات من مندوبها بالقنال.

(٣) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - تقرير من رئاسة معسكر التدريب في ٢١ ديسمبر ١٩٤٧ عن مرور طائرات فوق معسكر العريش.

أ - طلب من الأشغال العسكرية إصلاح أبواب ونوافذ معظم الطائرات بمطار العريش، وإرسال ماكينة للإضاءة لعدم وجود إنارة بالكهرباء بالمطار.

ب - حاجة المطار إلى سلك شائك لمنع العربات من الاقتراب منه.

ج - الحراسة الخارجية بمدافع مضادة للطائرات على بعد نصف كيلو متر من المطار.

وقد لوحظ ضعف وسائل الدفاع الجوى والأرضى عن المطار والمتمثلة فى عدم وجود نظام للمراقبة الجوية بشكل يسمح للطائرات بالصعود فى وقت كافٍ للتصدى للطائرات التى تحوم فوق العريش مع عدم وجود غرفة عمليات لتنسيق أعمال الطيران والمدفعية، الموصلات التليفونية ضعيفة، إذ كان يوجد فقط خط واحد بين رئاسة قوات الجيش بالعريش والمطار، وكثيراً ما يتعرض للقطع والرياح والرمال ما يجعله غير صالح للعمل فى فترات كثيرة^(١).

واستقر رأى على إرسال "تروب" من المدفعية الثقيلة المضادة للطائرات و"تروب" من الأنوار الكاشفة علاوة على ثلاث طائرات سببغاير من السلاح الجوى الملكى لسرعة تولى الدفاع عن المطار.

ولضمان وقاية العريش من الغارات الجوية رأى ضرورة إصدار أمر صريح بفتح نيران المدافع على أي طائرة تظهر ليكون ذلك بمثابة الدفاع المحلى الوقتى وحتى تتمكن الطائرات المضادة من الصعود لمطاردة الطائرات المعادية، مع مضاعفة الجهود فى الحصول على جهاز الرادار خصوصاً مع عدم وجوده فى سلاح الطيران أو المدفعية، حيث إن الأجهزة التى كانت موجودة - ذات مدى

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - تقرير عن زيارة الطيار أول محمد حسين خيرى لمنطقة القنال والعريش من ٣١ ديسمبر ١٩٤٧ إلى ٥ يناير ١٩٤٨.

قصير - لا تفى بالغرض، إلى جانب صعوبة إنشاء شبكة نقط للمراقبة إذ يستلزم إنشاء ١٦ نقطة أغلبها فى مناطق وعرة لا يمكن تموينها بسهولة ولا تغطى منطقة العريش من جهة الشمال لوجود البحر، فى حين أنه من المنتظر أن تسلك الطائرات المعادية ذلك الطريق^(١).

ومع تكرار مرور طائرات غير معروفة الجنسية فوق منطقة القوات المصرية بالعريش أصدر وزير الدفاع الأوامر الآتية:

١ - منع الطيران فوق منطقة مركزها مطار العريش ٣٣ درجة و ٥ دقائق شرقاً و ٣١ درجة شمالاً ونصف قطرهما ٢٥ ميلاً وذلك اعتباراً من ٢٨ ديسمبر ١٩٤٧.

٢ - إرسال قوة من السلاح الجوى الملكى إلى العريش بالتعاون مع القوة البرية.

٣ - تدعيم قوة الدفاع ضد الطائرات بالعريش كالاتى:

أ - استكمال البطارية الخفيفة م / ط (عدا تروب) كى تكون بطارية كاملة.

ب - بطارية م / ط ثقيلة.

ج - بطارية أنوار كاشفة.

د - أجهزة الرادار للتعاون مع قوات الدفاع م / ط.

٤ - يصدر قائد قوة العريش للقوة التى ستتوافر لديه لهذا الغرض، الأوامر الكافية بمنع الطيران فوق المنطقة الممنوعة المحدد فى الفقرة (١)^(٢).

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ بخصوص تأمين مصر للحدود الشرقية (العريش) مذكرة مرفوعة لوزير الدفاع بشأن الدفاع المضاد للطائرات عن العريش من رئيس أركان حرب الجيش بالنيابة عثمان المهدي - كوبرى القبة ٢٤ فبراير ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - مؤتمر برئاسة هيئة أركان حرب للنظر فى أوامر وزارة الدفاع الوطنى الصادرة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٤٧.

وبناء على ذلك أرسل قائد جناح السكرتير الفني لشئون الطيران بيان وزير الدفاع لمدير عام مصلحة الطيران المدني مصطفى رياض، الذى يتضمن تعليمات وزير الدفاع لإخطار الطيارين المدنيين وجاء فيه: "إن التمرينات ستبدأ فى العريش ابتداء من وقت صدور هذا البيان للتدريب على إطلاق المدافع المضادة للطائرات وللتدريب على إطلاق نيران الطائرات ويحذر البيان هؤلاء الطيارين من الاقتراب من مطار العريش؛ لأنهم سيكونون معرضين لنيران المدافع والطائرات، العسكرية المصرية"، والمفهوم أن هذه التصريحات جزء من التدابير العسكرية التى اتخذت فى منطقة العريش بعد ظهور طائرات غربية تحوم فوق تلك المنطقة^(١).

كما أصدرت تعليمات بتحريك سرب من وحدات مساعدة؛ حيث تتولى الحراسة ابتداء من ٢٩ ديسمبر، على أن يلاحظ استبدال السرب المكلف بالحراسة مرة كل شهر، إلى جانب ترحيل تروب أنوار كاشفة (عدد ٦ بواعث) من قوات الإسكندرية وتروك ن ٣م / ط متحرك (عدد ٤ بواعث) من قوات القاهرة و ٩ بنادق و ٢ مدافع ماكينة ونقل نحو ألف شيكارة رمل لعمل مواقع المدافع بالعريش وذلك فى ٣١ ديسمبر لتصلها قبل ظهر ٢ يناير عام ١٩٤٨م.

وإلى جانب تلك الترتيبات الدفاعية تم تكليف الطيار أول محمد حسين خيرى من إدارة المخابرات الجوية بزيارة لمنطقة القتال والعريش لاستكشاف أمر طيران طائرات غير معروفة الجنسية فوق منطقة العريش وقد توصل إلى أن هناك فرقاً كبيراً ملموساً بين القوات الصهيونية والقوات العربية فى فلسطين ويستلزم الأمر تدخل الدول العربية بشكل رسمى، ولكن نظراً لصعوبة التنفيذ فى تلك الفترة لوجود القوات البريطانية أوصى بالأمور الآتية:

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - تعليمات من مدير مكتب وزير الدفاع الوطنى إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش والسكرتير الفني لشئون الطيران.

أ - نظراً لاحتتمال وقوع هجوم أرضى أو شن غارات جوية على منطقة العريش فى المستقبل ليس فقط بقوات نظامية ولكن بأعمال تخريبية، يرى من الأوفق عدم تركز القوات المصرية فى هذه المنطقة بالذات حتى تكون لها سرعة الحركة وحرية العمل وصعوبة مهاجمة القوات المصرية فى أى وقت.

ب - توزيع قوات الحدود المصرية وتعزيزها حتى تضطر القوات الصهيونية الموكول إليها حراسة حدود فلسطين، من جهة القطر المصرى، إلى الانتشار وعدم التجمع وزيادة قوتها ما ترتب عليه إضعاف القوة الصهيونية داخل فلسطين نفسها؛ وبذلك يخف الضغط الواقع على قوات المجاهدين فى فلسطين ثم إضعاف قوات حراسة حدود فلسطين من جهة مصر وذلك باضطرارها إلى الانتشار.

ج - العمل على تعزيز القوة الموجودة بالعريش حتى يمكنها من أن تتعاون مع القوات الأرضية على نطاق أوسع وإمكان قيامها بمناورات جوية فى أوقات مختلفة وبذلك يشعر من تسول له نفسه بالتجسس أو الاستكشاف فوق هذه المنطقة بوجود قوة جوية قوية كبيرة تتصدى له إلى جانب تنظيم الدفاع عن الساحل.

د - وجوب الإسراع فى عمل غرفة للعمليات وتنفيذ نظام المراقبة الجوية.

هـ - إرسال ضابط مخابرات من الجيش والطيران إلى منطقة العريش لمراقبة الحالة خصوصاً على الحدود لعدم وجود أى قسم للمخابرات فى هذه المنطقة^(١).

وبالفعل تم ذلك بل كثير ما وقع الطيارون فى أيدي اليهود كأسرى أو تمكنوا من القضاء عليهم، فعلى سبيل المثال عثرت أسراب الطائرات المصرية - التى قامت بالبحث عن الطيار أحمد وصفى جودة الذى انقطعت أخباره - على حطام

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ /س ج / ملف أ - تقرير عن زيارة الطيار أول محمد حسين خيرى لمنطقة القتال فى ٣١ ديسمبر ١٩٤٧ إلى ٥ يناير ١٩٤٨م.

طائرته في قلب الصحراء^(١)، كما امتنعت الهاجانا عن تسليم الطيار المصري محيي الدين سوسة وطائرته في أثناء قيامه بمراقبة تطورات الحالة في المنطقة الجنوبية ويكون بوساطة قنصل بولندا العام في القدس وبعض رجال جمعية الصليب الأحمر وبريطانيا^(٢)، ووصل الطيار إلى عمان في ١٠ مايو ١٩٤٨ وأكد الطيار أن العمل كان يجري في المستعمرات الجنوبية ليلاً ويقف نهاراً ووجود ما يزيد على ٥٠ ماكينة طائرة من مخلفات الجيش البريطاني^(٣).

و - وجوب التشدد في مراقبة الواردين والخارجين إلى القطر المصري خصوصاً في منطقة الإسماعيلية ومدينة السويس، حيث علم بكثرة تسلل الأفراد الصهيونيين عن طريق المدينة الأخيرة.

ويتضح من تلك التوصيات أن الأمر يتطلب سياسة دفاعية من قبل مصر نظراً لقوة القوات الصهيونية وتنظيمها وتسليحها، وضعف وعجز عرب فلسطين عن حماية أنفسهم ما يوجب على مصر أن تتخذ بنفسها سياستها الدفاعية دون الاعتماد عليهم خصوصاً بعد أن ضبط أعراب يتجسسون لصالح الحكومة البريطانية والصهيونيين، إلى جانب الحماية التي تكفلها لهم القيادة البريطانية بحماية قوافلهم ما يزيد من قوتهم وتعزيز مستعمراتهم والإمدادات التي تصلهم من الخارج من الولايات المتحدة الأمريكية سواء مادياً بتوزيع طابع قيمته ٥ سنت لمساعدة الصهيونيين بفلسطين وحرباً حيث كان يصل إلى حيفا نحو ثلاث أو أربع مراكب أسبوعياً تحمل ذخيرة وأسلحة ومهمات^(٤).

وبناء على توصيات الطيار أول محمد خيرى، عقد مؤتمر بوزارة الدفاع للنظر في مطالب معسكر تدريب العريش برئاسة أمين منصور رئيس هيئة أركان حرب بالنيابة في ٨ يناير عام ١٩٤٨، ولم ير المؤتمر إمكان زيادة القوات

(١) مصر - ٥ ديسمبر ١٩٤٧م.

(٢) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

(٣) محفظة رقم (٢٥٨) - مقابلة خشبة باشا لمستشار السفارة البريطانية في ٢٥ إبريل ١٩٤٨.

(٤) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ إدارة المخابرات الحربية قسم الأمن مذكرة معلومات وردت من مندوبها بالقتال.

الموجودة بالعريش لظروف الطوارئ والأمن الداخلي، وإنما رأى تعديلها التعديل الذي يتناسب مع مطالب التدريب من ذلك إمدادها بجماعة ومخابرات، وتغيير جميع أسلحة المشاة المحتاجة للإصلاح بغيرها من المخازن^(١).

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٦ / س ج / ١٢ - قرارات المؤتمر المنعقد بوزارة الدفاع للنظر في مطالب معسكر التدريب العريش ١ يناير ١٩٤٨ برئاسة اللواء أمين منصور رئيس هيئة أركان حرب بالنيابة.

الفصل الثانى

موقف الحكومة المصرية إزاء النشاط الصهيونى فى الداخل

- ١ - جمع التبرعات لحركة تحرير الوطن القومى اليهودى.
- ٢ - التجسس وانتشار المحطات السرية اللا سلكية.
- ٣ - دخول عناصر خطرة بغرض التخريب.
- ٤ - تهريب اليهود للأسلحة من القطر المصرى إلى فلسطين.
- ٥ - محاربة النشاط الشيوعى وعلاقته بالصهيونية.
- ٦ - استلام خط سكة حديد مصر - فلسطين.

١ - جمع التبرعات لحركة تحرير الوطن القومي اليهودي:

بصدور قرار هيئة الأمم المتحدة تقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ أدرك صهيونيون فلسطين أن هذا القرار سوف يقابل في بلاد الشرق بعاصفة من المقاومة إلى جانب الجهود التي ستبذل لعدم تنفيذه، فأرسلوا إلى الوكالة اليهودية للقيام بالعمل اللازم من أجل الوطن الصهيوني وأرض الميعاد المرتقبة فكانت مصر في مقدمة البلاد التي حرصوا على أن يغمروها بالدعاية لصالح قضيتهم^(١).

وقد ثبت أن النشاط الصهيوني في مصر كان أقوى نشاطاً معروفاً في البلاد العربية واتضح ذلك من نتائج تقارير الهيئات المختلفة الآتية:

أولاً: في ديسمبر عام ١٩٤٧ قدم تقرير من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عن نشاط صهيوني واسع النطاق له أعوان من شخصيات مصرية كبيرة وغير مصرية.

ثانياً: في فبراير عام ١٩٤٨ قدمت تقارير عدة من البوليس السياسي العربى عن بعض كبار التجار في مصر ومدى نشاطهم من أجل الدولة اليهودية.

ثالثاً: ضبطت منشورات عدة مذبلة بأسماء بعض يهود مصر، والهدف منها الحث على جمع الأموال لمساعدة يهود فلسطين، كما أنشئت جمعيات عدة للقيام بهذا العمل دون أخذ تصريح من وزارة الشؤون الاجتماعية وقد بلغت المبالغ التي جمعت وأرسلت نحو ثلاثة ملايين جنيه كدفعة أولى منذ صدور قرار التقسيم^(٢).

وثبتت للسلطات المصرية المختصة أن هناك نحو ستة ملايين من الجنيهاات ترسل سنوياً إلى اليهود الصهيونيين لتثبيت دعائم المملكة الصهيونية للمساعدة في

(١) الكتلة - ٢٦ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) البلاغ ١٠ يناير ١٩٤٨.

القضاء على حقوق العرب في بلادهم، حيث تكونت جمعية بالإسكندرية لمساعدة الصهيونية تحت اسم "جمعية تحرير ومساعدة اليهود المنكوبين" واتخذت لنفسها محلاً بشارع توفيق؛ بغير أن تخطر وزارة الشؤون الاجتماعية بهذه الجمعية الخيرية مثلها مثل الجمعيات الأخرى، ثم أخذت في جمع الأموال لمساعدة الصهيونية وما كانت لتستطيع أن تعلن صراحة أنها تكونت لمساعدة اليهود المشردين، وصدر منشور التبرع^(٥) مكتوب باللغة الفرنسية ومصدر بهذا النداء: "نحن نحتفل في حياتنا، ونحن أحرار في منازلنا فلنفكر في إخواننا الأقل حظاً الذين نهبت معابدهم وهدمت منازلهم - أكثر من ٣ ملايين يهودي ماتوا في أوروبا النازية ونحن ما الذي ضحينا به لمساعدتهم.. لا تنسوا أننا وأطفالنا كنا في نفس المصير، فلنفكر في ملايين اليهود الذين كانوا في معسكرات الاعتقال يتألمون من الجوع والبرد والمرض والتعذيب والمعرضين للموت إذا لم ننقذهم.. في هذه الأيام الرهينة التي يعيشها هؤلاء استطاعوا مؤقتاً أن ينزعوا من هيئة الأمم المتحدة اعترافاً بحقوقهم في جزء من فلسطين في حماية الإنجليز وبأموال العرب"^(١).

وضبطت منشورات عدة مذيلة بأسماء بعض يهود مصر وفيها الحث على جمع الأموال من أجل مساعدة يهود فلسطين، وعندما علم رجال البوليس السياسى أن بعض الفتيات الصهيونيات في القاهرة اعتدن الطواف بالمناجر الإسرائيلية وجمع الإعانات المالية لحركة تحرير الوطن القومى وأرض الميعاد اليهودية في فلسطين للإنفاق منها على جيش الخلاص وشراء الأسلحة لجبهة التحرير وأرسلت إلى فلسطين، قام رجال البوليس بحملة تفتيشية لعدد من المنازل والفنادق المفروشة للبحث عن الشبان والفتيات الصهاينة الذين يقومون بمهمة جمع الإعانات المالية^(٢).

(٥) انظر الملحق رقم (٥) .

(١) البلاغ - ٢١ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ١٠ يناير ١٩٤٨.

والتي تمكنوا من تهريبها عن طريق بعض أفراد من اليهود المقيمين بمنطقة القناة^(١)، فشدد البوليس المراقبة على الواردين والخارجين من القطر المصرى خصوصاً فى منطقة الإسماعيلية ومدينة السويس حيث يكثر تسلل أفراد صهيونيين عن طريق المدينة الأخيرة^(٢).

وأذاعت مديرية إدارة الجمعيات الخيرية بياناً تضمن قانون الجمعيات الخيرية بتحريم جمع التبرعات دون ترخيص وأبلغت جميع الهيئات به، وقابل "حاييم ناحوم" حاخام الطائفة الإسرائيلية فى مصر وزير الشؤون الاجتماعية وتحدث إليه فى هذا الأمر^(٣)، مؤكداً أنهم مصريون ولا فرق بين مسلم ومسيحى ويهودى، وأكد على رباط الجنسية المصرية إلى جانب ما تعانيه مصر من أزمة اقتصادية فكيف يمكن إخراج مثل هذا المبلغ^(٤).

إلى جانب إجراءات أخرى اتبعتها الحكومة، فأصدرت قانون الشركات الذى أشارت إليه جريدة "الصادرات البريطانية" بأن الهدف منه أن تكون نسبة العمال المصريين فى هذه الشركات ٩٠%، على أن هذه النسبة لا تثير صعوبات؛ لأن كثيراً من المصريين سيختارون من اليهود والأرمن الذين اكتسبوا الجنسية من بعد الحرب العالمية الأولى والذين أثبتوا كفاءتهم فى هذه الأعمال^(٥).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - تقرير عن زيارة الطيار أول محمد أفندى حسين لمنطقة القناة والعريش من ٣١ ديسمبر إلى ٥ يناير ١٩٤٨ - إلى قائد أسراب محمد صلاح الدين مهيب مدير إدارة المخابرات الجوية تحريراً فى ٦ يناير ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ٢١ إبريل ١٩٤٨.

(٣) الكتلة - ٨ ديسمبر ١٩٤٧.

(٤) الكتلة - ١ نوفمبر ١٩٤٧.

(٥) د. نبيل عبد الحميد أحمد: اليهود فى مصر بين قيام إسرائيل والعدوان الثلاثى ١٩٤٨ -

١٩٥٦ - مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة -

١٩٩١ - ص ٧٧ - ٨٠.

وحدد القانون نسبة الموظفين المصريين ٧٥% والعمال المصريين ٩٠%، و٥١% لرأس المال المصري، نظرًا إلى ما يتمتع به الأجانب بفرصة الربح مستغلين صفة الحماية القانونية والامتيازات الأجنبية من فرص ومغانم واستثناءات جعلتهم يثرون ثراء فاحشاً على حساب مصر والمصريين، لذلك رأى أن الجنسية المصرية لا بد من أن يعود عليها مقدار من العائد المادي والأدبي والسياسي بالقياس للجنسيات الأجنبية ما كان سبباً للمطالبة بالتمصير^(١)، خصوصاً أن تلك الامتيازات جعلت للأجانب في مصر دولة داخل دولة، ولما كان اليهود يتمتعون بالجنسية الأجنبية كانوا من هؤلاء المستفيدين من الامتيازات الأجنبية، ثم تغيرت الأوضاع بعد تصاعد حركة التمصير بإلغاء الامتيازات الأجنبية في مونثرو سنة ١٩٣٧ وبلغ تطوره بقانون الشركات سنة ١٩٤٧ ومذاه بإلغاء المحاكم المختلطة وجميع الامتيازات الأخرى سنة ١٩٤٩.

وإثر تطور الأوضاع وتفاقمها بين العرب واليهود في فلسطين، أقدم اليهود على تقديم طلبات التجنس بالجنسية المصرية، ونشرت رئاسة الطائفة إعلاناً في ٩ يناير عام ١٩٤٨ جاء فيه: توجه أنظار أبناء الطائفة بصفة خاصة إلى الضرورة القصوى والملحة في تسوية حالاتهم فيما يتعلق بالجنسية^(٢)، خصوصاً بعد أن أصدرت الحكومة القانون لتجعل نسبة الأجانب في الشركات ٢٥% لإخراج اليهود وحرمانهم من الوظائف وتحول بينهم وبين التجنس بالجنسية المصرية، فتجعل بذلك خروجهم من مصر وعودتهم إليها متعزراً، كما أصدرت قوانين تضطرمهم إلى اتخاذ شركاء من المصريين لتذليل هذه المصاعب، وفرضت اللغة العربية على جميع الشركات في معاملاتها ما يحده من نشاط اليهود، ما دفع الوكالة اليهودية إلى القيام بدعاية معادية ضد مصر بما يعانيه اليهود في مصر من قهر

(١) مجلس الشيوخ - الجلسة السادسة - ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧ - ص ١٩.

(٢) د. نبيل عبد الحميد: اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعنوان الثلاثي ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ص ٧٧، ٨٠.

لدى لجنة التحقيق الدولية حول موقف مصر من اليهود جاء فيها: "جعلت مصر الغالبية الساحقة من المصريين لهم السيادة على جميع الأعمال، فأصبحت حياة اليهود صعبة وأعمالهم عرضة للمزاحمة، وزاد تأسيس جامعة الدول العربية حياتهم مرارة لإقرار نظام المقاطعة الاقتصادية. ويزداد شعور العداء لليهود في مصر بتحريض جماعة الإخوان وحزب مصر الفتاة الفاشي"^(١).

كما قامت قنصلينا مصر بحيفا والقدس بعدم منح جوازات سفر لليهود إلى مصر^(٢)، وصدر قانون ينظم موضوع إقامة الأجانب في مصر ويلزم كل أجنبي بواجباته والتزاماته في حله وترحاله^(٣).

٢ - التجسس وانتشار المحطات السرية اللاسلكية:

رأت الوكالة اليهودية ضرورة تنظيم الاتصالات في أنحاء القطر المصري بمعاونة بعض اليهود للتعرف على بعض الضباط للحصول على بيانات ومعلومات عن نشاط القوات المسلحة المصرية لتزويد الوكالة اليهودية بها وكان ومن ذلك نشاط سيدة صهيونية تدعى مسز هارمر وسعيها للتعرف على الضباط لمعرفة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١ - نظام القوات العسكرية المصرية ونوعها وتوزيعها وعددها.

٢ - هل ممكن زيادة هذه القوات ومن أى الطبقات؟

٣ - هل يوجد إقبال على التدريب ونوع التسليح؟

(١) الكتلة - ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم (٥) - منكرة إلى وزير الدفاع من البكباشي محمد نوح من إدارة المخابرات الحربية - واليوزباشي عصام حلمي المصري قائد قوة الحراسة بقنصليتي القدس وحيفا في ٢٣ فبراير ١٩٤٨.

(٣) الكشكول الجديد - ٣ نوفمبر ١٩٤٧.

٤ - أحوال الجنود من مختلف الوجوه، وأحوال الضباط ومدى تأثرهم بالحالة الراهنة.

٥ - هل توجد استحكامات وطرق دفاع قريبة من الحدود أو داخل البلاد؟

٦ - صلاحية المواصلات وطرق استغلالها وقدرتها على النقل واستيعاب حاجيات الجنود.

٧ - السعى للحصول على الخرائط والإحصاءات

٨ - هل يوجد بالجيش المصرى:

أ - قسم سرى ب - قسم لمقاومة التجسس.

٩ - هل توجد صلات بين المخابرات الحربية والجهات الحكومية مثل البوليس - قلم المطبوعات - إدارة الموانى - مراقبة الفنادق؟

١٠ - الهيئات التى يشك فى أن لها نشاطاً عسكرياً واسم الهيئة والغرض الأساسى من تكوينها ومدى ما تستطيعه من مناصرة القضية العربية بفلسطين وماهى الدوافع التى تحرك القائمين بالأمر فيها لهذا الغرض، ومدى قدرتها على تنفيذ ما يطلبه منها سواء كان بالمال أو الرجال.

وقد تمكن البوليس المصرى من التوصل إلى شخصين يهوديين بمنطقة القنال لهما اتصال بالجمارك والبوليس ويستغلان ذلك فى خدمة الحركة الصهيونية وهما مودموزيل "راشيل حايم" ومسبو "فليب بنيامين"^(١)، وإلى جانب تنظيم الوكالة اليهودية للاتصالات فى أنحاء القطر المصرى بمعاونة بعض اليهود، وضعت وسيلة أخرى للاتصال من خلال وجود محطة للإذاعة اللاسلكية الصهيونية، وقد علقت إدارة المخابرات الحربية المصرية على ذلك بقولها: "ويدل هذا على مدى استهتار هؤلاء القوم بالسلطات المصرية إلى مدى بعيد".

(١) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية إلى وزارة الدفاع الوطنى - عن نشاط سيدة صهيونية تدعى مسز هارمر.

لذلك عقد اجتماع فى حكمدارية البوليس من كبار ضباط القلم السياسى والقلم المخصص لمكافحة الصهيونية، واتخذوا قرارات عدة على ضوء ما لديهم من معلومات بأن هناك أجهزة عدة تصلح للإرسال سبق أن فقدت من محطة فاروق الجوى (ببنقيلد) وكانت مجهزة بالطائرات الحربية التى تركتها القوات الأمريكية بعد أن باعت المطار بمحتوياته للحكومة المصرية بل أكثر من هذا، علم أنه تمت سرقتها من المطار نفسه ومن مخازن المالية، وهى الوزارة التى تسلمت المطار من القوات الأمريكية وعندها ستة أجهزة على وجه التحديد سرقت من غرفة ضباط المراقبة وكانت تصلح لأن تكون محطات معطلة لإرسال الإذاعة العربية، ولهذه السرقات صلة بما حدث من اعتداء على صفوف العرب بإرسال تلك الإذاعات الخطيرة^(١).

وقد رأيت حكمدارية البوليس أن تجمع المحطات اللاسلكية أو أجزاءها التى اعتاد بعض الباعة بيعها على العربات وغيرها، على اعتبار أنها أشياء من مخلفات الجيش البريطانى، حيث يستعين بها الصهيوونيون وأنصارهم من اليهود فى مصر فى إنشاء محطات لاسلكية ثابتة واستخدامها فى الدعاية، وقد حررت المخلفات لبعض الإسرائيليين ممن ضببطت فى منازلهم محطات لاسلكية كانت تدار سرًا بلا ترخيص أو كانت فى دور التكوين^(٢).

وقد صرح مرتضى المراغى مدير الأمن بوجود محطات صهيونية متتقلة وكان يرى: "أنه كان من الواجب على مصر إصدار قرار بإخراج اليهود الصهيونيين من مصر أسوة بقرار لبنان"^(٣)، لكن هذا الاقتراح يتنافى مع سياسة الحكومة المصرية التى ترى محاربة نشاطهم كمواطنين مصريين وليس كيهود، حتى لا يؤثر ذلك فى القضية الفلسطينية بإقناع رأى العام العالمى بأنهم بالفعل شعب مضطهد مطرود، ما يدفع هيئة الأمم المتحدة إلى اتخاذ قرار لصالحهم بتكوين دولة لهم ويجمع شملهم فيصبحون أكثر خطورة على مصر سياسيًا واقتصاديًا.

(١) الكتلة - ٢٥ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٨ ديسمبر ١٩٤٧.

(٣) البلاغ - ٢٣ ديسمبر ١٩٤٧.

وقد نشط رجال البوليس السياسى إثر إذاعة بعض المحطات السرية الصهيونية دعاية سافرة لأرض الميعاد والوطن الإسرائيلى المرتقب، وبالبحث عن تلك المحطات والقائمين بالعمل عليها، وبمداومة منازل أحياء القاهرة والمعادى ضبطت ثلاث محطات للإرسال تنبغ باللغة العبرية، يتصلون بواسطتها بمحطاتهم السرية الأخرى المقامة فى فلسطين وفى مراكزهم الأخرى فى جميع أنحاء العالم على موجة طولها ٦٤٤٠ كيلو سيكل، التى اعتادت أن تنبغ منها بين الساعتين السابعة والثامنة من المساء فى فترات متخلفة^(١) كذلك استطاعت السلطات المصرية فى ١٧ ديسمبر ١٩٤٧ - أن تلتقط أصواتاً مذاعة من ثلاث محطات أخرى اتخذت أماكنها بالقلعة والهرم ومصر الجديدة.

ورصدت محطات فى الروضة ومنشية البكرى وأخرى فى شبرا والمطرية متنقلة فى عربة^(٢).

كما تمكنت حكمدارية بوليس العاصمة من الوصول إلى وجود بعض المحطات فى سفينة رأسية فى البحر فى مكان من مصر، ومن ثم كان على الحكومة مراقبة الموانئ المصرية والسفن التى تدخلها وما تكون هناك من مطابقة بين مواعيد دخول هذه السفن وذبوع الإذاعات اللا سلكية من واحدة منها^(٣). خصوصاً أن الدفاع عن العريش ضعيف جداً من جهة البحر والساحل مفتوح^(٤).

(١) الكتلة - ٨ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية إلى وزارة الدفاع الوطنى عن "البحث عن المحطة السرية الصهيونية".

(٣) المقطم - ٢٤ ديسمبر ١٩٤٧.

(٤) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / م ج / ملف أ - تقرير عن زيارة الطيار أول محمد أفندى حسين خيرى لمنطقة القنال والمريش من ٣١ ديسمبر ١٩٤٧ - ٥ يناير ١٩٤٨ - إلى قائد صلاح الدين مهيوب مدير إدارة المخابرات الجوية.

وقد تمكن القائمقام محمد يوسف مدير الشئون العربية والصاغ أحمد توفيق شوشة واليوزباشيان عهد حجازى وأحمد البدن ببحثهم مع رجال التليفونات الفنيين عن الآلات اللا سلكية التى تذبغ بين القاهرة وفلسطين^(١)، من ضبط محطة لا سلكية والقبض على عدد من الصهيونيين فى ضاحية الزيتون، وأخرى للإرسال والاستقبال باللغتين العبرية والإنجليزية ويعمل فيها بعض اليهود الأجانب بغرض الدعاية لصالح الصهيونية^(٢).

وفى ١٧ يناير ١٩٤٨ ضبطت محطة لا سلكية سرية، أمكن التقاطها من فيلا مونت كارلو بالمعادي وصاحبها يهودى بعد انتقاله من شارع قصر النيل للتضليل وبها أوراق وملفات مهمة وأجهزة اللا سلكية عدة^(٣) وقد علقت جريدة البلاغ فى عددها الصادر فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ على ذلك بقولها : لهذا النشاط مدلوله فى أن تصبح مصر وكرًا للصهيونية وتابعة للدولة اليهودية و تل أبيب^(٤).

٣ - دخول عناصر خطرة بغرض التخريب:

توصل رجال البوليس السياسى إلى أن الصهيونيين استطاعوا بوسائلهم الخاصة أن يبعثوا بأكثر من ٥٠٠ صهيونى إرهابى إلى مصر وأن ينفذوا من حدودها فى سبيل الدفاع عن قضيتهم، فطلبوا من حكومة فلسطين إرسال معلوماتهم عن هؤلاء فأرسلت إليهم سجلات تحتوى على أسمائهم وصورهم^(٥).

(١) المقطم - ٢٨ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) البلاغ - ٤ ديسمبر ١٩٤٨.

(٣) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ مذكورة من إدارة المخابرات الحربية إلى وزارة الدفاع الوطنى عن البحث عن المحطة السرية الصهيونية.

(٤) البلاغ - ١٥ ديسمبر ١٩٤٧.

(٥) الكتلة - ٢٦ ديسمبر ١٩٤٧.

وما يسهل عملية دخولهم إلى مصر وجود شخصين يهوديين لهما اتصال بالجمارك والحدود والبوليس وهما مودموزيل "راشيل حايم" ومسيو "فليب بنيامين"^(١).

وقد نشرت "ديلى اكسبريس": "أن شبانا من اليهود الإرهابيين يتدربون على قتال الفدائيين فى ساحة تبعد نحو ٦٠ كيلو مترًا من مدينة نيويورك وغادروا مركز التدريب سرًا قاصدين الخارج"، ويدرب الشباب على بث مفرقات وكيفية تعطيلها، على الرغم من أن القانون الأمريكى لا يسمح للسلطات بإنشاء هذا المركز فإنه يتظاهر بأنه نادٍ للتمرينات الرياضية.

لذلك طلبت الحكمدارية من إدارة جوازات السفر بعض البيانات الخاصة بالإسرائيليين الذين قدموا من فلسطين إلى مصر بمقتضى جوازات السفر وعناوين إقاماتهم والمدد المصرحة بالإقامة ونوع الأعمال التى يقومون بها وعدد المستقلين منهم عن العودة إلى فلسطين بعد انتهاء مدد إقاماتهم تمهيدًا لحصر الصهيونيين فى مصر والحد من نشاطهم والقبض عليهم^(٢)، وأصدرت الحكومة المصرية تعليماتها بحيفا والقدس بعدم منح اليهود جوازات السفر إلى مصر^(٣).

كما أصدرت الحكومة قانونًا ينظم موضوع إقامة الأجانب فى مصر ويلزم كل أجنبى بواجباته فى حله وترحاله بما يقتضيه أمن البلاد وسلامتها^(٤).

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - منكرة إلى وزير الدفاع الوطنى من البكباشى محمد نوح من إدارة المخابرات الحربية واليوزباشى عصام حلمى قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا فى ١٩٤٨/٢/٢٣.

(٢) الكتلة - ١٠ يناير ١٩٤٨.

(٣) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - منكرة إلى وزير الدفاع الوطنى من البكباشى محمد نوح من إدارة المخابرات الحربية واليوزباشى عصام حلمى قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا فى ١٩٤٨/٢/٢٣.

(٤) للكشكول الجديد - ٣ نوفمبر ١٩٤٧.

لذلك حرصت الوكالة اليهودية على أن تكون لها اتصالات في أنحاء القطر المصري في حالة حدوث اعتقالات أو خلافه لعمالها عن طريق الاتصال ببعض اليهود الذين تبعد عنهم الشكوك ومن هؤلاء:

١ - المسيو روجر شكور Roger Chakour الموظف بالشركة الإمبراطورية الكيماوية وكان يقطن بالمعادي.

٢ - المسيو فيكتور بيجور Viector Bigor الموظف بجريدة البورصة وكان يقطن بشارع شريف.

٣ - المسيو كامبل لونديل الموظف بشركة الجاز والذي كان يقيم بالمنزل رقم ٥٣ شارع فؤاد الأول.

٤ - المسيو فيكتور جون الموظف ببنك باركليز وكان مقيماً بالمنزل رقم ١٤ شارع عدلى باشا.

٥ - المسيو ماركو ليف المحاسب بمحلات شيكوريل وكان مقيماً بالمنزل رقم ٣ شارع أبو الهول مصر الجديدة.

٦ - المسيو أوجار نوهيا الموظف بشركة الجاز وكان مقيماً بالمنزل رقم ٧٩ شارع شبرا.

هذا فضلاً عن استغلال نشاط اثنين من موظفي شركتي فاكوم وشيل بمنطقة الإسماعيلية في هذا العمل وهما المسيو ألبرت ساردا Albert Sarda والمسيو لوسيان رزد Lucien Risd، وتقابلا مع الرئيس المختص لهذه العملية المسيو جوزيف كوهين الموظف بشركة الكهرباء والتلج الذي كانت مهمته تنظيم تلك الاتصالات^(١).

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية بعنوان "وكالة الأخبار اليهودية" في ٨ يونيو ١٩٤٨ إلى وزارة الدفاع الوطني.

وقد تمكن البوليس السياسى من رصد نشاط اثنين من الصهيونيين كانا يقيمان بمسكن الدكتور فيكتور بوكازا بشارع سليمان باشا، استعدادا للقيام ببعض الجرائم التى كلفتها بها العصابات الصهيونية فى فلسطين، وكانا لا يعرفان اللغة العربية ويتراوح أعمارهما بين ٢٠ و ٢٥ سنة، الأول يدعى ريتشارد والثانى يدعى لسيون، ويحملان أوراقا مزيفة بخاتم القنصلية الإيطالية وأن جميع الأماكن التى كانا يترددان عليها قريبة من أماكن حكومية وشعبية وأهداف عسكرية لها قيمتها^(١).

وصرح المتحدث باسم الوكالة اليهودية بأن الوكالة ابتاعت الفائض لدى الولايات المتحدة من المفرقات والمعدات الأخرى للدفاع عن الشعب اليهودى فى الأرض المقدسة، كما ابتاع ليونارد وايزمان من رجال الأعمال ١٩٩ طناً من المفرقات الفائضة لإرسالها إلى عصابة الهاجانا^(٢)، وكانت تصل ثلاث أو أربع مراكب أسبوعياً تحمل ذخيرة وأسلحة ومهمات إلى يهود فلسطين من أمريكا. وأصدرت الوكالة بياناً تفسر به ذلك بأن العالم العربى سيحارب إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين^(٣).

وفى أعقاب تصريح الوكالة اليهودية وطبقاً لمبدأ أن خير وسيلة للدفاع الهجوم، أُلقيت ثلاث قنابل يدوية على ثلاث محطات للبنزين فى القاهرة، الأولى بشارع عمرو بن العاص بدائرة مصر القديمة، والثانية بدائرة الأزبكية، والثالثة بشارع الملكة نازلى على مقربة من كنيسة بطرس غالى باشا، وقد تمكن رجال البوليس من القبض على فتاة وسائق سيارة مرتكبى تلك الجريمة التى تهدف إلى

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية فى ٢٨ يوليو ١٩٤٨ إلى وزارة الدفاع الوطنى.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية (قسم الأمن) إلى وزارة الدفاع من مندوبها بالقنال ١٠ يناير ١٩٤٨.

(٣) البلاغ - ١١ يناير ١٩٤٨.

الإخلال بالأمن وبث الرعب فى القلوب وما تسببه من خسائر فى الأرواح، وقد علقت حكمدارية البوليس على تلك الحادثة فى بيانها بقولها: "كلها أمور هدفها إشاعة الاضطراب فى مصر لتحول دون النظر إلى فلسطين"^(١).

كما تلقت حكمدارية بوليس العاصمة بلاغاً من بوليس عابدين جاء فيه أن الجندى محمد إبراهيم كساب من قوة حرس الوزراء والمعين لحراسة دار وزير الشرق الأوسط البريطانى، شاهد سيارة تحوم حول الدار أربع مرات، فاشتبه فى أمر ركبائها وتمكن من القبض عليهم وكان عددهم خمسة شباب من الصهيونيين هم إيلى صلاح وليون ستالون وزكى يوسف وماتيو دورى وعزيز سليمان^(٢).

وتم تبليغ ذلك للمسؤولين البريطانيين لعمل الاحتياطات اللازمة^(٣)، وترجع مخاوف المسؤولين المصريين من تكرار حادث اغتيال "اللورد موين" مرة أخرى وإحداث اضطراب فى العلاقة المصرية - البريطانية ما يؤثر فى القضية المصرية، وفى النهاية يشغلها عن القضية الفلسطينية التى يرتبط مصير مصر بها لخطورة قيام دولة لعناصر إرهابية ذات أهداف توسعية تمتد من النيل إلى الفرات ما يضر بمصر سياسياً ويهدد أمنها وسلامتها واقتصادها.

كذلك اشتبه الجندى سيد أحمد سعد من قوة حرس الوزارة المعين للحراسة أمام دار "عبد الرحمن عزام" أمين الجامعة العربية فى سيارتين تحومان حول الدار ثم عادتا وسارتا إلى أن تكرر الوضع ٦ مرات، وقبض على سائقي هاتين السيارتين وظهر أنهما صهيونيان، يدعى الأول مايرليفى وصناعته تاجر أقمشة والثانى جاك ريفول من تجار السيارات وهو صهيونى إيطالى^(٤).

(١) الكتلة - ٥ يناير ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ١٢ إبريل ١٩٤٨.

(٣) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - تقرير عن زيارة طيار أول محمد أفندى

حسين لمنطقة القتال والإسماعيلية من ٣١ ديسمبر ١٩٤٧ إلى ٥ يناير ١٩٤٨.

(٤) الإخوان المسلمون - ١١ مارس ١٩٤٨.

كما أصدرت محكمة جناح الأزيكية الحكم بمعاقبة راندولف بتربيلاد بالحبس مع الشغل ثلاثة أشهر بتهمة دخول مصر خلسة بعد أن تأكدت أنه شاب صهيوني^(١)، حيث تمكنت الوكالة اليهودية من عقد اتفاقات خاصة مع بعض العرب في منطقة العريش لتسهيل تهريب الأفراد من وإلى القطر المصري عن طريق اتصال مندوب الوكالة المسيو إيزاك آكين ببعض مندوبيه الموجودين بالقنطرة وبورسعيد، وقد رصدت إدارة المخابرات الحربية المصرية العرب الذين تمكنت الوكالة اليهودية من الاتفاق معهم والذين كانوا يستغلون صلات القرابة مع أفراد عائلتهم لتنفيذ هذه العمليات ومن هؤلاء:

حسن جاسر تاجر غلال ويقال بالعريش

محمد الخلفي تاجر بالعريش.

أحمد الطنجير تاجر ومتعهد بالجيش البريطاني^(٢).

لذلك أصدرت الأوامر بحراسة القشلاقات والمباني والمخازن العسكرية من التدمير والتخريب والعطل والإرهاب وكانت الطريقة المتبعة للحراسة كالآتي:

أ - تعيين قوة الدفاع عن القشلاق أو المخزن.. بوحدة كاملة أو أكثر (جماعة - فصيلة - سرية) حسب خطة الدفاع.

ب - المنافذ المعروضة للطرق العامة (الشوارع) يوضع لحراستها حراس يمكن تقديم المعونة لهم بمجرد النداء بإنذار، وتطوف سيارة حول أسوار المخازن أو القشلاقات للتفتيش أو الإنذار المبكر.

ج - تعيين ضابط من كل وحدة علاوة على الضابط النوبتجي وتكون مدة الخدمة له والجنود القائمين بالحراسة والدفاع ٢٤ ساعة واحتياط

(١) الإخوان المسلمون - ٩ إبريل ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حيث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات إلى وزارة الدفاع الوطني عن اليهود والأسلحة في ١٤ يناير ١٩٤٨.

لمعاونة جماعات الحراسة، وجميع الضباط يذكرون بالاسم وتكون الوحدة مستعدة في كل وقت، وعلى الوحدات المجاورة التي تقع في دائرة عسكرية واحدة تنسيق خطط حراستها بالتعاون مع بعضها.

أما المخازن والمباني العسكرية وغير العسكرية المنعزلة عن محيط الثكنات العسكرية ودوائر البوليس فتتبع معها الخطط الدفاعية الآتية:

أ - يعين لكل منها قوة كافية مستقلة بقيادة قائد يعين بالاسم، يعين من هذه القوة حراسة مزدوجة بحيث يمكنهما رؤية بعضهما بعضاً وتقديم المعونة عند المفاجأة.

ب - إذا احتاجت خطة الحراسة أو الدفاع لجنود أكثر مما تحت يدها، عليها الاتصال بقيادة سلاحها أو منطقتها أو قسم القاهرة.

ج - المباني والكليات والمدارس التي ليس بها جنود لحراستها تقوم قيادة قسم القاهرة وقيادة المناطق بعمل خطة الحراسة والدفاع اللازمة لها وإمدادها بالجنود من الوحدات التي تحت قيادتها وتعمل هذه الحراسات بصفة مستمرة^(١).

٤ - تهريب اليهود للأسلحة من القطر المصري إلى فلسطين:

لقد تمكن بعض مندوبي الوكالة اليهودية من عقد اتفاقات خاصة مع بعض العرب في منطقة العريش لتسهيل تهريب الأسلحة خارج القطر المصري والتعاون على تهريب الأفراد من وإلى القطر المصري، عن طريق اتصال مندوب الوكالة اليهودية المسيو إيزاك أكين ببعض مندوبيه الموجودين بالقنطرة وبورسعيد، وقد تمكنت إدارة المخابرات الحربية المصرية من عمل حصر بالأسماء التي تتعاون

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - تقرير من اللواء موسى لطفي مدير العمليات الحربية إلى وزارة الدفاع عن تعليمات حرسه لقشلاكات والمخازن العسكرية في ١ ديسمبر ١٩٤٧.

فى العريش مع مندوبى الوكالة اليهودية، حيث جاء فى تقرير الإدارة فيما يختص بهذا الشأن إلى وزارة الدفاع، وفيما يلى الأسماء التى تتعاون معها فى العريش وتدفع لها مبالغ كبيرة لاستغلال جهودها وهم صفقات مختلفة وفيما يلى الأسماء التى تتعاون معهم فى العريش وتدفع لهم مبالغ كبيرة لاستغلال جهودها فى صفقات مختلفة:

١ - حسن جاسر ومحمود الخليلي، وهما يعملان فى صفقات شراء الأسلحة وتهريبها إلى الخارج.

٢ - أحمد الطنجير ومحمد عروج وإبراهيم الغزال وهم يقومون بتهريب بعض اليهود من وإلى الخارج.

٣ - عبد الرحمن القصاص ومحمد عرابى ولبيب الشريف، يرشدون عن بعض الاتصالات للأفراد المنضمين للجان الجامعة العربية أو المحتكين بنشاط مفتى فلسطين وأعوانه بالقطر المصرى ومراقبة سير المساعدات التى تقوم بها الهيئات المختلفة فى مصر.

ولجأت الوكالة إلى استغلال طريق المادة وإنفاقها بسخاء على العرب الموجودين على الحدود بين مصر وفلسطين، وفى الوقت نفسه كانت تشترك بعض هيئات من أقسام المخابرات بالجيش البريطانى فى المساعدات على تنفيذ هذه الأمور^(١).

كما أرسل محافظ سيناء الأميرالاي محمد زكى عبد الحميد مذكرة إلى مدير عام سلاح الحدود الملكى يبلغه فيها بأن بعض أفراد من أهالى العريش لهم نشاط صهيونى وعلى صلات بالوكالة اليهودية بفلسطين^(٢)، وبوجود مخزن فى حديقة على شريف المجاورة لحديقة سفنكس باشا فى الهرم، يحوى أسلحة معدة لتهريبها

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية إلى وزارة الدفاع الوطنى عن "اليهود والأسلحة" ١٤ يناير ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة القائمقام حسين سرى عامر أركان حرب السلاح الحدود الملكى إلى وزير الدفاع الوطنى بناء على مذكرة مكتب المباحث من محافظ سيناء زكى عبد الحميد رقم ٦٤ سرى فى ٢ يناير ١٩٤٨ و ٢٥ يناير ١٩٤٨.

إلى يهود فلسطين، حيث كانت توضع الأسلحة تحت كميات من البرتقال إلى الإسماعيلية تمهيداً لتهريبها إلى فلسطين إلى جانب مخزن المعادى وكان يتم تهريبها عن طريق بعض الأعراب بمساعدة جنود الحدود^(١).

هذا إلى جانب وجود نشاط صهيونى بمزرعة داود عدس بعين شمس التى اشتراها من إبراهيم بك راتب والتى كانت مركزاً يهودياً مهماً لتخزين الآلات والأسلحة.

ومن وسائل الصهيونيين أيضاً لتهريب الأغذية والأسلحة كانت القوارب من الدلتا إلى شواطئ فلسطين، حيث كانت تقوم بواخر تابعة للصهيونيين بنقل الأسلحة من ليبيا وتتوجه لليونان للتضليل ثم تتحرف إلى شاطئ فلسطين وكان لها وكيل معروف فى جميع أنحاء ليبيا يدعى ناعوم^(٢)، وهو المسؤول عن الترتيبات اللازمة لذلك.

وعندما اكتشفت دوائر الأمن فى القاهرة عصابة كبيرة لتهريب الأسلحة من طرابلس - المغرب وتونس والجزائر عن طريق مصر إلى فلسطين أعطيت التعليمات اللازمة للمطارات السورية للثبوت من هوية الطائرات التى تمر فوق الأراضى حاملة الأسلحة المهربة والهجرة غير الشرعية^(٣).

كما كان اليهود يحصلون على الأسلحة من التجار حيث كانوا يشترون منهم أسلحة من مخلفات الجيش البريطانى، وهذا ما توصلت إليه حكمدارية البوليس عندما تلقت بلاغاً من قسم الجمالية خلاصته أن تاجراً يدعى محمد عبد الوهاب

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٧ إلى وزارة الدفاع الوطنى.

(٢) وزارة الداخلية - إدارة المطبوعات - رقابة الصحف العربية - النشرة رقم ٢١ لسنة ١٩٤٧ - خلاصة أخبار الشرق العربية - موقف مصر من نشاط الصهيونيين - يوم السبت ١٢ يوليو ١٩٤٧.

(٣) الإخوان المسلمون - ٣١ مارس ١٩٤٨.

اشترى كمية من الحديد من مخلفات الجيش من ضمنها قنابل يدوية وأصيب التاجر^(١)، ثم حدث انفجار آخر في الإسماعيلية عندما اشترى أحد التجار أيضًا من مخلفات الجيش الإنجليزي حديد خرده وبعض القنابل اليدوية وتركها أمام محله بميدان عباس، ما أحدث أضرارًا بواجهات المنازل المجاورة^(٢).

ثم تمكن البوليس من مصادرة أسلحة أحد تجار الأسلحة، بعد أن استطاع أن يجمع أسلحة من القاهرة تقدر بنحو ألف جنيه وأودعها في حقائب وأخفى هذه الحقائب في غرفة استأجرها في أحد فنادق القاهرة^(٣).

كما أبلغ قنصل مصر بالقدس "أحمد فراج طابع" إدارة المخابرات الحربية" بأن مؤسسة يهودية Hamshir Hamkar اشترت من الـ Army Disposal "تفايات الجيش البريطاني" بمصر نحو ١٥٠٠ طن من الأسلاك الشائكة، وحصلت على تصريح من حكومة فلسطين باستيرادها وحاولت في طريقها الحصول على تصريح التصدير من الحكومة المصرية، لذلك طلب من الحكومة أن ترفض التصريح بالتصدير^(٤).

وأبلغت إدارة المخابرات الحربية مكتب الوزير، عنورها على الجزء السفلى من قنبلة هاون استخدمها اليهود في معركة يافا، ووجد مكتوبًا على كبسولتها. ICI وهو اصطلاح Imperial Chemical Industries، وهى شركة لها فرع كبير فى مصر وتصنع خرطيش الصيد ومتفجرات وأدوات كيماوية^(٥).

(١) الإخوان المسلمون - ٢٦ مارس ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ١٦ إبريل ١٩٤٨.

(٣) الإخوان المسلمون - ١٩ مارس ١٩٤٨.

(٤) محفظة رقم (٦) إشارة تليفونية من إدارة المخابرات الحربية إلى مكتب الوزير - ٣٠ إبريل ١٩٤٨.

(٥) الإخوان المسلمون - ١٩ مارس ١٩٤٨.

وفي ١٤ يناير ١٩٤٨ أخبر الطيار محمد حسين خيرى فى أثناء زيارته لمنطقتى القتال والعريش محمد صلاح الدين مهيب مدير إدارة المخابرات الجوية بوجود أفراد من اليهود يقومون بتهرب الأسلحة من القطر المصرى إلى فلسطين وقد لوحظ عليهم تعدد سفرياتهم من وإلى القطر المصرى وفلسطين وأرسل له مذكرة تحوى أسماء عدد من اليهود المشتبه فيهم وهم:

- ١ - المدعو إمباشى مدير شركة الكهرباء بالإسماعيلية.
- ٢ - المدعو زمير موظف بشركة القتال بالإسماعيلية.
- ٣ - المدعو إليكس صاحب دار إليكس بالإسماعيلية.
- ٤ - مورييس كوستا صاحب محل بشارع نيجريللى بالإسماعيلية.
- ٥ - مورييس بنوا
 أميل بنوا
 ديفيد بنوا
 أصحاب محل تصوير بالإسماعيلية

ويعد أن تم وضعهم تحت المراقبة تأكد من خلالها أن هؤلاء يعملون لنصرة الصهيونية^(١)، كما قام اليهود فى تلك الفترة بشراء ٢٠٠ عربة وجرار لتحويلها إلى سيارات مصفحة من الجيش البريطانى وكانوا يكتبون عليها بالحروف الإفرنجية J.A، أى الوكالة اليهودية^(٢).

ثم حصلت شركة فيكو الصهيونية على تصريح بتصدير ١٥٠٠ لورى على أن يتم ترحيلها من الإسماعيلية من أول يناير ١٩٤٨، ورفع الأمر إلى الديوان

(١) محفظة رقم (١٢) حديث ٥ - مذكرة من إدارة المخابرات الحربية عن "اليهود والأسلحة" ١٤ يناير ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة خاصة بتجميع الوحدات والضباط، وقواعد الأسلحة - معلومات من العريش يناير ١٩٤٨.

الملكى باعتباره يتنافى مع كرامة الأمة المصرية ونصرة العرب^(١). كذلك اعتبرت إدارة المخابرات الحربية، نتيجة لما توافر لديها من معلومات بوجود أشخاص يعملون لصالح اليهود، أن العرب بالجنوب طابور خامس وطالبت وزارة الدفاع الوطنى باتباع الخطة الآتية للتصدى لتلك المحاولات على الوجه الآتى:

١ - إدخال عناصر مستتيرة تجيد اللغة العبرية سرًا بين اليهود.

٢ - التدريب على أعمال النسف وسد الطرق ومقاومة الطائرات^(٢).

وكان من المنتظر أن يهب مليون عربى من السكان فى وجه اليهود ويقومون بعرقلة حركاتهم العسكرية، إذ يراهم على العكس غالبية مستكنة، كان الحرب لا تعنيهم وأقلية تتعاون مع اليهود بطرق عدة منها:

أ - التجسس لحسابهم وحتى لو أدى الأمر إلى طعن إخوتهم العرب من الخلف.

ب - بيع الأسلحة لليهود.

ج - بيع الأراضى لليهود.

د - يقوم كثير من عرب فلسطين بتهريب الأغذية إلى اليهود وهذه كانت تجارة رابحة لديهم.

لهذا حذرت إدارة المخابرات الحربية، القوات المصرية من الاعتماد على هؤلاء العرب، لنجاح السياسة الصهيونية المرسومة لإضعاف معنويات العرب ومساعدة الانتداب البريطانى للصهيونيين فى تنفيذ هذه الخطة بإحكام^(٣).

(١) محفظة رقم (١٢) حديث ٥ - تلغراف من أحمد الدرديرى إلى ديوان جلالة الملك - قصر القبة فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ - مذكرة إدارة المخابرات الحربية (قسم المعلومات) إلى وزارة الدفاع الوطنى فى ٣١ أكتوبر ١٩٤٧.

(٣) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - المفوضية الملكية المصرية بدمشق - من مصطفى السعدنى ملحق المفوضية الملكية المصرية فى دمشق عن حديث مع فوزى القاوقجى فى ٢٦ مارس ١٩٤٨.

٥ - محاربة النشاط الشيوعي وعلاقته بالصهيونية:

صرح النقراشى باشا بأن سياسته الخارجية إزاء انقسام العالم إلى كتلتين شرقية وغربية تقوم على الآتى: "إننا حلفاء الدول الغربية وإننا أكثر البلاد الشرقية والعربية كلها واقعة فى دائرة النفوذ العربى، فإذا وقعت حرب بين الكتلتين الغربية والشرقية تلقينا الصدمة الأولى"^(١).

وقد أكد هذه السياسة فى أثناء عرضه للقضية المصرية على مجلس الأمن لاستقطاب الولايات المتحدة، مؤكداً أنه يسير فى فلك السياستين الأمريكية والبريطانية، حيث تضمنت الخطة التى ألقاها فى نادى الصحافة بنيويورك والتى أعدها له "المستر مورد" مستشار الدعاية الذى استأجره، هجوماً شديداً على الشيوعية والنظام السوفييتى، ووجوب ثقة الغرب فى مصر الديمقراطية وكراميتها للشيوعية والقيام بواجبها فى المحافظة على السلام العالمى ومبدأ الأمن الجماعى وهو شعار الأحلاف العسكرية الذى رفعه الاستعمار وقتها، والتلويح بالضمانات بأن مصر ستظل حليفة للغرب تابعة له^(٢)، ومعنى تلك السياسة أن عدو الكتلة الغربية هو عدو لمصر.

على أن سياسة النقراشى الخارجية بمقته الشيوعية تنطبق تماماً على سياسة الداخلية ضد النشاط الشيوعي فى مصر.

ففى الأربعينيات ظهر اتجاه جديد بين يهود مصر يدعو إلى تعاون اليسار المصرى أو الطبقة العاملة المصرية مع الطبقة العاملة اليهودية ضد الرأسمالية والاستعمار البريطانى، فكانت حدثتو - الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى - "الرابطه الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية" وقد تعرضت لمناهضة الحكومة لها

(١) محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية - ج ٢ - مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية - القاهرة - ١٩٥٣ - ص ٢٤٣.

(٢) طارق البشرى الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ص ١٤٠ - ١٤٣.

بصفتين: بصفتها جماعة يهودية ويسارية قبل كل شيء بل لعل ذلك من أسباب تحول الحكومة إلى التنبه لمتابعة النشاط اليهودي، فأصدرت حكومة النقراشى قراراً بحلها حفاظاً على الأمن العام^(١).

وترجع محاربة النقراشى لتلك الجماعة؛ لأنها أعلنت سياساتها إزاء ما يحدث فى فلسطين التى تقوم على: "علينا أن نكف لحظة واحدة عن تأييد كفاح فلسطين وأن نجد شعبنا ضد الاستعمار البريطانى والمناورات التى يقوم بها لعزل قضايانا العربية الوطنية عن النطاق الدولى، إننا لا نريد انتزاع فلسطين من العرب والمسلمين لنعطيها لليهود، وإنما نريد انتزاعها من الاستعمار لنعطيها للعرب واليهود فى ظل دولة مستقلة ديمقراطية"، ومن ثم كان التقسيم بالنسبة إليهم حلاً وحيداً لإعلان استقلال فلسطين وإنهاء الانتداب البريطانى..

عندئذ أدركت الحكومة المصرية أن السياسة السوفييتية إزاء فلسطين مبنية على الآتى:

أولاً: إخراج إنجلترا من فلسطين، ثم إحلال مجموعات تدين بالمبدأ الشيوعى فى هذه المنطقة المهمة من الشرق الأوسط، محل النفوذ الإنجليزى والأمريكى^(٢). وأن يضطر العرب إلى الاعتماد عليها والاستئجار بها ضد الدولة اليهودية التى تساندها الولايات المتحدة.

ثانياً : رغبة روسيا فى إحداث اضطرابات فى مصر، بإثارة الشعب المصرى ضد بريطانيا، وإظهار مدى عجز الحكومة المصرية فى الوصول لحل المسألة المصرية، والمشكلة الفلسطينية التى يرتبط بها مصير مصر.

(١) د. عائدة سليمة: مرجع سبق ذكره - ص ١٢٥.

(٢) البلاغ - ٩ مايو ١٩٤٨.

ومن هنا يتضح أن سياسة "الرابطة الإسرائيلية" تثير القلاقل للحكومة ولبريطانيا^(١).

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل للصهيونية صلة بالشيوعية؟ يجيب عن هذا السؤال رجال الأمن، مرتضى المراعى وزير الداخلية ومحافظ القاهرة فى أواخر عهد فاروق، وحسن المصيلحى رئيس قسم مكافحة الشيوعية حتى نهاية الستينيات. حيث يذكر المراعى "أن هنرى كورييل - قائد الحركة المصرية للتححر الوطنى - كان ينفق بسخاء على منظمته ويعمل تحت ستار التجارة مع إسرائيليين هما أرنولد ريشفليد واسمه الأصلى هارون ريشفليد وشيمون ستون، وقد قدما من تل أبيب وكانا يعملان سائقى سيارة ولهما زميل ثالث روبرت روبنسون، وكان حضورهم بتكليف من مترضى الحركة الصهيونية فى فلسطين لجمع المعلومات فى مصر، ومن هنا يتضح أن الحركة الشيوعية فى مصر كانت على صلة بالحركة الشيوعية فى فلسطين قبل قيام إسرائيل، وما هو جدير بالملاحظة أن كورييل كان يشيع عن نفسه أنه مليونير حتى يبعد الشبهة عن إنفاقه السخى على النشاط الشيوعى على الرغم من امتلاكه مكتبة صغيرة فى ميدان مصطفى كامل".

ويضيف المصيلحى: "إن الحزب الشيوعى المصرى الذى كونه روزينثال فى الإسكندرية عام ١٩٢١ باسم "الحزب الاشتراكى" شاركت فيه ابنة روزينثال ثم هربت إلى روسيا وعادت عام ١٩٢٥، وراحت تتفق بسخاء على قضية الشيوعية التى ضببطت فى ذلك العام وأبعد إثرها ٢٢ يهوديًا روسيًا إلى الخارج، وانتقل مركز الحركة الشيوعية من مصر إلى فلسطين، وهذا نشاط اليهود الشيوعى عام ١٩٣٦ وعند ذاك كون راعول كورييل وشقيقه الأصغر حلقة شيوعية من اليهود كانت تضم مارسيل إسرائيل وريمون دويك وشوارتز، وأطلق عليها اسم "نادى السلم" وانضم إليها بعض المثقفين المصريين مثل عبد الرزاق السنهورى، ولكن

(١) مصر - ٢٢ أكتوبر ١٩٤٧.

سرعان ما انفصل هؤلاء وتغير اسمها إلى "جمعية أنصار السلم" التي انقسمت بعدها إلى شقين أحدهما بزعامة هنرى كورييل والأخير بزعامة دى كومب الصهيونى"، وقدر المصيلحى عدد التنظيمات ذات الطابع الشيوعى فى مصر عام ١٩٣٩ إلى ١٩٤٧ بنحو ٣٠ منظمة أسسها اليهود، ويقول المصيلحى: "سينبئين من تاريخ هذه المنظمات، أنه كان لدى اليهود غرض آخر خفى على الشباب المصرى الذين وقعوا فى حبالهم وهو تفتيت جهود المصريين الذين يمكن أن يجتمعوا لخدمة الوطن وإضاعة جهودهم فى معارك مفتعلة، والانحراف عن الطريق السوى للنضال الوطنى، فقد أرادت خدمة الشيوعية الدولية حتى تقف بجوارها فى المحافل الدولية وتساعدنا فى تحقيق أحلامها.."، وتكشف التحقيقات التى أجرتها النيابة مع أفراد هذه التنظيمات عن اتهامات متبادلة بين المنظمات حول العمل لحساب الصهيونية، وظل هذا التبادل قائماً حتى نهاية الخمسينيات، ولم ينج منه كورييل الذى شهد أحد أعضاء منظمته بأنه كان على علاقة بعناصر صهيونية، وكما ثبتت نشرات المنظمة أنها طالبت بالصلح مع إسرائيل وأيدت من قبل قيام الوطن القومى لليهود، وضمت كثيرين من المصريين من بينهم عيد الناصر الذى اتخذ اسماً حركياً هو "موريس"^(١).

وبناء على تقارير رجال الأمن نشطت القوات البوليسية بمراقبة أعمالهم والقيام بحملة تفتيشية واسعة النطاق ولا سيما فى المحلة الكبرى بين عمال المصانع وضبطت معهم منشورات ثورية شيوعية خطيرة مكتوب فيها: "يجب أن يفهم العالم أن المصريين يعيشون فريسة الفقر والجهل والمرض، والاستعمار البريطانى يقف فى وجه كل تقدم ويحاربه"^(٢).

(١) على شلش:اليهود والماسون فى مصر - ط ١ - دار الزهراء للإعلام العربى - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ١٣١ - ١٣٤.

(٢) الكتلة - ٢٢ يناير ١٩٤٨.

وقبض رجال البوليس السياسى على شاب إسرائيلى من موظفى إحدى شركات الإعلانات يدعى إيلى ميزان فى أثناء ركوبه سيارة، وكان يحمل معه ثلاث حقائب وجدت إحداها خالية ووجدت فى الحقيبتين ٦٢٠ نسخة من كتاب شيوعى عنوانه "الدولة"^(١).

وفى ١٩ يناير عام ١٩٤٨ هتف بعض الطلبة لوحدة وادى النيل ثم تحول إلى شغب شديد فى الجامعة وأحرقوا بعض ما ألتفوه، وعندما قبض رجال البوليس بشبرا على ٤ من الطلبة الجامعيين بتهمة الدعاية للمبادئ الشيوعية وضبط معهم بعض المنشورات والأوراق التى تثبت أن مظاهرة ١٩ يناير ما هى إلا تمهيد لحادث الاشتعال وغيرها من حوادث المحلة كما تم القبض على عدد من العمال وأودعوا السجن وضبطت معهم أوراق خاصة بالشيوعية^(٢).

وكان رجال البوليس السياسى قد علموا من مصدر سرى أن بعض الشبان اعتزموا طبع منشورات عمالية وتوزيعها على العمال فى أول مايو، فاستصعدوا أمرا بضبطها وعثروا على منشورات مختلفة ومؤلفات شيوعية واردة من سوريا ولبنان إلى القاهرة وقبض على ٦ من الشيوعيين^(٣).

وصرح عزام بأنه لا يفهم معنى إنشاء الدولة الصهيونية إلا قيام دولة يهودية شيوعية فى قلب الشرق الأوسط^(٤)، وخطورتها على النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى امتدت إليها أيدى الروس خصوصا التى يدين أهلها بالإسلام^(٥).

(١) مصر - ١١ فبراير ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٢٦ يناير ١٩٤٨.

(٣) الكتلة - ٢٧ يناير ١٩٤٨.

(٤) الكتلة - ١٠ فبراير ١٩٤٨.

(٥) مجلة العالم العربى - ١٠ أغسطس ١٩٤٩ - العدد ٤٠.

ففى رسالة لثالس كلايتون فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٤٧ إلى السفير البريطانى جاء فيها "إن مصر أكثر الدول العربية مقاومة للشيوعية من جانب حكومتها أو هيئاتها الدينية التى تصرح بأن المبادئ الشيوعية تنافى تعاليم الدين الإسلامى"^(١).

وصرح النقراشى قبل حرب فلسطين بأيام بـ "إننا ندخل الحرب كى نقطع رأس الأفعى التى تمتد من هذه العصاة الصهيونية لنشر الاضطراب والشيوعية فى البلاد العربية ويجب علينا ألا نقف مكتوفى الأيدى نتفرج"^(٢).

كما منع النقراشى المطبوعات الأربع الآتية من الدخول إلى مصر:

١ - مجلة Jewish Clarion الشهرية الإنجليزية التى تصدرها فى لندن اللجنة اليهودية للحزب الشيوعى البريطانى.

٢ - المجلة الشهرية Communist Review الإنجليزية التى يصدرها الحزب الشيوعى البريطانى.

٣ - نشرة 19th National congress التى أصدرها الحزب من أعمال المؤتمر الشيوعى الذى عقد فى لندن فى أواخر شهر فبراير عام ١٩٤٧.

٤ - وكتاب بعنوان Egypt and labour Mr. George Adubit .

وهذا المنع يرجع إلى ترويجها للمبادئ والنظريات الشيوعية، كما ألغى كتاب L' Année preparatoire de Historie المطبوع فى باريس وكان متداولاً فى

(١) البلاغ - ٧ مارس ١٩٤٨.

(٢) الكتلة - ١٠ فبراير ١٩٤٨.

مصر لنشره مقالاً فيه تعريض للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وطعنه في الدين الإسلامي^(١).

وبإعلان حرب فلسطين في مايو عام ١٩٤٨، كان من بين التدابير المرتبطة بإعلان حالة الحرب، شن حملة اعتقالات ضد الشخصيات الخطرة على الأمن، واتخذت الحكومة قراراً خاصاً ببناء معتقلين أحدهما في العباسية والآخر في حلوان، وسارعت أجهزة البوليس في القاهرة وبعض المدن الكبرى في صباح ١٤ مايو عام ١٩٤٨، فور إعلان الحرب، في اعتقال اليهود والإرهابيين والعناصر الخطرة والشيوعيين، والزج في السجون بالكثير من القيادات النقابية العمالية والطلاب والصحفيين لا سيما الوفديين اليساريين، واعتقل في الخامس عشر من إبريل هنري كورييل أحد مؤسسي الحركة الديمقراطية للتححر الوطني وبائع الكتب الثرى واعتقل أكثر من مئة مواطن شيوعي، وبلغ عددهم بعد بداية الحرب ما يقرب من ٥٠٠ شيوعي من قادة النقابات التقدمية والطلاب والعمال النشطاء، وانقطعت أواصر الصلة من جديد بينها والاتحاد العالمي للنقابات، فوقف تقريباً نشاط المجموعات الشيوعية والنقابات التقدمية على سطح الحياة السياسية العلنية من مايو عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٠^(٢).

وفي ٢٥ مايو منع جميع المواطنين من مغادرة مصر دون تصريح خاص ولم يسمح لليهود بالحصول على هذه التصاريح، وفي ٣٠ مايو صدر أمر من الحكومة بمصادرة أملاك الأشخاص الذين تراهم يقومون بنشاط معاد لها ووضع هذه الأملاك تحت حراسة موظف خاص وعدم السماح لغير المصريين بممارسة السمسرة في بورصة الأوراق المالية المصرية وبذلك أضرروا ضرراً بالغاً من الناحية الاقتصادية وتم اعتقال كل من حامت حوله شبهة الشغب السياسي في صف إسرائيل^(٣).

(١) د. سيد عبد الرازق يوسف عبد الله: محمود فهمي النقراشي ودوره في السياسة المصرية وحل جماعة الإخوان المسلمين ١٩٤٨ - ط ١ - مكتبة مدبولي القاهرة - ١٩٩٥ - ص ٤٤٦، ٤٤٥، ٤٤١.

(٢) للبلاغ - ٧ مارس ١٩٤٨.

(٣) د. علي شلش: اليهود والماسون في مصر - ص ١٦٢.

ورغم نشاط الحكومة المصرية فى مقاومة النشاط الشيوعى لارتباطه بالصهيونية؛ فإنها كانت ترى أن العامل الأساسى وراء انتشار الاضطراب والقلق سوء سياسة الأمريكان والإنجليز فهو الذى يثير الحملة عليهما، ويفتح منفذاً لأى دعاية أجنبية ولو أنها وقفا عند حدود الوعود التى قطعها على نفسيهما للدول العربية والتزما بمبادئ ميثاق الأمم المتحدة لزالّت هذه القلاقل من الشرق ولما وجدت سبيلاً إلى الظهور^(١).

• استلام خط حديد مصر - فلسطين:

نشطت الجهود فى مصر من أجل استلام خط سكة حديد مصر - فلسطين بعد التأكد من مساعدة الإنجليز لليهود وحمايتهم وتشجيعهم على العدوان بحراسة قوافلهم وسيطرتهم على الطرق.

فعقب صدور قرار التقسيم واعتزام انجلترا الجلاء عن فلسطين، رأى عبد المجيد بدر باشا المدير العام للسكك الحديدية ضرورة الاستيلاء على الجزء الممتد من خط فلسطين فى الأراضى المصرية باعتباره من المنافع العامة، بعد أن رأى أن البحث قد طال على تحقيق هذه الرغبة القومية خاصة بعد أن أفتت الأقسام القضائية بحق مصر فى الاستيلاء على هذا الجزء^(٢).

ويبدو أن اتجاه الحكومة المصرية لتحقيق هذه الرغبة مدفوعاً بإدراكها أهمية الخط الدولية والعسكرية والمادية، فهو يوازى فى قيمته قناة السويس، لذلك أصرت الحكومة على الإشراف عليه خصوصاً مع تفاقم الخطر الصهيونى وزيادة عدد مستعمراته الجنوبية القريبة من الحدود المصرية - الفلسطينية ونشاطه فى التجسس وتهريب الأسلحة والأفراد والتبرعات، ما كان خطراً على أمن مصر.

(١) د. محمد عودة: فاروق بداية ونهاية - دار الهلال - القاهرة - ١٩٩٥ - ص ٢٤١.

(٢) البلاغ - ٧ ديسمبر ١٩٤٧.

وعن نشأة خط سيناء فقد تم إنشاؤه فى خلال الحرب العالمية الأولى والأحكام العرفية البريطانية مسلطة على المصريين، حيث جندت السلطات البريطانية العمال المصريين لإنشاء هذا الخط الحديدى فوق الأراضى المصرية وكان يخترق صحراء مصر الشرقية^(١)، وامتد خط سيناء بين (القنطرة) الواقعة على ضفة قناة السويس الشرقية إلى بلدة (رفح) على الحدود المصرية - الفلسطينية وبلغ طوله نحو ٢٠٠ كيلو متر^(٢).

وقد أنشئ الخط لنقل جيوش الحلفاء وعتادهم الثقيلة عبر صحراء سيناء إلى داخل الأراضى الفلسطينية، وكان وجوده من أهم عوامل انتصار جيوش الحلفاء بقيادة الفيلد مارشال اللورد اللنبى، ومنذ ذلك التاريخ عام ١٩١٧ ووزارة الحربية البريطانية تضع يدها على الخط وتتولى وزارة الطيران البريطانية إدارته وصيانته.

وظهرت أهميته أيضا خلال الحرب العالمية الثانية خصوصا بعد أن تم ربط خطوط سكك حديد فلسطين بالخطوط السورية والتركية، فأصبح فى إمكان المسافرين أن يقوم من القاهرة إلى الأستانة مباشرة ومنها إلى باريس عن طريق خط إكسبريس الشرق السريع، وأصبح هذا الخط بما له من امتيازات جغرافية، همزة الوصل التى تربط خطوط مواصلات السكك الحديدية بين إفريقيا وآسيا وأوروبا بصفة عامة ودول الجامعة العربية بصفة خاصة، خصوصا بعد أن يتم تشغيل خط الحجاز بعمل الوصلة القصيرة التى تربط بين حدود شرق الأردن وحدود الحجاز، ولقد استفاد أهالى سيناء من مرور الخط وسط أراضيهم فانتعشت تجارتهم.

(١) السياسة - ٣ إبريل ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ٣١ مارس ١٩٤٨.

ونظرًا لأهمية الخط العسكرية، رابطت وحدات من الجيش المصرى على الحدود ومع الأحداث المتلاحقة فى فلسطين وما يكتنفها من تطورات، اهتمت الحكومة بتعزيزها وزيادة حاميتها.

ولقد كان من أثر إشراف سكة حديد فلسطين على إدارة الخط أن أصبحت جميع أراضي شبه جزيرة سيناء فى شبه عزلة تامة عن الدولة المصرية، فوضعت تحت سيطرتها الجمارك ومكاتب جوازات السفر والحجر الصحى بالقنطرة على ضفة القنال الشرقية، كذلك وضعت القيود والقوانين الصارمة التى جعلت سكان هذه المنطقة الشاسعة من المصريين يعاملون معاملة الرعايا الأجانب؛ فكل فرد يرغب فى السفر من سيناء وإليها عليه أن يحصل على جواز يستخرجه من مصلحة الحدود قبل عبور القناة، أما من ناحية المستخدمين فجميعهم من المصريين ما عدا بعض أفراد قلائل من الأجانب وهؤلاء يطلب منهم الرجوع لفلسطين عند تسلم الخط ما عدا ذلك فجميعهم من مديريات مصر المختلفة وكان عددهم قبل سنة ١٩٢٧ نحو ثلاثة آلاف عامل، وقامت السكة الحديد الفلسطينية بنقل نحو نصفهم إلى داخل فلسطين لإدارة معظم الأعمال الفنية بها علاوة على أن عددًا كبيرًا منهم كان موجودًا بمدينة حيفا للاستعانة بخبرتهم فى تشغيل ورش وعناصر السكة الحديد والعربات ولوازمها، وهؤلاء اختارتهم السلطة البريطانية من مهرة الفنيين والصناع^(١).

ولأهمية الخطوط الدولية والعسكرية والمالية، حاولت الحكومة المصرية مرارًا الدخول فى مفاوضات مع حكومة فلسطين بقصد الوصول إلى اتفاق يحدد طريقة استغلال هذا الخط وتوزيع إيراده بين الحكومتين، ولكن لمصلحة سكة حديد فلسطين كانت تعتذر دائمًا بأنها لا تملك حق الدخول فى مثل هذه المفاوضات؛ لأن الخط ملك الحكومة البريطانية وليس لها أى حق سوى السلطة الإدارية نيابة عن الحكومة المالكة.

(١) الإخوان المسلمون - ٣١ مارس ١٩٤٨.

وأثير الموضوع فى البرلمان المصرى وأبديت رغبات متكررة فى شراء هذا الخط وإنهاء الحالة الشاذة الماسة بالسيادة المصرية، كذلك عهد مجلس الوزراء إلى مستشار الدولة لوزارة المواصلات ومصلحة السكك الحديدية بإعداد مذكرة توضح فتواه لمجلس الوزراء بشأن تسلم خط سكة حديد القنطرة - رفح، وجاء بالمذكرة: "لقد حاولت الحكومة المصرية مراراً الدخول مع حكومة فلسطين فى مفاوضات بقصد الوصول إلى اتفاق فى هذا الشأن بدأت منذ فبراير عام ١٩٣٩ بعد أن وجدت الحكومة المصرية أن هذا الخط يمر فى أرض مصرية وتستغل أرباحه وتتصرف فيه سكة حديد حكومة فلسطين - الإنجليزية، حيث وضعت وزارة المواصلات تقديراً لقيمة مهمات هذا الخط وملحقاته تمهيداً لبدء المفاوضات لشرائه، لذلك أعدت المصلحة العدة لمعاينة الخط وتقدير قيمته واتصلت فى هذا الشأن بمدير سكة حديد فلسطين لتمكين المهندسين المصريين من القيام بتلك المهمة، فأبدى رغبة فى أن يشترك فى عملهم مندوب يمثل سكة حديد فلسطين وطلب إرجاء العمل فترة يتمكن فيها من تعيين هذا المندوب، ثم عاد وأبلغ المصلحة فى ٣ أكتوبر عام ١٩٣٩ أسفه لأن مركزه لا يسمح بالتصريح بإجراء أى بحث فى توطئة لشرائه وأشار إلى ضرورة الاتصال بالحكومة البريطانية بالطريق الدبلوماسى"^(١).

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وتوقفت المسألة، ثم عادت مكاتبات تمهيدية منذ أغسطس عام ١٩٤٥ بين الحكومة المصرية والجانب البريطانى لتحقيق هذه الغاية، وفى ١٢ سبتمبر عام ١٩٤٥ أثارَت وزارة المواصلات الموضوع من جديد وتقدمت إلى مجلس الوزراء بمذكرة تطلب فيها الموافقة على مخابرة الحكومة الإنجليزية عن طريق السفارة المصرية فى لندن لتشكيل لجنة من مندوبين يمثلون مصر وبريطانيا؛ للنظر فى هذه المسألة بشراء الحكومة المصرية لهذا الجزء

(١) الإخوان المسلمون - ٣ إبريل ١٩٤٨.

الممتد في الأراضي المصرية - لعمل تسوية فيما يختص بالإيرادات والمصاريف، وأصدر مجلس الوزراء قراراً بجلسته المنعقدة في ١٢ سبتمبر عام ١٩٤٥ بمخاطبة الحكومة البريطانية لتسوية ما قد يؤدي إليه البحث من دفع مصر ثمن مهمات وأدوات السكة التي أقيمت في الأراضي المصرية وللإنفاق على الاشتراك في تشغيل هذا الخط الممتد من الأراضي المصرية إلى فلسطين، وقد أبلغ هذا القرار لوزارات الخارجية والمالية والمواصلات، وزأت وزارة المالية اقتراح تشكيل لجنة مشتركة تمثل الجانب المصري فيها مصلحة السكة الحديد المصرية ومراقبة حساباتها وطلبت الاتصال بالسفارة البريطانية لتعيين ممثلين لبريطانيا.

وفي ٦ أكتوبر عام ١٩٤٥ كتبت وزارة المواصلات لوزارة الخارجية تطلب منها اتخاذ الخطوات اللازمة لمفاوضة الحكومة الإنجليزية في شأن استيلاء الحكومة المصرية على السكة الحديد والتلغرافات والتليفونات المارة بأراضيها تنفيذاً لقرار مجلس الوزراء، فبعثت وزارة الخارجية إلى السفارة البريطانية بالقاهرة بمذكرة جاء فيها: "إن الحكومة المصرية لم تستول على شيء من إيرادات هذا الخط الذي تديره حكومة فلسطين رغم مروره في أراضٍ مصرية، ومن الضروري أن تشترك الحكومتان في صافي الإيراد بعد خصم المصاريف بنسبة طول الجزء الممتد في أرض كل دولة منهما".

وفي ١٧ يناير عام ١٩٤٧ تلقت وزارة الخارجية من السفارة البريطانية الرد الآتي: "إنكم ستقنعون أن الموضوع معقد ومنتشعب الأطراف لا اعتبارات فنية ومالية متعددة، ولم تصل إلينا التعليمات التي تساعد في الدخول في مباحثات مع الحكومة المصرية".

وفي ٢٨ مايو عام ١٩٤٧ طلبت رئاسة مجلس الوزراء من وزارة المواصلات موافقتها بمقترحات السكة الحديد عن هذا الخط مع بيان ما قدمته مصر في سبيل إنشائه سواء كان ذلك عن طريق مده بالعمال وبالأدوات وقت إنشائه وتقدير قيمته في حالة شرائه.

وفى ٥ يوليو عام ١٩٤٧ تألفت لجنة برئاسة وكيل وزارة المواصلات وعضوية مندوبى وزارتى المالية والمواصلات، وفى ١٢ يوليو أرسلت كتابا إلى مجلس الوزراء، أوضحت أنها لم تقم بأعمال جدية بسبب موقف مصلحة سكة حديد فلسطين مما حدا بكبير مهندسى السكة والأشغال أن يتقدم من جديد لمدير عام مصلحة السكة الحديد المصرية بالعودة إلى المفاوضات الدبلوماسية كي تتسلم الحكومة المصرية هذا الخط، وإزاء كل هذه الظروف روى إحالتها إلى المستشار الدولى لوزارة المواصلات ومصلحة السكك الحديدية لدراسة أفضل الطرق لاستيلاء الحكومة على هذا الخط.

وقدم المستشار مذكرة فى ٤ ديسمبر وقد انتهى فيها إلى أن "الوصف القانونى للحالة القائمة هو التزام بمرفق عام لمدة غير محدودة وأنه لا يغير من هذا الوصف عدم صدور عقد التزام وقائمة شروط خاصة جريا على ما هو متبع بوجه عام فى هذه الشئون وذلك لأن الالتزام بمرفق عام يكون بعقد كتابى يصح أن ينشأ بغير عقد، وفى الحالتين للسلطة العامة الحق فى إنهاء الالتزام واسترداد إدارة المرفق بشرط التعويض، ومن شأن الحكومة إصدار قرار بالاستيلاء إداريا على الخط المذكور"، غير أنه رأى نظرا لأن هذا القرار سيصدر فى مواجهة حكومة أجنبية، فعلى الحكومة المصرية استعمال حقها فى استرداد الخط وملحقاته ووضع مبلغ التعويض الذى تطلبه مع لفت نظرها إلى مدى اشتراك الحكومة المصرية فى نفقات إنشائه، وهو على أقل الفروض ينحصر فى تقديم الأرض المقام عليها الخطوط الحديدية والتليفون والتلغراف وملحقاتها دون مقدم، وانفراد الحكومة البريطانية بالاستيلاء على جميع إيراد الخط طوال مده.

وضم مذكرته بالتوصية الآتية: "وفى يقينى أن مسألة الاستيلاء على الخط أصبحت لا تحتمل التأخير، وأن يعهد مجلس الوزراء إلى وزارة الخارجية تنفيذها"^(١).

(١) الإخوان المسلمون - ٤ إبريل ١٩٤٨.

وفى ٣١ ديسمبر عام ١٩٤٧ أجاب الجانب البريطانى بقبول مبدأ مناقشة هذا الموضوع^(١)، وفى فبراير عام ١٩٤٨ اجتمع الوفدان، وفد من السكة الحديد المصرية برئاسة عبد المجيد بدر باشا، مهمته وضع تقرير عن جزء الخط الحديدى الذى يصل بين مصر وفلسطين^(٢)، الذى يمتد من القنطرة إلى رفح ومحطاته [القنطرة شرق - رمانة - بئر العبد - مزار - العريش - رفح]^(٣) ويمثل الوفد البريطانى مستر كرى، وانتهت المفاوضات بتمصيره قبل أن تنتهى العمليات الحسابية بين الجانبين التى تتصل بتقدير ما تركه الجانب البريطانى وتقدير ما قدمه الجانب المصرى من أراضييه وما استغله الجانب الآخر منها طوال اثنين وثلاثين عامًا وهكذا فى ٣١ مارس عام ١٩٤٨، أى فى يوم الجلاء عن القاهرة والإسكندرية^(٤)، سار القطار المصرى من القنطرة إلى رفح يقطع صحراء سيناء^(٥)، بعد أن كانت مصر تستأجر الخطوط البريطانية بمبلغ ٣١ ألف جنيه فى السنة، فأصبحت هذه الخطوط ملكًا لها من أول إبريل ١٩٤٨^(٦).

وانتهت لجنة تمصير خط سيناء الحديدى من مهمتها فى تقدير قيمته بعد أن يتم خصم ثمنه من أصل الدين المصرى على انجلترا الذى يبلغ ٤٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه^(٧)، وقدرته بربع مليون جنيه على أساس حالته الراهنة^(٨).

وفتح اعتماد قدره ٣٦ ألف جنيه للصرف منه على صيانة وإدارة خط السكة الحديد^(٩).

(١) السياسة - ٣ إبريل ١٩٤٨.

(٢) الكتلة - ٢٠ فبراير ١٩٤٨.

(٣) الإخوان المسلمون - ٣١ مارس ١٩٤٨.

(٤) السياسة - ٣ إبريل ١٩٤٨.

(٥) السياسة - ٤ إبريل ١٩٤٨.

(٦) البلاغ - ٣ إبريل ١٩٤٨.

(٧) الإخوان المسلمون - ٤ إبريل ١٩٤٨.

(٨) الأهرام - ٣ أغسطس ١٩٤٨.

(٩) المقطم - ٢٣ إبريل ١٩٤٨.

ولما كان من المقرر ابتداء من أول إبريل أن تمر قطارات سكة حديد فلسطين البريطانية في داخل الأراضي المصرية نظرًا لتسلم مصلحة السكة الحديد المصرية خط القنطرة - رفح، لكن القيادة البريطانية في فايد أرسلت إلى سكة الحديد في فلسطين قرارها الذي يحتم عليها مرور قاطراتها المحملة ببضائع وتقليبات الجيش البريطاني داخل الأراضي المصرية حتى يوم ١٥ مايو، وذلك لأن النظام الجديد ينص على أن تقوم سكة حديد فلسطين بالنقل من حيفا إلى رفح وتتولى سكة حديد مصر مواصلة النقل من رفح إلى القنطرة^(١)، بعد أن قررت السكة الحديد المصرية تسيير قطارات أسبوعيًا من الخط الحديد "القنطرة - رفح" ابتداء من أول إبريل وهو الموعد التي تتسلم فيه خط مصر - فلسطين^(٢).

وفي أول إبريل عام ١٩٤٨ موعداً تسلم الخط، قام الصهيونيون بنسف قطار مصر - فلسطين، وتسبب الحادث في قتل ٤٠ شخصًا و ٦٠ جريحًا معظمهم من العرب، حيث انفجر لغم كهربائي في طريق إكسبريس القاهرة - حيفا، وهو يجتاز بستان برتقال في طريق سمارنة الساحلي بالقرب من مستعمرة "بنا مينا" اليهودية وعلى بعد بضعة كيلو مترات شمالي - شرق قيصرية - وهذه هي المرة الثانية التي ينسف فيها إكسبريس القاهرة - حيفا، ففي يوم ٢٩ فبراير بث رجال عصابة شتيرن الإرهابية ثلاثة ألغام في طريق القطار وأسفر الحادث عن قتل ٢٨ جنديًا بريطانيًا وإصابة ٣٥ آخرين^(٣).

(١) الإخوان المسلمون - ٢٥ مارس ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ٢٦ مارس ١٩٤٨.

(٣) السياسة - ١ إبريل ١٩٤٨.

الفصل الثالث

الانتقال من الدبلوماسية إلى التدخل العسكرى

لحل مشكلة فلسطين

- إقرار الحكومة المصرية التطوع فى ظل جامعة الدول العربية:
- أسباب إقرار التطوع:
 - أ - ازدياد تيار التطوع من قبل الضباط والإخوان المسلمين وتأييد الرأى العام المصرى له.
 - ب - تطور الأحداث والأوضاع فى فلسطين ومجلس الأمن:
 - تدخل مصر عسكريًا بقوات غير نظامية.
 - رد الفعل البريطانى والأمريكى.
 - إقرار الحكومة المصرية التطوع ومعركة كفار ديروم.
 - رد فعل بريطانيا إزاء نشاط المتطوعين المصريين.
 - قرار مجلس الأمن إيقاف جميع الأعمال العسكرية فى ١٧ إبريل ١٩٤٨.
- إقرار الحكومة التدخل العسكرى بقوات غير نظامية ضمن القوات العربية تحت قيادة الملك عبد الله:
 - سقوط حيفا وموقف الحكومة من الاعتداء الصهيونى على الرعايا المصريين فى حيفا.
 - ثورة الرأى العام المصرى.

- اجتماع عمان والزعران وقرار التدخل بقوات نظامية لإنقاذ فلسطين.
- إعلان الحكومة المصرية الحرب الدفاعية ضد الصهيونيين.
- موقف الحكومة البريطانية من قرار الحكومة المصرية.
- إقرار الحكومة المصرية الاشتراك بقوات نظامية مصرية تحت قيادة الملك عبد الله وإلى جانبه هيئة مستشارين عسكريين مصريين.
- دوافع الحكومة المصرية لإقرار دخول القوات النظامية المصرية لإنقاذ فلسطين.
- أ - ضغط العوامل الداخلية:
 - ١ - المحنة السياسية.
 - ٢ - المحنة الاقتصادية.
 - ٣ - المحنة الصحية.
- ب - ضغط العوامل الخارجية تطورات الأحداث والأوضاع في فلسطين ومجلس الأمن".
- استكمال استعدادات القوات المصرية بالعريش.

إقرار الحكومة المصرية التطوع فى ظل جامعة الدول العربية:

أسباب إقرار الحكومة المصرية التطوع فى حل جامعة الدول العربية:

١ - ازدياد تيار التطوع من قبل الضباط والإخوان المسلمين:

أ - الضباط: بمقتضى معاهدة ١٩٣٦ تدفق دم جديد إلى داخل الجيش المصرى، حيث انضم إلى صفوفه ضباط شباب من أبناء الطبقات المتوسطة الوطنية الذين التحقوا بالكلية الحربية بعد تعديل نظمها، وغير هؤلاء طبيعة الجيش وكسروا عزلته.

وشاركوا من خلال الحرب العالمية الثانية فى الدفاع الجوى ومساندة قوات الحلفاء، واستحقوا ثناء وتقدير الساسة والقادة - شرشل ومونتجرى وويلسون - وتابع الضباط المعارك الهائلة التى دارت على حدود بلادهم على خريطة المطامع الدولية^(١).

وحينما تصاعدت القضية الفلسطينية وانتهت إلى قرار التقسيم، أدرك هؤلاء الضباط خطورة قيام دولة صهيونية تتاخم الحدود الشرقية لمصر، وأن مصر ستتحمل أوفر عبء فى تلك الحرب إذا قدر للدول العربية أن تخوضها^(٢).

ومن ثم ساد تيار عام داخل الجيش بضرورة التدخل المسلح لمساندة الفلسطينيين^(٣)، وأن لحظتهم قد حانت فذهب ضابط شاب يدعى "الصاغ محمود لبيب" إلى رئيس الهيئة العربية العليا - أمين الحسينى - بناء على ما قرره الدول العربية فى اجتماعها فى شهر سبتمبر عام ١٩٤٧ بدعم نضال الشعب الفلسطينى،

(١) محمد عودة: فاروق بداية ونهاية - ص ٢٣٥.

(٢) د. عائدة سليمة: مرجع سبق ذكره - ص ١٧٩.

(٣) خالد محبى الدين: والآن أتكلم - ط ١ - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٩٢ - ص ٥٢.

وعرض عليه باسم الضباط الآتى: "إن المقاومة الفلسطينية فى حاجة إلى من يشترك فى المعارك ويقوم بتدريب المتطوعين.. وفى الجيش عدد كبير من الضباط المحترفين لأداء الواجب وعلى دراية بالأسلحة والحرب الحديثة وعلى استعداد للتطوع والانضمام"، عندئذ شكره الحسينى على عرضه ولكن أبلغه بأنه لا بد من أن يستأنس الحكومة المصرية وطلب منه العودة مرة أخرى، وحينما عاد اعتذر له الحسينى بأن الحكومة المصرية رفضت ذلك تفادياً لسوء العلاقة بينها وبريطانيا صاحبة الإنتداب^(١)، وعدم إحداث أى خلل فى جهاز ضباطها بحجة انصراف قسم منهم للعمل على رأس المتطوعين^(٢).

ولم يثن ذلك الضباط عن تصميمهم ووقع اختيارهم على واحد من أكفأ الضباط العميد أحمد عبد العزيز^(٣)، ليقود تطوعهم فى ظل الجامعة العربية إلى جانب كمال الدين حسين - عضو مجلس الثورة فيما بعد - وعدد من الضباط الذين كانوا منتمين إلى الإخوان المسلمين، وأجرى الضباط سلسلة من الاتصالات بفوزى القاوقجى قائد جيش التحرير السورى عن طريق عبد اللطيف البغدادى، الذى هرب إلى سوريا، ولما لم يكن فى سوريا وقتئذ سلاح للطيران ولا مطار سرى يصلح للهبوط، جاء رد فوزى القاوقجى بأنه سوف يحتاج إليهم فى المعركة الفاصلة، ولما أنشئ مطار سرى شرق دمشق على بعد ٦٠ كيلو متراً لم يتصل بهم فوزى القاوقجى حتى قامت الحرب فعلاً بعد أن جندوا ١٥ طائرة سببفاير صالحة للقتال^(٤).

(١) وزارة الإعلام: نظرات على الانتصارات العسكرية الوطنية - مطابع الهيئة العامة للاستعلامات - القاهرة - ١٩٩٢ - ص ٢٧٦.

(٢) صموئيل ليبب سيحة: السياسة المصرية تجاه المشكلة الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - رسالة دكتوراه - ص ٥٩.

(٣) وزارة الإعلام المصدر: نفسه ص ٢٦٧.

(٤) أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ يوليو.. مصر والعسكريون.. مجتمعة جمال عبد الناصر والحرب - ج ١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٢ - ص ١٣١ - ١٣٦.

ب - الإخوان المسلمون: كان الإخوان المسلمون على رأس التنظيمات السياسية التي كانت تؤيد الكفاح المسلح ضد الصهيونية بفلسطين؛ لإدراكهم أن حدود مصر الأمنية تمتد وراء حدودها في فلسطين وذلك على المدى الاستراتيجي البعيد^(١)، لذلك كان لهم رد فعل تجاه ما مر بها من أحداث.

ففي ١٧ سبتمبر عام ١٩٤٧ بصور لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين تقريرها للجمعية العامة الذي تضمن مشروعين عرف أحدهما بمشروع الغالبية، ويختص بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية وأخرى يهودية مع تدويل القدس، والآخر مشروع الأقلية ويختص بإقامة دولة اتحادية فيدرالية تشمل البلاد كلها وتكون القدس عاصمة لها^(٢)، كان أول من دعا إلى الإضرابات والمظاهرات وأعمال التدمير ضد بعض المتاجر والمحال اليهودية، الإخوان المسلمون ثم الحزب الوطني ومصر الفتاة^(٣).

كما أبرق المرشد العام الشيخ حسن البنا إلى مجلس الجامعة العربية في أثناء انعقاده في عالية - ٩ أكتوبر عام ١٩٤٧ - وأعلن أنه على استعداد لأن يرسل إلى فلسطين عشرة آلاف مجاهد من الإخوان، وأثارت تلك التصريحات مخاوف أعضاء الوكالة اليهودية في العالم بخاصة في لندن، حيث صرح أحدهم بـ: "أننا مقتنعون بأن الإخوان المسلمين يعنون ما يقولون" بعد أن انتهالت عليهم برقيات طلب التطوع في كتائبهم، كما أرسل ممثل الإخوان في لندن - مصطفى مؤمن - برقية إلى رئيس الوزراء البريطاني لفت نظره فيها إلى أن الإخوان المسلمين سوف يرسلون عددًا كبيرًا منهم لمحاربة الذين يقفون حجر عثرة في سبيل تحرير فلسطين^(٤).

(١) مجلة شؤون فلسطينية - عبد الرحمن الصالحى - حرب عام ١٩٤٨. رؤية عربية عالمية - ص ٩١.

(٢) طارق البشرى: الحركة السياسية في مصر ١٩٥٢ - ١٩٤٥ - ص ٢٦٠.

(٣) صلاح العقاد: قضية فلسطين - المرحلة للحرية ١٩٤٥ - ١٩٥٦ - ص ٤٠ .

(٤) د. عابدة سليمة مرجع سابق سبق ذكره - ص ١٦١.

وترجع مخاوف اليهود والإنجليز إلى قدرة الإخوان المسلمين على قيادة الرأي العام العربى ضدهم، لا سيما أن دعوتهم للتطوع تلقى قبولاً لدى الكثير ما يزيد من قوتهم وأقاموا تدريباتهم على أسس عسكرية منظمة، وعمدوا إلى فتح مكاتب للتطوع بجميع عواصم المديریات ومحافظات القطر المصرى لاستقبال المتطوعين، ووضعت إدارة للتطوع لتوقيع الكشف الطبى على المتطوعين لإلحاقهم بـ "مدرسة التدريب العسكرى" التى وضعت نظمها على أحدث القواعد، وشكلت إدارتها من أكفأ المشتغلين بالشؤون العسكرية والمحاربين القدماء وأعدت برامجها الرياضية والعسكرية والثقافية كأحسن ما تكون عليه مدارس التدريب الحديث ومهمتها تزويد كتائب الإنقاذ بالمدرسين الأكفاء فى كل الفنون العسكرية وافتتحوها فى ٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ لتخريج الفوج الأول^(١)، تحت إشراف القائد محمود لبيب والسكرتير سعد الدين الوكيلى ووضعت شروطاً للالتحاق كالاتى:

١ - أن يكون الطالب من الإخوان المتفرغين.

٢ - لا يقل السن عن ١٨ سنة.

٣ - لا يقل الطول عن ١٧٠ سم واتساع الصدر ٨٥ سم.

٤ - أن يكون مجيداً للقراءة والكتابة.

٥ - يفضل المسلم بالتدريب العسكرى^(٢).

ويتولى أركان حرب المدرسة اختبار عدد مناسب مما ينطبق عليهم شروط الالتحاق بالمدرسة التى تقرر افتتاحها، ولم يدع الإخوان ذكرى وعد بلفور تمر دون أن يترجموا بما يجيش فى صدورهم، حيث قامت نواة كتيبة من كتائب إنقاذ فلسطين التى أعدها الإخوان وطافوا بالميادين المهمة؛ هاتفين بحياة فلسطين وناشدوا اليهود فى مصر بنبذ الصهيونية حتى لا يجرؤوا على أنفسهم وبالأحرار.

(١) الإخوان المسلمون - ٤ نوفمبر ١٩٤٧.

(٢) الإخوان المسلمون - ٦ نوفمبر ١٩٤٧.

لذلك عملت بريطانيا بإيعاز من الوكالة اليهودية على مقاومة نشاطهم في فلسطين، فأصدرت الحكومة الفلسطينية - الإنجليزية قراراً بعدم انضمام موظفيها إلى منظمة الإخوان المسلمين أو أى ناحية من نواحي نشاطها وعدم السماح لفرق الشعب الجوال بالقيام باستعراض في الميدان أو في القرى، لذلك ندب المكتب الإدارى للإخوان وفداً للاحتجاج لدى السكرتير العام لحكومة فلسطين الذى أجابهم بأن لديه أوامر مشددة بالحجر على نشاط الإخوان غير المرغوب فيه، كما تقدم وفد من عرب فلسطين للاحتجاج، فجاء رد السكرتير العام عليهم كالاتى: "لقد ثبت لدينا أنكم على اتصال فعلى بهينة الإخوان.. وأن سياسة المندوبين الذين يقدمون من مصر سياسة خطيرة لا نقرها"، كما كان محرماً على الصحف الفلسطينية نشر المهم من نشاط الإخوان سواء في مصر أو فلسطين؛ لأن الرقيب منع نشر أى خبر عن كتائب الإخوان أو أى شئ يتعلق بالصاغ محمود لبيب وجهوده من أجل فلسطين، وهكذا يقف الإنجليز واليهود من الإخوان هذا الموقف المغرض في الوقت الذى يرددون فيه دعوة الجلاء^(١).

وعقب صدور قرار التقسيم وإقرار الجامعة العربية تشكيل جيش من المتطوعين تحت إشرافها خلال اجتماعات رؤساء الدول العربية في القاهرة في الفترة بين ٨ و ١٧ ديسمبر عام ١٩٤٧، وجه الإخوان الدعوة لشباب الأزهر للاشتراك في التطوع شأن مصر في ذلك شأن الدول السبع العربية، وكان من بين أفكارهم لمقاومة الصهيونية أنهم اقترحوا على قادة العرب أن يعدوا إلى جانب خططهم العسكرية ومساعدتهم السياسية التى رسموها في القاهرة وبلودان وعالية، هجرة عربية منظمة إلى فلسطين يحشد لها الشبان الأقوياء من كل بلد عربى ويدربون قبل انتقالهم تدريباً خاصاً مع تزويدهم بكل أسباب القوة ثم يوجهون إلى فلسطين، ومن ثم يقضى على أحلام الصهيونية والمستعمرين الإنجليز والأمريكان ما دام اليهود يجهزون حملات في البر والبحر والجو لغزو فلسطين من مهاجريهم المهربين وغير المهربين حيث يؤمنون بأنه لا يفل الحديد إلا الحديد^(٢).

(١) الإخوان المسلمون - ٤ نوفمبر ١٩٤٧.

(٢) الإخوان المسلمون - ٥ نوفمبر ١٩٤٧.

وعمدوا إلى مداومة الاتصال بأبناء فلسطين حيث زارت كشافة فلسطين مصر والتي عرفت باسم "فرقة قريش" وعقد معها لقاء تضمن الحديث عن العرب والوحدة العربية.

كما أصدرت القيادة العليا أوامرها بتنظيم ٨٣ مكتباً للتطوع بجميع مراكز القطر المصري وطبعوا استمارات التطوع وكان أول المتطوعين حسن البنا^(١) الذي تقدم بطلب إلى الحكومة للسماح لفوج من هؤلاء المجاهدين باجتياز الحدود ولكنها رفضت طلبه^(٢).

وحولت هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين من هيئة شعبية إلى رسمية لتقوم بما يقوم به الإخوان من جمع التبرعات والدعوة للتطوع حتى تضمن الحكومة السيطرة على النشاط التطوعي دون إعطاء فرصة للإخوان^(٣) للانفراد بالأمور.

لذلك دخل الإخوان فلسطين عن طريق سوريا ضمن جيش الإنقاذ التابع للجامعة العربية مع بداية دخول أفواج المتطوعين في شهر يناير عام ١٩٤٨، ما حمل الوكالة اليهودية رفع شكوى إلى مجلس الأمن متهمه الحكومات العربية بالتآمر ضد التقسيم ومطالبة بتنفيذ قرار التقسيم بالقوة^(٤).

كما تقدم المندوب الأمريكي باقتراح تأليف لجنة خماسية من الأعضاء الدائمين بمجلس الأمن لإطلاعه على تطورات القضية الفلسطينية وإيداء التوصيات لتنفيذ التقسيم وإجراء المباحثات مع الدولة صاحبة الانتداب وممثلي العرب واليهود لتنفيذ التوصيات التي أقرتها الجمعية العامة في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ مع تأليف بوليس دولي لتنفيذه^(٥).

(١) الإخوان المسلمون - ٢٠ نوفمبر ١٩٤٧.

(٢) محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيوني - ص ٨٩.

(٣) وزارة الداخلية - إدارة المطبوعات - رقابة الصحف الشرقية رقم ٢١ لسنة ٤٧ - خاصة بأخبار الشرق العربية - ٢٩ ديسمبر ١٩٤٧.

(٤) عبد الرحمن فرج: تحالف الصهيونية والاستعمار - ص ٧٧.

(٥) السياسة - ٢٦ فبراير ١٩٤٨.

ثم تلى ذلك قرارات مجلس الجامعة العربية الذى عقد بالقاهرة بين ٧ و ١٦ فبراير عام ١٩٤٨، المتعلقة بإعادة تنظيم القيادة العليا للقوات المحاربة وإقرار مبدأ تدخل الجيوش العربية فى تلك الحرب^(١).

عندئذ طلب الإخوان من الحكومة المصرية السماح لهم بالقيام برحلة علمية فى شبه جزيرة سيناء وألحوا فى طلبهم واضطرت الحكومة إلى الموافقة، فاجتاز فريق منهم قناة السويس إلى سيناء، ومن هناك راحوا يتسللون إلى فلسطين والاتصال بالمجاهدين العرب لمدهم بالسلاح بعد رفض الحكومة المصرية طلبهم بإدخال أفواج منهم إلى الجزء الشمالى من صحراء النقب، وبدعوا القتال الفعلى بمهاجمة المستعمرات فى فبراير ١٩٤٨ ورابطت قواتهم فى النقب^(٢).

ونتيجة إلى احتجاج اليهود والإنجليز، اتصلت الحكومة المصرية بالمركز العام للإخوان فى القاهرة وطلبت سحب قواتهم من فلسطين، لكنهم رفضوا الانسحاب، عندئذ بدأت الحكومة تراقب الحدود وتحول دون وصول النجذات والمؤن إليهم، كما منعت عودة المجاهدين لزيارة أهليهم، فعمد الإخوان إلى قضاء إجازاتهم فى معسكرات التدريب التى أقيمت فى قطنا بسوريا^(٣).

وفى مارس عام ١٩٤٨ فى أثناء المداولات والمناقشات حول إرسال قوات دولية إلى فلسطين لصون السلام وتنفيذ قرار التقسيم وتنظيم حكومة مؤقتة والميليشيات اليهودية بناء على الاقتراح الأمريكى، تدفق المتطوعون بقيادة اليوزباشى "محمود عبده" من لبنان فى طريقهم إلى دمشق للانضمام إلى جيش التحرير بقيادة "إسماعيل صفوت" مزودين بأحدث الأسلحة والذخائر للانضمام إلى غيرهم من المتطوعين تحت قيادة "مصطفى السباعى" المراقب العام للإخوان

(١) مجلة شؤون فلسطينية - حنة شاهين - حرب العام ١٩٤٨ - رؤية عربية وعالمية ومراحل الحرب - ص ٥٧.

(٢) طارق البشرى: الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - ص ٢٦٠.

(٣) محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيونى - ص ٨٩.

بسوريا^(١)، إذ يضم مئة وخمسين متطوعاً، وتعد أول كتيبة للإخوان المسلمين تصل إلى سوريا ومجهزة تجهيزاً كاملاً من مؤن ومهمات وذخائر وأدوات طبية فضلاً عن الإخصائيين الفنيين في الهندسة والصناعات الحربية^(٢).

٢ - تطور الأحداث والأوضاع في فلسطين ومجلس الأمن:

تعتبر الفترة من أول إبريل حتى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ فترة الحرب غير المعلنة بين العرب واليهود من خلال المتطوعين، حيث اتسمت السياسة الصهيونية في تلك الفترة بالآتي:

١ - صمود المستعمرات الإسرائيلية واستمرار بقاء مواطنيها داخلها في وجه كل الهجمات وأعمال الحصار العربي.

٢ - تجنب الاحتكاك المباشر بالبريطانيين حتى لا تعرقل عملية جلائهم عن فلسطين.

٣ - تأمين الاتصال البري بين مناطق تجمع اليهود في فلسطين مع استمرار فتح الطرق للتحركات الإسرائيلية المختلفة.

٤ - تأجيل العمليات الهجومية الكبرى ضد العرب إلى مرحلة تالية^(٣).

٥ - "العالم لا يشفق على المذبوحين.. لكنه يحترم المحاربين" هذه العبارة تلخص رؤيا "مناحيم بيغن" السياسية وغيره من اليهود، إثر التحول الأمريكي عن التقسيم إلى الوصاية، وتحول اليهود إلى الهجوم وانتقال

(١) الإخوان المسلمون - ١١ يناير ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ٧ مارس ١٩٤٨.

(٣) إبراهيم شقيب: حرب فلسطين ١٩٤٨. رؤية مصرية - ص ٩٣.

المبادأة إليهم، حيث شرعوا في تنفيذ الخطة "دال" أو "دالت" (١)، التي صادقت عليها القيادة العليا للهاجانا في ١٠ مارس عام ١٩٤٨.

وتضمنت الخطة الأهداف المراد تحقيقها فيما يختص بالمنطقة الجنوبية بفلسطين - صحراء النقب - وهذا ما صرح به جوريون بقوله: "إن احتلال البلد كله أو جزئه الأكبر والاحتفاظ بالمناطق المحتلة حتى التوصل إلى اتفاق سياسي، وذلك بالاستيلاء على مواقع كاشفة واحتلال قرى عربية، بهدف السيطرة على عقد المواصلات الرئيسية في فلسطين وأهمها بين تل أبيب والنقب... وفرض الحصار على المدن العربية ومنع الخدمات الحيوية كالكهرباء والماء حتى التسليم، وكانت المدن العربية المستهدفة في هذه العملية: بيت لحم - الخليل - غزة، وتقرر احتلال بئر سبع والسيطرة على طرق المواصلات ومصادر المياه التي تستخدمها القوات العربية المهاجمة من الحدود المصرية.."

أما الأهداف التي تحققت في إطار الخطة "د" في منطقة النقب فهي إيجاد ممر إقليمي يربط بين المستوطنات اليهودية في الجنوب والشمال، حيث احتل لواء النقب في ١٣ مايو القرى العربية الآتية: "بربر، حليقات، كوكبة وسمسم"، واستطاع أيضا السيطرة على مراكز الشرطة الصحراوية في الهزيل والعمارة ونسف الجسور الواقعة على الطريق غربى بئر سبع وشمالها (٢).

وإلى جانب الخطة الموضوعية شهدت الأشهر الأخيرة قبل الحرب ورود أسلحة جديدة من تشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث صارت تشيكوسلوفاكيا في تلك المرحلة أهم مورد رسمي للسلاح إلى الدولة الإسرائيلية

(١) محفظة رقم (١٨٥٠) - الأرشيف السرى ١/٤٢/١٣٩ - ٣ - عنوان "هيئة الأمم المتحدة - قضية فلسطين وعرضها على الهيئة ٢١ سبتمبر ١٩٤٧ - وزارة الداخلية - إدارة عموم الأمن العام - مذكرة من وكيل الداخلية.

(٢) مجلة شئون فلسطينية - حنة شاهين - حرب العام ١٩٤٨ - رؤية عربية وعالمية - مراحل الحرب - ص ٥٤، ٥٩، ٦٥، ٧٠، ٧١.

بمعقد صفقة بين جروميكو وشرتوك، ويبدو أن الاتحاد السوفييتي رأى أن يعهد مهمة تصدير الأسلحة إلى إحدى الدول الدائرة في فلكه؛ حتى لا يتورط في المشاحنات المحلية^(١).

ونتيجة لهذه الإمدادات الحربية الوفيرة، اشتد بأس اليهود كثيرًا في إبريل عام ١٩٤٨ واشتدوا في هجومهم على العرب، وكانت أشهر عملياتهم مذبحة دير ياسين في ١٠ إبريل عام ١٩٤٨ وتكرارها فيما بعد في قرية ناصر الدين وطبريا، عيلوط (الناصر)، وحواصة (حيفا) وسكرير (المجلد)^(٢).

تدخل مصر عسكريًا بقوات غير نظامية:

عندئذ قدم إسماعيل صفوت قائد قوات التحرير إلى القاهرة ليعرض على اللجنة السياسية تقريره عن تطورات الموقف حيث ذكر قلة السلاح والذخيرة.. أين كانت الحكومة الفلسطينية - الإنجليزية لإنهاء المجزرة التي دامت اثنتي عشرة ساعة، وحياها إذا ظهرت بادرة انتصار لليهود على العرب؟ ولا حل لذلك إلا باشتراك قوات منظمة حيث توجد الأسلحة في مخازن الدول العربية^(٣).

نتيجة لعدم تحرك ضمير الولايات المتحدة الأمريكية والديمقراطيات الغربية (الحرّة) وتحت ضغط الرأي العام العربي ومطالبته بالدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، قررت اللجنة السياسية في ١٢ إبريل عام ١٩٤٨ تلبية نداء العالم العربي والزحف إلى فلسطين بعد أن يتم الجلاء البريطاني بغية إعادة الأمن والنظام من خلال تعيين حاكم عسكري وآخر إداري من القوات العربية الزاحفة لإنقاذ فلسطين.

(١) صلاح العقاد: قضية فلسطين، المرحلة الحرجة ١٩٤٥، ١٩٥٦ - ص ٦٤.

(٢) د. سعد الببسي: إسرائيل جنائية وخيانة - ص ١٣١.

(٣) السياسة - ١٤ إبريل ١٩٤٨.

رد الفعل البريطاني والأمريكي:

وما أن علم السفيران البريطاني والأمريكي بهذا القرار حتى سارعا فى مقابلة وزير الخارجية المصرى - أحمد خشبة باشا - وأوضح كل منهما من خلال المقابلة خطورة ذلك القرار الذى يخلق مشكلة دولية؛ لأن بعض الدول ستتخذة منفذاً تصل منه إلى ما تريد فى الشرق الأدنى والأوسط^(١)، كما طلب المندوب الأمريكى من مجلس الأمن فرض تنظيم هدنة بين العرب واليهود فى فلسطين^(٢).

إقرار الحكومة المصرية حركة التطوع:

وعن مدى استجابة الحكومة المصرية للتدخل البريطانى والأمريكى للحيلولة دون إرسال قوات نظامية مصرية وتنفيذاً لدعوة مجلس الشيوخ، الحكومة المصرية إلى التعاون مع جميع الحكومات العربية ومن يناصرها من الحكومات الأخرى للحيلولة دون تنفيذ قرار التقسيم بكل الوسائل الممكنة^(٣)، رأت الحكومة المصرية أنه كان لا بد من دخول الحرب يكون من خلال المتطوعين فى ظل الجامعة العربية، ولذلك رضيت عن حركة المتطوعين وسمحت لهم بالتدريب على القتال فى "معسكر الهايكستب" بمصر وزودتهم بالأسلحة بنحو مئة جندى من سلاح المدفعية وعدد من الضباط الذين استقالوا، وفى ذلك الشأن ذكر "خالد محيى" - فى مذكراته و"الآن أتكلم": كنت ضد قرار التقسيم.. وضرورة تقديم العون والمساعدة للفلسطينيين.. ومن ثم فقد كنت ضمن التيار العام الذى ساد الوطن والجيش معاً بضرورة التدخل المسلح.. ومع تصاعد الأحداث الفلسطينية بدأنا فى تدريب عدد من المتطوعين العرب بناء على طلب من الجامعة العربية وكان عدد هؤلاء

(١) للكتلة - ١٢ إبريل ١٩٤٨.

(٢) محمد فائز القصرى: قضية فلسطين - وثائق فلسطين - ص ٩٢٥.

(٣) مجلس الشيوخ - الجلسة الثانية - ٨ ديسمبر ١٩٤٧ - ص ٤١.

المتطوعين نحو ٣٠٠ متطوع من مختلف البلدان العربية.. وتطوع عبد المنعم عبد الرؤوف وحسن فهمى عبد المجيد وكمال الدين حسين للحرب في فلسطين قبل دخول القوات المصرية، وسافروا مع كتيبة الجامعة العربية تحت قيادة أحمد عبد العزيز، وكان الجيش قد وضع تقليداً جديداً وهو أن الضابط الذى يريد أن يتطوع فى حرب فلسطين يمكنه الحصول على إجازة مفتوحة وفور عودته يلتحق مرة أخرى بالقوات المسلحة، وتم الاتفاق مع الجامعة على إقامة مركز تدريب للمتطوعين العرب فى الهايكستب^(١).

وقد أشرف على حركة التطوع محمود لبيب وكيل الإخوان وقائد وحداتهم العسكرية، أما برنامج التدريب فقد كان يشرف عليه البكباشى حسن مصطفى من ضباط الجيش المصرى وأمنتهم الجامعة العربية ببعض المال، فتألفت منهم ثلاث كتائب:

الكتيبة الأولى: بقيادة أحمد عبد العزيز وعمل فى البداية بالنقب ثم انتقل إلى العمل فى جنوب القدس (بيت لحم).

الكتيبة الثانية: يقودها البكباشى عبد الجواد طبالة، وقد رافقت فى بادئ الأمر الجيش المصرى فى المعارك التى وقعت فى قطاع غزة ولما استشهد أحمد عبد العزيز انتقلت إلى قطاع بيت لحم إلى الجنوب من القدس.

الكتيبة الثالثة: بقيادة اليوزباشى محمود عبده، وتولى مسؤولية الدفاع عن صور باهر بالتعاون مع الإخوان المسلمين الأردنيين بقيادة عبد اللطيف أبو قورة^(٢).

ووجهت اللجنة الفرعية لهيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين الدعوة للتطوع والتبرع فى يوم فلسطين بأسبوط وكان فى مقدمة الحاضرين محمد على علوبة والمرشد العام حسن البنا^(٣).

(١) خالد محبى الدين: والآن أتكم - ط١ - ص ٥٢، ٧٣.

(٢) محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيونى - ص ٣٣٤.

(٣) الإخوان المسلمون - ٢٢ مارس ١٩٤٨.

ودخل المرشد العام فلسطين للمرة الأولى عن طريق العريش ومعه فصيلة من متطوعي الإخوان مزودة بأحدث الأسلحة يتقدمهم العلم المصري وعلم الإخوان، مؤمنين أن حل مشكلة فلسطين ليس في لندن وموسكو وواشنطن ولكن في القاهرة وبغداد ومكة والشام^(١).. كان في استقبالهم أعيان العريش والعرب، وتقابل المرشد العام مع الشيخ "سمري مرعي" زعيم قبيلة الفواخرية وزار محافظ سيناء، ثم تحرك الموكب تتقدمه سيارتان كبيرتان إحداهما تقل المرشد ومرافقيه والأخرى لنقل فصيلة الإخوان مولين وجوهم شطر فلسطين من رفح إلى خان يونس، وانتقلوا إلى معسكر النصيرات ثم غزة حيث تقابل حسن البنا مع اللواء سليمان عبد الواحد سبل قائد منطقة غزة^(٢).

ثم توالى توديع ألوف من متطوعي الإخوان بعد حادثة دير ياسين، حيث وصل ١٥٠٠ مجاهد إلى فلسطين من متطوعي الإخوان بقيادة العقيد عاهد بك السخن قائد اللواء الجنوبي بصحبة اليوزباشي محمود عبده، قادمين من دمشق بعد أن أمضوا مدة طويلة في معسكرات التدريب مزودين بأحدث الأسلحة واستقبلهم الأهالي بحفاوة، ونكرت الوكالة اليهودية: "خلال يومين دخل أكثر من ١٥٠٠ مجاهد ومعهم مدافع من عيار ٢٥ رطل" وانتشروا في مناطق القدس وبئر سبع وصفد وعكا وطبريا^(٣).

ويجدر بنا قبل التطرق إلى نشاط المتطوعين المصريين في فلسطين للحفاظ على عروبتهم والموقف الدولى إزائه، أن نقف على التحفظات التى تحول دون إقرار الحكومة المصرية للتدخل العسكرى فى فلسطين بواسطة قوات نظامية مصرية:

(١) الإخوان المسلمون - ٩ إبريل ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ٥ إبريل ١٩٤٨.

(٣) الإخوان المسلمون - ١٤ إبريل ١٩٤٨.

أولاً: لوجود بريطانيا كدولة منتدبة في فلسطين من شأنه أن يمنع الحكومة المصرية من التدخل بقواتها النظامية؛ لأنه يعنى الاعتداء على سلطات الانتداب المسؤولة عن حفظ الأمن والنظام بفلسطين .

ثانياً: إن القوات البريطانية تحتل قواعد في منطقة قناة السويس، أى في طريق مرور القوات المصرية إلى فلسطين، هذا إلى جانب النقص الشديد في أسلحة وتنظيم الجيش المصرى.

ثالثاً: تأتى القضية الفلسطينية في المرتبة الثالثة من اهتمامات الحكومة المصرية بعد القضية المصرية، وعن ذلك يقول النقراشى: لقد ذهبت إلى مجلس الأمن وطالبت الإنجليز بأن يخرجوا من بلدنا وقتل للعالم كله إن الجيش المصرى قادر على ملء الفراغ في قناة السويس وأنه قادر على الدفاع عنها.. ولأنا لا أريد أن أعرض هذا الجيش الذى هو حجتى وسندى في القضية المصرية إلى تجربة خطيرة ولو نسبة الخطر لا تزيد على عشرة أو خمسة في المئة ... فإننى لا أرضى أن أجازف ولا بواحد في الألف^(١).

رابعاً: إن النقراشى باشا يضع في اعتباره النتائج الدبلوماسية والحربية المترتبة على التدخل الرسمى للقوات النظامية فبالنسبة للنتائج الدبلوماسية؛ فتتضمن احتجاج بريطانيا وأمريكا باعتبار أن هذا العمل ضرب من التهديد بالقوة لسلامة الأراضى أو الاستغلال السياسى لأي دولة، وقطع علاقاتهما الدبلوماسية بالبلاد العربية، وعرض الأمر على مجلس الأمن تطبيقاً للمادتين ٣٤ و ٣٥ من الميثاق باعتبار أن هذه العمليات الحربية تهدد الأمن وتطبق العقوبات المنصوص عليها في المادة ٤١ من الميثاق، أما النتائج الحربية، فقد تضمنت تدخل أمريكا وبريطانيا حربيًا قبل عرض الأمر على مجلس الأمن تطبيقاً للمادة ٥١ من الميثاق والمادتين ٤٢ و ٤٨ من الميثاق بعد عرض

(١) د. عابدة سليمة : مصر والقضية الفلسطينية ص ١٧٩.

الأمر على مجلس الأمن، وأيضًا اصطدام الجيوش العربية بالجيوش اليهودية يؤيدها حتمًا بريطانيا وأمريكا وغيرهما بالعتاد والرجال، والنتيجة في هذا الحالات الثلاث فشل محقق الوقوع ويجب أن تتقى البلاد العربية شر نتائجه ، ولما كان من المحتم اشتراك مصر والبلاد العربية، رأى النفراشى أنه يجب أن يكون الاشتراك مستترًا وبصفة غير رسمية، لذلك وافق على حركة التطوع فى ظل الجامعة العربية ضمن جيش التحرير العربى الخاص بها، وأوصى بأنه يجب أن يتبع الآتى مع اشتراك الحكومة المصرية فى حركة التطوع:

١ - أن تتخذ منتهى الحيلة فى البيانات الرسمية التى تصدرها الحكومات ورجالها المسؤولون، حيث يتبين منها بصفة قاطعة أن الحكومات وجيوشها لا شأن لها بهذه الحركات الحربية.

٢ - أن تمتنع الصحف عن ذكر ما من شأنه من قريب أو بعيد، يشير إلى اشتراك الحكومة وجيشها فى هذه الحركات.

٣ - أن يتخذ أقصى ما يمكن من حيلة، حتى لا يكون للفرق المتطوعة التى تدخل فلسطين أى صلة ظاهرة أو مستترة بالحكومة المصرية أو جيشها من حيث زى أفراد هذه القوة أو عتادها، ويعنى عناية تامة بمحو اسم الحكومة المصرية أو وزارة الدفاع من كل متعلقات الفرقة المتطوعة أو ملابسها أو معداتها لئلا كان نوعها، وألا تحمل هذه الفرقة أو أفرادها أى مكاتبات أو مراسلات تدل على اتصالها بالحكومة المصرية، إذ يجب أن يقرر احتمال إرسال لجنة تنتخبها هيئة الأمم المتحدة لبحث الحالة الحربية فى فلسطين، ومن مصلحة مصر بل ومن الضرورى ألا يكون هناك دليل مادى يثبت صلة الحكومة بهذه القوات^(١).

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٦ / م ج / ٢٣ - منكرة مرفوعة من وكيل وزارة الخارجية إلى وزير الدفاع فى ٢٧ إبريل ١٩٤٨ - بمناسبة ما سيتقرر من اشتراك فرق مصرية من الجيش.

لذلك كان يرى النقراشي باشا أن أقصى ما يقدمه للقضية الفلسطينية المال والسلاح والمتطوعين، وحتى الأخيرة لم يقدمها إلا تحت ضغط الرأي العام المصري وهذا ما ذكره نوري السعيد رئيس وزراء العراق لحسين سري باشا في وزارة الخارجية المصرية في أغسطس عام ١٩٤٩ حول الاجتماع الذي تم بينه والنقراشي في ٣ ، ٤ ديسمبر عام ١٩٤٧ : "إن النقراشي باشا قرر عدم رغبة مصر في الاشتراك الفعلي في الحرب، لأن مصر تكتفي بالمعونات الأدبية والمادية لأهالي فلسطين وتكتفي بإيجاد فرق مصرية على حدود فلسطين"^(١).

معركة كفار ديروم للإخوان المسلمين:

وفي ١٥ إبريل وقعت معركة كفار ديروم أو دير البلح التي تقع جنوب غزة في السهل الساحلي بين غزة وخان يونس، وقد سبق أن قام المناضلون العرب - قبل شهر من مهاجمتها من قبل المتطوعين المصريين - بقتل أربعة من أهلها نتيجة لاعتداءاتهم على الزروع وتحرشهم بمن يمر بها، وأخيراً فكر المناضلون العرب في اقتحامها وتأييب أهلها بعد محاصرتها عشرة أيام، ووضعوا خطة بالاشتراك مع قوة الإخوان المسلمين وقاموا بهجوم عنيف على مستعمرة كفار ديروم أو دير البلح، واستخدموا في الهجوم مدافع الهاون والبرن والماكينات والقنابل اليدوية بعد أن بنوا الألغام في الطرق المؤدية إلى المستعمرة ونسفوا جميع التحصينات الخارجية، واستمرت المعركة عشر ساعات، كما استخدم اليهود الدفاع جميع أنواع الأسلحة، وأوشكت المستعمرة أن تسقط لولا استجار اليهود بالجيش البريطاني لعدم تمكن الهاجانا من الوصول إليهم لحفر المتطوعين حقول الألغام في الطريق^(٢)، وتمكن القائد البريطاني من عقد هدنة بين الطرفين، بعد تكبيد اليهود خسائر فادحة وذلك ما اعترف به عمدة المستعمرة بـ "أن الخطة خطة

(١) محفظة رقم ٢٥٨ لأحدث صاحب الدولة حسين سري باشا في أغسطس ١٩٤٩ - مقابلة بينه ونوري السعيد رئيس وزراء العراق يوم الاثنين ٢٢ أغسطس ١٩٤٩.

(٢) الإخوان المسلمون - ١٥ إبريل ١٩٤٨.

محاربين محنكين.. ووقع من اليهود ٤٠ قتيلاً واستشهد اثنا عشر مصرياً، كما أصيب خمسة بجروح خفيفة لاستمرار حصار المستعمرة من جميع الجهات للحيلولة دون وصول نجدات حتى تستسلم^(١).

ونتيجة لقوة تحصين المستعمرة لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها وطلب المكتب الإداري للإخوان المسلمين بالإسكندرية من جامعة الدول العربية وجوب التدخل الفوري وإمداد المجاهدين بالأسلحة والذخائر^(٢).

ورغم تلك الصعوبات فقد أشاد القائد البريطاني بقوة وجراة وشجاعة الإخوان حين تدخل للتوسط بينهم وبين اليهود حيث قال: "لو كان معي ٣ آلاف من هؤلاء لفتحت فلسطين" ما يدل على بطولة الإخوان ومدى مهاراتهم العسكرية حين بدءوا يقصون الأسلاك الشائكة التي تحيط بالمستعمرة حتى إذا انتهوا من خطها الأول أخذوا ينسفون الخط الثاني، وإذا بمدافع الهاون وقنابل الخان تطلق من الجبهة الشرقية لتغطية الهجوم واستيقظ اليهود وراحوا يضربون أوكار مدافع الهاون وهم يظنون أن الهجوم العربي قد بدأ من تلك الناحية، وهنا تسلل الفدائيون واقتحموا الأماكن المغمومة ووضعوا الألغام والمتفجرات على الحصون وهاجموا البرج والحصون فنسفوها، وأخذ المصريون واليهود يتقاذفون القنابل اليهودية ويترشقون بمدافع التومي والبنادق والبرن، وظن اليهود أن المعركة بسيطة؛ ولكنهم بعد ساعتين تنبهوا إلى خطورة الهجوم فاستعانوا بالجيش البريطاني فحضرت الدبابات ولما وجدت أن المصريين قد لغموا الأرض، راحت ترفع الألغام وكانت الدبابات البريطانية ترفع الأعلام البيضاء وصدرت الأوامر بعدم إطلاق النار^(٣).

(١) الإخوان المسلمون - ١٨ إبريل ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ١٣ إبريل ١٩٤٨.

(٣) الإخوان المسلمون - ١٨ إبريل ١٩٤٨.

كما أشاد القائد أحمد عبد العزيز بأن الإخوان المسلمين لديهم أفكار حربية وجبهة حيث قال: "يكفى تسكرهم خارج غزة ويقتطعهم في الحراسة وتكتهم في إخفاء قوتهم الحقيقية"^(١).

رد الفعل البريطاني إزاء نشاط المتطوعين:

عقب معركة كفار ديروم في ١٧ إبريل عام ١٩٤٨ أبلغ السفير البريطاني رونالد كامبل بناء على تعليمات وزارة الخارجية احتجاجه إلى "خشبة باشا" وزير الخارجية المصري على نشاط المتطوعين، الذي من شأنه أن يؤثر في مهمة المملكة المتحدة في حفظ الأمن والنظام في فلسطين حيث جاء على لسان السفير: "إن مسؤولية حكومة المملكة المتحدة صون القانون والنظام في فلسطين باقية إلى أن ينتهي انتدابها يوم ١٥ مايو وإزاء تفاقم حالة التوتر في تلك البلاد فإن خطر وقوع أعمال العنف على نطاق واسع أخذ في الازدياد، كما أن أحد العوامل التي تؤدي إلى هذا الخطر يمثل في تأليف تشكيلات عسكرية غير نظامية داخل فلسطين، ومعروف أن أفرادها مجندون من الدول العربية وبتزايدهم قد يؤدي عاجلاً إلى اصطدام بالقوات التي تستخدمها سلطة الانتداب لصون الأمن، لهذا فإن الحكومة البريطانية تعرب عن عظيم أملها في أن تتخذ كل حكومة من الحكومات خطوات فاعلة للتعاون مع الحكومة البريطانية في المحافظة على سلامة حدود فلسطين في وقف نشاط الجماعات المسلحة غير النظامية التي دخلت فلسطين فعلاً، والحكومة البريطانية واثقة في أن الحكومة المصرية تترك أهمية قيامها بالبرهنة بصورة جلية لمجلس الأمن وللجمعية العمومية التي قد تدعى إلى الانعقاد في دورة

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ // ملف - د/ تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ بواسطة (أ. ح) أحمد عبد العزيز قائد عام قوات المتطوعين والليبيين ومقدم إلى الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام.

خاصة لبحث مسألة فلسطين على تقديرها للمسؤوليات الواقعة على عاتق الدول العربية باعتبارها أعضاء في الأمم المتحدة^(١).

ومن الملاحظ أن الاحتجاج تضمن تحذير الخروج عن مبادئ وميثاق هيئة الأمم المتحدة باعتبار مصر عضواً ينتمى إليها ما يعرضها لعقوبات اقتصادية وسياسية.

وفي مقابلة أخرى بين مستر تشابمان أندروز - الوزير المفوض والقائم بأعمال السفارة البريطانية بمصر - وأحمد خشبة باشا في ١١ مارس ١٩٤٨، أبدى "أندروز" أن الحكومة البريطانية ترى أن هناك حركة قوية من يهود أمريكا للضغط على حكومتها لرفع حظر إرسال المون والنخائر إلى فلسطين ويخشى أن تتوج هذه الحركة بالنجاح، فأجابه خشبة: "أنتم تقولون أن الحرب مع روسيا يخشى وقوعها وتريدون تنبيه الدول العربية بهذا الخطر وأن نعد له عدته وفي الوقت نفسه تحولون دون ما تراه الحكومات العربية ضرورياً لها للدفاع عن نفسها ذلك أن الحكومة المصرية إذا حصلت منكم على عتاد أو ذخيرة فإنها لا تعطى ذلك إلى فلسطين بل تأخذه لنفسها لأن جيشها في أشد حاجة إليه لتقويته وحسن تزويده"^(٢).

ونتيجة لعدم تراجع الحكومة المصرية عن موقفها المؤيد لنشاط المنطوعين واستمرار توتر الحالة في فلسطين أصدر مجلس الأمن قراراً بإيقاف جميع الأعمال العسكرية في فلسطين في ١٧ إبريل ١٩٤٨ جاء فيه: "أخذ بعين الاعتبار قرار المجلس في أول إبريل ١٩٤٨ بفرض تنظيم هدنة بين العرب واليهود في فلسطين.. وأخذ بعين الاعتبار أن حكومة المملكة المتحدة مسؤولة عن إقرار السلم والنظام في فلسطين ما دامت هي الدولة المنتدبة.. يجب أن تحظى بتعاون وتأييد

(١) محفظة رقم (٢٥٨) - تقرير حول مقابلة رونالد كامبل لخشبة باشا في السفارة البريطانية في ١٧ إبريل ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٢٥٨) - مقابلات وأحاديث الوزير أحمد خشبة باشا في ١١ مارس ١٩٤٨ - وحولاه مع مستر "أندروز".

مجلس الأمن.. وكذلك جميع أعضاء الأمم المتحدة ويدعو جميع الحكومات خصوصاً المجاورة لفلسطين أن تتخذ جميع الخطوات الممكنة للمساعدة في وقف جميع الأعمال ذات الصبغة العسكرية والشبهية بالعسكرية والامتناع عن إحضار ومساعدة وتشجيع إدخال العصابات المسلحة والمحاربين من جامعات وأفراد إلى فلسطين مهما كان أصلهم.. لحين إجراء الجمعية العمومية مزيداً من البحث في مستقبل حكومة فلسطين»^(١).

- قرار الحكومة المصرية التدخل العسكري بقوات غير نظامية ضمن القوات العربية تحت قيادة الملك عبد الله:

- سقوط حيفا: عملت الهاجانا وفقاً لـ "الخطة د" بالسيطرة على المدن المختلطة وكانت الثانية في القائمة بعد طبريا، حيفا الميناء الكبير والمركز الصناعي المهم في فلسطين^(٢).

ومنذ زمن طويل وهم يلحون على السلطات البريطانية بأن تتخلى لهم عن أحد الموانئ، فكانت ترفض وتظاهرت بأنها لن تتخلى عن حيفا قبل أغسطس، وجاء إخلاؤها في ٢٠ إبريل عام ١٩٤٨ مفاجأة تامة للعرب، واضطر السكان إلى مغادرتها إلى لبنان وكانت أول هجرة جماعية على نطاق واسع تخرج من فلسطين^(٣).

وقد توافق استلام اليهود لحيفا مع مناقشات مشروع أمريكا بوضع فلسطين تحت الوصاية، الذي قدمه مندوبها مستر وارن أوستن إلى الأمم المتحدة في ٢٠ إبريل عام ١٩٤٨^(٤).

(١) محمد فائز القصري: قضية فلسطين.. وثائق فلسطين - ٩٢٥ - ٩٢٦.

(٢) أحمد خليفة: حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨.. الرواية الإسرائيلية الرسمية - ط١ - شركة الخدمات النشورية المستقبلية - قبرص - ١٩٨٤ - ص ٤٦٧.

(٣) صلاح العقاد: قضية فلسطين. والمرحلة الحرجة ١٩٤٥ - ١٩٥٦ - ص ٦٦.

(٤) محمد فائز القصري: قضية فلسطين. وثائق فلسطين - ص ٩٢٧.

ويرجع إقدام بريطانيا على تلك الخطوة إلى أن قرار مجلس الأمن الذي يدعو الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة إلى عقد دورة، خاصة لإجراء مزيد من البحث في مستقبل حكومة فلسطين سيكون خطوة في سبيل شطب قرار التقسيم، ومن الجلى أنه مع اقتراح أمريكا بالوصاية في تلك الدورة سيعرض بطريقة تجعل التقسيم آخر حل يمكن أن يلجأ إليه^(١).

لذلك حرصت بريطانيا على الاتفاق مع اليهود من أجل تنفيذ قرار التقسيم وجعله حقيقة واقعة وإشغال أى مشروع تتقدم به الولايات المتحدة، الذي يتوقف تنفيذه على المساهمة العسكرية مثل مشروع الوصاية وإرسال القوات البوليسية^(٢).

فجاء تسلم اليهود حيفا ما عدا الميناء، وهو تنفيذ ما جاء في قرار التقسيم، فيما يختص بحدود الدولة اليهودية الذي يتضمن حيفا وقراها^(٣)، على أن بريطانيا لم تتخل عن منطقة الميناء لما تمثله لها حيث "البنترول والمصالح الاستراتيجية والعسكرية" في منطقة خليج حيفا ووجود معمل لتكرير البنترول بمقدار أربعة ملايين كيلو طن سنوياً، حيث يصل النفط الخام عن طريق خط أنابيب طوله ألف متر يخترق الصحراء من حقول النفط في شمال العراق وبواسطة ناقلات من طرابلس وسوريا عن طريق قناة السويس^(٤).

ومع تكرار إعلان بريطانيا أنها ستجلبو عن فلسطين في أول أغسطس عام ١٩٤٨، شرعت في تحقيقه بالجلء عن حيفا، ومن الملاحظ أن بريطانيا تتبع سياسة واحدة عند جلء قواتها سواء في مصر أو في فلسطين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية وانسحابها إلى مواقع ذات أهمية استراتيجية، فبالنسبة إلى مصر

(١) السياسة - ١٣ إبريل ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ٣ مايو ١٩٤٨.

(٣) عارف العارف: النكبة، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢ - ج ١ - ص ٢٥.

(٤) جوان كوماى: دليل إسرائيل - ص ١٨٣.

تركزت قواتها في قناة السويس، أما فلسطين ففي منطقة ميناء حيفا، ما يدل على دور لندن في تشكيل مستقبل فلسطين رغم تكرار إذاعتها بالجلء عنها^(١).

وبذلك تضمن عند خروجها من فلسطين وجود قاعدة لها، خصوصاً أن مشروع الوصاية يقوم على تحديد مستقبل فلسطين بشرط اتفاق العرب واليهود حول هذا المستقبل، ولإدراك بريطانيا أن هذا لم يتحقق وسيطول ويعطى الفرصة لتدخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، لذلك سارعت في حسم الأمر، من ناحية أخرى حرصت بريطانيا على وجود علاقات طيبة مع اليهود بوصفهم أصحاب الدولة اليهودية الناشئة^(٢).

وجاءت نقطة التحول في ١٨ إبريل عام ١٩٤٨، عندما دعا القائد البريطاني في حيفا الجنرال "ستوكويل" ضابط الاتصال بالوكالة اليهودية "هارى بيلين"، وأخبره بأن القوات البريطانية ستجلو عن كل أجزاء حيفا ما عدا منطقة الميناء وجزء من الكرمل الغربي، وسيتم خلال ثمانى وأربعين ساعة أى يوم ٢٠ من إبريل عام ١٩٤٨، ولم يخبر السلطات العربية بقراره إلا صباح يوم ٢١ من إبريل عام ١٩٤٨، فملكك الهاجانا المبادأة وبذلك تيسر لها أربعة أيام حاسمة للاستعداد^(٣).

اعتداء اليهود على الرعايا المصريين في حيفا:

هاجم اليهود دور المصريين ونهبوا وأسروا الرجال بعد أن ارتكبوا فظائع مع النساء والأطفال ليحولوا دون وصولهم إلى دار القنصلية، واتصل القنصل بحاكم اللواء

(١) المقطم - ٢٣ إبريل ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ٢٥ إبريل ١٩٥٨.

(٣) إبراهيم شكيب: حرب فلسطين ١٩٤٨. رؤية مصرية - ص ١٠٥.

للعمل على حماية المصريين ووقف هذه المهازل^(١)، لكن السلطات البريطانية رفضت التدخل لذلك أبلغ القنصل المصرى النفراشى وأحمد خشبة باشا بذلك^(٢).

موقف الحكومة المصرية:

ومن خلال مقابلة بين أحمد خشبة ومستشار السفارة البريطانية فى ٢٥ إبريل عام ١٩٤٨ أوضح له خشبة باشا، أن الحكومة المصرية حريصة كل الحرص على السلام والأمن بهذه المنطقة، على الرغم مما وصل إلى علمها بما ارتكبه اليهود من مجازر فى حق الرعايا المصريين فى حيفا، حيث يمنعون من الرحيل وتتهب أموالهم ويقتلون بأيدي اليهود، إلى جانب امتناعهم عن تسليم الطيار المصرى محبى الدين سوسة وطائرته رغم ثبوت أنه محجوز لديهم، كل ذلك لا يساعد فى إقرار الأمن فى فلسطين ولا على إحلال الطمأنينة فى النفوس، ومصر والحكومات العربية تراقب بقلق ثورة رأى العام وتحفزه، وهى بلا شك لا يمكن أن تكبت الشعور الشعبى الناتر، وطلب منه أن يبلغ السفير:

أولاً: رجاء الحكومة المصرية أن تبذل الحكومة البريطانية أقصى جهدها فى البحث عن الطيار المفقود بصفتها الدولة المسؤولة عن الأمن إلى ١٤ مايو أو تسمح للطائرات المصرية بالبحث عنه.

ثانياً: السماح لباحرة مصرية بالسفر إلى حيفا لإحضار الراحلين من الرعايا المصريين، على أن تضمن الحكومة البريطانية سلامة السفينة فى دخولها الميناء حتى خروجها من المياه الإقليمية فى حيفا، كما تضمن سلامة وصول الرعايا المصريين من المدينة إلى منطقة الميناء^(٣).

(١) الإخوان المسلمون - ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ٢٨ إبريل ١٩٤٨.

(٣) محفظة رقم (٢٥٨) - تقرير حول مقابلة أحمد خشبة باشا لمستشار السفارة البريطانية فى ٢٥ إبريل ١٩٤٨.

وبالفعل فرض الجيش البريطاني هدنة مدتها ثلاثة أيام لترحيل العائلات المصرية إلى عكا، واتخذ القنصل المصري إجراءات سريعة لترحيل نحو ٤٠٠ مصري كانوا بها، واستعمل لهذا الغرض إحدى السفن الشراعية حيث أصدر النقراشي أوامره لإحدى البواخر المصرية ومعها طائفة للاستكشاف لترحيل المصريين^(١).

ومع اتساع نطاق هجوم اليهود في يافا والقدس وعكا بصورة أزعجت العالم العربي، عملت الترتيبات لترحيل المصريين في القدس ويافا على الباقية "تألوري" التي وصلت إلى ميناء الإسكندرية في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ تحت إشراف محمد رؤوف فهمي نائب القنصل العام في القدس ومعه نحو ١٠٦ من المصريين الذين كانوا في تلك المدينة ونحو ٤٠ من النساء والأطفال الفلسطينيين.

وفي ٥ مايو عام ١٩٤٨ تقدم "النقراشي باشا" إلى مجلس الشيوخ بطلب أن يأذن للحكومة بأن تأخذ من الاحتياط العام مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه، لمواجهة نفقات إعادة الموجودين بفلسطين من المصريين غير القادرين وإيواء وإعانة المهاجرين إلى الديار المصرية من الفلسطينيين العرب^(٢).

أما بالنسبة للطيار محيي الدين سوسة، فوفق محمد رؤوف نقيب القنصل العام في القدس في تخليصه من أيدي الصهيونيين بعد مفاوضات طويلة بينه وبين من توسطوا لفك أسره وهم قنصل بولندا العام في القدس وبعض رجال جمعية الصليب الأحمر^(٣). وسافرت قوة عسكرية مصرية إلى القدس بغرض تعزيز حراسة القنصلية^(٤).

وإثر قرار مجلس الأمن عقد هدنة في القدس تتولى الإشراف عليها لجنة ثلاثية من ممثلين الدول التي لها قنصل بالقدس (الولايات المتحدة الأمريكية - فرنسا - بلجيكا)، أعلن محمود فوزي بك بناء على بريقة عبد الرحمن عزام الأمين

(١) الإخوان المسلمون - ٢٨ إبريل ١٩٤٨.

(٢) مجلس الشيوخ - الجلسة الثلاثون - ١٠ مايو ١٩٤٨ - ص ٩٠.

(٣) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

(٤) البلاغ - ٣ مايو ١٩٤٨.

العام أن العرب يوافقون على وقف إطلاق النيران داخل أسوار مدينة القدس القديمة ويقبلون الهدنة بالنسبة إليها واستمرار المفاوضات مع لجنة الهدنة^(١).

أثر سقوط حيفا وثورة الرأي العام المصري:

إثر سقوط حيفا وما تعرض له المصريون؛ قامت مظاهرات بالقاهرة والإسكندرية ينادون: "أين حيفا يا وفود الجامعة العربية؟ وأين السلاح يا عزام؟ أين الوعود يا أهل الوعود؟ أين السيف الذي أسكت القلم؟" وغيرها من الهتافات التي تحمل الحكومة مسؤولية ما حدث ويطالبون بزحف الجيوش النظامية^(٢).

وعقد مؤتمر لشباب الأحزاب والهيئات لإنقاذ فلسطين وأصدرت للقرارات الآتية:

١ - يصدر القائد الأعلى للقوات المصرية أمرًا بأن تتخذ مكانها اللانق بمصر زعيمة الدول العربية لإنقاذ فلسطين من براثن الصهيونيين.

٢ - الاحتجاج على موقف الحكومة المصرية لعرقلة جهود القواد العسكريين المصريين أمثال صالح حرب وعزيز المصري اللذين أبديا استعدادهما لتقديم كامل خبراتهما العسكرية لإنقاذ فلسطين والاستعانة بكفاءتهما في تحرير فلسطين.

٣ - مطالبة الحكومة بمصادر الثروات والممتلكات اليهودية، بعد أن ثبت تعاون اليهود في مصر مع الصهيونيين، وعدم التعاون معهم ماديًا وأدبيًا واعتبارهم أعداء^(٣).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٣ - رسالة شفوية من الأمين العام للجامعة العربية إلى وزير الدفاع الوطني في ٦ مايو ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ٢٤ أبريل ١٩٤٨.

(٣) الإخوان المسلمون - ٢٧ أبريل ١٩٤٨.

إلى جانب برقية الإخوان التي تحمل الجامعة العربية والحكومة المصرية تبعة التراخي الذي أفلت الزمام من يدها^(١) وأعربوا عن دهشتهم من منع مجاهدي الإخوان من دخول الجبهة الجنوبية في الوقت الذي ينتظر فيه العالم من مصر تدخل جيشها لإنقاذ فلسطين^(٢)، ومطالبة الملك فاروق بإصدار أمره باحتلال الجيش المصري جنوب فلسطين لإنقاذ النساء والأطفال والشيوخ.

إثر سقوط حيفا وقرب سقوط يافا في أيدي الصهيونيين، عقد اجتماع بعمان برئاسة الملك عبد الله واشترك فيه الأمير عبد الله الوصي على عرش العراق، ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان، وتوفيق أبو الهدى رئيس وزراء شرق الأردن، وأرشد العمري وزير الدفاع العراقي وصالح صائب رئيس أركان حرب الجيش العراقي والقائد إسماعيل صفوت، واتفقوا بالإجماع على قرار الدخول بقوات غير نظامية تعهد بقيادتها للملك عبد الله، ومن ثم تنتقل القيادة من دمشق إلى عمان، وإرسال رسالة إلى الملك فاروق للحصول على تصديق القاهرة ومشاركتها في إنقاذ فلسطين^(٣).

وتعددت الاجتماعات في عمان ودمشق وأخيرًا القاهرة، حيث عقد اجتماع الزعفران الذي قرر فيه التدخل العسكري المسلح من خلال متطوعين تحت قيادة الملك عبد الله^(٤)، لأن شرق الأردن ليس عضوًا في هيئة الأمم المتحدة ومن ثم يستطيع العمل بحرية.

(١) الإخوان المسلمون - ٣٠ إبريل ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

(٣) البلاغ - ٢٥ إبريل ١٩٤٨.

(٤) الإخوان المسلمون - ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

موقف الحكومة البريطانية من قرار الحكومة المصرية بالتدخل عسكرياً بقوات غير نظامية مصرية:

أعلنت الحكومة المصرية الحرب الدفاعية ضد أعمال الصهيونيين وليس ضد اليهود، ورداً على إنذار بريطانيا للدول العربية بشأن هذا التدخل، فأرسلت مذكرة باسم الدول العربية تذكر فيها: "إن السبب في هذا التدخل هو الدفاع عن النفس ضد الاعتداء الصهيوني المتكرر الذى لم تستطع الجهات المسؤولة في فلسطين أن تدرأه ولا يمكن للدول العربية أن تقف مكتوفة الأيدي أمام تقتيل العرب الأمنين في قراهم"^(١).

لذلك سارعت بريطانيا في إرسال السير رونالد كامبل السفير البريطانى لوزير الخارجية المصرية أحمد خشبة باشا للوقوف على موقف مصر من مساعدة فلسطين سواء بإرسال جيوشها أو متطوعين وذلك في ٢٧ إبريل عام ١٩٤٨، وكان جواب أحمد خشبة باشا للمسألة الأولى - الجيوش النظامية - أن مصر لا تزال على موقفها من حيث عدم اشتراكها بجيوشها لمساعدة فلسطين، على الرغم ما جرى من الإنجليز من تخليهم عن النهوض بتبعية حفظ الأمن بفلسطين حتى تغادر جنودهم أراضيها، وتركها الفلسطينيين غنيمة بادرة ومرتعاً سهلاً للتقتيل والتذبيح وانتهاك الحرمات ما يثير النفوس خصوصاً مع تكرار الدولة البريطانية في مذكراتها إلى الدول العربية بخاصة مصر طالبة الامتناع عن إرسال جيوشها إلى الأراضي الفلسطينية لتكفلها هي بالمحافظة على الأمن.

كان من شأن كل أولئك أن يجعل مصر تتخذ خطوة حازمة ولكنها مع ذلك عند موقفها من حيث عدم اشتراكها بجيوشها في الحرب - فقال رونالد: "إن حفظ النظام في فلسطين يتطلب استبقاء عدد من الجنود الإنجليز لا يقل عن نصف مليون وهو عدد غير متوافر في فلسطين".

(١) البلاغ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

فأجابه خشبة: "إن كل ما يجرى من تخليكم عن الدفاع هو لعدم توافر الجنود الكافية لديكم فقد كان هذا سبباً يدعوكم إلى الاستعانة بالجيوش العربية لا لفتح فلسطين لفريق دون فريق بل للقيام بما ارتبطتم به من حفظ الأمن فيه، أفلا يبدو من الغريب أن تمنعوا هذه الجيوش وأنتم عالمون بأن استجلابها ضرورياً للقيام تعهدتم به"، أما بالنسبة إلى المسألة الثانية - التطوع - فكان جواب أحمد خشبة باشا: "إن أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع، إذ كيف تطلب إلى أن أمنع متطوعاً يعلم بكل ما يجرى في فلسطين، من أن يسارع إلى نجدة أولئك البائسين، إن ضميرى كإنسان لا يقر ذلك وكذلك ضمير الحكومة وإن أقرته فلا تستطيع أن تثبت في مكانها لحظة أمام السخط العام الذى يثيره بحق مثل هذا الظلم الصارخ فإن شئت سقطت الحكومة فهذا خير سبيل له ولكننا لا نشاؤه ولا نفعله ويا ليت الأمر يقف عند سقوط الحكومة ولكن هذا العمل من شأنه يثير الناس ويفقدهم هدوءهم فلا يجدون سبيلاً لشفاء ما فى صدورهم من ضيق وحرَج إلا بالانتقام من يهود هذا البلد، وهو أمر لا ترضاه الحكومة المصرية، وأنتم لا ترضونه.. وعدم الوقوف فى وجه التطوع نجاة من كل ذلك الخطر فلا تسمحون بهذه الوسيلة الضئيلة.. على أن الأمر غير متوقف على سماحكم^(١).

- إقرار الحكومة المصرية الاشتراك بقوات نظامية مصرية تحت قيادة الملك عبد الله إلى جانب هيئة مستشارين عسكريين مصريين:

وأبرزت الدوائر الرسمية البريطانية أن التأكيدات التى أعطتها الدول العربية والتى يستفاد منها أن هذه الدول لن تقوم بأى عمل حربي قبل منتصف شهر مايو فى فلسطين مما لا يؤدى إلى قيام المصاعب فى سبيل الحكومة البريطانية^(٢).

(١) محفظة رقم (٢٥٨) - حديث بين أحمد خشبة باشا ووزير الخارجية والسير رונالد كامبل فى السفارة البريطانية فى ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ٣ مايو ١٩٤٨.

ومن ناحية أخرى قامت وزارة الدفاع الوطنى عن طريق مندوبها بمنطقة القتال باستطلاع رأى الجانب البريطانى الذى يفيد بأن الإنجليز يشجعون دخول الجيش المصرى بعد انسحابهم مباشرة ومن المستحسن تجهيز مطار العريش بأسراب من قاذفات مركزة حتى يكون لها تأثيرها المعنوى مع بقاء قوات الجيش البريطانى بحيفا ليتم انسحابها^(١).

وعندئذ أرسل موسى شرتوك رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية برقية إلى مسيو ألكسندر بارودى رئيس مجلس الأمن يناشده فيها باتخاذ إجراءات سريعة لوقف غزو الدول العربية لفلسطين، فجاء رد المندوب المصرى: "بأن قضية فلسطين لا يمكن حلها إلا فى فلسطين نفسها"^(٢).

دوافع الحكومة المصرية لإقرار دخول القوات النظامية المصرية لإتقاذ فلسطين:

أ - ضغط العوامل الداخلية:

كانت حكومة النقراشى تعاني الفشل فى التوصل إلى حل للقضية الوطنية سواء من خلال المفاوضات المباشرة أو التحكم الدولى.

وكانت قضايا البناء الداخلى ومحاولة الهروب من المشكلة الوطنية تسد الطريق أمام الحكومة، التى تصادمت مع حركة الإضرابات التى انتشرت بين مختلف الفئات، وبالمطالب الاقتصادية للجماهير التى تصاعدت.

وكان لا بد من حدث داوٍ يصم الأذان يخرج بالحكومة والنظام من هذا الطريق المسدود، وينقل اهتمام الجماهير إلى مشكلة أخرى غير القضية الوطنية والصراع الاجتماعى الداخلى، ولم يكن من منفذ سوى فلسطين، ينسى الشعب

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم المعلومات - معلومات وردت من مندوبها بالقتال فى ٢٥ إبريل ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ٢ مايو ١٩٤٨.

تهاوى الحكومة غير أن سوء حالة الجيش كانت تقف بين الحكومة واستغلال هذه الظروف، لكن الحائل لم يستمر طويلاً، فقد انصاع النقراشى لرغبة الملك وضغط الحالة الداخلية وطلب من رئيس مجلس الشيوخ عقد البرلمان فى جلسة سرية سريعة للنظر فى مسألة فلسطين، وعندما سأل عزام عن السر وراء هذا التحول قال: "إن الحالة الداخلية... دفعته إلى دخول الحرب ولم تسمح له بالانتظار"^(١).

١ - المحنة السياسية:

كانت مصر تعاني من الاحتلال العسكرى البريطانى دون أن تحرك الحكومة المصرية ساكناً، بعد أن أعلن النقراشى أن سياسته تجاه الإنجليز ستكون سياسة تجاهل والوقت المناسب، إذ كانت المنازعات الدولية قائمة على أشدها بين كبريات الدول المتحالفة عقب خروجها من الحرب خصوصاً بين بريطانيا وروسيا، وكان فى وسع مصر أن تتقدم بمطالبها كاملة إلى الحكومة البريطانية؛ لكن رئيس الوزراء المصرى بدلاً من أن يلعب لعبة السياسى المحنك أثر سياسة المجاملة أو ما سماها "الوقت المناسب"^(٢).

بل إعفاء البريطانيين من التقيد حتى بقيود معاهدة ١٩٣٦، على رغم إعلان النقراشى فى مجلس الأمن أنها استنفدت أغراضها، حيث وصل عدد القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس إلى ما يزيد على ٧٠٠٠٠ جندي وهذا يخالف ما جاء بمعاهدة ١٩٣٦ التى لم تسمح لأكثر من عشرة آلاف جندي بالوجود فى منطقة قناة السويس، وإعفائهم من الرسوم الجمركية، واحتلت تلك القوات مدن القناة الثلاث احتلالاً عسكرياً ومن ثم لم يحقق المطلب الوطنى "الجلء"^(٣).

(١) عبد الوهاب بكر: الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ط ١ دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ - ص ٥٤ - ٥٧، ٤٥ - ٤٦.

(٢) الكتلة ٢٤ فبراير ١٩٤٧.

(٣) الكتلة - ٧ نوفمبر ١٩٤٧.

أما السودان فقد استغل المستعمرون ضعف الوزارة المصرية، وراح الحاكم العام يمنع دخول الموظفين وغير الموظفين من المصريين، ويطرد ويحاكم ويسجن المنادين بالوحدة بين مصر والسودان وأعلن سودنة السودان، ولم تضع الحكومة القائمة حداً لهذه الاعتداءات بل اكتفت بأن تحتفظ وتعرض وتتقبل ما تراه من تعديلات جاهلة أو متجاهلة، ويرجع إلى أنه عند احتكام النقراشى إلى مجلس الأمن لم يطلب إلا مجرد إنهاء الإدارة الموجودة فى السودان ولم يجعل من الوحدة مطلباً أساسياً، بل قالها صراحة بحق السودان فى تقرير مصيره، وكان النقراشى يتوقع الفضل وجميع هيئات الأمة المعارضة حذرت من الاحتكام إلى مجلس الأمن دون أن يمثل الشعب تمثيلاً نيابياً، وألا يتقيد بمشروع صدقى - بيفن الذى رفضه الشعب بأسره^(١).

إلى جانب المحنة السياسية، كانت البلاد تعاني محنة نظامية حيث لم تبق طائفة من الطوائف النظامية أو الشعبية إلا أن ثارت لحقوق تطالب بها ولا مجيب لها، فشهدت البلاد للمرة الأولى فى تاريخ حكمها إضراباً عن العمل ومطالبة بحقوق وظيفية ومادية شملت القضاة ورجال الجيش والبوليس والمهندسين وأساتذة الجامعة ورجال التعليم الأميرى والحر والإلزامى والموظفين من حملة البكالوريا والثقافة والابتدائية والحكيماطلبة الفنون وغيرهم.

ومن بين الإضرابات التى شهدتها مصر للمرة الأولى فى تاريخها، إضراب رجال البوليس عن العمل فى ١٥ إبريل عام ١٩٤٨ لعدم اهتمام الحكومة بتحسين أحوالهم المعيشية، ونتج عن ذلك وقوع حوادث عدة فى القاهرة والإسكندرية ما اضطر الحكومة إلى الاستعانة بقوات الجيش لاستعادة النظام^(٢).

(١) الكتلة - ١٤ نوفمبر ١٩٤٧.

(٢) سامى أبو النور: دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر ١٩٣٧ - ١٩٥٢ - مكتبة مدبولى القاهرة - د. ت - ص ٣١٤.

ويرجع إقدام رجال البوليس على تلك الخطوة إلى ٢٦ مارس عام ١٩٤٨، حيث أصدرت وزارة الداخلية قراراً بنقل نحو ٢٦ ضابطاً من ضباط البوليس فى القاهرة إلى بلاد الوجهين القبلى والبحرى، على أن ينفذ قرار النقل فى خلال هذا الشهر^(١).

وفى ٢٩ مارس عام ١٩٤٨ إثر قرار نقل ضباط البوليس، تلقى جميع الضباط نشرات تتضمن قرار ضباط الاعتصام بناديتهم ابتداء من مساء ١٤ إبريل عام ١٩٤٨، وتم الاتفاق بين رجال البوليس والإدارة على دوام الاعتصام والامتناع عن العمل حتى تجاب المطالب وتنتهى التصرفات الانتقامية التى اتخذت ضد كثير منهم.

وذهب وفد من رجال البوليس إلى السراى الملكية، وقابلوا ياور الديوان الملكى وأخبروه بعزمهم على الاستقالة إذا لم يتدخلوا فى الأمر، وتمت اتصالات كانت نتيجتها تأجيل تنفيذ النقل من ٢٨ إلى ٣٠ مارس، رغم معارضة النقراشى باشا وإصراره على توقيع العقوبة التى فرضها على الضباط، ومانع النقراشى باشا تنفيذ هذه الرغبة قبل التمهيد لتراجعها بالحصول على إقرارات إجبارية من ضباط البوليس المنقولين، يوقع عليها الضباط، حملها أحمد طلعت رئيس البوليس السياسى إلى الضباط المنقولين، وتتضمن: "نحن ضباط بوليس مصر المخلصين للذات الملكية نعلن ولاعنا، مقصدنا خدمة العرش والوطن ونبدى أشد الأسف لما وقع بنادى ضباط البوليس فى ١٨ مارس عام ١٩٤٨؛ لأن هذا المسلك خرج عن الغرض العادى والطريق الصحيح"، لكن اعترض الضباط على الشطر الثانى من هذا القرار الخاص بالأسف واستدرار رحمة النقراشى، وهددهم طلعت بك بأحد الأمور الثلاثة إما تنفيذ النقل فوراً وإما الاستقالة أو التوقيع على الإقرار بحالته، ووجد الضباط أنه لا مفر من إرسال برقيات احتجاج إلى السراى الملكية^(٢) حول

(١) الكتلة - ٢٦ مارس ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٢٩ مارس ١٩٤٧.

هذه الطريقة لإجبارهم على العدول عن المطالبة بحقوقهم في الترقية لتخطى أشخاص ليس لهم الحق في الترقية^(١).

وأمام تصميم النقراشي باشا على تنفيذ قراره بالنقل، أصرب رجال البوليس عن العمل في ١٥ إبريل عام ١٩٤٨ وأصدرت وزارة الداخلية بلاغاً رسمياً تحذر فيه جميع الصحف والمجلات من نشر أنباء عن حركة ضباط البوليس جاء فيه: "لما ينطوى عليه مثل هذا النشر من جرائم خطيرة وإخلال بالنظام الاجتماعي يعرض البلاد وأمنها لأشد الأخطار، الأمر المعاقب عليه قانونياً تطبيقاً لمواد قانون العقوبات ومنها المادة ١٧٥ عقوبات ولن نتردد الحكومة في ضبط أى جريدة أو مجلة تخرج عن مدلول هذا التحذير واتخاذ الإجراءات القانونية حيالها وقاية للأمن والنظام"^(٢).

أكدت أحداث البوليس. للملك فاروق في ١٤ إبريل ١٩٤٨، حين اعتصم ضباطه بناديبهم مطالبين بتحقيق مطالبهم، أن الجيش مازال القوة التي يعتمد عليها في تثبيت النظام، وفي ١٦ إبريل لم يجد الملك حلاً في النهاية إلا بالاعتماد على ضباطه.

ونزل رجال الجيش بمعداتهم في ميدان العتبة الخضراء، وأنذروا المتظاهرين عند مستشفى الإنكليستوما في أول شبرا بالتفرق، ودخل ضباط الجيش نادى ضباط البوليس وألقى عليهم كلمة: "أنتم الآن مضربون والحالة حرجة وواجبكم الوطني أن تخرجوا من النادى فوراً، وأن الإهمال في أداء الواجب يجب ألا يحملكم على التمادي في هذا الخطأ"، أعقب ذلك دخول قوات الجيش داخل حديقة الأزبكية وعند تفتيش الحديقة عثر فيها على مجموعة من المسدسات وجهاز إرسال لاسلكي^(٣).

(١) الكتلة - ٣٠ مارس ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٢٦ مارس ١٩٤٨.

(٣) الكتلة - ٦ إبريل ١٩٤٨.

وبانتهاء الإضراب رفع وزير الدفاع الوطنى مذكرة حول نجاح قوات الجيش فى حفظ الأمن فى القاهرة والإسكندرية وتسوية مشكلة البوليس بأمر الملك جاء فيها:

١ - إن قوات الجيش قد أثبتت قدرتها وتصميمها على حفظ الأمن، وأكدت المرة تلو المرة ولائها وإخلاصها لجلالة الملك فاروق القائد الأعلى.

٢ - على رغم من اشتراك العدد الكبير من مختلف الوحدات فى المحافظة على الأمن، فلم يسمع أحد بحادثة واحدة تردد فيها جندى واحد عن إطاعة الأوامر وإطلاق النار عند اللزوم.

٣ - إن الأمن أعيد إلى نصابه فى الإسكندرية بمجرد استدعاء قوات الجيش وأن تصرفها وجمعها بين الشدة والحكمة فى أن واحد يعد مثلاً تحتذى به قوات أي دولة فى مثل هذه الظروف، حيث بلغ عدد المعتصمين من الضباط ٧٠٤ ضباط و ٧٩ طالباً فى حديقة الأزبكية^(١).

٢ - المحنة الاقتصادية:

كانت البلاد تمر بحالة شبيهة بحالة الحرب إذ ارتفعت أسعار الحاجات الأولى، فعانى الشعب الغلاء، وانخفضت أسعار المحاصيل والمنتجات، ما لم يسبق له مثيل حتى إبان الحرب، وحالة السوق التجارية والصناعية فى ركود وكساد^(٢)، ويرجع ذلك إلى إخفاق الحكومة المصرية فى تسوية مشكلة الأرصدة الإسترلينية مع الحكومة البريطانية التى عليها لمصر، تسوية عاجلة وتحفظ للبلاد حقوقها.

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ مذكرة مرفوعة وزير الدفاع الوطنى ١٠ إبريل ١٩٤٨ - حول اعتصام عدد من ضباط البوليس بنادى حديقة الأزبكية فى ظهر ٦ إبريل ١٩٤٨.
(٢) الكتلة - ١٤ فبراير ١٩٤٧.

وتعود الأزمة إلى سنة ١٩١٤، عندما نشبت الحرب الكبرى الأولى وعمد الإنجليز إلى حمل البنك الأهلي في مصر على أن يصدر النقد الورقي دون أن يكون مضطراً إلى أن يستبدل به نقداً ذهبياً، ولما انتهت الحرب لم يكلفوا أنفسهم مشقة أداء هذا الدين، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ فعاذت المطبعة الإنجليزية إلى طبع الورق الأبيض وشراء الرزمة بنحو جنيهين اثنين ثم تطبعها بالكلام العربي مع الصور والألوان وتقول إنها نقود مصرية، وتحتّم على كل مصري أن يقبلها ويسلم بدلها القمح والذرة، ولا يعارض في قبولها حتى بلغ الدين ٤٥٠ مليون جنيه^(١).

وكان يوم ١٥ يوليو الأجل المحدد لانتهاء اتفاقية العملة الصعبة المعقودة مع إنجلترا، فدارت مفاوضات بين الحكومتين المصرية والبريطانية أسفرت عن عقد اتفاق في ٣٠ يونيو عام ١٩٤٧ لمواجهة حاجات مصر في المدة من منتصف يوليو ١٩٤٧ إلى آخر ديسمبر عام ١٩٤٧ والإفراج عن عشرين مليوناً من الجنيهات، منها ١٢ مليوناً كاحتياطي للتشغيل، وكانت هذه المبالغ قابلة للتحويل إلى أى عملة حيث كانت مجموعة الأرصدة المملوكة للمصارف في مصر في منتصف يوليو عام ١٩٤٧ قدرت بمبلغ ٣٥٦ مليوناً من الجنيهات الإنجليزية.

ولكن ما لبثت الدولتان أن استأنفتا المباحثات وانتهت باتفاق وقعه الطرفان، وصدر بلاغ مشترك في ٥ يناير عام ١٩٤٨، ويقضى هذا الاتفاق بمد العمل بأحكام الاتفاق المالي المعقود بين الحكومتين في يونيو عام ١٩٤٧ والإفراج عن مبلغ ٣٢ مليون جنيه إسترليني منها ١١ مليون جنيه احتياطي للتشغيل، وفي المدة من ١٤ يوليو عام ١٩٤٧ حتى آخر فبراير عام ١٩٤٨ أفرجت بريطانيا عن ٨٠ مليوناً من الأرصدة المتجمدة^(٢).

(١) مصر - ١ يوليو ١٩٤٧.

(٢) مجلس النواب - الجلسة الرابعة عشرة - ٢ فبراير ١٩٤٨ - ص ٦٥٩ - ٦٦١.

وفى ظل هذه الظروف تجددت عقود الأجانب وعلى سبيل المثال لا الحصر، تجدد عقد المستر أ. ح وركر الخبير الرسمى للأقطان ببورصة ميناء البصل لمدة سنة اعتباراً من ١٨ يناير بمكافأة سنوية قدرها ١٢٠٠ جنيه.

وتعيين المستر وليم جراى فى وظيفة أستاذ زائر بمعهد التربية للمعلمين لمدة ثلاثة أشهر وبمكافأة شهرية قدرها ٢٠٠ جنيه لمدة ثلاثة أشهر، وتعديل شروط خدمة المسيو فيليب لاور المهندس المعمارى بسقارة على أن يمنح مكافأة شهرية قدرها ٧٥ جنيه^(١).

إن تاريخ الإنجليز الماضى هو السبب فى إفلاسهم باعتمادهم على المستعمرات التابعة لهم مثل الهند ومصر، إذ كانوا يعملون على إيجاد أسوار جمركية ضد البضائع الأجنبية مع تمييز بضائعهم، فكان التجاريون والصناعيون من الإنجليز يجيدون الكسب دون بذل مجهود بوضع العراقيل الجمركية ضد البضائع الأمريكية فى مصر أو الهند^(٢).

وبقطع المفاوضات المصرية - البريطانية، عادت بريطانيا مرة أخرى لتحاول فتح باب المفاوضات مع تأزم الموقف فى فلسطين وإقرار مشروع التقسيم، وتمت مقابلة بين السفير البريطانى رونالد كامبل ورئيس الوزراء وتناولا من خلالها أزمة السودان والشئون الاقتصادية بين مصر وبريطانيا، وكان السفير ينوى بحث القضية المصرية وعودة المفاوضات بين الدولتين، ولكنه وجد أن "النقراشى باشا" مصمم على عدم العودة إلى المفاوضات إلا بتحقيق المطالب كاملة، لذلك أبدى السفير أسفه واكتفى بتصفية الحساب فى المسائل الاقتصادية^(٣).

(١) الكتلة - ١٢ مارس ١٩٤٨.

(٢) مصر - ٢٥ يوليو ١٩٤٧.

(٣) مصر - ٥ نوفمبر ١٩٤٧.

وكان ذلك بمثابة انتهاء لعهد الصداقة والتحالف بين بريطانيا ومصر واعتزمت بريطانيا على تنفيذ سياسة العداء نحو مصر التي بدأتها بالحصار الاقتصادي بعدم شراء وتصدير القطن المصري إلى الخارج والتأثير في البنك الأهلي بصفته المتصرف في أموال البلاد، استطاعت بريطانيا منع تصدير بضائعها إلى مصر، إلى جانب ما لبريطانيا من نفوذ لدى الأمم الأوروبية والأمريكية وقدرتها على وقف تصدير بضائع هذه الأمم إلى مصر، خصوصاً أن خضوع مصر لنظام الجنيه الإسترليني قد يثير بعض الاضطرابات والقلق.

وتعتبر هذه السياسة البريطانية المكشوفة حلقة من سلسلة التأثيرات البريطانية في الشعور المصري كحرب أعصاب ضد النظام الحكومي القائم في مصر ابتدأها مستر بيفن بقوله: "إننا نأسف لدخولنا في مفاوضات مع حكومة الأقلية" ثم تدرجت إلى الحصار الاقتصادي^(١).

وتشير "جريدة التايمز" إلى خطأ السياسة المصرية بانسحابها من الكتلة الإسترلينية، وأن ذلك الإجراء كان إملاءً لاعتبارات سياسية أكثر منه مراعاة لاعتبارات اقتصادية وكان أولى بها ألا تخرج منها قبل أن تجمع ما لديها من الذهب وغيره لتغطية نقدها الورقي^(٢).

لذلك اتخذت الحكومة المصرية أهبثها وأخذت في دراسة هذه الموضوعات الحيوية حتى انتهت إلى قرار بضرورة تمصير البنك الأهلي واستيلاء الحكومة عليه، والاتفاق مع بعض الدول الأوروبية على التبادل التجاري ووضع القيود على البضائع البريطانية.

وقد بدأتها بعقد معاهدة تجارية مع تشيكوسلوفاكيا، بتصدير كمية كبيرة من القطن وخلافه من المنتجات المصرية ومارست بريطانيا الضغط على مصر كي

(١) مصر - ٧ فبراير ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٢٨ أكتوبر ١٩٤٧.

ترفع القيود عن البضائع البريطانية، إذ يرون أنه ليس من المنطق من ناحية مصر أن تطلب مبالغ من الجنيهات الإسترلينية القابلة للتحويل لشراء بضائع أمريكية، بينما هي تحظر أنواعاً كثيرة من المنتجات البريطانية، خصوصاً بعد أن اتفقت بريطانيا مع الولايات المتحدة على تسوية الأرصدة في المادة العاشرة من مواد اتفاق "مشروع مارشال" والتي عقدت بها قرصاً من الولايات المتحدة التي شرطت على بريطانيا تحرير قسم من تلك الأرصدة وتأجيل البعض وتسوية البعض الآخر^(١).

وأعقب الاتفاق مع تشيكوسلوفاكيا، توقيع الاتفاق التجاري المصري - الروسي، بحصول مصر على القمح مقابل الخشب وكميات من القطن المصري التي تشتريها روسيا بمثابة بدل أو مقايضة^(٢).

لكن توقيع الاتفاق التجاري أقلق خواطر الدوائر السياسية البريطانية؛ لأن المفهوم أنه قد يعقب الاتفاق التجاري اتفاق سياسى، وهذا أمر تخشاه بريطانيا وتعمل ضده بكل ما فى وسعها من جهد، لهذا أبلغ السفير عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر بلندن، أن بريطانيا فى تمام الاستعداد للمقابلة فى منتصف الطريق وتقرر الجلاء عن مصر مقابل أن تعد مصر بريطانيا بعدم توقيع اتفاقية تجارية مع دولة أجنبية وفى مقدمتها روسيا وتأجيل مسألة السودان إلى خمس سنوات أو ثلاث، فجاء رد النقراشى بأن مطلبه الوحيد الجلاء ولن يقبل بغيره بديلاً وأنه سيتجاهل الإنجليز تجاهلاً كاملاً حتى تتضح نيتهم المبيتة للسودان^(٣).

من الأفكار التى يبنها المستعمر فى النفوس، فكرة عدم التعامل مع البلاد التى تختلف عنها فى المذاهب السياسية والاقتصادية والهدف هو فرض الحصار الاقتصادى

(١) الكتلة - ١٠ يناير ١٩٤٧.

(٢) مصر - ١ مارس ١٩٤٧.

(٣) البلاغ - ١٣ مارس ١٩٤٨.

على الشرق الأوسط والاحتفاظ به سوقاً تجارياً مهماً لتصريف منتجات الدول ذات الشأن بأعلى الأسعار، والحصول على المنتجات المحلية بالسعر الذى تريده.

الواقع أن اختلاف المذاهب السياسية والاقتصادية ينبغى ألا يكون حائلاً دون قيام علاقات تجارية على أسس سليمة بين الدول بعضها بعضاً، وفى ظل الظروف التى كانت تمر بها مصر كان من الضرورى عقد اتفاقات تجارية مع البلاد الأوروبية مثل سويسرا والسويد وفرنسا وإيطاليا وبلاد أوروبا الوسطى، كى تفتح أسواقاً جديدة فى تلك البلاد، على أن حاجة مصر للقمح جاءت للسياسة الخاطئة التى سلكتها الحكومة بعدم تشجيع الزراعة على رفع سعر القمح؛ وليس أدل على ذلك من رفض لجنة التغذية الدولية أن تعطى لمصر قمحاً وعللت ذلك بأن مصر هى أغنى بلاد العالم بالحاصلات الزراعية والقمح على الأخص، بل يجب على الحكومة رسم سياسة زراعية ثابتة تكفل مواجهة الطلبات التى تتلقاها من الخارج ويجب أن تشمل هذه الاتفاقات تصدير القمح والذرة واستيراد ما يحتاج إليه لتقديم الإنتاج الزراعى والصناعى^(١).

ومن الملاحظ فى علاقات حكومة النقراشى التجارية مع روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص، عدم تنفيذ الحكومة القرارات السرية المتفق عليها فى مؤتمر بلودان بالعمل على عدم تأييد المصالح الأمريكية والبريطانية وعدم السماح لبريطانيا وأمريكا وروسيا ورعاياها بأى امتيازات اقتصادية أو ثقافية^(٢).

الواقع أنه كانت هناك صعوبة فى تنفيذ أو تقييد الحكومة المصرية بما جاء بقرارات بلودان بالنسبة إلى بريطانيا، إذ توجد مشكلة الأرصدّة الإسترلينية ودين أكثر من ٤٠٠ ألف جنيه إسترليني وأن أى محاولة من جانب مصر لقطع العلاقات الاقتصادية وعدم مناقشة مشكلة الأرصدّة سترحب بها بريطانيا؛ لأنها ستعفيها من سداد الدين ويضر بذلك الاقتصاد المصرى، أما التعامل مع الولايات المتحدة أو روسيا

(١) الكتلة - ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) الدفاع الوطنى - ١٨ مارس ١٩٤٨.

فهو ضرورى لإحكام بريطانيا الحصار الاقتصادى على مصر، فليس أمامها إلا أن تلجأ للدول الكبرى، خصوصاً أن تلك الدول ترغب فى فتح أسواق لها فى منطقة الشرق الأوسط خصوصاً مصر، على أن للأمر أبعاداً سياسية يدركها كل الأطراف، لذلك تظهر بريطانيا مخاوفها من أى تعامل اقتصادى يعقبه تعاون سياسى.

٣ - المحنة الصحية:

أدى تقصير الوزارة فى إجراءات الحجر الصحى إلى دخول وباء الكوليرا وعدم حصره عند ظهوره بقرية القرين^(١)، حيث أوضح الدكتور نور الدين طراف أن مصدر وباء الكوليرا، هو عدم وجود نظام الحجر الصحى بالنسبة إلى المطارات البريطانية فى مصر، بخاصة مع توافق الجلاء للإنجليز عن الهند وقت انتشار الكوليرا ومرور القوات على مصر حاملة معها وباء الطاعون والملاريا والحمى^(٢).

فبالنسبة إلى مسؤولية نظام الحجر الصحى المصرى عند دخول وباء الكوليرا، لما كان الخطر يكمن فى منطقة القتال حيث يوجد الجيش البريطانى، أنشأت وزارة الصحة مكاتب عدة لها فى الوجهين القبلى والبحرى والموانئ والمطارات تابعة للحجر الصحى، والغرض من إنشائها تطهير المواد المستوردة من الخارج وأهمها الجلود غير المدبوغة - النيئة، على أن هذا الإجراء لم يعجب السلطات البريطانية فى مصر، فأرسلت إنذاراً للحكومة المصرية تقول فيه: "إن الجلود النيئة التى تريد الحكومة تطهيرها من الميكروبات بحجزها مدة طويلة فى هذه المكاتب الأمر الذى يعرضها للتلف، لذلك فهمى تنذر الحكومة بأنها ستمنع تصدير الجلود النيئة إلى مصر إذا حجزت للتطهير وستصدرها إلى جهات أخرى"،

(١) مجلس النواب - الجلسة الافتتاحية - ١٢ نوفمبر ١٩٤٧ - ص ٥.

(٢) الكتلة - ٢٣ ديسمبر ١٩٤٧.

وأوعزت بريطانيا إلى بعض الهيئات الأجنبية برفع دعوى ضد وزارة الصحة بحجة أنها تسببت فى تلف كمية كبيرة من الجلود، وتقدمت بعض الهيئات التجارية بالاحتجاج لدى وزارة التجارة والصناعة على كساد حركتها والإجراءات التى تتخذها وزارة الصحة بواسطة مكاتب التطهير المقامة، ورضخت وزارة الصحة لطلب وزارة التجارة فسمحت للسلع التى قد تحمل الميكروبات بدخول البلاد دون تطهير بحجة تسهيل إجراءات الاستيراد، واستيراد الأغذية المحفوظة والأقمشة من هذه المناطق الموبوءة دون مراعاة للشروط الصحية والاحتياط ضد الأمراض وطرق انتقالها إلى البلاد.

وعمدت وزارة التجارة والصناعة إلى الاتفاق مع السلطات الهندية على استيراد نحو ٣٥ ألف طن من الخشب الهندى؛ مع العلم بأن الهند موبوءة بالكوليرا فى تلك الفترة، ويضاف إلى ذلك إن الداخلين إلى مصر من المناطق الموبوءة لم يكن يتم تطهيرهم على الصورة الكفيلة لضمان عدم انتقال العدوى.

ومن هنا تتضح مسؤولية المسؤولين الذين تهاونوا فى حقوقهم، باستمرار تدفق السلع والمواد الغذائية على البلاد من المناطق الموبوءة عن طريق مطار فايد الحربى البريطانى الذى لا يخضع للحجر الصحى المصرى، على الرغم من تخصيص وزارة الصحة كشكاً من الخشب بفايد لموظفين من طبقة الملاحظين وضباط المرور والأطباء، غير أن الإنجليز لا يصرحون لهؤلاء بدخول المطار أو مشاهدة الطائرة وحضور تبخيرها وكل عملهم انتظار مندوب من السلطات البريطانية يحضر مرة أو مرتين فى الأسبوع فى ساعات غير معينة يدفع إليهم ببعض الاستثمارات التى يملأها عن الطائرات التى يتقرر تبليغ السلطة المصرية عنها ولا ينتظر المندوب فحص هذه الاستثمارات^(١).

(١) مجلس النواب - الجلسة السابعة - ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧ - ص ٢١٧ - ٢١٨.

أما بالنسبة إلى مسؤولية بريطانيا عن انتشار وباء الكوليرا، فإن جميع البيانات تشهد أن الوباء الذى نشأ فى قرية القرين جاء من النل الكبير حيث تقيم الجيوش الهندية والإنجليزية الناقلة للوباء من الهند إلى مصر، إذ ليس هناك قطر آخر موبوء يقع بين مصر والهند فالجزيرة العربية وإيران والعراق وفلسطين كانت سليمة من هذا الوباء الذى وثب عن طريق الطائرات والبواخر من الهند إلى مصر^(١).

ويرجع وثوب المرض من الهند إلى مصر إلى تقسيم إقليم البنجاب بين هندستان وباكستان، وفى الوقت نفسه جاء جلاء القوات العسكرية البريطانية عن الهند فى ١٥ أغسطس عام ١٩٤٧، وهذه القوات تتخذ من منطقة قناة السويس محطة فى طريقها إلى إنجلترا، وقاية للجزر البريطانية، حيث يجرى فحص لهذه القوات ليتبين إذا كانت بها أمراض، خصوصاً أن منطقة قناة السويس متصلة اتصالاً مباشراً بالهند بحراً وجواً واستعمال القوات البريطانية الموانئ الداخلية على قنال السويس فى منطقة فايد لرسو البواخر، مخالفة فى ذلك لوائح الحجر الصحى المصرى، ولا تجيز المعاهدة الصحية الدولية للملاحة الجوية استعمال المطارات لهبوط طائرات قادمة من الخارج إلا بعد تفتيشها من قبل السلطة الصحية.

كل هذه الظروف كانت تحتم على السلطات الصحية المصرية تطبيق المادة ٢٤ من المعاهدة باتخاذ الاحتياطات اللازمة والتفتيش بين مهاجرى البنجاب؛ باعتبار مصر المملكة الأولى التى تتلقى المسافرين من الهند وقيمون أياماً، وقريبة من المدن المصرية فى حين أن محطات الطيران سواء فى إيران أو البصرة كانت بعيدة عن المدن ولا تقيم بها الطائرات.

وكان من واجب الحجر المصرى أن يعد العدة لاتقاء الكارثة بمنع دخولها حيث كان لها تأثير فى مصر، حيث قررت سوريا ولبنان الحجر على جميع

(١) مصر - ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧.

القادمين من مصر، وقررت حكومة إيران قطع المواصلات الجوية مع مصر، وعلى الرغم من أن المعاهدات الصحية الدولية لا تقر اتخاذ أى إجراءات ضد البضائع كالقطن أو الرسائل والجراند ومع ذلك فبعض البلاد منعت بواخرها من شحن القطن من الإسكندرية، وبعض البلاد منعت الصحف المصرية من دخول بلادها مع أن احتمال انتقال العدوى فى حكم العدم^(١).

وكان هناك تفكير سائد بأن الحكومة وبريطانيا استفادت إلى حد كبير من تلك الظروف، فالدستوريون والسعديون إلى جانب فزعهم من الوباء - لا يخفون ارتياحهم لوقوعه بعد العودة النقراشية ويقولون إن حديث الوباء فاقت أهميته حديث الوحدة والجلء وهيأتها لهما هذه الظروف، لتشغل الناس عن تتبع فشل رئيس الحكومة^(٢).

كما أفادت تلك الظروف إلى حد كبير السياسة البريطانية التى عجزت عن الوصول إلى أهدافها فى مصر بالطرق السلمية بعقد محالفة عسكرية لتدعيم قواعد الاستعمار وربط مصر بعجلة الإمبراطورية، وقد أفزع الدوائر السياسية فى لندن أن الشرق الأوسط قد ينفجر بين لحظة وأخرى عن ثورة دامية تعصف بالإمبراطورية البريطانية إذ إن القضيتين المصرية والفلسطينية معلقتان دون حل، ومحاولة الإنجليز تقريب كلمة العرب بإظهار مشروع سوريا الكبرى إلى حيز التنفيذ، ولهذا فكر الإنجليز ملياً فى أنهم لو تركوا مسألة الشرق الأوسط دون حل لتفاقم النفوذ الروسى على حساب بريطانيا، وهداهم التفكير إلى شن حرب الميكروبات على القطر المصرى حتى تصرف المصريين عن السياسة وتعزل مصر عن بقية الدول العربية ولو لبعض الوقت إلى أن تدبر لندن سياستها وتضع حداً للقلق فى الشرق الأوسط، ولم يمض قليل حتى ظهر ميكروب الكوليرا فى قرية "القرين" ثم أخذ ينتشر حتى شمل بعض مديريات القطر المصرى.

(١) الكتلة - ١ نوفمبر ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ١٤ أكتوبر ١٩٤٧.

والذى يرجح أن للإنجليز دوراً فى انتشار هذا الوباء، وظهور الوباء فى المناطق المحيطة بهم دون أى إصابة فى المعسكرات البريطانية، والميكروب موجود فى الهند ويمكن حمله من الهند إلى مصر بطريقة سهلة عن طريق القوات البريطانية التى تجلو عن الهند إلى منطقة قناة السويس^(١).

هكذا تأتى المصائب تباعاً، والكوليرا تجيء بوحى الاحتلال ومعه تشل الحركة العامة، فمصر الزراعية أصبحت تهددها المجاعة لقلة القمح والأرز، والاحتلال الذى تسبب فى إعاقه هذه الأمة فردتها إلى الوراء مئات السنين، واعترفت الجريدة الإنجليزية العالمية الطبية (اللانست) بأن السلطات البريطانية أهملت القيام بواجبها فى التبليغ عن وجود إصابات فى مستشفى التل الكبير بمرض الكوليرا، فى حين أن مصر قامت بواجبها فى سرعة تبليغ الدول عن الكوليرا بمجرد ظهورها، ولكن من سوء الحظ أبطأت السلطات البريطانية فى التبليغ عن أربع حالات ظهرت فى منطقة قناة السويس وكان ذلك قبل ظهور الوباء فى القرين^(٢).

من هنا يتضح مدى حرص بريطانيا على تنفيذ البرنامج الذى وضعه بانرمان رئيس الوزارة البريطانية عام ١٩٠٧، باتخاذ وسائل وتدابير تحافظ على المصالح البريطانية وتحول دون إنهاء الإمبراطورية فى آسيا وإفريقيا بالعمل على استمرار تجزئة المنطقة وتأخيرها وإبقائها على حالة من التفكك والجهل والتأخر والفقر^(٣).

أمام هذه المحن السياسية والاقتصادية والنظامية والصحية والأمنية، لجأ "النقراشى باشا" إلى دخول القوات النظامية فلسطين كحدث يصرف الأنظار عن

(١) الكتلة - ١ نوفمبر ١٩٤٧.

(٢) الكتلة ٢ يناير ١٩٤٨.

(٣) حسين جميل: بطلان الأسس التى أقيم عليها وجود إسرائيل على الأرض العربية وسلامة الموقف من القضية الفلسطينية - ص ٨٢.

المشاكل الداخلية، سياسة لجأت إليها الدول الديكتاتورية مرارًا في التاريخ القديم والحديث^(١).

ولعل من الأخطاء الكبيرة للحكومة المصرية الكتمان الشديد الذى نحاط به جميع المسائل سواء المتعلقة بمصر أو فلسطين أو الحالة الداخلية، وأصبحت الصحافة المصرية ومن ورائها الرأى تتخبط فيها الأنباء والإشاعات وكانت نتيجة ذلك الحركات الثورية العامة الشاملة لطرائف مختلفة^(٢).

لذلك جاء توليه منصب حاكم عسكرى بمقتضى إعلان الأحكام العرفية التى اقتضتها الحالة الاستثنائية الناشئة عن دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، لتأمين سلامة الجيوش وكتمان حركاتها ومنع عرقلة أعمال الحكومة فى هذا الشأن وقمع الحركات الهدامة والدعايات الانهزامية مع فرض الرقابة على الصحف وذلك فى ١٢ مايو عام ١٩٤٨^(٣).

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يتولى فيها النقراشى باشا منصب حاكم عسكرى، حيث كانت المرة الأولى عند إصدار الملك مرسومين فى ٢٥ فبراير عام ١٩٤٥ بتعيين النقراشى حاكمًا عسكريًا وتخول له سلطة اتخاذ التدابير المشار إليها فى المادة ٢٥ من القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ الخاصة بنظام الأحكام العرفية، واتخذت تلك الإجراءات عقب اغتيال الدكتور أحمد ماهر رئيس الوزراء فكلف الملك فاروق "النقراشى باشا" بتشكيل الوزارة، حتى يثبت فى أذهان الشعب ثقة الملك فى الوزارة، وبذلك تنكمش عناصر الاضطراب والفوضى حيث يحتاج الموقف الداخلى إلى حزم وهو ما عرف عن النقراشى الذى كان ملماً بجميع

(١) محمد عودة: مرجع سابق ذكره - ص ٢٢٩.

(٢) محفظة (١٢) حديث رقم ٥ - وزارة الحربية والبحرية - إدارة المخابرات الحربية - مذكرة مرفوعة إلى وزير الحربية والبحرية عن تقرير السفارة الفرنسية لحكومتها.

(٣) تقرير لجنة التحقيق النيابة فى قضية فلسطين - مطبعة الحكومة - بغداد - ١٩٤٩ - ص ١٠٥.

اتجاهاته وقد انتهت فترة رئاسته الأولى عقب حادثة كوبرى عباس وتولى صدقي باشا إجراء المفاوضات مع بريطانيا^(١).

لذلك جاء فى المذكرة التفسيرية لقانون الأحكام العرفية والتي وضعتها لجنة فلسطين: "على الرغم من كون الأحكام العرفية نظاماً قانونياً فإنه حددت بمدة سنة واحدة"، كما استطاعت المعارضة الوفدية أن تحصل على الموافقة بالألا يستعمل هذا القانون بعد انتهاء الغرض الذى فرض من أجله.

ولذلك كان على مجلس الوزراء عرض قراراته الصادرة على البرلمان فى خلال أسبوع من تاريخ صدورها، فإذا لم يقرها أحد المجلسين يبطل العمل بها، ويسرى مفعول هذا القانون لمدة أقصاها سنة ابتداء من تاريخ العمل به، على وزارات الداخلية والعدل والدفاع الوطنى كل فيما يخصه، تنفيذ هذا القانون، ومن ثم قصر أثرها على الشؤون المتصلة بسلامة الجيوش وحاجاتها وبالشؤون العسكرية وقمع الروح الثورية التى قد تحدث اضطراباً أو فتنة لا تؤمن معها سلامة الجيش خارج البلاد ما يدل على أن نظامه استثنائي لا يجوز التوسع فى تطبيقه أو تغيير أحكامه^(٢).

وأصبح رئيس الوزراء ودون مقدمات قابلاً لفكرة التدخل، ويروى رئيس مجلس الشيوخ ورئيس حزب الأحرار الدستوريين محمد حسين هيكى باشا: "كنت جالساً فى مكتبى يوم ١٢ مايو عام ١٩٤٨ إذ أقبل النقراشى باشا فجأة وطلب إلى أن أعقد جلسة سرية للبرلمان ليقر بدخول القوات المصرية إلى فلسطين لقتال اليهود، وكنت أعرف أن الحكومات العربية قد استقرت فى اجتماع اللجنة السياسية فى بيروت على ألا تدخل الحرب النظامية بل من المتطوعين من كل البلاد العربية على أن تمدهم بالمال والسلاح وكنت أعرف أن النقراشى من أشد ممثلى الدول العربية إصراراً وحماسة لعدم اشتراك القوات الرسمية، لإدراكه عواقب خروج

(١) د. سيد عبد الرازق: مرجع سبق ذكره - ص ٢٤٣.

(٢) الأهرام - ١٣ مايو ١٩٤٨.

مصر على قرارها، ولا يجوز أن تدفع مصر جيشها إلى فلسطين، وبذلك تصبح القوات البريطانية المرابطة على قناة السويس حائلاً بينه وبين أرض الوطن، وظلت الدول العربية إلى يوم ١١ مايو مقتنعة بأن قوات المتطوعين كافية لمنع تنفيذ قرار التقسيم.. رأيت الرجل مصمماً على الأمر..^(١).

على أن هناك عوامل عدة أخرى إلى جانب الضغوط الداخلية دفعت الحكومة المصرية إلى التدخل عسكرياً في فلسطين:

١ - لم يكن النقراشى باشا يجهل أن أهل فلسطين وقوات المتطوعين يتعذر عليهما مقاومة منظمات اليهود العسكرية إذا لم يمدوا بالسلاح والعتاد إمداداً منتظماً، حيث وصلت إليه رسالة من المتطوعين بأن الصهيونيين دخلوا بلدة "دير دراس" وفتكوا بأهلها كما فتكوا بأهل دير ياسين، مع الأخذ في الاعتبار أن قرية "دير دراس" تقع في منطقة غزة^(٢)، على مقربة من حدود مصر.

٢ - خطورة قيام دولة يهودية ذات أهداف توسعية على مقربة من حدود مصر على الأمن القومي لمصر، وهذا ما جاء في رسالة اللواء موسى لطفي مدير العمليات الحربية إلى اللواء عثمان المهدي في ٢ يونيو ١٩٤٨ حول سياسة الحكومة إزاء هذا الخطر جاء فيها: "سياسة الحكومة بعد أن تفشل جميع الطرق الودية والدبلوماسية والمفاوضات... سياسة ترمي إلى تطهير المناطق المتاخمة لحدود مصر الصهيونية وهي منطقة صحراء النقب المتاخمة للحدود المصرية"^(٣).

ومن ثم كانت سياسة الحكومة دفاعية وهذا ما تطرق إليه وزير الخارجية أحمد خشبة باشا في حديثه مع توفيق أبو الهدى بشأن منطقة النقب في بيروت -

(١) محمد حسنين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية - ج ٣ - ص ٤١، ٤٢.

(٢) جميل الشقيري: قضية فلسطين الحربية والسياسية - مطبعة مصنع الإسكندرية للكراس - ١٩٦٢ - ص ١٣٣.

(٣) محفظة رقم (٤) - رسالة من اللواء / موسى لطفي مدير العمليات الحربية إلى اللواء عثمان المهدي في ٢ يونيو ١٩٤٨.

الأحد ٢٠ مارس عام ١٩٤٩ - فى الاجتماعات التى تمت لتمهيد اللقاء بلجنة التوفيق، جاء فيه: "إن قيام دولة يهودية يلقى على مصر تبعات بتيسير الدفاع ويقتضى بأن يكون خط الدفاع الأول عنها مركزاً فى شقه من النقب وإلا استهدفت سلامة مصر كلها لخطر لم يعد من قبيل الاحتمالات النظرية بل غدا حقيقة.. ما درج عليه اليهود من غدر وما يرمون إلى تحقيقه من بعيد المطامع.." (١).

٣ - إعلان بريطانيا إنهاء انتدابها، لذلك فكرت الحكومة المصرية فى فترة ما بعد انتهاء الانتداب وما يسود فلسطين من اضطرابات وقلق تمتد إلى الأراضى المصرية، حيث وصلت برفقة من قنصل مصر فى القدس بنبه فيها إلى خطورة الحالة فى فلسطين وأن الهجرة تحمل خطرين: خطر على الصحة العامة وخطر على الأمن من ناحية التجسس، ودور مصر فى حفظ السلام والنظام والعمل على الفتك برأس الحربة التى تمتد من العصابة الصهيونية لنشر الاضطرابات والشيوعية فى البلاد العربية (٢).

٤ - رسالة عزام باشا للأمين العام لجامعة الدول العربية إلى أحمد خشبة باشا وزير الخارجية فى ١١ مايو ١٩٤٨ لترغيب وترهيب مصر بضرورة التدخل، حيث أشار إلى أنه بمجرد دخول القوات المصرية ستسارع إنجلترا وأمريكا فى عقد هدنة خوفاً من تدخل روسيا ونجدة اليهود ومن ثم وقف القتال (٣).

(١) محفظة رقم (٢٥٨) مذكرة بخلاصة الحديث الذى دار بين وزير الخارجية وتوفيق أبو الهدى فى شأن منطقة النقب فى بيروت - الأحد ٢٠ مارس ١٩٤٩ فى الاجتماعات التى تمت لتمهيد اللقاء بلجنة التوفيق.

(٢) محمد حسنين هيكل: للجيش والعروش - قراءة فى يوميات الحرب - ط١ - دار الشروق - القاهرة - ١٩٩٨ - ٧٨ - ٨٥.

(٣) إبراهيم شكيب: مرجع سبق ذكره ص ١٢٣ - ١٢٥.

وأكد النقراشي "الملك فاروق" أن البريطانيين أبلغوه أن الحرب لو قامت لن تكون أكثر من بضعة أيام، واتفقت الدول الكبرى فيما بينها على التدخل في الحال لإقرار هدنة وفرض حل سياسي^(١).

أما الترهيب فتمثل في تصميم الملك عبد الله على دخول فلسطين قبل نهاية الانتداب لاحتلال القسم العربي وضمه لمملكته، ومن ثم إقرار التقسيم وقيام دولة يهودية، ويرجع الملك عبد الله مسؤولية الفشل إلى باقي الدول العربية^(٢).

٥ - عدم معارضة بريطانيا دخول القوات المصرية إلى فلسطين لقتال اليهود، لتوجيه ضربة للجيش المصري، من السند القوي للحكومة المصرية في المطالبة بالجلء، وتحويل أذهان الشعوب العربية عن مشكلاتها الحيوية التي تمر بها بإثارة العداوة بينها وبين اليهود وتعكير صفو علاقات الدول العربية بالاتحاد السوفيتي^(٣).

حيث يذكر النقراشي في جلسة الشيوخ يوم ١٢ مايو عام ١٩٤٨ لفؤاد سراج الدين: "إنني متفائل ونحن نعرف قوة اليهود، وأنا أحب أن أطمئنك إلى أن الإنجليز هم الذين شجعوني على ذلك"^(٤)، ويقصد بالتشجيع إمداده بالسلاح، حيث تبين من ملفات وزارة الدفاع الوطني وهيئة أركان الحرب الإمبراطورية أن هناك صفقة ما جرى عقدها في السر بين العسكريين البريطانيين والملك فاروق شخصيًا، وبمقتضاها أتيح لعناصر مصرية أن تسرق من المعسكرات العسكرية في منطقة قناة السويس كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر التي سيحتاج إليها الجيش المصري في حالة دخوله ساحة الصراع المسلح في فلسطين، وبالفعل انتقلت فجأة كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر والمعدات من المخازن البريطانية في القاعدة إلى قوات الجيش

(١) أحمد فراج طايح: صفحات مطوية - ص ١٢٥.

(٢) إبراهيم شكيب: المرجع نفسه - ص ١٢٥.

(٣) الجماهير - ١٩ أكتوبر ١٩٤٧.

(٤) أحمد حمروش: مصر والعسكريون - ج ١ - ص ١٢٩.

المصرى، وبدا كما لو أن بريطانيا تشجع - إن لم تكن تحرص - على دخول الجيش المصرى إلى ميادين القتال فى هذا التوقيت، وفى ١٩ مايو عام ١٩٤٨ ظهرت فجأة مسألة سرقة أسلحة من المخازن البريطانية لذلك سارع كل من الملك فاروق والنقراشى فى طلب الإمداد بالأسلحة^(١).

وهذا ما جاء فى برقية السفير البريطانى إلى وزير الخارجية البريطانى فى ١٩ مايو عام ١٩٤٨، فيما يتعلق بوعده بريطانيا بصفقات من السلاح البريطانى لمصر، جاء فيها: "إيماء إلى برقيتى التى تروى مقابلتى للملك فاروق طلب منى النقراشى باشا أن أزوره صباح اليوم وبعد أن أعرب عن تقديره للموقف البريطانى إزاء دخول مصر والقوات العربية الأخرى فلسطين، قدم طلباً مصرياً شبيهاً بالطلب الذى قدمه الملك فاروق لتوريد مواد حربية وأعطانى قائمة باحتياجات الحكومة المصرية ورجانى أن أتولى الأمر على وجه السرعة من المخازن الموجودة فى قاعدة قناة السويس، وقد استند فى طلبه إلى الاعتقاد أن أى دولة صهيونية من شأنها أن تكون شيوعية قوية إن لم تكن ذات طبيعة شيوعية كاملة"^(٢).

ومن ثم كان هدف بريطانيا توجيه ضربة للجيش المصرى، ليكون حجة لبقاء قواتها فى القناة بزعم عدم قدرة مصر على الدفاع عن نفسها، وهذا ما أشار إليه فؤاد سراج الدين أمام محكمة الثورة "أنا قلت للنقراشى، أخشى أن تكون دى مؤامرة من الإنجليز لدفعنا إلى حرب فلسطين والإضرار بنا، فقال لى أنا عندى وعد من الإنجليز بمدنا بكل ذخيرة وأسلحة نحتاج إليها وهم متحمسون لدخولنا إلى الحرب"^(٣).

(١) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس.. حرب الثلاثين عاماً - ط ١ - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ٩٠.

(٢) محمد حسنين هيكل: الجيوش والعروش - ص ١٠٠.

(٣) عبد الحميد موافى: مرجع سبق ذكره - ص ١٤٦ - ١٤٧.

وتتضح أهداف تلك السياسة البريطانية من رسالة ليوبولد اسمبرى أحد الأعمدة الرئيسية لحزب المحافظين إلى بيفن جاء فيها: "ربما كان أفضل حل لمشكلة مصر والشرق الأوسط هو القضاء على هذا الكيان الشاذ المسمى الجامعة العربية أداة سيطرة لمصر فهي دولة غريبة وليست لها مصالح عربية مشروعة، وربما كانت تتكلم العربية؛ ولكن المصريين جنس آخر ويرفض عرب الأردن تمامًا الاعتراف بهم كعرب"^(١).

ونشرت جريدة "صنداي" لكتوريال" ما صرح به ريتشارد كروسمان" عضو مجلس العموم عن العمال ذهب فيه إلى أنه ينبغي أن يترك العرب واليهود في الوقت الحاضر العمل على تصفية النزاع القائم بينهما في فلسطين وأن يجرب كل منهما قوته مع قوة الآخر"^(٢).

وليس في هذا ما يضرهم؛ فإن جيوشهم وطائراتهم ستبقى في السويس وعندما يجلو الإنجليز سيحدث في فلسطين كما حدث في الهند عقب التقسيم، أى مجازر بين العرب واليهود حيث يصبح الإنجليز للعالم كله: "انظروا وتأملوا قيمة الإمبراطورية البريطانية لصيانة السلم فأنت لا تكاد تترك مكاناً حتى تهب المجازر وتقتل الطوائف، ومن شأن تلك الاضطرابات والفوضى صرف السياسة والشعب المصرى عن قضية بقضية دولة شقيقة خاصة أن مصيرهم مرتبط بمصيرها، وإجبار مصر على عقد معاهدة دفاع مشترك أمام المتغيرات الدولية"^(٣).

وهذا ما أشار إليه القائمقام صلاح الدين كمال في برقيته التى جاء فيها: "إن هدف بريطانيا من دخولنا فلسطين ليشعرونا بضعفنا ويرغمونا على الاعتراف بذلك والاستئجاد بهم وعقد معاهدة ترضى أطماعهم"^(٤).

(١) محمد عودة : فاروق بداية ونهاية - ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) الأهرام - ٣ مايو ١٩٤٧.

(٣) مصر - ١٥ أكتوبر ١٩٤٧.

(٤) محفظة رقم ٢٣٥ - رقم الملف ٨ - برقية القائمقام كمال الدين صلاح - براغ.

ونخلص من ذلك بأنه كان من واجب النقراشى أن يتذكر أنه فى شهر أغسطس ١٩٤٧، أى قبل دخول الحرب ببضعة شهر، رفع إلى مجلس الأمن قضية مصر ضد بريطانيا؛ ولأن الإنجليز من المعارضين فهل يعقل أن ينتظر من الإنجليز أن يساعدوه ضد اليهود وما زالت رنة صوته فى مجلس الأمن تؤثر أذانهم^(١).

٦ - تحركات واستعدادات وزير الدفاع الوطنى "حيدر باشا" دون علم السلطات العليا دخول فلسطين وتأكيد على قدرة الجيش المصرى دون أى معونة من الدول العربية الأخرى على أن يدخل تل أبيب عاصمة الدولة اليهودية فى خمسة عشر يومًا ومعاقبة العصابات اليهودية التى تعتدى على العرب^(٢).

ويروى هيكى فى مذكراته أن "محمد حيدر" رجل الملك وياوره الخاص أمر فرق الجيش باجتياز الحدود إلى فلسطين بناء على أمر ملكى دون أن يحيط رئيس الوزراء علما ومن غير أن ينتظر قرار البرلمان أو مجلس الوزراء، وكان حيدر يعرف بلا شك أن الدستور ينص على أن الملك هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ويمارس سلطاته بواسطة وزرائه^(٣)، ومن ثم سافر الجيش المصرى للحرب بقرار من القائد الأعلى متخطيًا كل المؤسسات الدستورية والحكومة والبرلمان^(٤).

ب - ضغط العوامل الخارجية تطور الأحداث والأوضاع فى فلسطين ومجلس الأمن:

• استكمال استعدادات القوات المصرية بالعريش:

إثر ما جاء فى قرار المؤتمر العسكرى الذى انعقد بدمشق فى ١٠ مايو عام ١٩٤٨، الخاص بأن تكون جميع القوات على استعداد للتحرك لمناطق الحشد ابتداء من يوم ١٢ مايو عام ١٩٤٨ صدر أمر إنذارى بذلك للقوات المصرية.

(١) أحمد فراج طايح، صفحات مطوية عن فلسطين - دار مطابع الشعب - للقاهرة - د. ت ص ١٢٢ - ١٢٥.

(٢) محمد عودة : فاروق بداية ونهاية - ص ٢٢٦ - ٢٣٠.

(٣) محمد حسنين هيكى: عهد فاروق، مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ - مطبعة مصر - القاهرة ص ٣٣١.

(٤) عبد الله إمام: وجيه أباطة.. صفحات من النضال الوطنى - ط ١ عربية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٩٥ - ص ١٣٨.

وعقد مؤتمر برئاسة هيئة أركان حرب الجيش في ١١ مايو لاستكمال استعدادات القوات المصرية بالعريش والنظر جدياً في المطالب المهمة، وأوضح أن السلطات العليا قد وافقت على الآتى بعد أن رجعت بدورها إلى البرلمان:

أ - فتح اعتماد إضافي لهذه العمليات مع تخفيف القيود المالية^(١)؛ حيث صدر مرسوم بمشروع قانون يقضى بأن يؤذن للحكومة أن تصدر قرضاً في حدود مبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لمواجهة المصروفات الإضافية اللازمة لقوات الجيش المصرى المرابطة على الحدود بين مصر وفلسطين^(٢).

ب - إصدار قانون باستدعاء الرديف: حيث قرر مجلس الوزراء الترخيص لوزارة الدفاع فى استدعاء قوات رديف الجيش من ضباط الصف والعساكر المسرحين خلال السنوات الخمس السابقة.

ج - إصدار قانون بالاستيلاء على ما يطلبه الجيش سواء من الأفراد والمعدات:-

١ - بالنسبة إلى السيارات: أصدر مجلس الوزراء قانوناً بالاستيلاء عليها فى ١٦ مايو عام ١٩٤٨ حيث تقرر أن تكون شؤون الاستيلاء العسكرية من اختصاص وزيرى الدفاع والتجارة والصناعة، على أن تتألف لجان لتقدير التعويضات عما يتم الاستيلاء عليه^(٣)، ويتم ترحيل ما يجمع أولاً بأول مع فحصها قبل إرسالها بواسطة مندوبين فنيين من سلاح الصيانة الملكى.

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س. ج / ٢١ - ملف هـ - تقرير القانمقام (أ. ح) حافظ بكري عن خلاصة ما بحثته الهيئة العسكرية للدول العربية بقصر الرغدان عن الموقف فى فلسطين - المؤتمر الذى عقد فى سوريا للغرض نفسه من ٢ مايو ١٩٤٨ إلى ١١ مايو ١٩٤٨.

(٢) مجلس الشيوخ - الجلسة الحادية والثلاثون - ١١ مايو ١٩٤٨ - ص ٩٣٠.

(٣) الأهرام - ١٧ مايو ١٩٤٨.

٢ - السائقون: نظرًا لوجود نقص كبير في السائقين بالجيش، روى استكمال النقص بالاستيلاء على سائقين بأمر عسكري.

٣ - الصناع: ونظرًا لما تعانيه الوحدات من نقص كبير في الصناع الفنيين، تقرر سحب هؤلاء الأفراد من الوحدات الموجودة بالقاهرة وترحيلهم بأقرب فرصة إلى العريش.

٤ - تقرر استدعاء ضابط من القسم الجغرافي من أحد خريجي كلية أركان حرب في ١٢ مايو ١٩٤٨^(١).

٥ - الوجبات الغذائية: تألفت لجان للشراء من السوق لاستكمال مرتب قوة العريش إلى سبعة أيام، إلى جانب الاتفاق مع متعهدين بالعريش والإسماعيلية على توريد العينات الطازجة يوميًا للقوة.

ما يلاحظ عند اتخاذ تلك الاستعدادات أن تنفيذ مطالب الجيش جاء بعد اتفاق الحكومة المصرية مع بريطانيا على اشتراك الجيش المصري مع الجيوش العربية لدخول فلسطين عقب نهاية الانتداب، حيث تعددت اللقاءات بين رئيس الوزراء المصري والسير رونالد كامبل لرغبة بريطانيا في الاتفاق مع الدول العربية على وضع معين ينهي المسائل المختلفة عليها بشأن فلسطين قبل انتهاء الانتداب^(٢).

خصوصًا أن انتهاء الانتداب من شأنه أن يحرر الحكومة المصرية من القيود التي يفرضها عليها الوجود البريطاني في فلسطين^(٣)، فمصر مرتبطة مع

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٦ - مؤتمر برئاسة هيئة أركان حرب الجيش في ١١ مايو ١٩٤٨ لاستكمال القوات المصرية بالعريش.

(٢) البلاغ - ٨ مايو ١٩٤٨.

(٣) البلاغ - ١١ مايو ١٩٤٨.

بريطانيا بمعاهدة تحتم على الطرفين المتعاقدين التشاور فى الظروف التى يمكن أن تؤدى إلى قيام حرب أو التهديد بالحرب بين أحد الأطراف وطرف ثالث باعتبار بريطانيا الحليف الطبيعى والصديق التقليدى، علاوة على ما لبريطانيا من قواعد عسكرية بمنطقة القناة.

وذلك بعد أن قدمت بريطانيا إنذارًا عن طريق سفيرها لوزير الخارجية ورئيس الوزراء المصرى جاء فيه: "إن أى جيوش عربية ستدخل فلسطين ستقابل بمدافع الإنجليز وأن المعاهدة المصرية - البريطانية تستوجب وقوف مصر إلى جانب إنجلترا لا محاربتها وأن هذا العمل سوف يعرض البلاد العربية إلى عدم وقوف دول العالم فى صف العرب أمام هيئة الأمم المتحدة"^(١).

وبالفعل إن مصر لا تستطيع اتخاذ قرار بهذا الشأن لارتباطها بمعاهدة ١٩٣٦، وهذا ما تضمنه بيان بيفن حول قطع المفاوضات: " فى حالة فشل المفاوضات ستستمر معاهدة ١٩٣٦ سارية المفعول"^(٢).

والى جانب ارتباط مصر بمعاهدة ١٩٣٦، توجد قوات بريطانية مرابطة فى منطقة قناة السويس، وأوامر سكة حديد فلسطين بعدم استخدام خطة سكة حديد القنطرة رفح إلا بعد انتهاء انتدابها فى فلسطين^(٣).

ويمكن القول إن بريطانيا وجدت أنه من المناسب أن تسارع فى تأييد عملية التخل العسكرى للجيوش العربية؛ لأن ذلك يمتص النغمة الشعبية التى أخذت تواجه عملاءها من الحكام العرب ويمكنها فى الوقت نفسه من التحكم فى عمليات

(١) عبد الوهاب بكر: الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥٢ - ص ٥١.

(٢) مصر - ٢٨ يناير ١٩٤٧.

(٣) الإخوان المسلمون - ٢٢ مارس ١٩٤٨.

هذه الجيوش والحد من حماس الشعوب العربية وظهر جليًا في الإجراءات التي صاحبت قرار اللجنة السياسية والتي نصت على "أن الجيوش العربية هي الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين وإنقاذ عروشها، لذلك قررت حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية في فلسطين وإيقاف نشاطها وإبعادها عن المعركة، بحجة أن ذلك يعرقل عمليات الجيوش العربية وضرورة وضع خطة عسكرية مشتركة لتحركات الجيوش العربية"^(١).

كما تكتسب الدولة اليهودية الشرعية الدولية لقيامها بعد خوض غبار الحرب . وبإحراز نصر عسكري على العرب.

(١) وزارة الإعلام: نظرات على الانتصارات العسكرية الوطنية - ص ٨٥٥.

الفصل الرابع

- صدى قرار التقسيم فى البرلمان المصرى.
- الإجراءات القانونية التى اتبعتها الحكومة المصرية لاشتراك القوات المصرية وإنقاذ فلسطين:

١ - دعوة البرلمان للاتعداد للنظر فى مساعدة فلسطين عسكريًا واقتصاديًا واتخاذ التدابير اللازمة لذلك:

أ - التدخل العسكرى.

ب - إعلان الأحكام العرفية.

ج - إقراض الحكومة المصرية المال اللازم للاستعدادات العسكرية.

٢ - رأى القانونى لاشتراك القوات النظامية:

- مذكرة مصر إلى ممثلى الدول لتبرير اشتراك القوات النظامية المصرية فى حرب فلسطين.

- الموقف الدولى إزاء إعلان الحكومة المصرية والحكومات العربية قرار التدخل العسكرى (الاعتراف بالدولة اليهودية).

صلى قرار التقسيم فى البرلمان المصرى:

أ - التدخل العسكرى:

لم تستقطب القضية الفلسطينية اهتمام الحكومة والهيئات الشعبية المصرية فقط، بل استقطبت اهتمام البرلمان المصرى بدرجة كبيرة - مجلس النواب والشيوخ - لتحكم الموقع الجغرافى لفلسطين بمصير مصر سياسيًا وعسكريًا، وهذا ما أشار إليه الشيخ "على زكى العرابى باشا" عند صدور قرار تقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ كالتى: "إن لهذا القرار أثرًا شديدًا فى نفوس جميع الدول العربية المحيطة بفلسطين ومن بينها مصر، لأن وجود دولة يهودية فى فلسطين ليس فيه اعتداء عليها فحسب، بل فيه خطر شديد يهدد الممالك المتاخمة لفلسطين والمجاورة لها ومنها مصر"^(١).

كذلك أعلن رئيس مجلس الشيوخ استنكار المجلس لذلك القرار فى جلسته المنعقدة فى ٨ ديسمبر عام ١٩٤٧ وجاء فيه: "يعلن مجلس الشيوخ المصرى استنكاره للقرار الظالم الذى أصدرته الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتمزيق فلسطين وتقسيمها إلى دولتين، معتدية فى ذلك على أقدم حقوق أهلها ومخالفة فى ذلك نصوص ميثاق هيئة الأمم المتحدة الواجب عليها العمل به واحترامه تحت تأثير وسائل لا يقرها قانون ولا عرف ولا خلق، ويعلن المجلس شكره للأمم التى وقفت إلى جانب الحق عند صدور القرار المشؤوم، ويدعو المجلس الحكومة إلى التعاون مع جميع الحكومات العربية ومن ينصرها من الحكومات الأخرى للحيلولة دون تنفيذ هذا القرار بكل الوسائل الممكنة"^(٢).

كما قرر مجلس الشيوخ بالإجماع الإسهام فى معاونة فلسطين بما يوازى على الأقل مكافأة ثلاثة أشهر^(٣).

(١) مجلس الشيوخ - الجلسة الثلاثون - ١٠ مايو - ١٩٤٨ - ص ٩١٦ - ٩١٧.

(٢) مجلس الشيوخ - الجلسة الثانية - ٨ ديسمبر - ١٩٤٧ - ص ٣٧ - ٤١.

(٣) مجلس الشيوخ - الجلسة الخامسة - ٢٢ ديسمبر - ١٩٤٧ - ص ٤٨.

وعندما طلب رئيس مجلس الوزراء من رئيس مجلس الشيوخ عقد جلسة سرية - فى ١٢ مايو عام ١٩٤٨ - للبرلمان ليقر بدخول القوات المصرية إلى فلسطين لقتال اليهود، عندئذ اقترح الشيخ محمد محمد الوكيل أن يشرع المجلس على الفور فى انتخاب لجنة خاصة تمثل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الموجودة فى المجالس لبحث ما يعرضه عليها رئيس مجلس الوزراء^(١).

غير أن على ماهر باشا انسحب من اللجنة عند مناقشة قانون الأحكام العرفية فى جلسة ١٠ مايو عام ١٩٤٨، عندما طالب بأن تتولى تطبيق الأحكام العرفية وزارة غير الوزارة القائمة حينذاك، ومعنى ذلك تتحى حكومة النقراشى لتتولى تنفيذ تلك الإجراءات وزارة قومية كى لا تستغل الأحكام العسكرية استغلالا حربيا، غير أن النقراشى لم يهتم بآراء على ماهر ونتج عن ذلك انسحاب هذا الأخير من تلك الجلسة^(٢).

ورفعت اللجنة لرئيس مجلس الشيوخ كتابا تضمن موافقتها على بيان رئيس مجلس الوزراء بضرورة التدخل مع الجيوش العربية وجاء نصه: "اجتمعت اللجنة لبحث ما كلفها به المجلس وسمعت بيان دولة رئيس الحكومة عما يرى أنه يجب أن تقوم به مصر نحو فلسطين من ضرورة التدخل مع الجيوش العربية فى الوقت المناسب، لإعادة النظام والطمأنينة لذلك القطر، ومنع المذابح الحاصلة الآن وهى واثقة من نتائج هذا التدخل بإذن الله"^(٣).

وأعلن رئيس مجلس النواب موافقة المجلس بإجماع الحاضرين على هذه السياسة بقوله: "بعد سماع بيانات دولة رئيس الحكومة يقرر المجلس الموافقة على

(١) مجلس الشيوخ - الجلسة الثلاثون - ١٠ مايو - ١٩٤٨ - ص ٩١٧.

(٢) د. عائدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٩١.

(٣) مجلس الشيوخ - الجلسة الحادية والثلاثون - ١١ مايو ١٩٤٨ - ص ٩٣٢.

السياسة التي اتبعتها الحكومة في المسألة الفلسطينية ويؤيدها كل التأييد فيما ترى اتخاذه من إجراءات لإنقاذ هذه البلاد العزيزة وأهلها من العدوان الإجرامي^(١)، خصوصاً أن المتوقع أن تواجه الحكومات العربية في يوم ١٥ مايو حالة دولية جديدة، افترضوا أن هذه الحالة الجديدة هي إعلان قيام دولة يهودية أو عربية وأن نيات الإنجليز معروفة، فقد قرروا إعادة ١٦٠٠٠ صهيوني ممن كانوا ألزمهم بالنزول في قبرص^(٢).

كما وافق مجلسا البرلمان على مشروع قانون بالإذن للحكومة بأن تصدر قرضاً في حدود ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه لمواجهة المصروفات الإضافية اللازمة لقوات الجيش المصري بمناسبة الحالة القائمة في فلسطين^(٣).

كما أنن للحكومة بأن تأخذ من الاحتياطي العام مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه لمواجهة نفقات إعادة الموجودين بفلسطين من المصريين غير القادرين وتكاليف إيواء وإعانة المهاجرين إلى الديار المصرية من الفلسطينيين العرب^(٤)، إلى جانب موافقة مجلس الشيوخ على التبرعات بمكافأة شهر واحد للترفيه عن الجنود المصريين^(٥).

ب - إعلان الأحكام العرفية:

بمقتضى قرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في جلستها المنعقدة بعد ظهر يوم ١٢ مايو عام ١٩٤٨ بدمشق؛ بأن تتخذ كل حكومة عربية ما تقتضيه

(١) مجلس النواب - الجلسة الثامنة والعشرون - ١٢ مايو ١٩٤٨ - ص ٢١٤٣.

(٢) مجلس الشيوخ - الجلسة الثانية والثلاثون - ١٢ مايو ١٩٤٨ - ص ٩٣٤.

(٣) مجلس النواب - الجلسة التاسعة والعشرون - ١٢ مايو ١٩٤٨ - ص ٢١٩٢.

(٤) مجلس الشيوخ - الجلسة الثلاثون - ١٠ مايو ١٩٤٨ - ص ٩١٠.

(٥) مجلس الشيوخ - الجلسة السادسة والثلاثون - ١١ مايو ١٩٤٨ - ص ١٠٦٤.

الحالة الاستثنائية الناشئة عن دخول الجيوش العربية إلى فلسطين من تدابير مثل إعلان الأحكام العرفية أو إعلان حالة الطوارئ التي من شأنها تأمين سلامة الجيوش وكنمان حركاتها ومنع عرقلة أعمال الحكومة في هذا الشأن وقمع الحركات الهدامة والدعايات الانهزامية مع فرض الرقابة على الصحف^(١)، وقبل صدور قرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، كان قد تقرر خلال المؤتمر المنعقد برئاسة هيئة أركان حدود الجيش في ١١ مايو لاستكمال القوات المصرية بالعريش أن السلطات العليا قد وافقت على إعلان الأحكام العرفية^(٢).

وبناء على ذلك تداولت لجنة فلسطين من قبل مجلس الشيوخ في بحث الظروف التي تسوغ إعلان الأحكام العرفية، وقررت اللجنة أن القانون الخاص بإعلان الأحكام العرفية يقتصر على حالتين هما حالة الحرب وحالة الاضطراب بالداخل، وكانت الحالة التي يراد إعلان الحكم العرفي من أجلها حالة استثنائية لم يشملها القانون وهي تأمين سلامة الجيوش المصرية في الخارج لمواجهة الحالة القائمة في فلسطين التي تطلبت تدخل الجيوش العربية لإنقاذها، ورأى أعضاء اللجنة تضيق حدودها وتوقيتها بحيث تكون مقتصرة في التطبيق على ما يتصل بتأمين سلامة الجيش في خارج الحدود، فلا تمتد إلى غير ذلك من الشؤون الداخلية، وأن تكون موقته لسنة واحدة، ويعين النقرأشى حاكمًا عسكريًا ويصدر بمقتضى السلطة المخولة إليه أوامر عسكرية^(٣).

(١) تقرير لجنة التحقيق النيابية - مطبعة الحكومة - بغداد - ١٩٤٩ - ص ١٠٥.

(٢) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٦ / س ج / ١٢ - محضر قرارات المؤتمر المنعقد برئاسة هيئة أركان حرب الجيش يوم الثلاثاء ١١ مايو ١٩٤٨.

(٣) مجلس الشيوخ - الجلسة الثانية والثلاثون - ١٢ مايو ١٩٤٨ - ص ٩٣٨ - ٩٤٩.

وصدر مرسوم ملكي بإعلان الأحكام العرفية، وعلى هذا صدر قانون يضيف حالة جديدة، هو تأمين سلامة الجيوش المصرية في الخارج، إلى الحالتين المقررتين في القانون لجواز إعلان الأحكام العرفية^(٩).

ومن ثم قصر صدورهما على الشؤون المتصلة بسلامة الجيوش وحاجاتها والشؤون العسكرية وقمع الروح والأفكار الثورية التي قد تحدث اضطراباً أو فتنة لا تؤمن معها سلامة الجيش خارج البلاد، ما يدل على أنه نظام استثنائي لا يجوز التوسع في تطبيقه أو تغيير أحكامه.

كذلك الحد من سلطة مجلس الوزراء في توسيع اختصاصات السلطة القائمة على إجراء الأحكام العرفية وذلك بوجوب عرض القرارات التي تتخذ على البرلمان خلال أسبوع من تاريخ صدورها وتحديد مدة سريان القانون بسنة واحدة من تاريخ العمل^(١).

على أن إقدام الحكومة المصرية بصياغة هذا القانون، لتأمين سلامة الجيوش المصرية في الخارج، جاء نتيجة لنشاط الصهيونيين منذ إرسال قوات مصرية

(٩) وفيما يلي نص مشروع القانون:

مادة (١) مع عدم الإخلال بأحكام القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ الخاص بنظام الأحكام العرفية المعدل بالقوانين رقم ٢٣ لسنة ١٩٤٠ و ٢١ لسنة ١٩٤١ و ٨١ لسنة ١٩٤٤، يجوز إعلان الأحكام العرفية لتأمين سلامة الجيوش المصرية وضمان تموينها وحماية طرق مواصلاتها وغير ذلك مما يتعلق بحركاتها وأعمالها العسكرية خارج المملكة المصرية. وتطبق في هذه الحالة جميع أحكام القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ والقوانين المعدلة له على أن يكون ذلك فيما تقتضيه الأغراض المبينة في الفقرة السابقة.

ومع ذلك يجب على مجلس الوزراء عرض قراراته الصادرة على البرلمان في خلال أسبوع من تاريخ صدورها فإذا لم يقرها أحد المجلسين يبطل العمل بها.

مادة (٢): يسرى مفعول هذا القانون لمدة أقصاها سنة ابتداء من تاريخ العمل بها.

مادة (٣): على وزارات الداخلية والعدل والدفاع الوطني، كل فيما يخصه، تنفيذ هذا القانون ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية).

(١) مجلس النواب - الجلسة الثامنة والعشرون - ١٢ مايو ١٩٤٨ - ص ٢١٤٣ - ٢١٤٨.

مرابطة على الحدود المصرية - الفلسطينية، وازدياده عقب صدور قرار التقسيم، وقد تمثل نشاطهم في أعمال تهريب الأسلحة والتبرعات من يهود مصر إلى الصهيونيين في فلسطين والتجسس عن طريق تجنيد أفراد من العرب أو منهم، واستعمال الأجهزة اللا سلكية للاتصال لجمع المعلومات عن القوات المصرية، وخشية قيام بعض الأفراد الموالين للصهيونية ببعض الأعمال التخريبية.

وبناء على ذلك أصدر الحاكم العسكري العام أربعة أوامر عسكرية، بعد أن صدر مرسوم ملكي يقضى بـ "أنه ابتداء من ١٥ مايو ١٩٤٨ تجرى الأحكام العرفية في جميع نواحي المملكة المصرية وتعيين التفراشي باشا حاكماً عسكرياً"^(١).

ويقضى الأمر العسكري الأول: بأن تفرض رقابة عامة في جميع أراضي المملكة المصرية ومياهاها الإقليمية على الكتابات والمطبوعات والصور والطرود التي ترد إلى مصر أو ترسل منها إلى الخارج أو تتداول خارج البلاد وكذا جميع الرسائل التلغرافية والتليفونية السلكية واللا سلكية وعلى جميع الأخبار والمعلومات أو غيرها من المواد المعدة للإذاعة اللا سلكية وعلى جميع القطع التمثيلية وأفلام السينما والأسطوانات الفوتوغرافية وغيرها من الوسائل الناقلة للأصوات أو للصور، على أنه لا تخضع لهذه الرقابة جميع المواد والرسائل الخاصة بالحكومة الملكية المصرية وغيرها من الحكومات التي يقرر الرقيب العام إعفاءها من الرقابة، وكذلك الطرود والرسائل الواردة من وإلى القوات المصرية وتنشأ مصلحة خاصة بالرقابة يناط بها تنفيذ وإدارة جميع فروع الرقابة ويرأسها رقيب عام يكون مسؤولاً عن اختيار الرقباء وموظفي الرقابة.

وتكون اختصاصات الرقيب العام إصدار الأمر إلى جميع الوزارات والمصالح؛ بأن تبذل لمصلحة الرقابة كل ما يطلبه الرقيب العام من المساعدات والتسهيلات وتكون لهذه الأوامر قوة القانون، ولا تقبل أي دعوة على الحكومة وموظفيها.

(١) الوقائع المصرية - ١٣ مايو ١٩٤٨.

وفرض على تلغرافات شركة ماركونى والإذاعة وجميع الجرائد والمحلات وربابنة السفن غير الحربية وقائدى الطائرات التجارية والخاصة وجميع الهيئات وبيوت التجارة أن تقوم بتنفيذ ما يصدره إليها الرقيب العام.

كما فرض على جميع سكان البلاد المصرية على اختلاف جنسياتهم أن يلتزموا بغير تردد بأحكام الرقابة.

ويقضى الأمر العسكرى الثانى: بتعيين عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية رقيباً عاماً.

ويتضمن الأمر الثالث: تعيين أحمد مرتضى المراغى مدير الأمن العام حاكماً عسكرياً لمنطقة القاهرة، وعبد الخالق حسونة باشا حاكماً عسكرياً لمنطقة الإسكندرية، فؤاد شيرين لمنطقة القنال، اللواء أحمد سالم المدير العام لسلح الحدود الملكى حاكماً عسكرياً لمنطقة الصحراء الشرقية وغيرها من مناطق الحدود^(١).

ويجوز لكل مندوب من هؤلاء فى المنطقة الخاضعة لحكمه العسكرى إجراء الأحكام العرفية وأن يفرض على مخالفيها عقوبة لا تتجاوز الحبس لمدة ثلاثة أشهر وغرامة عشرة جنيهات^(٢).

ويقضى الأمر الرابع: بأن يفرض نظام لتفتيش البواخر بموانئ الإسكندرية وبورسعيد والسويس^(٣).

حيث تقضى المصلحة مراقبة نشاط العناصر الصهيونية فى مصر مخافة إقدامها على أعمال تخريب، بفرض نوع من الرقابة على نشر المعلومات الخاصة بحركات الجيش المصرى والأنباء العسكرية، حيث ساور اليهود قلق كثير بالنسبة إلى سلاح الطيران المصرى ويخشونه لذلك رؤى وجوب السهر على منشأته

(١) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

(٢) الوقائع المصرية - ١٥ مايو ١٩٤٨.

(٣) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

ووحداته، ولذلك أصدرت القيادة العليا للجيش تعليمات تقضى باعتبار وزارة الدفاع وما يحيط بها منطقة عسكرية لا يدخلها أحد إلا بترخيص خاص من القيادة العليا، ولهذا قام سلاح المهندسين الملكى بإقامة حواجز من الأسلاك الشائكة فى الطرق المؤدية إلى الوزارة، واتخذت وزارة الدفاع التدابير لاستدعاء طبقات من جنود الجيش الذين تم تسريحهم وذلك لتكوين فرق احتياطية لمضاعفة الحراسة على المعابد والمصارف ومحال اليهود والمنشآت العامة.

وأصدرت وزارة الدفاع تعليمات إلى كل من رئاسة قسم القاهرة ومنطقة القنال باتخاذ التدابير اللازمة لحراسة المرافق الحيوية على أن يقدم المشروعات الخاصة بتنفيذ الحراسة إلى إدارة العمليات الحربية بحيث تصل فى موعد غايته ١٦ مايو عام ١٩٤٨^(١).

كذلك أصدر الحاكم العسكرى أمرًا عسكريًا رقم ٢٣ يقيد مرور الأجانب المسافرين، بإيجاب الحصول على تأشيرات بمغادرة الأراضى المصرية على ألا يتجاوز الحاصل على التأشيرة المدة المقررة بها^(٢).

وحظر على المسافرين بالطائرات من الأجانب غير الحاصلين على تأشيرات دخول أو مرور، أو الحاصلين على تأشيرات مرور مباشرة عند نزولهم بالمطارات عابرين الأراضى المصرية، أن يبارحوا هذه المطارات لأى غرض كان، وعليهم إذا اقتضت مواعيد قيام الطائرات مبيتهم أن يتوجهوا لهذا الغرض مباشرة إلى الأماكن التى تحدد بقرار يصدره وزير الداخلية وألا يبارحوها إلا عند عودتهم إلى المطارات^(٣).

(١) محفظة رقم (١) ١ - ٢٦ / س ج / ١٨ / ملف أ - وزارة الدفاع الوطنى - إدارة المخابرات الحربية - مذكرة فى ١٣ مايو ١٩٤٨.

(٢) مجلس الشيوخ - الجلسة التاسعة والثلاثون - ١٤ يونيو ١٩٤٨ - ص ١٢٠٥.

(٣) الأهرام - ١٨ مايو ١٩٤٨.

وحدد الحاكم العسكرى العام (النقراشى باشا) أماكن مبيت المسافرين بالطائرات عند مرورهم بالأراضى المصرية، ففي القاهرة حدد:

١ - فندق هليوبوليس هاوس [الدور الثالث والجناح الشرقى بالدور الثانى لمسافرى مطارى المازة وفاروق].

٢ - الباخرة بيريتان الرأسية بجبهة روض الفرج وجناح خاص بالدور الثالث من الفندق لمسافرى مطار روض الفرج.

٣ - مكان بالمبنى الموضوع تحت تصرف شركة الطيران للحكومة الهولندية (K. L. M) بمطار فاروق لمسافرى هذه الشركة.

الإسكندرية: فندق نيو سافوى أو الفندق الذى يخصصه محافظ الإسكندرية. الأقصر: فندق الأقصر.

القال: المكان الذى يخصصه حاكم منطقة قنال السويس الخاصة لمسافرى مطار فايد البرى ومطارى قناة وكسفر بين البحرين^(١).

الرأى القانونى لاشتراك القوات النظامية:

أوضح الدكتور وحيد رافت مستشار وزارة الخارجية فى مذكرة لوزير الخارجية عواقب الأمور فى حالة إعلان حرب كما هو معروف فى قانون الشعوب:

١ - يكون من السهل على الدعاية السوفييتية أن تؤلب الرأى العام العالمى، وتتهم حكومات الدول العربية بخرق ميثاق هيئة الأمم المتحدة وبتعكير السلم الدولى، ما يؤدى إلى توقيع العقوبات الاقتصادية وغيرها على الدول العربية عملاً بأحكام الفصل السابع من الميثاق.

(١) محفظة رقم (١) - ١ - ٢٦ / س ج / ١٨ / ملف أ - أمر رقم ٢٣ من محمود فهمى للنقراشى الحاكم العسكرى - "بإيجاب الحصول على تأشيرة لمغادرة الأراضى المصرية".

٢ - الاعتراف بالدولة الصهيونية من جانب الكتلة السلافية، وبعض دول أمريكا اللاتينية، كما تدل عليه الشواهد، خصوصاً بعد أن أصبح للعصابات الصهيونية جيوش منظمة كاملة العدد، ومن ثم مباشرة جميع حقوق المحاربين، وتردد الطائرات على الغارات الجوية على البلاد والمدن العربية.

وإذا تقرر الدخول، تعلن الدول العربية على الملأ عند الدخول بجيوشها فلسطين حسن نيتها ومقاصدها في شكل إعلان أو Manifeste، يبلغ إلى ممثلي الدول الأجنبية ويذاع على سكان فلسطين أن الدول العربية لا تبغى بتدخلها المسلح القضاء على اليهود في فلسطين، بل ترمى إلى إعادة الأمن والسكينة إلى البلاد بوقف العصابات الإرهابية الصهيونية عند حدها بعد أن حولت تلك العصابات أراضي فلسطين إلى بركة من الدماء.

ويجب أن تكون التعليمات المعطاة للجيش المصرية وغيرها من الجيوش العربية التي ستدخل فلسطين واضحة صريحة في مراعاة قواعد الحرب وعدم مهاجمة السكان الأمنيين عن طريق البر أو الجو ووقف العمليات الحربية على قوات العدو والأهداف العسكرية وحدها^(١).

- مذكرة مصر إلى ممثلي الدول:

لذلك دعت وزارة الخارجية ممثلي الدول الخمس الكبرى في هيئة الأمم المتحدة وممثلي بولندا وبلجيكا بوصف هاتين الدولتين من أعضاء مجلس الأمن إلى مقابلة وزير الخارجية، ليتسلموا مذكرة تتضمن المبررات التي من أجلها دخلت القوات المصرية فلسطين، وذلك عملاً بالتقاليد المرعية بين الدول في مثل هذه الأحوال.

(١) إبراهيم شكيب: مرجع سبق ذكره - ص ١٣٣.

وجاء بنص المنكرة: تعلن الحكومة الملكية المصرية، وقد انتهى الانتداب البريطاني في فلسطين، أن قواتها العسكرية بدأت تدخل الأراضي الفلسطينية لتعيد الأمن والسلام بعد أن سادت الفوضى وعم الاضطراب وأصبحت البلاد تحت رحمة للعصابات الصهيونية الإرهابية التي ما فتئت تفكك بالسكان العرب الأمنين ولا تستطيع الحكومة المصرية إزاء هذه الجرائم.. في أرض متاخمة لأراضيها وضد عرب فلسطين الذين تربطهم بشعوب الدول العربية المجاورة أن تقف مكتوفة اليدين.. لذلك رأت من الواجب لحكومة دولة عربية وأمة متمدينة أن تتدخل في فلسطين لوقف المذابح هناك، ولتجعل الكلمة العليا في هذه البلاد للقانون وللمبادئ المعترف بها بين الأمم المتحدة.. وتؤكد الحكومة المصرية أن تدخلها العسكى ليس موجهاً ضد يهود فلسطين بل ضد العصابات الإرهابية، لإعادة السلام والأمن إلى ربوع فلسطين وذلك إلى حين الوصول إلى الحل العادل^(١).

وصرح خُشبة باشا وزير الخارجية بأن الغرض من دخول القوات المصرية فلسطين، ليس التكتيل بالصهيونية انتقاماً منهم مقابل ما اقترفوه من جرائم، ولكن هو منع جرائم الصهيونيين وإعادة النظام إلى تلك البلاد^(٢).

يتضح من تلك المذكرة مدى التزام الحكومة المصرية بعدم القيام بأى عمل ينطوى على تكبير السلم العالمى باعتبارها عضواً فى هيئة الأمم المتحدة، ملتزمة بتنفيذ ميثاقها، ومصر لم تدخل فلسطين محاربة ولا غازية ولا معتدية؛ لأنه ليست هناك دولة تقول إن الاعتداء وقع عليها، أما الدولة التى أعلن الصهيونيون قيامها فإنها لا تزال من وجهة نظر القانون الدولى، لا وجود لها، والاعتراف الأمريكى بها يسمى الاعتراف بالأمر الواقع، يعد فى عرف القانون الدولى اعترافاً مؤقتاً ولا يترتب عليه التبادل السياسى ولا عقد اتفاقات ومعاهدات وإن كان يبيح قيام نوع

(١) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

(٢) الدفاع الوطنى - ٢٧ مايو ١٩٤٨.

من الاتصال أقل من التمثيل وعقد الاتفاقات أو المعاهدات، ومثل هذا الاعتراف يسقط من تلقاء نفسه إذا لم يستمر قيام الدولة الجديدة أو طرأ ما يحمل الدولة التي قامت بهذا الاعتراف العدول عنه، أما الاعتراف القانوني فهو الاعتراف الدائم الذي يترتب عليه تبادل التمثيل السياسي^(١).

أما في حالة اعتراف الحكومة المصرية بأنها تشن حرباً ضد الدولة اليهودية ومعناه الاعتراف بوجودها، ومن ثم يقر قرار التقسيم ويصبح حقيقة واقعة ويتأكد مدى التزام مصر بمبادئ وميثاق الأمم المتحدة من الآتي:

أولاً: من حيث التوقيت: دخول القوات المصرية فلسطين بعد انتهاء الانتداب البريطاني، على أساس أن بريطانيا كانت صاحبة الانتداب والمسؤولة عن حفظ الأمن والنظام في فلسطين.

ثانياً: مهمة قواتها: تعيد الأمن والنظام بعد أن سادت الفوضى وعم الاضطراب؛ ومن ثم تتولى مهمة الانتداب البريطاني، وتكون بمثابة قوات بوليسية، مهمتها مجرد حملة تأديبية للعصابات الصهيونية وليس القضاء عليهم وتحرير الأرض العربية وتسليمها لأهلها من الفلسطينيين لتقرير مصيرهم، وإنما ترك الحل السياسي لقرار مجلس الأمن.

وإلى جانب مهمة القوات المصرية كقوات بوليسية لحفظ الأمن الداخلي، هناك مهمة إعادة النظام بتعيين حاكم إداري، إلى جانب حاكم عسكري يتولى إدارة المنطقة التي تدخلها القوات المصرية في منطقة مركزها غزة - بئر سبع إلى حين الوصول إلى حل عادل، خصوصاً بعد أن قدم المندوب الأمريكي حلاً مؤقتاً لمشكلة فلسطين بأن تختار لجنة مؤلفة من مندوبي الدول الخمس العظمى، أي من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وروسيا والصين، ويعهد للمندوب السامي الجديد تحديد

(١) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

مهامه فيما يتعلق بمسألة التوفيق بين السلطات المحلية وإدارة المرافق العامة في القدس، ويرسل المندوب تقريراً شهرياً إلى سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن، ومن ثم يتم الاستغناء عن لجنة فلسطين التابعة لهيئة الأمم المتحدة، وذكر اسم أحد كبار رجال الصليب الأحمر السويسري كمرشح لهذا المنصب "الكونت فولك برنادوت" مع استمرار عمل لجنة الهدنة القنصلية، ومواصلة الجهود التي تبذل في سبيل التوفيق بين الطرفين المتنازعين، والمفهوم أن هذا الاقتراح من قبل الولايات المتحدة الأمريكية يهدف إلى فرض الوصاية على فلسطين، وأن يسود نفوذها هي وبريطانيا حيث لا يوجد مجال لممارسة حق الاعتراض، إلى جانب الحد من تدخل روسيا في شؤون فلسطين.

ويرجع رفض الحكومة المصرية الاقتراح الأمريكي الخاص بعقد هدنة سياسية وعسكرية إلى خوفها من النتائج الآتية:

١ - إذا لم يصل العرب واليهود إلى اتفاق بشأن الوصاية سيعلن اليهود قيام دولتهم، ويضطر العرب إلى اتخاذ خطوة مماثلة، ما يؤدي إلى تنفيذ قرار التقسيم، لذلك عند اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية للنظر في اقتراح الهدنة الموقته والوصاية، جاء قرارها أن تتولى الجيوش العربية الإشراف على تنفيذ هذا الاقتراح وترفض وصاية مندوبي الدول الخمس العظمى^(١).

٢ - الهدنة السياسية والعسكرية التي تنادي بها الولايات المتحدة تعد ميزة لليهود أكثر من العرب؛ لجلب السلاح والقادرين على حمله وتوسعهم في الاستيلاء على المنطقة على حساب المنطقة المخصصة للعرب.

٣ - الهدنة والوصاية حلان موقتان يهدفان إلى إدارة المرحلة الانتقالية بين نهاية الانتداب والوصول إلى حل، ولما كانت هناك صعوبة في الوصول إلى حل،

(١) الأهرام - ١٣ مايو ١٩٤٨.

فالأمر يطول ويزداد نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الأوروبية ومعها اليهود، فشرعت الحكومة المصرية إلى تعيين حاكم عسكري وآخر إداري حفظاً للأمن والنظام لتفوت الفرص على الدول الأوروبية للتدخل في شؤون فلسطين وفرض حل سياسي لا تقبله الدول العربية.

٤ - رغبة الملك فاروق في السيطرة على المنطقة الجنوبية من فلسطين لما تمثله بالنسبة إلى مصر من اعتبارها خط الدفاع الأول عنها، حيث من يملكها يتحكم إلى حد كبير في المنطقة المجاورة من ناحية أخرى، نظراً لشعبية فاروق في تلك المنطقة فمن الممكن أن تطالب بعد دخول القوات المصرية بانضمامها إلى مصر، لوجود مقومات الوحدة العربية وليحول دون تنفيذ السياسة الصهيونية التوسعية بأن يمتد الاضطراب من فلسطين إلى مصر، حيث أعلن محمود فوزي مندوب مصر الدائم: "أود أن أذكر المجلس بأن داراً مجاورة لنا تحترق وأن النار أخذت تمتد بسرعة إلى ما وراء هذا الدار فمن حق مصر وواجبها إخماد هذه النار.. ومصر ليست لها خطط في فلسطين وإنما تريد أن تقر فيها النظام، ونحن إنما ندخل فلسطين برضى الأغلبية منها، ولا ندخلها لنقتل أو ندمر، ولقد اشتد التوتر في بلادنا على نحو أصبح من المحال معه أن يدع النار تمتد إلى دارنا"^(١).

ثالثاً: عدم الاعتراف بوجود سلطة شرعية لليهود في فلسطين، تملك جيشاً تدافع به عن نفسها وهذا ما جاء في بيان الحكومة: "أصبحت البلاد تحت رحمة العصابات الإرهابية تقتك بالسكان العرب الأمنيين، ولم تعلن أن الهدف الأول والأخير هو محاربة والقضاء على الصهيونية، كما صرح خشبة باشا وزير الخارجية بأن دخول القوات المصرية ليس للتكيل بالصهيونية وإنما منع جرائم الصهيونيين".

(١) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

وصرح عبد المجيد إبراهيم صالح وزير المواصلات^١ بـ: إننا لن نعلن الحرب على أحد والوضع الصحيح هو أننا بادرنّا إلى الوقوف في وجه إجراءات قامت بها عصابات منظمة على الطريقة الفاشية والنازية حتى أصبحت إرهابية، لزاماً علينا أن نرسل الجيش المصري ليعيد لهم الطمأنينة والسلام، ومن ثم فيما يختص بالبند السابع من معاهدة ١٩٣٦ الذي ينص على "أنه إذا اشتبك أحد الطرفين في حرب بالرغم من أحكام البند السادس فإن الطرف الآخر يقوم في الحال باتخاذها بصفة خفيفة لكنه أوضح: "أننا لم نعلن الحرب وإذا تحركت بريطانيا بتأثير العوامل الإنسانية وليس تطبيقاً لمعاهدة سنة ١٩٣٦، بعد أن شهدت فظائع الصهيونية فهذه فرصة ذهبية تستطيع أن تكفر بها عن أخطائها الماضية وإنني على ثقة من أن الجيوش العربية كفء للمهمة السامية التي وكلت إليها"^(١).

ثم جاء على لسان المستشار الصحفي "كريم ثابت" للملك فاروق من خلال الحديث الذي أدلى به لوكالة (اليونايتد برس): "إن المصريين لا يضمرون عداً لليهود، أكثرية منهم عاشوا طويلاً في مصر وأثبتوا أنهم مواطنون مخلصون صادقون، أما الصهيونية فهي أمر آخر"، وبذلك يفرق بين اليهودية كدين والصهيونية كمذهب سياسي له أطماع توسعية لم تقتصر على فلسطين بل تمتد من النيل إلى الفرات.

على أنه جاء حرص الحكومة والملك فاروق على التمييز بين اليهودية والصهيونية حتى لا يثير الرأي العام العالمي ضد مصر ويعتبر اليهود مضطهدين، ما أوجب الدول الكبرى التدخل لحمايتهم ومساعدتهم في تنفيذ قرار التقسيم بالقوة ومن ثم إنشاء الدولة اليهودية من ناحية أخرى حتى لا يثار الرأي العام الداخلي في مصر، فيسيء بعض الأفراد في إظهار حمساته فيسيء إلى يهود مصر ويحسب بهذه الإساءة أنه يؤدي واجباً عليه.

(١) الأهرام - ١٧ مايو ١٩٤٨.

وبموافقة البرلمان المصري على قرار الدخول وإعلان الأحكام العرفية، ضاعف البوليس السياسى (حكمدارية القاهرة) الحراسة على المعابد والمصارف ومحال اليهود، وقصد وفد من كبار رجال الطائفة الإسرائيلية فى مصر قصر عابدين، على رأسهم حاييم ناحوم أفندى الحاخام الأكبر وسلفاً تورشيكوريل لك رئيس مجلس الطائفة، ودافيد كازيس العضو بالمجلس، معربين عن ولائهم وشكرهم للملك فاروق بمناسبة التصريحات التى أعلنها على لسان مستشاره الصحفى^(١).

- الموقف الدولى إزاء إعلان الحكومة المصرية دخول القوات المصرية النظامية فلسطين:

"الاعتراف بالدولة اليهودية":-

وما أن صدر قرار الحكومة المصرية بدخول الجيش المصرى إلى الأراضى الفلسطينية ليعيد الأمن والسلام إلى تلك البلاد، حتى أرسلت الولايات المتحدة سفيرها إلى النقراشى باشا الذى صرح للسفير الأمريكى بنوافع مصر للتدخل العسكرى: "إن الموقف فى فلسطين يتدهور من سيئ إلى أسوأ، وأن الأمر كاد يكون حرباً سافرة وأن أمريكا التى طالما وعدت بتقديم مثل هذه المعونة إلا إذا أتمت الموافقة على شروط الوصاية أو إذا قدم مشروع آخر يحل محل الوصاية"^(٢).

وأوفد المستر تريجفى لى السكرتير العام للهيئة مبعوثاً خاصاً من أمريكا إلى الأمين العام للجامعة العربية قال إن لديه رسالة خاصة يريد أن يسلمها إليه، وأنه ينتظر الرد عليها بسرعة قبل مطلع الشمس، واعتذر عزام قائلاً: "كان أولى للهيئة الأمم أن تسلم هذه المذكرة إلى وفود البلاد العربية فى ليك سكسس، فلديهم جميعاً التعليمات التى يتطلبها كل شىء"، كانت الرسالة التى يحملها المستر تريجفى

(١) الأهرام - ١٣ مايو ١٩٤٨.

(٢) محمد حسنين هيكل: العروش والجيوش ص ٨١.

للجامعة العربية بضرورة قبول العرب للهدنة الشاملة في فلسطين كلها بمقتضى الاقتراح الأمريكى المقدم لمجلس الأمن^(١).

وإزاء الرفض العربى لقبول الهدنة التى تعد ميزة كبرى لجلب السلاح من الخارج وتدريب المقاتلين، ويمكن ألا تكون منفصلة ومقطوعة الجذور عن الظروف السياسية المحيطة وهذا ما أشار إليه "دافيد بن جوريون" إلى "الحقيقة أن الهدنة لن تلزم عملياً سوى العرب القاطنين فى أرض إسرائيل ولن تمنع الدول العربية من الاستمرار فى استعداداتها للمعركة، لدينا كنوز من السلاح لكن ليس فى البلد، ولو كان جمع السلاح الذى فى حيازتنا فى مكان ما هنا لاستطعنا أن نصمد بقلب مطمئن ولدخلنا المعركة بسهولة أكثر حتى لو عملت ضدنا، لذلك فمن الضرورى إنشاء سلطة تستطيع أن تعبئ كل الطاقة البشرية وتوظيفها وفقاً لحاجات الحرب"^(٢).

لذلك جاء رد ممثلى الوكالة على ذلك: "سنعلن قيام الدولة اليهودية فى الجزء المخصص فى مشروع التقسيم بعد انتهاء الانتداب بدقيقة واحدة"^(٣).

وفى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ أعلنت قيام الدولة اليهودية فى اليوم الذى عقدت فيه الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة لمناقشة مشروع القرار الذى قدمته الولايات المتحدة لإقامة نظام الوصاية فى جميع أنحاء أرض إسرائيل بعد أن أعلنت الولايات المتحدة تخليها عن التقسيم فى مارس عام ١٩٤٨، حيث أرسل الياهو ايشتين ممثل حكومة إسرائيل الموقتة فى واشنطن إلى الرئيس ترومان رسالة جاء فيها: "إن دولة إسرائيل قد أعلنت جمهورية مستقلة فى نطاق الحدود

(١) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

(٢) أحمد خليفة: حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ الرواية الإسرائيلية الرسمية - ج ١ - ص ٢٨، ٢١١.

(٣) الأهرام - ١٤ مايو ١٩٤٨.

التي وافقت عليها الجمعية العامة في قرارها الصادر في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧^(١)، ويطلب الاعتراف بالدولة الجديدة".

واعترفت الولايات المتحدة بالحكومة المؤقتة كحكومة واقعية De Facto لدولة إسرائيل، ما عزز مكانة إسرائيل في صراعها مع العرب، بأن يظهر الدول العربية بشكل الدول المعتدية، وتصبح عرضة لتطبيق عليها العقوبات الاقتصادية وقطع العلاقات الدبلوماسية، باعتبار أن التدخل العسكى للدول العربية لحسم القضية يعد مهددًا ومعكرًا للسلم العالمى.

وانتهت مناقشات الجمعية العامة يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ دون اتخاذ قرار، باستثناء إرسال وسيط إلى الشرق الأوسط لمعالجة القضية فتم، تعيين الكونت "فولك برنادوت" ومهمته:-

١ - وقف النار وعقد هدنة بين الطرفين والإشراف عليها.

٢ - إيجاد أساس لحل سلمى بين الأطراف المتخاصمة.

وجاء رد الفعل المصرى من خلال برقية وزير الخارجية إلى مجلس الأمن: "بدأت القوات المصرية الدخول إلى أرض فلسطين لإحلال الأمن والنظام"^(٢).

(١) الأهرام - ١٦ مايو ١٩٤٨.

(٢) أحمد خليفة: مرجع سبق ذكره - ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

الفصل الخامس

موقف القصر من المشاريع السياسية لتقسيم فلسطين

- مؤتمر أنشاص ٢٨ - ٢٩ مايو عام ١٩٤٦ وأسباب انعقاده وتولى الملك فاروق رئاسته ترجع إلى:
 - ١ - خطورة ما يجرى وراء حدود مصر الشرقية على الأمن المصرى:
 - أ - الدعاية الصهيونية.
 - ب - بناء التشكيلات العسكرية.
 - ج - تأسيس المستعمرات اليهودية.
 - ٢ - أثر النشاط السياسى لليهود عقب الحرب العالمية الثانية وتشكيل اللجنة الأتجلو - أمريكية على القضية المصرية.
- رد فعل مصر إزاء النشاط السياسى والعسكرى لليهود والملك عبد الله:
 - أ - انعقاد مؤتمر أنشاص وصدور ميثاق عنه باحتلال البلدان العربية لفلسطين احتلالاً عسكرياً مؤقتاً.
 - ب - لجوء مفتى فلسطين إلى مصر بتدبير من الملك فاروق وموقف أهالى فلسطين منه.
- موقف القصر من إحياء مشروع سوريا الكبرى فى أثناء تشكيل لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين [إيفاد كريم ثابت كمبعوث ملكى للملك عبد الله للحصول منه على تعهد كتابى بعدم إثارة المشروع].

- موقف القصر من تأييد الملك عبد الله لتقرير لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين [وصول المفتى المفاجئ على متن طائرة مصرية في أثناء اجتماع عالية].

- موقف القصر من المشاريع السياسية لتقسيم فلسطين:

أتاح الموقع الجغرافي لفلسطين أن يتحكم، لحد بعيد، بمصير مصر عسكرياً وسياسياً^(١)، ويكون تصنيف مصر بين الأقطار العربية من المواجهة التي يدفعها تحركها ليس تطوعاً ونخوة ولكن الدوافع الوطنية تسبق الدوافع القومية، وترتب على مصر حكومة وشعباً أعباء اقتصادية كبيرة بل قاسية؛ ولكن هذه الأعباء ترتبط بضرورة الحفاظ على سلامة الوطن المصري، ووحدته أرضه وأمن سكانه، قبل أن تكون موجهة إلى الدفاع عن الأمن العربى أو الجهاد من أجل استعادة الحق العربى^(٢).

ومن ثم كانت سياسة مصر دفاعية ولن تتغير حتى مع ظهور الخطر الصهيونى وأطماعه التوسعية فى تحقيق دولة "إسرائيل الكبرى" من النيل إلى الفرات ونشاطه من أجل تحقيق ذلك سواء ببناء التشكيلات العسكرية وتدفق الهجرة وشراء الأراضي فى فلسطين والحصول على المساندة الدولية، ومن ثم يمكن تفسير موقف مصر الرافض لمشاريع التقسيم أو مشاريع الوحدة العربية (سوريا الكبرى والهلال الخصيب) التى تمنح اليهود حكماً ذاتياً يستطيعون عن طريقه إقامة دولتهم ذات الأطماع التوسعية وتكون حلاً للقضية الفلسطينية^(٣).

والتي تهدف فى النهاية إلى عزل مصر عن العالم العربى وتهديد أمنها وسلامتها، لذلك عندما واكب اعتلاء فاروق العرش أحداث الثورة الفلسطينية التى اندلعت فى أواسط إبريل عام ١٩٣٦ ضد اليهود والبريطانيين، وتقرير لجنة بيل فى يوليو ١٩٣٧ تبنى القصر الدعوى إلى عقد المؤتمر البرلمانى العربى

(١) أنيس صايغ: فلسطين والقومية العربية - ص ١٧.

(٢) محمد رضا محرم: عروبة مصر وأعباؤها، ندوة (مصر والعروبة وثورة يوليو) - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ص ١١٣ - ١١٥.

(٣) د. عائدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ٤٣.

والإسلامى بالقاهرة من ٧ إلى ١١ أكتوبر عام ١٩٣٨، وكذا إيفاد على ماهر رئيس الديوان الملكى إلى لندن سنة ١٩٣٩ لحضور مؤتمر المائدة المستديرة^(١).

وجاء ميثاق الجامعة العربية فى ٢٢ مارس عام ١٩٤٥ متسقاً فى غالبيته مع مساعى القصر نحو الزعامة العربية، فنصت المادة العاشرة منه على أن تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية، كذلك المادة الخامسة عشرة منه تنص على أن ينعقد المجلس للمرة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام، ما كان تأكيداً على مكانة القاهرة كعاصمة للعالم العربى وضرورة بقاء فلسطين عربية^(٢). خصوصاً أن الملك فاروق كان قد اختار اتجاهه بعد أن كان موزعاً بين:

١ - الاتجاه شرقاً بإلحاح مستشاريه (على ماهر وعبد الرحمن عزام وعبد الرزاق السنهورى) الذين يؤكدون له أن الأمن المصرى هناك، إلى جانب حلم الخلافة الذى يداعب الجميع.

٢ - الاتجاه جنوباً نحو السودان والتاج المشترك لوادى النيل، لكن هذا التاج ينطفئ بريقه يوماً بعد يوم، والسبب أن الإنجليز يقفون حجر عثرة ويشجعون دعاة الانفصال بوعد الاستقلال.

• مؤتمر أنشاص ٢٨ - ٢٩ مايو عام ١٩٤٦ وأسباب انعقاده وتولى الملك فاروق رئاسته:

والواقع أن الملك فاروق كان قد اختار اتجاهه قبل صدور قرار التقسيم منذ أن دعا ملوك المشرق إلى مؤتمر أنشاص عام ١٩٤٦ ليتحمل وحده مسؤولية إدارة

(١) د. لطيفة سالم: فاروق وسقوط الملكية فى مصر ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - ط ١ - ص ٧٧٧.

(٢) د. سامى أبو النور: دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر ١٩٣٧ - ١٩٥٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٩.

السياسة المصرية تجاه العالم العربى وحرص على أن يجعل هذه الحقيقة معروفة للجميع^(١).

وهذا ما ذكره إسماعيل صدقى باشا وهو يستشفى فى حيفا مع بدء الأزمة العربية اليهودية: "بدأت الشئون العربية تستأثر باهتمام المصريين أيام الملك فاروق ولعل من أسباب ذلك طمعه بالخلافة الإسلامية، واشتد هذا الأمر منذ قيام جامعة الدول العربية التى شجع عليها أيدن وزير الخارجية البريطانية^(٢)، وظهور نظرية الشيوعية، جعلت الملك فاروق يتنبه قبل فوات الأوان إلى أن الحركة الصهيونية فى أساسها حركة شيوعية، والدليل نظام المستوطنات (الكيبوتز) مع ملاحظة أن معظم المهاجرين إلى فلسطين هم من أوروبا الشرقية ويحملون معهم أفكاراً ماركسية وأخيراً أسلحة تشيكية ظهرت فى أيدى مقاتلى "الهاجانا" و"الأرجون" و"ستيرن"، وهكذا يتضح أن مشروع الدولة الصهيونية سيكون شيوعياً وبداية مصائب فى منطقة حيوية بالنسبة للعرب"^(٣).

تلك الأمور جعلت الملك فاروق شديد الاتصال بجيشه، حيث نصت المادة ٤٦ من الدستور على: "أن الملك هو القائد الأعلى للقوات البرية والبحرية يولى ويعزل الضباط ويعلن الحرب ويعقد الصلح ويبرم المعاهدات ويبلغها للبرلمان"، وأصبحت من سماتها الأوتقراطية والاستحواذ على الجيش حتى تضمن تنفيذ سياستها بالهيمنة عليه من ناحية والاستعانة به عند الضرورة من ناحية أخرى، وقد رسم هذا الاتجاه "الملك فؤاد" وورثه عنه فاروق الذى حرص على أن يكون أول عهده بداية لحياة جديدة للجيش عقب معاهدة ١٩٣٦، ويذكر أيدن فى هذا الشأن "إن

(١) محمد حسنين هيكل: العروش والجيش... كذلك انفجر الصراع فى فلسطين ١٩٤٨.. قراءة فى يوميات الحرب - ط ١ - ص ٣٤.

(٢) جوزيف أبو خاطر: لقاءات مع جمال عبد الناصر فى صميم الأحداث - ط ٢ - دار النهار للنشر بيروت ١٩٧١ - ص ٢٤

(٣) محمد حسنين هيكل: العروش والجيش - ص ٣٩.

فاروق كان يتمتع بشعبية داخل الجيش، الأمر الذى أثار استياء بريطانيا، خصوصًا بعد تعيينه "عزیز المصرى" مفتشًا عامًا كأول مصرى يعين فى هذا المنصب، وقد جمع بينهما الميول المحورية والعداء لبريطانيا".

وعندما صدر تقرير لجنة بيل ١٩٣٧ ظهر جليًا اهتمامه بالجيش فواظب على حضور مناورات المدفعية والطيران الحربى وتفقد خطوط الدفاع وصرح بأنه: "إذا جاء يوم أصبحت مصر فى خطر فإننى سأقود جيشى بنفسى"^(١)، على أن بريطانيا لم تسمح باستمرار التلاحم وضغطت على حكومة "على ماهر" حتى أقبل "عزیز المصرى" من رئاسة الجيش فى فبراير ١٩٤٠، ثم استقال "على ماهر" فى ٢٣ يونيو، وكانت بريطانيا فى هذا الوقت تمر بظروف عسكرية خاصة على جبهة ليبيا، وتطلعت إلى إعلان مصر الحرب إلى جانب الحلفاء تنفيذًا لمعاهدة ١٩٣٦، لكن الملك ومناصرة - خصوصًا على ماهر - رأوا أنه لا مصلحة لمصر من دخول الحرب وعليها تجنب ويلاتها، ما اضطر بريطانيا إلى التدخل وإرغام على ماهر على الاستقالة^(٢).

وجاء حادث ٤ فبراير ليكون الانعكاس للعلاقة بين القائد الأعلى وجيشه على الرغم ما انتهى بتولى النحاس باشا الوزارة المصرية، فإنه أظهر ولاء الجيش للملك؛ حيث عقدوا العزم على عدم مجاملة أفراد البعثة البريطانية، وكذلك انعكس الصراع بين الملك فاروق والوفد على الجيش وإصرار الملك على أن يكون صاحب السلطة الفعلية عليه، وعدم إقدام إبراهيم عطا الله رئيس الأركان على أى إجراء إلا بعد الرجوع للملك، دون أن يضع لوزير الدفاع اعتبارًا ويرفع له التقارير عن حالة الجيش وعن الأوضاع فى فلسطين^(٣).

(١) د. لطيفة سالم: فاروق وسقوط الملكية فى مصر ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - ١ - ص ٨٣٥ - ٨٣٦.

(٢) عبد الحميد موافى: مصر فى جامعة الدول العربية - ص ٧٤.

(٣) د. لطيفة سالم: المرجع نفسه ص ٤٤٧، ٤٨١.

وقد أكدت تقارير "إبراهيم عطا الله" رئيس الأركان أن هناك خطورة على مصر من جهة الشرق أى من فلسطين ومنها تقريره بعنوان "ماذا يؤدى الجيش للبلاد من خدمات فى السلم والحرب" فى نوفمبر ١٩٤٥ - جاء فيه: "وقد لا أنيع سرًا إذا قلت إن فلسطين ستكون مصدر خطر على مصر.. ولا ينبغي أن نستصغر الأمور.. فقد اجتمع بفلسطين قوم من شعوب أوروبا وعلمائها وبين أيديهم مال لا ينضب ومن خلفهم ملايين من إخوانهم يشدون أزرهم، إن الموقف أصبح لا يحتمل الإهمال والإرجاء.. نحن لا ننادى بالاستعداد الهجومى، ولم يكن فى نية البلاد فى يوم من الأيام الاعتداء على أحد وكل ما نطلبه من مشروعات لزيادة الجيش وتسليحه وأن يكون قوة دفاعية تؤدى واجبها، نحن لا نفكر فى الاعتداء على أحد ولكننا نريد أن نستكمل الوسيلة التى نطمئن بها إلى حياة كريمة عزيزة وهذه الوسيلة هى الجيش"^(١).

خصوصًا أن الحدود مع مصر زمن الانتداب عيّنت على أساس أن الدول المجاورة لمصر هى بلاد عربية، أما وقد تغير الموقف فمصر بحاجة إلى مراكز حربية للدفاع عنها فى النقب وإلى أرض تصلها بالعالم العربى ولا تعزلها عنه^(٢).

ومن أجل أمن مصر والزعامة العربية، دعا الملك فاروق ملوك ورؤساء الدول العربية إلى عقد مؤتمر أنشاص ٢٨ - ٢٩ مايو ١٩٤٦ نتيجة لنشاط اليهود لتحقيق هدفهم، بإقامة الدولة اليهودية، سواء عسكريًا أو سياسيًا ويجدر بنا تفصيل ذلك للوقوف على حقيقة الأوضاع قبل التطرق إلى دور الملك فاروق فى وضع مقررات مؤتمر أنشاص:-

أ - عسكريًا: بالدعاية الصهيونية وبناء التشكيلات العسكرية وتأسيس المستعمرات.

ب - سياسيًا: بازدياد النشاط السياسى لليهود عقب الحرب العالمية الثانية وتشكيل اللجنة الأنجلو - أمريكية على القضية وأثر ذلك فى القضية المصرية.

(١) د. عبد الوهاب بكر: الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥٢ - ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) محمد نمر الهوارى: سر النكبة - مطبعة الحكم - الناصرة - ١٩٩٥ - ص ٣٦٦.

١ - خطورة ما يجرى وراء حدود مصر الشرقية على الأمن المصرى:

أ - الدعاية الصهيونية: نجحت التجربة التى قامت بها الحركة الصهيونية فى خلال سنة ١٩٤٥ لإيهام بريطانيا والعرب بعظمة قواها المسلحة فى فلسطين، والفضل فى ذلك يرجع إلى قوة الدعاية الصهيونية التى ألبست هذه التجربة ثوباً أوسع منها وأحاطتها بهالات من البأس والشدة، وكانت فاتحة هذه الدعاية رسائل "جون كيشى" الذى استقدم إلى فلسطين بمؤامرة صهيونية وراح يشيع فى العالم كله عن جيش الهاجانا المؤلف من نحو ثمانين ألف جندي وعشرات الألوف من الشباب اليهودى، وأسهمت الصحف العربية دون وعى سياسى فى هذه الدعاية الصهيونية فراحت تنشر فى الصفحات الأولى وبأضخم العناوين عن الجيش الصهيونى، فأصبح المحيط العربى يرى فى اليهود قوة لا طاقة له بها ويستطيع احتلال المدن الفلسطينية فى ٢٤ ساعة، كما ظن رأى العام البريطانى أن الجيوش اليهودية المسلحة بإمكانها أن تهدد القواعد البريطانية فى الشرق الأوسط، وأصبح السواد اليهودى يؤمن بوجود قوة كامنة لديه بإمكانها مقاومة العرب والبريطانيين معاً^(١).

ب - التشكيلات العسكرية اليهودية: وإلى جانب الدعاية، وجدت تشكيلات عسكرية يهودية قادرة على الدفاع عن نفسها دون الاعتماد على حماية الانتداب البريطانى لها ومنظمة سياسية تمثلها وتمارس نفوذها، هى الوكالة اليهودية بموجب المادة "٤" من الانتداب بوصفها منظمة ممثلة لليهود العالم وتمارس نفوذاً حاسماً فى المسائل الرئيسية السياسية والإدارية وبصفة خاصة فيما يتعلق بالهجرة.

وظهرت هذه التنظيمات العسكرية فى ثلاث هيئات:-

١ - جماعات هاجانا Haganah: وهو جيش إسرائيل وقوة منظمة مكونة من فرق يبلغ عدد أفرادها ٥٠٠٠٠ رجل وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

(١) محظفة (١٢) حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - تقرير 'ملاحظات ومطالعات فى الحركة الصهيونية بتاريخ ١١/١٠/١٩٤٦.

أ - البالماخ: يتراوح عددها بين ٤ و ٥ آلاف فرد وهى قوة منظمة كالجيوش النظامية تمامًا.

ب - بوليس المستعمرات: ويبلغ عدده نحو ثلاثة آلاف، وله احتياطي مكون من سبعة آلاف رجل.

ج - نحو ٣٥٠٠٠ رجل مدرب تدريبًا بسيطاً لمدة خمسة عشر يومًا فى السنة^(١).

٢ - عصابة شتيرن Stern Goung: جماعة إرهابية فدائية كان مجموع أفرادها نحو ٧ آلاف.

٣ - جماعة أرجون زفاى لؤمى Arogon Zavyleum: وهى تتبع تنظيمات النازية وتعتمد على خطط العصابات فى أعمال التدريب والنسف ويبلغ عدد أفرادها نحو عشرة آلاف^(٢).

ويتضح من هذا أن فى المحيط اليهودى جيشاً "نظامياً مسلحاً" و"جماعات مسلحة" والفرق بين هاتين القوتين أن الجيش النظامى، ينطوى على جميع ما لدى الجيوش النظامية من تشكيلات وقيادات وميادين عمل ومراكز وقواعد وجهاز تموين، فى حين أن الجماعات المسلحة هى من السكان المدنيين المسؤولين عن الدفاع المحلى فى أماكنهم^(٣).

(١) محفظة رقم ١٢ - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - مذكرة "تتصل مصر العام بالقدس إلى الديوان الملكى" - فى ٨ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) الأمم المتحدة: منشأ القضية الفلسطينية وتطورها ١٩١٧ - ١٩٨٨ - ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٣) محفظة رقم ١٢ - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - تقرير عن "القوى اليهودية فى فلسطين" - بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٩٤٧.

وينكر "بن جوريون" الأسباب التي أدت إلى وجود تشكيلات عسكرية يهودية: "لمواجهة الخطر المادى المباشر.. إتاحة قدر أكبر من الحرية والاستقلال فى تنفيذ برامجنا، بث الثقة فى نفوس الشعب اليهودى"^(١).

ج - أما عن تأسيس المستعمرات: فأسس اليهود مستعمراتهم فى مواقع استراتيجية صحيحة تتحكم فى الطرق الرئيسية، وهى مبنية من الأصل بفكرة حربية دفاعية ومحاطة جميعها بالأسلاك الشائكة وبالألغام فى المستعمرات المهمة وبها الأسلحة المضادة للدبابات والأسلحة الصغيرة ودشم بالخرسانة المسلحة^(٢).

٢ - أثر تشكيل اللجنة الأنجلو - أمريكية فى القضية المصرية:-

ما أن وضعت الحرب أوزارها فى عام ١٩٤٥ حتى نشطت القوى الصهيونية فى السعى نحو تحقيق هدفها لقيام الدولة اليهودية، ووزع علماء الصهيونية نشاطهم بين العمل السياسى فى الخارج الذى تولاها وايزمان وشرتوك والعمل العسكرى فى الداخل والخارج وقد تفرغ له بن جوريون تمامًا.

ففى ٢٢ مايو عام ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب قدم وايزمان إلى رئيس وزراء بريطانيا مذكرة مطالبًا بإصدار قرار سريع بجعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود والسماح بنزوح ١٠٠ ألف يهودى من أوروبا إليها، غير أن تشرشل طلب الانتظار حتى ينعقد مؤتمر الصلح، وفى يوليو عام ١٩٤٥ تولى حزب العمال الحكم فى بريطانيا وكانت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية تأمل بتحقيق الكثير على يديه؛ لذلك تقدمت وكررت طلبها بإدخال ١٠٠ ألف يهودى إلى فلسطين، اعتقادًا أن ذلك مكافأة لها على مساندة بريطانيا فى خلال الحرب، ودعم الطلب بتوصية خاصة

(١) محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيونى - ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) محفظة رقم ٤ - ١ - ٢٦ / س ج / ملف د - تقرير "استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين" ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ بواسطة أ. ح أحمد عبد العزيز.

أرسلها "هارى ترومان" رئيس الولايات المتحدة إلى أتللى رئيس الوزراء البريطانى^(١).

وكتب ترومان فى ٣١ أغسطس عام ١٩٤٥ إلى أتللى يؤيد فتح أبواب فلسطين لليهود النازحين والراغبين فى الذهاب إليها بمنح المهاجرين ١٠٠٠٠٠ شهادة هجرة إضافية إلى فلسطين^(٢)، وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ أدلى بيفن فى مجلس العموم البريطانى بياناً جاء فيه: "أن بريطانيا قررت أن ندعو حكومة الولايات المتحدة إلى التعاون معها فى تأليف لجنة تحقيق أنجلو - أمريكية تتحرى المشكلة الأوروبية وتكون مهمتها:-

١ - فحص الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى فلسطين.

٢ - فحص حالة اليهود فى الأقطار الأوروبية والذين كانوا ضحية الاضطهاد النازى والفاشى.

٣ - تقديم توصيات إلى الحكومتين البريطانية والأمريكية لمعالجة مشكلات فلسطين وإيجاد حل دائم لها^(٣).

الواقع أن هذا الاتفاق قد أضر بالقضية المصرية وأدى إلى فشل مفاوضاتها وعدم نيل طلباتها، وظلت النقاط الرئيسية قيد البحث من جلاء القوات البريطانية وإدارة قناة السويس بالإضافة إلى مستقبل السودان^(٤).

(١) محمد حسنين هيكل: العسكرية الصهيونية.. المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. النشأة والتطور ١٨٨٧ - ١٩٧٧ - المجلد الأول - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام - القاهرة ١٩٧٢ - ص ١٣٠.

(٢) محمد فيصل عبد المنعم: أسرار ١٩٤٨ - ص ١٣٣.

(٣) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس - حرب الثلاثين عاماً - ط١ - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ٨.

(٤) د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس: دراسات فى تاريخ مصر المعاصر - كلية للتربية بجامعة عين شمس - القاهرة - ١٩٩٩ - ص ١١٦.

فجاء في بيان يبين حول قطع المفاوضات الآتي: "بناءً على طلب الحكومة المصرية الدخول في مفاوضات يقصد تعديل المعاهدة ومع أن الحكومة البريطانية لم تكن ملزمة بالدخول في هذه المفاوضات طبقاً لنصوص معاهدة ١٩٣٦م إلا أنها قبلت طلب الحكومة المصرية عن طيب خاطر واقرحت الحكومة البريطانية في شهر مايو عام ١٩٤٦ أن تسحب كل الجنود من مصر وتسوى بطريقة المفاوضات المراحل التي يمر فيها الجلاء مع عمل الترتيبات اللازمة للدفاع المشترك المنصوص عنها في معاهدة ١٩٣٦، وأوضحت الحكومة أنه في حالة فشل المفاوضات ستستمر معاهدة ١٩٣٦ نافذة المفعول"^(١). ويرجع لوى هنريسون - رئيس إدارة الشرق الأدنى بالخارجية الأمريكية NEA عام ١٩٤٧ - الاتفاق الأنجلو - أمريكي إلى بزوغ الحرب الباردة التي سارعت في تدعيم التعاون وإسكات الأصوات التي تدعو إلى الجلاء غير المشروط^(٢).

ولما كان وعد بريطانيا الجلاء عن مصر يقتضى تنفيذه حسب خطتها بنقل قاعدتها العسكرية إلى فلسطين ما يتعارض مع المصالح الأمريكية، لذلك تم التنسيق بين السياستين البريطانية والأمريكية حيث تم بينهما "ساكس بيكو" جديدة بالنسبة لمصر وفلسطين^(٣).

عندئذ قامت السياسة البريطانية بتحديد هدفها الاستراتيجي في مصر بطريقة لا تقبل اللبس، وبعد اجتماعات للجنة الدفاع عن الإمبراطورية، وضع رؤساء أركان حرب الإمبراطورية توصيات بناءً عليها أصدر "أرنست بيفن" وزير الخارجية بياناً في مارس عام ١٩٤٦ جاء فيه: "تستمر قاعدتنا العسكرية بموقعها بمصر.. ولو أصبح الدفاع عن الشرق الأوسط على أساس إقليمي أمراً واقعاً فالمقر الرئيسي لا بد من أن يوجد في منطقة قناة السويس نواة ومقرًا رئيسيًا للمنطقة الدفاعية الإقليمية لمنطقة الشرق الأوسط"^(٤).

(١) مصر - ٢٨ يناير ١٩٤٧.

(٢) د. سعد بيسو: إسرائيل جنائية وخيانة - ص ١٢٦.

(٣) طارق البشري: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - ص ١٤٤.

(٤) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس. حرب الثلاثين عامًا - ص ٨.

وفى ١٤ أكتوبر عام ١٩٤٥ فور انتهاء الحرب العالمية الثانية، أصدر "المستر بيفن" بيان اتفاق بريطانيا وأمريكا على العمل يدا واحدة لحل مشكلات اليهود والاشترك معا فى قضية فلسطين^(١).

وفى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٥ ألفت لجنة التحقيق الأنجلو - أمريكية لمعالجة مشكلات فلسطين وإيجاد حل دائم لها، وكانت مكونة من ستة أعضاء من الإنجليز وستة من الأمريكان ومعظمهم من غلاة أنصار الصهيونية فى أواخر إبريل عام ١٩٤٦ نشرت اللجنة تقريرها^(٢).

توصيات تقرير التحقيق الأنجلو - أمريكية وأثرها فى الأمن القومى المصرى:

فى أواخر إبريل عام ١٩٤٦ نشرت لجنة التحقيق تقريرها، وفيه ألغت بعض المزايى التى وعد بها الكتاب الأبيض ١٩٣٩ فأوصى التقرير بـ:

١ - إصدار مئة ألف شهادة هجرة لإدخال اليهود معسكرات المشردين خلال عام ١٩٤٦ والتى جاءت وفق سياسة مرسومة سلفاً، وهو الرقم الذى اقترحه المستر "ترومان" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه السنة دون زيادة أو نقصان وإسداء كل معونة لفلسطين لتتحمل هذا العدد اقتصادياً، ولم يقتصر الأمر على هذا العدد فيذكر "بيفن" - وزير الخارجية البريطانى فى خطابه أمام مجلس العموم فى ١٣ فبراير عام ١٩٤٧: "زاد فى تعقيد القضية أن أمريكا قد زجت بنفسها فيها.. ولو وقف أمر هذا التدخل الأمريكى عند حد إدخال مئة ألف مهاجر يهودى إلى فلسطين لكان فى الإمكان معالجته لكن الحديث يدور حول المجيء بالملايين"^(٣)، مما له عواقب وخيمة على الأمن المصرى منها:-

(١) محمد فيصل عبد المنعم: أسرار ١٩٤٨ - ص ١٢٣ - ١٢٦.

(٢) محمد فائز القصرى: قضية فلسطين، وثائق فلسطين - وزارة الإرشاد القومى - القاهرة - ص ٧٨١.

(٣) د. عايدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٥٠ - ١٥١.

أ - إن تدفق هذه الأعداد واستيطانها مما لا تستطيع فلسطين استيعابه، ومن ثم سيتطلع هؤلاء إلى الأراضي المجاورة خصوصاً شبه جزيرة سيناء، ما يؤدي إلى عزل مصر وتهديد أمنها.

ب - حين رسمت بريطانيا خطتها على أن تجعل فلسطين وشرق الأردن قاعدتها إذا اضطرت إلى الجلاء عن مصر، اتجهت أمريكا نحو تبنى الصهيونية لتكون فلسطين قاعدتها في الشرق العربي، فضعف أمل بريطانيا في البقاء وزاد تمسكها بقاعدتها العسكرية في مصر.

ج - تعجل توصيات اللجنة بالقضاء على الحجة التي يستند إليها العرب حيث الغالبية العربية والأقلية اليهودية وأمام هذه الأعداد الهائلة، يتجسد قرار التقسيم بإنشاء الدولتين العربية واليهودية ويتحقق لبريطانيا سياستها في البقاء في منطقة الشرق الأوسط بإقامة حاجز بشري يتميز بعداوته للعرب وصداقته لبريطانيا، ويتحقق حلم الملك عبد الله في توسيع مملكته بضم القسم العربي إلى مملكته.

٢ - وصاية اللجنة بمنح مئة ألف شهادة هجرة لليهود، على الرغم من أنها ترى أن ذلك سيكون عبئاً ثقیلاً على فلسطين، وتعترف بأن كثافة السكان ستكون عالية ولكن باستثناء صحراء بنر السبع المجدية^(١)، وما شجع على النظر إلى تلك الصحراء إقامة الوكالة اليهودية ثلاث مستعمرات في جنوب بنر السبع في ريفيفيهم وجفولون وبيت ايسل، إدراكاً منها أن البريطانيين يريدون الاحتفاظ بالنقب كم منطقة استراتيجية تقع بين قواعدهم العسكرية في منطقة قناة السويس غرباً، والعراق والأردن شرقاً، وبالطريقة الإسرائيلية المعروفة بفرض "سياسة الأمر الواقع"، فعندما كانت اللجنة الأنجلو - أمريكية تطوف فلسطين أرادت الوكالة أن تضع أمامها واقعاً سياسياً بوجود إحدى عشرة مستعمرة على الخريطة بها أكوخ من الخشب وبرج مراقبة، جرى تجميعها قبل قدوم اللجنة فتأثرت اللجنة بالعمل

(١) محمد فاتر القصرى: قضية فلسطين، وثائق فلسطين - ص ٧٨٢.

واعتبرت هذه الصحراء قادرة على استيعاب المهاجرين وقدرة اليهود على تعميرها^{(١)(*)}، ما يعنى زيادة المستعمرات اليهودية على الحدود الشرقية لمصر وما تمثله تلك الصحراء بالنسبة إلى مصر حيث يكون خط الدفاع الأول عنها مركزاً فيها وإلا استهدف الأمن المصرى.

٣ - وصاية اللجنة بالألا تكون فلسطين دولة عربية أو يهودية وأن تبقى تحت الوصاية ما يحول دون إقامة دولة فلسطينية مستقلة، خصوصاً أن الحدود مع مصر زمن الانتداب عيّنت على أساس أن الدول المجاورة لمصر بلاد عربية تصلها بالعالم العربى ولا تعزلها عنه^(٢)، كما أن الوصاية كالانتداب، مهما اختلفت المسميات فالنتيجة واحدة تكسب اليهود ميزة كبيرة لجلب السلاح والقادرين على حمله ومن ثم تحقيق حلمهم فى إقامة الدولة اليهودية.

• رد فعل مصر إزاء النشاط السياسى والعسكرى لليهود ونشاط الملك عبد الله لتحقيق حلمه التوسعى:

أ - انعقاد مؤتمر أنشاص وصدور ميثاق عنه.

ب - لجوء مفتى فلسطين إلى مصر وموقف أهالى فلسطين من الملك فاروق.

أ - انعقاد مؤتمر أنشاص ٢٨ - ٢٩ مايو ١٩٤٦:

يلاحظ أن القصر هو الذى أخذ زمام المبادرة للتعبير عن احتجاجه على تقرير اللجنة، لإدراك القائمين على حكم مصر جيلاً بعد جيل أن فلسطين هى بوابة مصر الشرقية، وخط دفاعها الأول يكمن فى شقه من صحراء النقب وخطورة تحقيق توصيات اللجنة على الأمن المصرى.

(١) جوان كوماى: دليل إسرائيل - ص ١٥٣.

(*) انظر الملحق رقم (٦).

(٢) محمد نمر الهوارى: سر النكبة - ص ٣٦٦.

ومن أجل أمن مصر والزعامة العربية، دعا الملك فاروق ملوك ورؤساء الدول العربية إلى عقد مؤتمر أنشاص وبعد أول مؤتمر قمة عربي، خصوصاً أن مستشاري القصر (على ماهر - عبد الرحمن عزام - عبد الرزاق السنهوري) قد أوضحوا له أن مصالح مصر الاستراتيجية وأمنها في الشرق، وأن ملك شرق الأردن سيق بعيد نحو فلسطين واتصل بالوكالة اليهودية، ونشط من أجل استقلال بلاده، حيث سافر الملك عبد الله إلى لندن في مارس ١٩٤٦ وعقد معاهدة لندن في ٢٢ مارس ١٩٤٦ التي اشتملت على مواد سياسية وعسكرية أهم ما جاء فيها:-

١ - إعلان استقلال شرق الأردن.

٢ - لا تتخذ إحدى الدولتين موقفاً من دولة ثالثة يتعارض مع الصداقة المتبادلة بين الدولتين، ما يعنى إحكام التنسيق السياسي بين بريطانيا والأردن^(١).

وتصور الملك فاروق أن مؤتمراً على مستوى القمة يحقق "رص" الملوك جميعاً في صف منظم تشهد عليه الشعوب، ومن ثم يكون من الصعب على أى واحد منهم له مطمع شخصى أن يخرج من الصف^(٢).

حيث يذكر كريم ثابت - المستشار الصحفي للملك فاروق - في هذا الشأن: "فى اليوم الأخير للاجتماع لم تعط "مسودة" الميثاق للخطاطين إلا فى السهرة، فكان من الطبيعى أن يتأخروا فى إنجاز مهمتهم وشعر الملك عبد الله بالنعاس، فاتفق مع فاروق وسائر المجتمعين على أن يأذنوا له بالذهاب إلى فراشه، خصوصاً أنه سيسافر فى ساعة مبكرة وقال إنه سيمضى الميثاق عندما يستيقظ، وما أن انتهى الخطاطون من إعداد النسخة الرسمية النهائية للميثاق هرع فاروق إلى الجناح الخاص بالملك عبد الله لإيقاظه كي يوقع على الميثاق"^(٣).

(١) محمد عبد المنعم عامر: من مشكلات اليوم.. الملك عبد الله وأطماعه غير المشروعة فى سوريا - دار الرعاية والتحرير - القاهرة - ١٩٤٩ - ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) محمد حسنين هيكل: العروش والجيوش - ص ٣٠.

(٣) كريم ثابت: عشر سنوات مع فاروق ١٩٤٢ - ١٩٥٢ ط ١ دار الشروق - القاهرة - ٢٠٠٠ ص ٥٠.

كما يذكر حسن يوسف - أحد أعضاء الوفد المصري - في هذا الشأن: "إن فاروقاً انتزع توقيع الملك عبد الله.. إذ كان الأخير يرغب في تأجيل الموافقة عليه.."^(١).

وعلق الملك عبد الله على ميثاق أنشاص: " ليس الوقت وقت فتح أو طمع لأى دولة من دول الجامعة، ولكنه وقت جهد وصبر وتنظيم وإذا دخلت الدول العربية جيوشها فلسطين فلا شك أن هذا لا يكون إلا بالإجماع منها، وتحمل للمسؤوليات كلها وبعد إنقاذ هذه البلاد فلسطين هي فلسطين ولأهلها الكلمة الأخيرة فيما يعود عليها بلا إكراه ولا إجبار"^(٢).

الواقع أن أهمية مؤتمر أنشاص تكمن في أن الدول العربية أخذت تنتظر إلى قضية فلسطين نظرة جديدة، فلم يحدث في أثناء مباحثات تأسيس الجامعة العربية أن فكر أحد في اجتماع على مستوى رؤساء الدول، وقد فهم في حينه أن المؤتمر اتخذ قرارات سرية تتضمن إجراءات عملية لمواجهة الخطر الصهيوني^(٣).

كما وضع مؤتمر أنشاص السياسة المقبلة للدول العربية التي تسير عليها الحكومات العربية تجاه قضية فلسطين وهذا ما جاء في ملحق كتاب المفوضية الملكية المصرية ببغداد بشأن موقف العراق من تصريح المستر بيغن الخاص بالموافقة على تقرير الكونت برنادوت - الوسيط الدولي - الذي تضمن: "أن ما أقره ملوك العرب ورؤساء جمهورياته وأمرأؤهم في مؤتمر أنشاص يحمل الحكومات العربية على تحقيق تلك القرارات، لأن على احترامها يتوقف مدى حرص تلك الحكومات على احترام القرارات الصادرة من هؤلاء"^(٤)، ما يعنى إقرارهم بتوحيد

(١) د. لطيفة سالم: فاروق وسقوط الملكية في مصر ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - ص ٨٠١.

(٢) محمد على علوبة: فلسطين وجاراتها. أسباب ونتائج - ط ١ - مطبعة لجنة البيان العربى - القاهرة - ١٩٥٤ - ص ١٤٢.

(٣) د. عابدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ٤٩.

(٤) محفظة رقم (١٥٦٧) - ملحق كتاب المفوضية الملكية المصرية في ٢٦/١٠/١٩٤٨ - بغداد بشأن مقابلة وزير خارجية السويد بشأن فلسطين حول موقف العراق من تصريح المستر بيغن الخاص بالموافقة على تقرير الكونت برنادوت.

سياساتهم الخارجية والعسكرية، وقد أكد الملك فاروق من خلال انعقاد المؤتمر على أمور عدة يجب أخذها في الاعتبار وهي:

١ - إن قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً ويتحتم على دول العالم وشعوبها صيانة عروبته.

٢ - التأكيد على الروابط التي تربط مصر بالدول العربية وعدم وجود انقسام بين العرب لها في الأشخاص والآراء.

أما القرارات السرية التي اتفقوا عليها، فبناء على تقرير اللجنة "الأنجلو أمريكية" تقرر ألا تكون فلسطين دولة عربية أو يهودية وأن تبقى تحت الوصاية، ووفق ما ذكرته "جريدة العمل" الناطقة بلسان الكتائب اللبنانية: "إن هذه القرارات السرية بصفة خاصة تتعلق باحتلال البلدان العربية لفلسطين احتلالاً عسكرياً وإعلان الحرب على الصهيونية، واعتبار كل دولة تؤيدها دولة معادية وأن تبدأ الدول العربية بالاستعداد للدفاع عن فلسطين بالقوة وإرسال السلاح والمال والرجال إليها"^(١)، وتدعم هذه السياسة مطالبة الدول العربية بالوصاية على فلسطين عقب تراجع أمريكا عن التقسيم إلى الوصاية لوجود صلات وعلاقة الجوار واللغة وغيرها من المقومات العربية ما يسهل الوصاية العربية^(٢).

والمعروف أن أى قرارات سرية تطلق على القرارات الحربية التي تختص بتلك الصفة، ويتأكد هذا الاتجاه لدى القصر، فبعد إقرار بريطانيا إنهاء انتدابها وإقرار مشروع التقسيم ودخوله في حيز التنفيذ، اهتم الملك فاروق عن طريق وزيره حيدر باشا بالاطلاع على تقارير المخابرات الحربية بالجبهة الجنوبية من فلسطين عن مدى تسليح اليهود وتحصينهم لمستعمراتهم، وكذلك عن مدى تسليح عرب فلسطين وتحصينهم لمدنهم وموقفهم - بخاصة في الجنوب - من الملك فاروق، ثم احتضان "فاروق" للمفتي "أمين الحسيني" الذي يمثل الغالبية في فلسطين،

(١) الكتلة - ١٩ سبتمبر ١٩٤٧.

(٢) الإخوان المسلمون - ١٣ أبريل ١٩٤٨.

ما يسهل له تحقيق سياسته في ضم الجزء الجنوبي من فلسطين إليه عند التقدم شرقاً إلى فلسطين والتصدي لتحركات الملك عبد الله.

لذلك كان هدف القوات النظامية المصرية التي دخلت فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨، السيطرة على صحراء النقب وهذا ما جاء في رسالة اللواء موسى لطفي مدير العمليات الحربية إلى اللواء عثمان المهدي في ٢ يونيو ١٩٤٨: "ولذا فمن الضروري تطهير هذه المنطقة وأن تتقدم الجيوش المصرية وتقطع الاتصال بين منطقة النقب ومنطقة تل أبيب، حتى إذا ما أعلنت الهدنة كانت النقب من حق القوات العربية"^(١).

ثم تقيم مصر فيها خط دفاعها لضمان سلامتها بل وسلامة الدول العربية، وهذا ما تطرق إليه وزير الخارجية المصري أحمد خشبة باشا في حوار مع توفيق أبو الهدى بشأن منطقة النقب في أثناء الاجتماعات التي تمت لتمهيد اللقاء بلجنة التوفيق ببيروت في ٢٠ مارس ١٩٤٩ حيث ذكر له: "لم يدر بخلد مصر في يوم من الأيام أن تقطع لنفسها شقة من إقليم يجاورها ولكنها إزاء الوضع الذي يوشك أن يستقر في فلسطين ترى نفسها مضطرة، على مضض منها، إلى إقامة خط دفاعها الأول في منطقة تجاور حدودها ولو كان مجرد شبر من الأرض، ومثل هذا المسلك لا تقتضيه سلامة مصر فحسب بل تقتضيه سلامة الدول العربية لأن المساس بسلامة مصر يؤدي إلى انهيار جبهة الدفاع عن الدول العربية؛ بأسرها ومن مصلحة هذه الدول وعرب فلسطين أن تكون مصر قوية مرهوبة الجانب لنتمكن عند الضرورة من بذل ما يطلب منها من معونة"، وأقر توفيق أبو الهدى هذه السياسة، ولكنه أشار إلى أن استقرار شرق الأردن في شقه يؤمن مصر ويجعلها تتلقى الصدمة الأولى عنها.

(١) محفظة رقم (٤) - رسالة من اللواء موسى لطفي مدير العمليات الحربية إلى اللواء عثمان المهدي - رئيس أركان حرب الجيش بالنيابة - في ٢ يونيو ١٩٤٨.

وعندئذ اعترضه خشبة باشا مبينا أن موارد شرق الأردن المادية والبشرية لا تسمح باتخاذ التدابير التي تكفل الدفاع عن مصر إزاء ما ظهر من استعانة اليهود بموارد ضخمة للتسليح، وأنه ليس من مصلحة الدول العربية أن توضع دولة عربية موضعاً من هذا القبيل، كما أن اضطلاع مصر بالدفاع عن نفسها مسألة ترتبط بكرامتها ومكانتها في أعين الدول، إذ ينتقص من كرامة المصريين إذا أوكل أمر الدفاع عن وطنهم إلى غيرهم.

وفي نهاية الحوار أوضح توفيق أبو الهدى أنه لم ينكر حق مصر في الدفاع عن نفسها، ولكن كل ما تبتغيه شرق الأردن هو أن يكون لها مخرج في البحر، فأقر خشبة باشا أن مصر لا تعارض في ذلك ما دامت سلامتها مكفولة، وأن المجدل قد يكون مخرجاً يرضى ما تشعر به شرق الأردن من حاجة إلى ميناء أو مخرج، ووعد توفيق بالاستعانة بنفوذ إنجلترا بوصفها حليفة لشرق الأردن لتمهيد الطريق لقبول الرأي الذي أنلى به^(١).

ويبدو من هذا الحوار أن وزير الخارجية المصري أراد عقد اتفاق مع الجانب الأردني ليحول دون إقرار التقسيم في فلسطين بضم القسم العربي منه إلى شرق الأردن، وبقاء سيطرة مصر على قطاع غزة، نتيجة لتحركات الملك عبد الله قبل وبعد صدور قرار التقسيم وسعيه لعقد معاهدة دفاع مشترك مع بريطانيا في مارس عام ١٩٤٨ ثم اتصالاته بالوكالة اليهودية والاتفاق معها على ضم الجزء المخصص للعرب - بمقتضى قرار التقسيم - إليه، وإقامة علاقات صداقة وسلام مع الدولة اليهودية معتمداً على التأييد السياسي لبريطانيا وقدره الجيش الأردني - ذي التدريب البريطاني - الحفاظ على هذا الجزء المخصص للعرب.

(١) محظظة رقم (٢٥٨) - مذكرة بخلاصة الحديث الذي دار بين وزير الخارجية وتوفيق أبو الهدى في شأن منطقة النقب في بيروت - الأحد - ٢٠ مارس ١٩٤٩ - في الاجتماعات التي تمت لتمهيد اللقاء بلجنة التوفيق.

وفيما يختص باتصاله بالوكالة اليهودية، بعد صدور قرار اللجنة السياسية للجامعة العربية في ١٢ إبريل عام ١٩٤٨ بدخول القوات النظامية لإنقاذ فلسطين وإعلان دول الجامعة أن مهمته محددة ومؤقتة وتتنحصر في الآتي: "إن احتلالها لفلسطين احتلال مؤقت خال من صفة الاحتلال والتجزئة وبعد تحريرها تسلم لأهلها لإقرار نظام الحكم فيها"^(١)، فاتصل الملك عبد الله بالزعامات الصهيونية خصوصاً مع إقرار الحكومة المصرية حركة التطوع والانتقال من مرحلة الحشد على الحدود المصرية بفلسطين إلى مرحلة الدخول في الأراضي الفلسطينية.

وبقرار اشتراك القوات النظامية المصرية، اجتمع الملك عبد الله بجولدا مايرسون ليلة ١١ - ١٢ مايو عام ١٩٤٨^(٢).

وتعهد بعدم تجاوز حدود المنطقة المخصصة للعرب بمقتضى قرار التقسيم، على الرغم ما انتهت إليه المقابلة بينهما في ١٠ مايو ١٩٤٨ بافتراق الاثنين، حيث رفض الملك عبد الله الخضوع لإنذار امرأة والذهاب إلى الحرب بعد أن عرضت عليه باسم دولة اليهود السلام وحسن الجوار وأن يعلن الصلح مع اليهود ولا يبعث بجيشه إلى فلسطين ويرسل واليًا يحكم القسم العربي من فلسطين بحسب قرار التقسيم، ومقابل ذلك تقبل الوكالة اليهودية ضم القسم العربي من فلسطين إلى التاج الهاشمي، لكن الملك عبد الله رفض الشرط الأول لأنه يظهر بمظهر الخارج عن إجماع العرب والدول العربية التي صممت على إرسال جيوشها لإنقاذ فلسطين، وإنما تعهد أنه لا يحارب الجيشان الأردني والعراقي اليهود وأن يقف الجيشان في الحدود التي رسمها التقسيم ولا يتعداها وقبلت جولدا مايرسون رأي الملك عبد الله^(٣).

(١) الإخوان المسلمون - ١٤ إبريل ١٩٤٨.

(٢) مجلة شؤون فلسطينية - حنة شامين - حرب العام ١٩٤٨ رؤية عربية وعالمية مراحل الحرب - ص ٧٣.

(٣) عبد الله التل: كارثة فلسطين - ج ١ - ط ١ - دار القلم - القاهرة - ١٩٥٩ - ص ٦٧.

ولكن بقرار الحكومة المصرية الاشتراك بقواتها النظامية غير الخلاف إلى اتفاق، خصوصاً بعد فشل موفوده "عمر الدجاني" إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مطالباً بالاعتراف به مع الاستعداد للاعتراف بالدولة الصهيونية بشرط تخليها عن القدس والجليل الغربي والصفة الغربية^(١).

ويبدو أن هناك عاملاً آخر مهماً أثر في إقدام الملك عبد الله على الاتصال بالولايات المتحدة والوكالة اليهودية، ففي أثناء الاتفاق على تعديل المعاهدة الأردنية البريطانية، لعقد معاهدة دفاع مشترك، عرض "توفيق أبو الهدى" على مستر "بيفن" إدارة شرق الأردن للأراضي العربية وفقاً لقرار التقسيم بعد جلاء القوات البريطانية عنها وعبر "أبو الهدى" عن كرمه الزائد بإعلان أن الجيش العربي الأردني لن يحتل غزة والجليل مع أنهما من حصّة العرب، وهذا يفسر أن الانسحابات العسكرية للجيش الأردني من عدد من مناطق فلسطين كان أمراً متفقاً عليه^(٢).

فجاء في البلاغ العسكري الرسمي رقم ٨ الصادر عن قيادة قوات المتطوعين للجبهة الجنوبية يوم ١٤ مايو عام ١٩٤٨: "انسحبت قوات الجيش العربي المرابطة حول غزة فدخلت قوات المتطوعين إليها فوراً واحتلت تل المنطار وأصبحت قوات المتطوعين تسيطر على طريق غزة - رفح"^(٣).

ويبدو أن نية بريطانيا كانت متجهة لإعطاء قطاع غزة لمصر لما تمثله من مركز استراتيجي عظيم الأهمية فهي تعد مفتاح فلسطين من جهة الجنوب وبإمكان مصر إقامة خط دفاعها الأول فيه، كما تندر أسباب الاختلاف على جانبي الحدود المصرية - الفلسطينية من الناحية الطبيعية والإنسانية. حيث نجد في خان يونس

(١) د. يوسف صايغ: ملف القضية الفلسطينية - ص ٢٦.

(٢) محمد عزة دروزة: القضية الفلسطينية ومراحلها - ج ٢ - المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٦٠ - ص ٣٠.

(٣) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - ملف د - بلاغ رسمي رقم ٨ صادر عن قيادة المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين يوم ١٤/٥/١٩٤٨.

ودير البلح المناظر نفسها التى نلقاها فى ريف مصر والعادات واللهجات والعواطف نفسها التى تقرب بين القطرين الشقيقين وتجعل منهما وطنًا واحدًا بفضل الروابط التاريخية والطبيعية والدينية^(١).

فى تقرير لقيادة اللواء الجنوبى بـ فلسطين - غزة - اللواء "سليمان عبد الواحد سبل" المتطوع لقيادة جنوب فلسطين والذى تم رفعه إلى رئيس الديوان الملكى فى ١٨ إبريل عام ١٩٤٨ يذكر فيه "دعائى رئيس بلدية غزة لتناول الشاي فى داره مخبرًا إياى بأنه قائد الجيش الإنجليزى سيكون معنا للتعرف، لأن المواقع الدبلوماسية تحول دون زيارته لى فى مقر عملى فلقد استفدت فعلاً من هذه الجلسة الصغيرة والمنطقة الآن بين أعداء أربعة: الفوضى واليهود والإنجليز والأردن، ولم يخص المنطقة من وسائل الدفاع أى شىء يذكر غير الأسلحة الشخصية التى ابتاعها الأهالى واللجنة القومية من حسابهم الخاص والسبب فى إهمال هذه المنطقة هو أنهم جعلوها من نصيب مصر، وعقيدة الأهالى أنفسهم أن مصر هى الوحيدة التى تستطيع الأخذ بيدهم.. وعندئذ تنجو فلسطين وتتجو مصر"^(٢).

وترجع رغبة بريطانيا فى إعطاء قطاع غزة لمصر مقابل عدم إثارة قضية جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس.

ولأن الملك عبد الله كان يرى أن استرجاع غزة من يد اليهود أهون عليه من استرجاعها من يد المصريين لذلك اتجه للاتصال بالوكالة اليهودية، حيث كان يعلن دائماً رغبته فى الحصول على جزء من القدس وغزة بدلاً من النقب؛ لأن غزة مهمة له تجاريًا بينما لا يرى فى النقب إلا صحراء جرداء وكان قرار تسلمه النقب فى مشروع برنادوت مرضاة للبريطانيين وليس مرضاة له وهذا ما جاء

(١) السيد فرج: جيشنا فى الميدان - ط ٢ مطبعة التوكل القاهرة ١٩٤٩ ص ٢٦، ٤٣، ٤٥.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - تقرير من قيادة اللواء الجنوبى - فلسطين - غزة عن حالة المنطقة الجنوبية بـ فلسطين إلى رئيس الديوان الملكى فى ٨ إبريل ١٩٤٨.

على لسان السفير الأمريكي "جيمس مكنونالد" أول سفير للولايات المتحدة في إسرائيل في مذكراته بعنوان "بعثتى في إسرائيل" حيث ينسب السفير إلى الملك عبد الله الآتى:

"كان الملك عبد الله يتقدم بطلبات عقد صلح مع إسرائيل في أعقاب هدنة رودس مباشرة والحصول على غزة بدلاً من النقب وتقسيم القدس بين إسرائيل مكتفياً بالأحياء القديمة منها ونية إسرائيل نحو الأردن جيدة على الرغم من هجومها على العقبة في مارس ١٩٤٩، ولعل اهتمام البريطانيين الخاص بالنقب بدلاً من القدس وغزة، كان من العوامل التى جعلت الملك عبد الله يتصل بالإسرائيليين فى معزل عن البريطانيين، لأنه خاف أن يعارضوا تخليه عن النقب للإسرائيليين من أجل غزة والقدس القديمة"^(١).

من ذلك يتضح عدة أمور:

- ١ - أهمية النقب بالنسبة إلى مصر كخط دفاع أول عنها من جهة الشرق.
- ٢ - أهمية النقب بالنسبة إلى بريطانيا لتأمين وجودها فى منطقة قناة السويس، ومن ثم لن تسمح لمصر بالسيطرة عليها وإن كانت تسمح لها بالسيطرة على قطاع غزة، فلم يكن له من الأهمية مثل صحراء النقب بأكملها، ومن ناحية أخرى أن الأمر لا يضيرها فى شيء مادامت التزامات المعاهدة المعقودة بين مصر وبريطانيا ستمتد إلى الأرض الجديدة حيث كان يرى مستر "بيفن" ضرورة بقاء "صحراء النقب" فى الأيدى العربية، حتى يكون هناك اتصال بين مصر وشرق الأردن ولا مندوحة من ترك الجليل الغربى فى يد اليهود، وأن يكون "ميناء حيفا ومنطقة العقبة" تحت إدارة مشتركة بين العرب واليهود - وذلك بعد أن تمكن اليهود من السيطرة على النقب"^(٢).

(١) أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين - ص ٢٨٥.

(٢) محفوظة رقم (٢٥٨) أحاديث حسين سرى فى ٢٢ أغسطس ١٩٤٩٩.

٣ - أهمية النقب بالنسبة إلى اليهود، فدونها لا تقوم الدولة اليهودية فهي الحصن المنيع إزاء تعرضها لأي هجمات كما أن السيطرة عليها تكسب صاحبها امتداد السيطرة إلى المنطقة المجاورة من شبه جزيرة سيناء.

٤ - موقف شرق الأردن تجاه مصر ورفضها أن يكون لمصر وجود في فلسطين بل وعزلها عن المنطقة العربية، وحاجة شرق الأردن لمخرج أو ميناء إلى البحر.

لذلك حرص مؤتمر أنشاص على إقرار الحقيقة الآتية بالإجماع لأخذها في الاعتبار:

١ - إن فلسطين قطر عربي، وأن مصيره مرتبط بمصير دول الجامعة العربية، ومن ثم ضرورة العمل على مساعدته لنيل استقلاله ليكون عضواً سواء في الجامعة أو هيئة الأمم المتحدة.

٢ - إن الصهيونية خطر داهم ليس لفلسطين بل للبلاد العربية، ومن ثم ضرورة استقلال فلسطين وتشكيل حكومة تضمن حقوق جميع سكانها دون تفریق بين عنصر أو مذهب^(١).

لذلك جاء من ضمن قرارات المؤتمر العربي في بلودان ٨ يونيو عام ١٩٤٦، تأليف هيئة بمثابة حكومة فلسطينية من جمال الحسيني وإميل الخوري من اللجنة العربية العليا وأحمد حلمي والدكتور توفيق حسين الخالدي من الجبهة الوطنية.

ب - لجوء مفتى فلسطين إلى مصر وموقف أهالي فلسطين من الملك فاروق:

تصادف لجوء مفتى فلسطين مع انعقاد مؤتمر بلودان ٨ يونيو عام ١٩٤٦، ورحب الملك فاروق بلجونه إلى مصر، في حين رأى إسماعيل صدقي - رئيس الوزراء - لا مانع من لجونه بشرط عدم الاشتغال بالناحية السياسية^(٢).

(١) تقرير لجنة التحقيق النيابة في قضية فلسطين - تقرير اللواء الركن إسماعيل صفوت - ملحق رقم ٢ - مطبعة الحكومة - بغداد - ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) د. عايدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ٥٥ - ٥٦.

حيث وجد الملك فاروق في لجوء المفتى "أمين الحسيني" فرصة جيدة بالنسبة إليه، تحقق له شعبية بين عرب فلسطين، باعتبار المفتى يمثل غالبية الشعب الفلسطيني ويظهر الملك فاروق بأنه أكثر المساندين للقضية الفلسطينية، ويذكر كريم ثابت - المستشار الصحفي للملك فاروق - في هذا الشأن: "كان يعلم - الملك فاروق - مقدمًا أنه سيذهب إلى عابدين - المفتى - في الساعة السابعة من مساء يوم ذهابه إليه، فارتدى ملابسه وانتظر في مكتبه ليمثل الرواية التي روتها الصحف في الغد"^(١).

كما أصدر فاروق أمرًا بعدم إقامة الاحتفالات ومعالم الزينة في عيد الميلاد الملكي مواساة لفلسطين وتقديرًا لحالتها وشعورها^(٢).

ويمكن تحديد معالم تلك السياسة المرسومة وفق ما جاء في مذكرة رئيس مجلس الشيوخ إلى النقراشي باشا، التي تتضمن رأى رجال القانون الدولي فيما يتخذ من إجراء لدخول الجيوش المصرية والاحتلال الموقت لفلسطين بعد نشر الصحف أن الوفود العربية رفضت إنشاء دولة عربية في فلسطين تشبه الدولة التي ينتظر أن يعلنها اليهود، قال عزام: "لقد افترضنا أن ينشئ اليهود دولة لهم في ١٥ مايو ١٩٤٨ ووافقنا على إنشاء إدارة مدنية عربية تحت رعاية الجامعة العربية لتعمل بالتعاون مع القوات العسكرية التي تحتل فلسطين، ولكن وجدنا أن إدارة مدنية تنشأ تحت رعاية الجامعة العربية لا تكون لها أى صفة دولية فالجامعة العربية ذاتها ليست لها شخصية دولية معترف بها عالميًا، والإدارة التي تؤلف في ظلها لا تعتبر حكومة ولا دولة ولا يكون لها في نظر القانون الدولي وجود".

ولتصحيح الأوضاع اقترح أولاً: أن يعلن بعض رجال فلسطين استقلال بلادهم ويصدرون تصريحًا بذلك، يذكرون فيه أنهم ممثلو الشعب الفلسطيني

(١) كريم ثابت: عشر سنوات مع فاروق ١٩٤٢-١٩٥٢ - ص ٥٣.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - بخصوص تأمين مصر لحدودها الشرقية - تقرير عن زيارة محمد حيدر باشا بناء على أمر ملكي لمنطقة العريش في ١٧ فبراير ١٩٤٨.

ومجتمعون في هيئة مؤتمر قومي تعلن للملأ أن فلسطين دولة مستقلة ذات سيادة وأن رئيس الدولة هو.. رئيس الحكومة هو.. (ومع هذا النص وثيقة إعلان استقلال الولايات المتحدة الصادرة في ١٥ نوفمبر ١٧٧٧).

ثانيًا: تعلن الدول العربية اعترافها بالدولة الفلسطينية دولة مستقلة ذات سيادة، كما تعلن اعترافها بحكومتها، وقد استقر القانون الدولي على أن الاعتراف بأي دولة أجنبية يدخل في صميم أعمال السيادة وهو غير مشروط بأي شروط.

ثالثًا: تطلب الحكومة الفلسطينية المعترف بها نجدة الدول الصديقة طلبًا رسميًا تذكر فيه نوع المساعدة العسكرية والمالية والاقتصادية.

رابعًا: إذا دخلت القوات العسكرية المصرية وغيرها الأراضي الفلسطينية، استجابة لدعوة حكومتها المعترف بها يكون وضعها الدولي صحيحًا ما دامت برضا حكومتها^(١).

وبذلك يمكن تفسير تمسك الملك فاروق بمساندة المفتي حتى يتم إعلانه رئيسًا لدولة فلسطين المستقلة ثم يطلب مساندته، ومن ثم يحقق ما يريجه من إقامة دولة عربية مستقلة على الحدود المصرية - الفلسطينية لتحقيق أمن وسلامة مصر، ومن جهة أخرى تتحقق له الزعامة العربية ويمكنه ذلك من إقامة وحدة بين مصر وفلسطين على غرار وحدة مصر والسودان برضى أهل فلسطين، ويفوت على الملك عبد الله فرصة تحقيق مشروعه التوسعي وإقامة الدولة اليهودية.

ويمكن تتبع نتائج سياسة الملك فاروق ومساندته للمفتي "أمين الحسيني" من موقف أهالي فلسطين منه بخاصة جنوب فلسطين، فعقب لجوء المفتي إلى مصر أرسلت الهيئات والجمعيات العربية المختلفة في فلسطين، البرقيات إلى كبير الأمناء، معربة عن شكر عرب فلسطين لحماية الفاروق لمفتيهم، واستقبل الملك فاروق "مطران الروم الكاثوليك" في فلسطين ورحب به وتناقش معه في قضية

(١) محفظة رقم (١٣٣١) - مذكرة رئيس مجلس الشيوخ إلى النقراشي باشا عن "ما يجب أن يتخذ من إجراء لدخول الجيوش المصرية والاحتلال الموقت" - في ١٣ مايو ١٩٤٨.

فلسطين، وحينما عاد المطران إلى القدس نشرت الصحافة: " إنه حين غادر قصر عابدين شعر بأن قضية فلسطين تسير في طريق النجاح بخطى واسعة ما دام هناك الفاروق كملك لمصر وعندما يلتقى مع المسؤولين البريطانيين يتحدث عن أبعاد القضية، ويذكر أن الاضطرابات لها انعكاسات على مصر والدول العربية ويؤكد ضرورة العمل على الاستقرار في فلسطين" إلى جانب إطلاق اسمه على كثير من أبنائهم^(١).

وفى أثناء زيارة الفريق محمد حيدر باشا لمنطقة العريش في ١٧ فبراير عام ١٩٤٨ بناءً على الأمر الملكي من الملك فاروق القائد الأعلى لتفقد الأمور بها بعد صدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ والشروع في تنفيذه، أوضح في تقريره الذي رفعه إلى الملك فاروق عند عودته من تفتيشه لكثيية السيارات التابعة لسلح الحدود الملكي المعسكرة برفح أنه عندما وقف في انتظاره في نقطة بوليس رفح جاء وفد فلسطيني من مدينة خان يونس، وعلى رأس هذا الوفد "عبد الرحمن العزة" رئيس بلدية خان يونس، وارتجل قاسم أفندي العزة سكرتيرها كلمة رفيعة عبر فيها عما يكنه أهل فلسطين من حب لمصر ولملكها جاء فيها: "خان يونس البلد الأول على الحدود المصرية - الفلسطينية، ذلك البلد الذي كان له شرف الانتماء إلى الدولة المصرية في التاريخ القديم جاء بدافع من إخلاصه ليعبر عن شعور فلسطين العميق لما تقنمه مصر لها من مساعدة لخبوية وفعالة بتوجيه عناية الفاروق وتطلب رعايته"^(٢).

ولم يقتصر شعور أهالي فلسطين على وفد خان يونس، فمن خلال تقرير البكباشي محمد نوح من إدارة المخابرات العربية واليوزباشي عصام حلمي المصري قائد قوة الحراسة بقنصليتي القدس وحيفاً أوضحاً: "بمجرد وصول الحرس المصري

(١) د. لطيفة سالم: فاروق وسقوط الملكية في مصر ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - ص ٧٨٤.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - بخصوص تأمين مصر لحدودها الشرقية - تقرير زيارة محمد حيدر باشا بناء على أمر ملكي لمنطقة العريش في ١٧ فبراير ١٩٤٨.

إلى بئر سبع طار الخبر إلى لواء الخليل أقرب البلاد العربية إليها، وبمجرد أن رأى الأهالي مقدمات العربات يتقدمها قنصل مصر العام بفلسطين العربية يرفرف عليها العلم المصري، حتى أطلقت الأهالي الأعيرة النارية من مدافع التومي والمسدسات والبنادق ابتهاجاً بمقدم الحرس المصري، وشعر الفلسطينيون بحب عميق للملك فاروق وقد زاد هذا الشعور عقب التجاء سماحة المفتي لمصر على الرغم من أن هذه القوات جاءت لحماية الحدود المصرية وحراستها^(١).

ومن الجدير بالذكر يرجع إرسال هذه القوات لحراسة قنصليتي مصر في القدس وحيفا بعد إعلان رئاسة الهاجانا الانتقام من الدول التي تساعد فلسطين في تهديد قناصلها، وما نشرته جريدة "هابوكر اليهودية" عن ذلك بقولها "إن القنصلية المصرية العامة في القدس كانت أول قنصلية عربية ظفرت بموافقة حكومة فلسطين على إحضار قوة مصرية مسلحة للمحافظة على دارها"، وكان هذا التهديد الصهيوني نتيجة لإعلان جلاء القوات البريطانية وانتهاء الانتداب البريطاني^(٢).

كما جاء في رسالة أخرى من محمد يونس الحسيني إلى الملك فاروق بعد دخول الجيش المصري أرض فلسطين: "إننا نرى أن خير حل لحفظ فلسطين عربية إسلامية أن نعود إلى العهود السابقة فتلحق بمصر.. وأن خير سبيل للإبقاء على سلامة وعروبة فلسطين أن يصبح الجنوب منا الممتد إلى الطريق بين القدس وبافا مديرية مصرية تدين بالولاء للملك فاروق لوجود روابط بين مصر وفلسطين حتى أن عدداً من الملوك المصريين أوصوا بأن يدفنوا في جوار المسجد الأقصى، ووقعت معركة عين جالوت التي كسرت فيها جيوش مصر التتار ٦٦٤هـ،

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - مذكرة إلى وزير الدفاع من البكباشي محمد نوح من إدارة المخابرات الحربية واليوزباشي عصام حلمي المصري قائد قوة الحراسة بقنصليتي القدس وحيفا في ٢٣ فبراير ١٩٤٨.

(٢) الكتلة ٢١ يناير ١٩٤٨

والواقع أن لولا مصر لم يكن في الوجود قطر إسلامي عربي اسمه فلسطين منذ أيام الحروب الصليبية^(١).

ويذكر "رونالد كامبل" أهداف سياسة الملك فاروق في مساندته للمفتى: "إن أفكار الملك وأمين عام الجامعة ارتكزت على التصدى لمشروع سوريا الكبرى لاعتقادهما أن بريطانيا مؤيدة للمشروع، لإزاحة مصر من زعامة الجامعة العربية^(٢)، ما يعنى أن بريطانيا كانت تنتظر إليها كنوع من أنواع التنافس على زعامة المشرق بين الأسرة العلوية والهاشمية^(٣)."

■ موقف القصر من إحياء مشروع سوريا الكبرى في أثناء عمل لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين:

كانت مسألة عرض بريطانيا موضوع فلسطين على الأمم المتحدة، ليس إلا مناورة للبقاء في فلسطين ومحاولة للبحث عن حل لحماية مصالحها في الشرق الأوسط وقناة السويس، خصوصاً أن عام ١٩٤٧ قد شهد انتفاضة الشعب المصرى مطالباً انجلترا بالجلء والتخلى عن قواعدا العسكرية فى البلاد، وبذلك أصبحت بريطانيا تنتظر بكثير من الأمل إلى توطيد قواعدا العسكرية فى فلسطين^(٤). وكادت بريطانيا تصل لحل مع اليهود لولا التدخل الأمريكى الذى زاد من تعقيد القضية، لذلك رفعت القضية إلى هيئة الأمم المتحدة لتأتى بمشروع جديد يلغى ما قبله، وبناءً على طلب بريطانيا عقدت الجمعية دورة طارئة فى إبريل ١٩٤٧، وبانتهاء دورة إبريل وافقت الجمعية على الاقتراح البريطانى الخاص بتشكيل لجنة تحقيق دولية خاصة بفلسطين ومهمتها دراسة القضية على الطبيعة، فطافت بمعسكرات

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - رسالة مرسلة من محمد يونس الحسينى إلى الملك فاروق - القاهرة - ٢٦ مايو ١٩٤٨.

(٢) د. لطيفة سالم: فاروق وسقوط الملكية ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - ص ٨٠٦.

(٣) د. عايدة سليمة / مصر والقضية الفلسطينية - ص ٥٧.

(٤) محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيونى - ص ٢٠٠.

اللاجئين اليهودية في أوروبا والتعرف على وجهات نظر الدوائر العربية في الدول التي تتأثر مباشرة بمصير فلسطين مثل مصر^(١).

إحياء مشروع سوريا الكبرى في أثناء عمل لجنة التحقيق الدولية الخاصة:

وفي ذلك نشر الملك عبد الله كتابًا أبيض عن السياسة التي يتبعها بعد الحرب، ويتضمن الوعد بإنشاء دولة سوريا الكبرى التي تتألف من شرق الأردن وسوريا وفلسطين، وشمل مئات من الوثائق التي تبرر أن دولة سوريا الكبرى التي تضم فلسطين وشرق الأردن كانت الفكرة الأصلية التي ترمي إليها حركة استقلال الدول العربية، بحسب ما وعدت به بريطانيا والده الملك حسين ملك الحجاز والتي كانت هدف الثورة التي قام بها العرب ضد الترك، كما شملت نداءات موجهة إلى الملك عبد الله من رعايا سوريين وفلسطينيين يطلبون فيها من الملك أن يقوم بواجبه نحو العالم العربي فينشئ دولة سوريا الكبرى^(٢).

الواقع أن نشر الكتاب الأبيض الذي يحتوى على آمال الملك عبد الله القديمة، ليس إلا مناورة قصد من ورائها الدعاية بطريقة غير مباشرة إلى تنفيذ المشروع البريطاني الذي يرمى إلى تقسيم فلسطين إلى منطقتين إحداهما عربية والأخرى يهودية، وهيمنة السياسة البريطانية العليا على مقاليد الحكم فيها، ومن الملاحظ أن الكتاب الأبيض، الذي أصدره الملك عبد الله، مغاير للمشروع القديم مغايرة جوهرية، حيث استبعد منه لبنان في هذه المرة، بعد أن كان لبنان جزءًا من المشروع القديم الذي نودى فيه بإدماج سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين تحت تاج واحد^(٣).

(١) د. عائدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٥٤.

(٢) الأهرام - ٩ مايو ١٩٤٨.

(٣) الكتلة - ١٥ مايو ١٩٤٧.

وقد أثار المشروع اعتراض دوائر السياسة المصرية لإدراكها مدى خطورة مشروع سوريا الكبرى على قضيتها وأمن وسلامة مصر، فقد جاء في مذكرات الملك عبد الله أن المشروع يقضى بـ:-

١ - وحدة البلاد السورية قبل دخول الجامعة بناءً على وعد الإنجليز له، ويحظى بحماية بريطانيا.

٢ - تصغير لبنان وتحويله إلى وطن طائفي مستقل عن المجموعة العربية.

٣ - يجب إبقاء الاحتلال البريطاني للسودان.

٤ - لا ضرورة لإقامة كيان عربي موحد مستقل في ليبيا.

٥ - يجب القبول بتواصي اللجان البريطانية لفلسطين وإبعاد مصر والسعودية عن السوريين واللبنانيين، وكان يعارض أى تكتل عربي لا يكون هو أساسه^(١).

ويرجع اعتراض الملك فاروق على مشروع سوريا الكبرى:

١ - لأنه يؤدي إلى انقسام دول الجامعة، فمراجع العراق العليا توافق على المشروع موافقة تامة، إلى جانب أن تنفيذ المشروع برئاسة الملك عبد الله الموالي لبريطانيا يتحتم عليه عقد معاهدة تحالف مشترك تؤثر إلى حد كبير عند اتخاذ أى قرارات خاصة بدول الجامعة؛ لأن كتلة الملك عبد الله ستتمتع دائماً بالغالبية عند اتخاذ القرارات وستكون مؤثرة في تسيير دفة الأمور التي تحركها من خلف الستار المعاهدة السياسية البريطانية، من ناحية أخرى سيتمنح المشروع حكماً ذاتياً لليهود ومن ثم تظهر لهم دولة ذات أهداف توسعية، وسيؤثر حتماً في النهاية في القضية المصرية باستمرار بقاء القوات البريطانية في منطقة قناة السويس حماية لمصالحها^(٢).

(١) أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين ص ٣١١.

(٢) الأهرام - ٤ مايو ١٩٤٧.

وهذا ما صرحت به المقامات العسكرية البريطانية بأن وجود جيوشها في منطقة القنال ليس تبريراً مؤقتاً، ويتعذر عليها الخروج من هذه المنطقة^(١).

٢ - سياسة الملك عبد الله المناهضة لسياسة مصر القومية التي تسعى إلى استمرار وحدة النيل وتأمين جبهتها من جهة الغرب - ليبيا.

٣ - تأييد بريطانيا لمشروع سوريا الكبرى، حيث تسعى بمختلف الوسائل إلى إدماج الأقطار السورية في وحدتها الطبيعية الجغرافية السابقة، في حين يسعون إلى تجزئة وحدة وادي النيل الجغرافية من أجل المحافظة على سلامة الإمبراطورية، من هنا جاء اعترافهم الصوري باستقلال شرق الأردن في مارس ١٩٤٦ وجعلهم من هذا الإقليم الصحراوي الصغير، الذي لا يتجاوز عدد سكانه مديرية من المديرية المصرية، نواة لوحدة عربية كبيرة^(٢).

وعقب نشر الكتاب الأبيض عقد تحالف في مايو ١٩٤٧ بين العراق وشرق الأردن الذي يتضمن الاتفاق على الأمور الآتية:

١ - أن يسود بين مملكة العراق والمملكة الأردنية أخوة وتحالف والتفاهم التام في الشؤون التي لهما فيها مصلحة المملكتين.

٢ - يتعهد الفريقان المتعاقدان ألا يقوم أي منهما بأى تفاهم أو اتفاق مع فريق ثالث على أى أمر يضر بمصلحة الفريق الآخر من شأنه تعريض سلامة مملكته أو مصالحها للأخطار والأضرار.

(١) وزارة للدخلية: إدارة المطبوعات - رقابة للصحف الشرقية - للنشرة الشرقية رقم ١٦ لسنة ١٩٤٧ - خلاصة أخبار الصحف الشرقية العربية - يوم السبت ٩ مايو ١٩٤٧ - بيروت في ٢٦ إبريل ١٩٤٧ - ص ١ - ٢.
(٢) مصر - ٣١ مارس ١٩٤٧.

٣ - إذا أدى نزاع بين أحد الفريقين المتعاقدين ودولة ثالثة إلى حالة يترتب عليها خطر وقوع الحرب، ففي هذه الحالة يوجه الفريقان الساميان المتعاقدان مساعيهما لتسوية النزاع بوسائل سلمية.

٤ - في حالة وقوع اعتداء على أحد الفريقين من جانب دولة ثالثة على الرغم من المساعي المبذولة، يتعهد الفريقان بالرد على ذلك الاعتداء وتعتبر من أعمال الاعتداء:

أ - إعلان الحرب.

ب - استيلاء دولة ثالثة على أراضي أحد الفريقين بقوة مسلحة ولو دون إعلان الحرب.

ج - هجوم دولة ثالثة بقواتها البرية أو البحرية أو الجوية على بلاد أحد الفريقين أو على قواته البرية أو البحرية أو الجوية ولو دون إعلان الحرب^(١).

وأشارت جريدة "التايمز" إلى: "أن عقد المعاهدة من شأنه أن يساعد في اتساع نفوذ الهاشميين ولا يستبعد اندماج العراق وشرق الأردن معاً آخر الأمر ما أثار قلق مصر"^(٢)، لتوافق السياسة الخارجية لشرق الأردن والعراق على عدم تأييد مطالب مصر وترحيب الدوائر البريطانية باتحاد شرق الأردن والعراق معاً؛ لأن ذلك يوجد في العالم العربي كتلة تتطلع بريطانيا للركون إليها^(٣)، لذلك صرحت الدوائر السياسية المصرية بأن بريطانيا تقوم بتنفيذ مخططاتها بإثارة العرب بعضهم ضد بعض بتحريض الملك عبد الله بإقامة ملك واسع له، وتحريض رئيس وزراء

(١) الكتلة - ١٢ مايو ١٩٤٧.

(٢) الكتلة - ٢١ يناير ١٩٤٧.

(٣) وزارة الداخلية: إدارة المطبوعات - رقابة الصحف الشرقية - النشرة الشرقية رقم ٧ لسنة ١٩٤٧ - خلاصة أخبار الصحف الشرقية العربية - فلسطين ١٦ فبراير ١٩٤٧.

العراق كى يصرح بأن العراق لا تؤيد مصر فى قضية السودان عند هيئة الأمم المتحدة، وإبلاغ حكومة شرق الأردن شفهيًا وزارة الخارجية المصرية أن حكومة شرق الأردن تعد مشروع سوريا الكبرى جزءًا من برنامجها القومى ولا يمكن التخلّى عنه بأى حال من الأحوال، لذلك ترى الدوائر المصرية أن تحقيق مشروع سوريا الكبرى لا يتم دون إسالة دماء عربية^(١).

رد فعل مصر: إرسال كريم ثابت كمبعوث ملكى للملك عبد الله لحمله على وقف تصريحاته الخاصة بمشروع سوريا الكبرى:

يذكر - كريم ثابت - المستشار الصحفى للملك فاروق: "كان الملك عبد الله فى تلك الأثناء قد أكثر من تصريحاته عن مشروع "سوريا الكبرى" وهو المشروع الذى كان يرمى به إلى إجماع الأردن وسوريا فى دولة واحدة تحت تاجه واستاءت الدوائر المصرية.. وأعلنت استنكارها لكل محاولة يراد بها المساس باستقلال سوريا وكيانها وحدودها ونظام الحكم فيها.. سافرت إلى عمان كمبعوث ملكى بطائرة الملك الخاصة.. لأتكلّم مع العاهل الأردنى فى موضوع الدعوة التى ينشرها لمشروع "سوريا الكبرى" وكلمته بصراحة تامة، فدافع عنه بحماسة عظيمة وقال فى ختام دفاعه: "إن تنفيذه على كل حال يتوقف على مشيئة الشعب السورى، وبعد مجهود كبير تمكنت من إقناع جلالته بوقف تصريحاته عنه وإرجاء كل كلام فى صدره إلى ما بعد الانتهاء من قضية فلسطين، ولما اتفقنا على ذلك رجوت منه أن يملى على ما أقوله لفاروق.. فأملى على رسالة تعهد فيها بوقف التحدث عن مشروع سوريا الكبرى حتى تحل قضية فلسطين، ولما انتهى من إملائها رجوت من جلالته أن يتوجها بإمضائه"^(٢).

(١) وزارة الداخلية: إدارة المطبوعات - رقابة الصحف الشرقية - خلاصة أخبار الصحف الشرقية العربية - الأيام السورية ١٩ ديسمبر ١٩٤٧، النهار اللبنانية ١٨ فبراير ١٩٤٧.
(٢) كريم ثابت: عشر سنوات مع فاروق ١٩٤٢ - ١٩٥٢ - ص ١٩٤ - ١٩٧.

وعندما قدمت لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين في سبتمبر ١٩٤٧ مشروعين للتقسيم^(١)، عقد المؤتمر الأردني الذي دعى إليه "حزب النهضة العربية" لتحقيق الوحدة السورية طبقاً لميثاق الشعب السوري عام ١٩٢٠ وأرسل إلى الشعب السوري تحياته وناشد الدول غير السورية أن تلتزم الحياد الدقيق من هذه الدعوة القومية التي لا تتناقض مع ميثاق الجامعة العربية وتهدف إلى وضع خطة عملية حازمة لإنقاذ عرب فلسطين من الخطر الصهيوني^(٢).

كما أيد الملك عبد الله إنشاء دولة يهودية في فلسطين على أن ينضم القسم العربي منها إلى شرق الأردن لتكوين الدولة الهاشمية، ما دام مشروع سوريا الكبرى يلقي معارضة قوية من باقي البلاد العربية، على أن يقوم جيشه باحتلال مراكز متفق عليها بمجرد نشوب الثورة تحت ستار المحافظة على الأمن بقيادة جلوب باشا وهو جيش معد إعداداً حديثاً^(٣).

وقد لوحظ أن مشروع "سوريا الكبرى" يثار دائماً في أوقات تتفق بشكل غريب والفترات الحرجة التي تجتازها الدول العربية ما يدل دلالة واضحة على أن هذا المشروع موعز به من دولة أجنبية وأنه لا يرمى إلا إلى خلق جو من الاستياء في الدول العربية في الوقت الذي هي في أشد الحاجة إلى توثيق علاقاتها^(٤)، من ناحية أخرى يأتي مخالفاً لجميع التقاليد الدبلوماسية والقانون الدولي، ومنها ميثاق جامعة الدول العربية الذي تنضم إليه شرق الأردن، كما هو مناف لميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي تسعى شرق الأردن إلى الانضمام إليه، فكانت النتيجة شعور العالم الخارجي بأن الشعوب العربية منقسمة على نفسها^(٥).

(١) د. عائدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٥٥.

(٢) الكتلة - ١٥ سبتمبر ١٩٤٧.

(٣) محفظة رقم. (١٥٨) أرشيف سري رقم ١٣٩ / ١٤٢ / ١ - ٣ - هيئة الأمم المتحدة للقضايا. فلسطين وعرضها على الهيئة ١٩٤٧/٩/٢١.

(٤) الجماهير - ٢٨ ديسمبر ١٩٤٧.

(٥) الكتلة - ٣ سبتمبر ١٩٤٧.

وقد أيدت الصحف اليهودية، اعتباطاً، ما وصفته "ارتباكاً سياسياً يسود الحكومة العربية بشأن مشروع سوريا الكبرى"^(١)، ويحبذونه لموافقة الملك عبد الله على تقسيم فلسطين.

رد فعل مصر إزاء ما بدا في الجمعية العامة من اتجاه نحو التقسيم وتأيد الملك عبد الله له:

في أثناء انعقاد مؤتمر عالية ٧ - ١٠ أكتوبر ١٩٤٧ للنظر فيما تتخذه الدول العربية من مواقف إزاء اتجاه الجمعية العامة نحو إقرار التقسيم، حضر المفتي على متن طائرة مصرية بإيعاز وتدبير من الملك فاروق ليحول دون اتخاذ قرار في غياب ممثل عن عرب فلسطين، وظهر جلياً مدى الانقسام العربي بين الكتلتين الهاشمية ممثلة العراق والأردن من ناحية، ومصر والسعودية من ناحية أخرى اللتين كانتا تؤيدان فكرة كيان فلسطين له جيش تحت قيادته، ونجح الوفد المصري في حمل اللجنة العسكرية على قبول تمثيل فلسطيني بها وهو صبحي أبو خضرا بما يتفق مع ميثاق الجامعة^(٢).

(١) الكتلة ٢٨ أغسطس ١٩٤٧.

(٢) عارف العارف: النكبة - نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود - ج ١ - المكتبة العصرية - بيروت ١٩٥٢ - ص ١٥.

الفصل السادس

موقف القصر من قرار التقسيم ١٩٤٧ وقرار الاستعداد للتقدم شرقاً

- زيارة الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع الوطنى لمنطقة العريش بناء على أمر ملكى فى ١٧ فبراير ١٩٤٨.
- وأسبابها:
 - أ - تقرير لجنة فلسطين الصغرى.
 - ب - رسالة الملك عبد الله إلى الملك فاروق فى ٥ فبراير ١٩٤٨.
- أهم توصياته وقراراته:
 - ١ - استخدام القوة الموجودة بالعريش للتقدم شرقاً (غزة - بنر سبع) لواء غزة.
 - ٢ - جمع المعلومات عن الحالة العامة بجنوب فلسطين ومدى تأثيرها فى العمليات الحربية.
 - ٣ - غيار القوات الموجودة بمعسكر التدريب بالعريش كل ثلاثة أيام.
- الموقف العربى والدولى من مصر إزاء تسليحها للمفتى.
- رد فعل مصر إزاء الموقف الدولى والعربى:
 - أ - الإعداد للتقدم شرقاً.
 - ب - قرار الاستعداد العسكرى دون علم السلطات العليا (الحكومة المصرية والبرلمان) للاشتراك فى العمليات الحربية بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ (نهاية الانتداب البريطانى).
- تولى مصر القيادة الجنوبية للمتطوعين فى فلسطين.

- موقف القصر من قرار التقسيم ١٩٤٧ وقرار الاستعداد للتقدم شرقاً:

• زيارة الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع الوطنى لمنطقة العريش بناء على أمر ملكى:

بناء على قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ بادر مجلس الأمن إلى تشكيل لجنة خماسية من الدول الصغرى التى وافقت على التقسيم من بوليفيا والدنمارك وبنما والفلبين وتشيكوسلوفاكيا، وهى هيئة تنفيذية مؤقتة للجمعية العامة. وفى أواخر يناير ١٩٤٨ رفعت تلك اللجنة تقريرها بضرورة تشكيل جيش دولى يتولى مهمة تنفيذ قرار التقسيم ويرجع ذلك إلى أسباب عدة:

١ - عدم تعاون الحكومة البريطانية معها، خصوصاً بعد أن أعلنت موقفها أنها لن تسمح بتدخل أى سلطة سواء تابعة للأمم المتحدة أو لأى دولة أخرى، ما دام الانتداب قائماً ومستمرًا فى إدارة المناطق التى تحتلها قواتها دون أى مشاركة إلى أن يحين وقت نهاية الانتداب^(١)(*).

٢ - إن الحالة السائدة فى فلسطين نظام شبه عسكرى "تحصينات"، أسلاك شائكة ودوريات مستمرة بالعربات المدرعة، وأصبح حظر التجول وقانون الأحكام العرفية شيئاً مألوفاً نتيجة للصدام بين بريطانيا واليهود والعرب^(٢)، واحتجاج اللجنة لدى بريطانيا لدخول متطوعين ومطالبة شرتوك بسرعة تشكيل الحكومة اليهودية وتموينها بالسلاح والذخيرة لمواجهة تسرب المتطوعين^(٣).

وبإصدار اللجنة تقريرها، أرسل الملك عبد الله للملك فاروق عن طريق الوزير المفوض كمال الدين صلاح رسالة فى ٥ فبراير ١٩٤٨ يقول فيها: "إن قرار

(١) صلاح العقاد: قضية فلسطين المرحلة للحرية ١٩٤٥ - ١٩٥٦ - ص ٥٢.

(٢) انظر الملحق رقم (٧).

(٣) مناحيم بيغن: الإرهاب، ترجمة معين أحمد محمود - ط ٢ - دار المسيرة - بيروت - ١٩٨٨ - ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) البلاغ - ٢٧ يناير ١٩٤٨.

هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين قد صدر، وشكلت اللجنة التي ستتولى تنفيذ والدول العربية لا تزال باقية في هيئة الأمم المتحدة التي لم تنسحب منها والتقسيم قد تم تنفيذه فعلاً بحكم الواقع، ففي المناطق اليهودية توجد قوات يهودية مسلحة وهيئات بلدية تباشر فعلاً سلطات الحكم التام، وفي الجزء العربي يقوم حكم شبه عربى تتولاه هيئات من المقاومة العربية، أما الإنجليز فسينسحبون من فلسطين في الموعد الذى حدده، عندئذ سيكون اليهود أحراراً في منطقتهم وسوف نقد عليهم السفن بالمهاجرين بالأسلحة فمن الذى سيعترض طريق هذه السفن ويحول دون وصول هذه الإمدادات من الرجال والسلاح؟ وواجب على كرجل عربى حماية الأماكن المقدسة في فلسطين، ومن جهة أخرى فمن واجبي أن أنظر إلى مستقبل هذه البلاد - يقصد شرق الأردن - فنحن لا موائى لنا إلا العقبة على البحر الأحمر فإذا سقطت فلسطين في يد اليهود فكيف لنا أن ننفذ إلى البحر وننتصل بالعالم الخارجى وكيف يمكن أن نعيش؟ هل نشق سرداباً تحت الأرض لنصل إلى البحر؟ إن المسألة بالنسبة لنا حيوية جداً أكثر مما هى بالنسبة إلى باقى الدول العربية^(١).

ويرجع اتجاه الملك عبد الله إلى إرسال تلك رسالة في تلك الفترة إلى أمور عدة:

١ - عودة المفاوضات المصرية - البريطانية، التي كانت تثير قلق الملك عبد الله من أن يسفر عنها إعطاء الملك فاروق جزءاً من فلسطين إرضاء له مقابل استمرار وجود القوات البريطانية في منطقة قناة السويس، خصوصاً مع تلك الظروف الدولية وانتقسام العالم إلى معسكرين وظهور الحرب الباردة التي لا تعتمد على الأسلحة بقدر اعتمادها على السيطرة على مناطق استراتيجية، تكفل لكل منهما تهديد مصالح المعسكر الآخر^(٢)، معنى ذلك مخاوف الملك عبد الله من ازدواجية السياسة البريطانية.

(١) محمد حسنين هيكل: العروش والجيوش - ص ٥٤ - ٥٦.

(٢) البلاغ - ٣ ديسمبر ١٩٤٧.

٢ - مخاوف الملك عبد الله من أن تقوم ضجة إعلامية في البلاد العربية، إذ بدأ في تنفيذ قرار التقسيم من جهته وأن تتولى مصر قيادة الرأي العام العربي ضده، وذلك كفيل بعدم تحقيق ما كان يصبو إليه، إلى جانب طمعه في حسن الجوار مع مصر^(١).

وفي الوقت نفسه جرى اتفاق بين توفيق أبو الهدى والمستر بيغن حول ما ستكون عليه الأمور بعد جلاء القوات البريطانية ونهاية الانتداب وكأنه يذكره باتفاق قد تم بينهما، قائلاً: "إن اليهود في فلسطين قد أعدوا حكومة.."، فقاطعه بيغن: "إن الشئ الوحيد المعقول ضم القسم العربي إلى شرق الأردن على شرط ألا تتجاوز حدود القسم العربي ولا تحاول الاقتراب مما هو مخصص لليهود، خصوصاً بعد فشله في الوصول إلى اتفاق مع الملك فاروق بشأن مصير فلسطين".

السواقع أن نجاح بريطانيا في الاتفاق سواء مع الملك فاروق أو الملك عبد الله كان في مصلحتهما، فهو يكفل حماية المصالح البريطانية في منطقة الشرق الأوسط ويضمن عدم خروجها من فلسطين أو مصر، بل وتمتد التزامات المعاهدة المعقودة معهما إلى الأراضي الجديدة.

وبوصول تفاصيل الاتفاق بين الملك عبد الله وبريطانيا إلى الملك فاروق عن طريق حافظ وهبة مستشار "الملك عبد العزيز"، بأن الملك عبد الله ضالع في ترتيب مع الإنجليز^(٢)، وبناء على تقرر في مؤتمر القاهرة ٧ - ١٦ فبراير ١٩٤٨ باتفاق جميع الأعضاء على التزامهم بالقرار المتخذ في عالية بلبنان ٩ أكتوبر ١٩٤٧، باتخاذ الاحتياطات العسكرية على حدود فلسطين وضرورة اشتراك القوات النظامية في قرار الحكومة البريطانية بالتخلي عن الانتداب في ١٥ مايو ١٩٤٨ وموعد

(١) عاصم محمد على حسني: حكومة عموم فلسطين وضم الضفة الغربية للأردن ١٩٤٨ - ١٩٥٠ - رسالة ماجستير - أجيّزت بأداب عين شمس - ٢٠٠١ - ص ٤٣.

(٢) محمد حسنين هيكل: العروش والجيش - ص ٤٠ - ٤٢.

جلاء آخر فرقة من قواتها في أغسطس ١٩٤٨، وشروع مجلس الأمن في تنفيذ قرار الجمعية العامة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧.

- أهم توصياته وقراراته:

١ - استخدام القوة الموجودة بالعريش للتقدم شرقاً (غزة - بنر سبع) نواء غزة:

أمام تلك الظروف الدولية كلها، تعهد الملك فاروق للفريق محمد حيدر وزير الدفاع الوطني بزيارة منطقة العريش لبحث سبل استكمال النقص في وحداتها وسد حاجاتها والاستعدادات للتقدم إلى غزة - بنر سبع، دون علم الحكومة المصرية على الرغم من معارضة ذلك لسياستها، وبينما كانت ترى الحكومة خطورة التورط في أى مغامرة حربية وتفضل تشجيع المتطوعين وإمدادهم بالسلاح دون اشتراك القوات النظامية، وهى حجتها فى نزاعها مع بريطانيا، فى حين نظر إليها الملك فاروق على أنها الوسيلة الوحيدة للحفاظ على عرشه.

- زيارة الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع الوطنى منطقة العريش:

وبناء على الأمر الملكى توجه الفريق محمد حيدر باشا فى ١٧ فبراير عام ١٩٤٨ إلى منطقة العريش مصطحباً معه عدداً من مديرى وقواد ومندوبى رئاسات أسلحة الجيش، وكان فى انتظارهم محافظ سيناء ورجال الإدارة بها وقواد الوحدات المعسكرة بمنطقة العريش.

وخطب فيهم حيدر باشا: "حضرأت ضباط حامية العريش بل حامية جبهة مصر الشرقية.. إن مصر قادمة على أوقات يجب على بنيتها وبالأخص رجال الجندية أن يتضافروا لرفع شأن بلادهم.. ولا يمكن لمصر أن ترفع رأسها وتتباهى بأنها زعيمة الشرق إلا إذا كبر جيشها، وإننى أعلن أن هذا الجيش سيكبر ويرقى

ويزداد عدده ويستكمل عتاده ليتبوأ المكانة اللاتقة به، ويشرفه أن يكون الملك فاروق هو قائده الأعلى".

وبعد إجراء التفتيش على جميع الوحدات العسكرية بمنطقة العريش أوصى بالآتى:

أولاً - أمر بإرسال جهاز كبير للإذاعة للترفيه عن الضباط وبحث مشروع معاونة الضباط ماليًا؛ لأن الضباط الذين تحضرهم المنية كثيرًا ما يتركون وراءهم عائلات فى حاجة إلى المعاونة المادية، وإنشاء "فرقة البيع" فى ثكنات العريش رغبة فى تيسير الحصول على مستلزمات الضباط العسكرية وإعداد التزوية لتفصيل ملابسهم بأجور معتدلة.

ثانيًا - وبعد تفتيش كتيبة السيارات التابعة لسلح الحدود الملكى العسكرية برفح وسرية سلاح المهندسين، تبين له أن المراقبة الفعالة لخط الحدود تستلزم الآتى:

أ - إقامة السلك الشائك على خط الحدود الذى ينتهى عند الكيلو ٤١ حيث يدخل الطريق المرصوفة فى حدود فلسطين، فيسير فيها قرابة ٣٠ كيلو مترًا حتى بلدة العوجة، ثم يتجه غربًا نحو ١٢ كيلو مترًا حتى يقطع الحدود المصرية مرة أخرى عند نقطة العوجة المصرية، إلى جانب إجراء الإصلاحات اللازمة للأكشاك التى يقطنونها.

ب - تعزيز نقطة الحراسة ومدها بالسيارات الكافية، وذلك بأن تكون لقوة العريش مقدمة فى رفح، قوامها سرية سيارات مدرعة وسرية بنادق مشاة وفصيلة مدافع ماكينة، وما يلزم لهذه القوة من جماعات للشؤون الإدارية والخدمات^(١).

(١) لنظر الملحق رقم (٨).

جـ - شراء مخلفات الجيش البريطاني في رفح بعد جلائه من مأكينات المياه العذبة وخزاناتها وغيرها مما يلزم القوات المصرية.

يتضح من توصيات الفريق محمد حيدر باشا:

١ - حرصه على إظهار الاهتمام بضباط الجيش المصري وتوفير حاجاتهم وإعدادهم معنويًا للمهمة الملقاة على عاتقهم، وضمانًا لولائهم باعتبارهم القوة الوحيدة التي سوف يعتمد عليها الملك فاروق في تحقيق مخططة في فلسطين.

٢ - أنه وضع خطته العسكرية إلى حين انتهاء الانتداب البريطاني، بأن يستعد بتعزيز وتقوية الحدود المصرية استعدادًا للتقدم شرقًا إلى فلسطين.

وبعد الانتهاء من تفتيش جميع الوحدات العسكرية في العريش، خطب في الكتيبة التاسعة مشاة: "إنني في هذه الزيارة قد شعرت بارتياح، كما شعرت بانقباض وكان ارتياحي لما بدا لي من الروح الوثابة التي شاهدها ولمستها فيكم وفي جنودكم، أما الانقباض الظاهر ففي العدد والعناد، ولذلك قررت تشكيل لجنة من قواد ومندوبى جميع الرئاسات والأسلحة والوحدات بمنطقة العريش لبحث سبل استكمال النقص فيها من وجهة العمليات والإمدادات والتموين".

وبالفعل تألفت لجنة من الضباط المختصين من رئاسة الجيش والسلاح الجوى والبحرى الملكى والتي أنهت عملها بإعداد خطة للدفاع عن الحدود الشرقية وتناولت المواضيع الآتية:

أ - الخطة الاستراتيجية العامة للدفاع عن الحدود الشرقية.

ب - تقدير القوات اللازمة لتنفيذ هذه الخطة.

جـ - تشكيل القوات اللازمة للتنفيذ.

د - إعداد الخطط التكتيكية لتنفيذ الخطة الاستراتيجية العامة.

ولإمكان البت في هذه المواضيع رأى البدء على الفور بتشكيل جماعات منتخبة من ضباط أركان الحرب لتقوم بالدراسات التفصيلية الآتية:

أ - دراسة جغرافية وطبوغرافية لأرض سيناء، خصوصًا طرق المواصلات ومناطق الدفاع والأراضي، الصالحة لاستخدام القواعد المدرعة والأراضي الصالحة لهبوط القوات المنقولة بالجو وأجزاء الشاطئ الصالحة لعمليات إنزال الجنود.

ب - دراسة وسائل المواصلات وطاقاتها.

ج - دراسة قناة السويس ومنطقتها وتأثيرها في العمليات الاستراتيجية والتكتيكية دراسة مستفيضة.

د - دراسة تاريخ وطبائع الأهالي وقبائل منطقة الحدود الشرقية لمعرفة مدى تأثيرهم في العمليات.

ولما كانت تلك الدراسات تستلزم ما يلي:

أ - الوقوف على اتجاه السياسة العامة للدولة.

ب - الحصول على جميع المراجع من كتب ورسائل وتقارير تبحث في تاريخ وجغرافية هذه المنطقة وما يجاورها وتطورات الحوادث الجارية.

ج - الحصول على خرائط أرضية وجوية ذات مقاييس مناسبة لمنطقة الحدود الشرقية وما يجاورها.

لكن نظرًا لعدم استقرار سياسة الحكومة المصرية المتعلقة بهذا الموضوع، روى أن أسلم الحلول إعداد مشروع بتقديم مجموعة من كتيبة مشاة والأسلحة المعاونة لها، حيث يضع قائد القوة خطته التكتيكية والإدارية ويرسم سياسة تدريب قواته، وتدير رئاسة الجيش جميع حاجات هذه القوة وإعداد مشروعات لتعزيزها، وبالفعل طلب من قائد القوة اللواء أحمد محمد على الماوى - إعداد مشروع التقدم إلى لواء (غزة - بنر سبع)^(١).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٥ / س ج / ملف أ - بخصوص تأمين مصر لحدودها الشرقية - تقرير زيارة محمد حيدر باشا بناء على أمر ملكي لمنطقة العريش في ١٧ فبراير ١٩٤٨.

ويتضح من ذلك أن قرار التقدم شرقاً (غزة - بئر سبع) جاء دون علم الحكومة المصرية التي تقوم بدورها باستشارة البرلمان ليقوم بتلبية مطالب الجيش، التي تتلخص في الآتي:

أ - الحصول على العربات المطلوبة.

ب - التصرف في موقف الذخيرة .

ج - العمل على سد الحاجات الإدارية وما يلزمها من التصدقات المالية

د - تخفيف مطالب السلطات المدنية^(١).

حيث كان النقراشى باشا قد قرر في ذلك الوقت عدم الاشتراك الفعلى لمصر في الحرب؛ لأن مصر تكتفى بالمعونات الأبية والمادية لأهالى فلسطين وتكتفى بإيجاد فرق مصرية على حدود فلسطين وتوحيد الخطط، ورأيه العسكرى هو احتلال حيفا ويافا بواسطة الأمم العربية، ويقصد بذلك عدم احتلال المدينتين ولكن محاصرتهما بالمدافع لمنع وصول المراكب إلى الميناءين.. إذ كان يعتقد أنه لا فائدة مطلقاً من الدخول في الحرب وأبواب هذين الميناءين مفتوحة للإمدادات التي تصل إلى اليهود من أمريكا وروسيا^(٢).

وأيضاً من بين تحفظات النقراشى لعدم التدخل العسكرى للقوات النظامية المصرية:

١ - النقص الشديد فى أسلحة وتدريب وتنظيم الجيش المصرى.

٢ - أن القوات البريطانية تحتل قواعد فى منطقة القناة ولذلك يتعذر مجابهتها فى فلسطين، باعتبارها صاحبة الانتداب والمسؤولة عن حفظ الأمن

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / مذكرة مرفوعة من اللواء موسى لطفى من العمليات والمخابرات إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بالنيابة فى إبريل ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٢٥٨) - أحاديث حسين سرى باشا ووزير الخارجية فى أغسطس ١٩٤٩

والنظام، والاقتصار على التظاهر عسكرياً بحشد الجيوش المصرية على الحدود المصرية - الفلسطينية.

٣ - احترامه للشرعية الدولية بعدم الإقدام على أى خطوة تتعارض مع نص أو روح ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وعن ذلك يقول: "لأننا وقد قبلنا الذهاب إلى هذه المنظمة يجب أن نكون فى حدود القواعد التى تتبعها الدول عند عرض قضايا على هذه المنظمة"^(١)، حيث كان يضع فى اعتباره النتائج الدبلوماسية والحربية المترتبة على التدخل العسكرى المصرى^(٢).

على أى حال تنفيذاً لما أقرته اللجنة باستخدام القوة الموجودة بالعريش للتقدم شرقاً إلى لواء غزة (غزة - بئر سبع).

وبناء على أمر وزير الدفاع الوطنى "محمد حيدر" عقد مؤتمر لبحث سبل استكمال النقص فى وحدات منطقة العريش وسد حاجاتها من وجهة العمليات والإدارة والتمرين برئاسة موسى لطفى مدير العمليات الحربية وعضوية مندوبى رئاسة الجيش وقوات وحدات العريش، على أساس تكوين مجموعة كتيبة مشاة ومعها الأسلحة المعاونة وتناول الموضوعات الخاصة بالعمليات الحربية من حيث:

أولاً - وقاية القوة:

أ - بتأمين الشاطئ بعمل دوريات لحراسة الشاطئ باستخدام الطوافتين "الأمير فاروق"، "الأميرة فوزية"، ولكن قائد القوة أصر على ضرورة استخدام

(١) د. عابدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٦٠.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٣ مذكرة مرفوعة من وكيل وزارة الخارجية إلى وزير الدفاع الوطنى فى ٢٧ إبريل ١٩٤٨ بمناسبة ما سيقرر من شترك فرق مصرية من الجيش.

اللنشات السريعة لضمان استمرار المراقبة والوقاية، وتشكيل لجنة من الجيش والبحرية والطيران لبحث هذا الموضوع.

ب - الدفاع الجوي: رؤى أن المدفعية المضادة للطائرات كافية للدفاع عن المطار فقط، أما الدفاع الجوي عن منطقة المعسكرات فقد رؤى الاكتفاء بالتروب الثقيل المضاد للطائرات، لرفع الروح المعنوية بين القوات ومعاونة سرب طائرات السلاح الجوي الملكي في تنفيذ أمر تحريم الطيران فوق العريش.

ج - الإنذار المبكر باقتراب الطائرات: وذلك باستخدام أجهزة الرادار، وقد رؤى مضاعفة الجهود للحصول على هذه الأجهزة من الخارج.

د - مراقبة الحدود: تعزيز النقاط الموجودة ومدها بوسائل النقل الكافية وربطها بوسائل المواصلات.

ثانياً: تشكيل وتسليح وحدات القوة: باستكمال قوة سلاح الفرسان الملكي لتكون كتيبة سيارات مدرعة كاملة.

ثالثاً - أعمال المساحة:

نظراً لقلة نقط المساحة واخلو المنطقة من النقاط الشهيرة، تقرر أن يقوم القسم الجغرافى بإقامة نقط مساحة متفرقة تساعد فى أعمال المدفعية وتكليف مصلحة المساحة بطبع خرائط فلسطين مقاس ١ : ١٠٠,٠٠٠.

رابعاً - الموضوعات الخاصة بالتدريب، فقد تقرر اتخاذ التدابير الآتية:

أ - استكمال الوحدات لتدريبها الانفرادى بمحطاتها الأصلية قبل سفرها للعريش للدخول على الفور فى التدريب المشترك.

ب - ضرورة توافر العدد اللازم من الضباط ذوى المؤهلات الخاصة حسب حاجات كل وحدة.

ج - استكمال وحدات العريش للتدريب المشترك بمعسكر العريش حتى مرحلة مجموعة الكتيبة.

د - تكليف سرب السلاح الجوى بالعريش بالتعاون مع المدفعية المضادة للطائرات بقصد التدريب.

خامسًا - الموضوع الخاص بالإمدادات والتموين، تقرر اتخاذ التدابير الآتية:

أ - أن تكون الأسلحة والمعدات والمهمات ووسائل النقل في محطة العريش تامة وصالحة للعمل بصفة مستديمة، وتنفيذًا لذلك فكل قطعة لا يمكن إصلاحها بصيانة العريش تستبدل بأخرى فورًا دون إتمام إصلاحها بالورش الرئيسية بمصر.

ب - إنشاء قسم تشهيلات ونقطة بوليس حربي في القنطرة شرق.

سادسًا - الشؤون المالية وقرار اتخاذ التدابير الآتية:

أ - الحصول على التصديق بتوسيع السلطات المالية لرئيس الإمدادات والتموين.

ب - الحصول على التصديق بمنح قواد الوحدات سلطة شراء قطع غيار السيارات من السوق المحلية في حدود مبلغ معين في حالة عدم وجودها بالمخازن.

ج - الحصول على التصديق بخصم طلبات الوحدات من سلاح المهندسين على اعتماد التدريب، وقدم اللواء موسى لطفي إيضاحًا لتلك الفقرة كالآتي: "المقصود من هذه الفقرة أن تخصم تكاليف الطلبات التي تتقدم بها الوحدات بالعريش إلى المهندسين والأشغال، (مثال) إنشاء مخازن ذخيرة أو إقامة أكشاك على اعتماد التدريب باعتبار أن هذا المعسكر هو معسكر تدريب"^(١).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ملف (أ) - مؤتمر لبحث سبل استكمال النقص في وحدات منطقة العريش برئاسة موسى لطفي مدير العمليات الحربية.

يتضح من تلك الإجراءات أن الاستعدادات كانت تجرى داخل الجيش للتقدم شرقاً (غزة - بنر سبع) دون مساعدة الحكومة المصرية وبمناوبة اكتفاء ذاتي، بتكملة مرتبات الوحدات من معدات وأسلحة وأفراد على حساب باقى وحدات الجيش الأخرى، وتفسير أى خطوة لتزويد القوات الموجودة بالعريش يدخل فى نطاق استكمال النقص وسد احتياجات معسكر تدريب العريش المكلف بتأمين الحدود الشرقية لمصر.

- دراسة تاريخ وطبائع الأهالى فى المنطقة المجاورة لمصر - المنطقة الجنوبية لفلسطين - وتطورات الحوادث لمعرفة مدى تأثيرها فى العمليات الحربية:

نتيجة لإصرار بريطانيا على إنهاء انتدابها فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ وسحب آخر جندي من جنودها فى أول أغسطس ١٩٤٨، قررت اللجنة السياسية للجامعة العربية التزام جميع الأعضاء بالقرار المتخذ فى جلسة مجلس الجامعة العربية المنعقد فى عالية بلبنان ٩ أكتوبر عام ١٩٤٧ باتخاذ الاحتياطات العسكرية على حدود فلسطين، وتنفيذ المقاطعة الاقتصادية، خصوصاً مع الحكومتين الإنجليزى والأمريكى نظراً لما تتمتعان به من امتيازات نفطية فى المنطقة^(١).

فأعلنت بريطانيا على لسان وزير دفاعها: "إن بريطانيا ستواصل إرسال الأسلحة إلى الدول العربية طبقاً للالتزامات التى تفرضها عليها معاهداتها معها ولكننا مع ذلك على استعداد لإعادة النظر فى الالتزامات التى تفرضها علينا معاهداتنا مع الدول العربية إذا ظهر أن الأسلحة التى نرسلها إليها تحولت إلى فلسطين وأرسلت كميات من الذخيرة ومدافع الهاون لمصر.."^(٢).

(١) البلاغ - ٢٥ فبراير ١٩٤٨.

(٢) تقرير لجنة التحقيق النيابية فى قضية فلسطين - الملحق ب - تقرير اللجنة العسكرية رقم ٢٧ / ١١٨ أو المؤرخ فى ١٩٤٨/٢/٨ ومرفوع إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية - ص ١٣٧.

ويبدو من ذلك الإعلان المشروط من جانب بريطانيا أنها أرادت ألا تعطى فرصة للولايات المتحدة الأمريكية برفع حظر إرسال الأسلحة إلى الشرق الأوسط. وأمام تلك القرارات عمدت شركة البترول العربية الأمريكية وشركة ستاندرد أويل نيوجرسي وشركة سوكوني فاكوم إلى الضغط بشدة على وزارتي الخارجية والدفاع، بغية حمل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على تعديل سياستها، وأكدت هذه الشركات أن التقسيم يهدد بالخطر منشآت البترول الأمريكية في الشرق الأوسط والضرورة تقضى بإيجاد حل آخر لمشكلة فلسطين، وذلك بعد أن قام مستر "جيمس نرى درتش" نائب شركة البترول العربية الأمريكية برحلة دراسية في الشرق الأوسط، واجتمع مع عبد الرحمن عزام وبحث معه إمكانية تحويل منطقة تل أبيب إلى منطقة على غرار دولة الفاتيكان، وأمام حيرة أمريكا بين الأمور الآتية:-

١ - خوف الجيش الأمريكي بشأن البترول.

٢ - أصوات الناخبين اليهود خصوصًا في نيويورك التي تعد الغالبة.

٣ - خوفها من تدخل الجيش الأحمر ونشر الشيوعية في منطقة الشرق الأوسط^(١).

ظهرت بوادر تراجعها بتقديم المندوب الأمريكي اقتراحًا بتأليف لجنة خماسية من أعضاء مجلس الأمن الدائمين لاطلاع المجلس على تطورات القضية الفلسطينية وإبداء التوصيات^(٢).

وفي ظل تلك الظروف؛ تلقى القناصل العرب في القدس رسائل من اليهود يهددونهم فيها بالانتقام، لمساعدة الدول العربية لعرب فلسطين^(٣).

(١) البلاغ - ١٩ فبراير ١٩٤٨.

(٢) الكتلة - ١٣ فبراير ١٩٤٨.

(٣) الكتلة - ٢٨ فبراير ١٩٤٨.

وبناء على الاقتراح الأمريكى باتخاذ كل حكومة الاحتياطات اللازمة ومنها إرسال قوة لحراسة قنصليتها، كانت القنصلية المصرية العامة فى القدس أول قنصلية عربية ظفرت بموافقة حكومة فلسطين على إحضار قوة مصرية مسلحة للمحافظة على دارها^(١).

وعهد إلى كل من البكباشى محمد نوح من إدارة المخابرات العربية واليوزباشى عصام حلمى قيادة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا، وإلى جانب مهمة جمع المعلومات عن الحالة العامة بفلسطين فيما يختص بالأمور الآتية:

١ - الحالة التى عليها العرب فى فلسطين.

٢ - استعدادات اليهود لقيام دولتهم والنزاع العربى المنتظر.

٣ - السياسة البريطانية فى فلسطين.

وفى ٢٣ فبراير ١٩٤٨ رفعا تقريرهما عما تمكنا من جمعه، مستوفين بمعلوماتهما الأمور المطلوب التحرى عنها وقد قسما تقريرهما إلى الموضوعات الآتية:-

١ - الحالة التى عليها العرب فى فلسطين:

أ - شعور أهالى فلسطين تجاه الملوك العرب: فقد جاء فى تقريرهما أن الفلسطينيين يشعرون بحب عميق للملك فاروق ولمصر حكومة وشعباً، وقد ازداد هذا الشعور عقب التجاء المفتى لمصر على الرغم من شعورهم بأن هذه القوات جاءت لحماية الحدود المصرية؛ لكنهم كانوا يأملون بأن تتمكن من القضاء على أوكار الصهيونية، أما بالنسبة إلى شرق الأردن فلا يطمئن عرب فلسطين للملك عبد الله

(١) للكتلة - ٢١ يناير ١٩٤٨.

ولا لجيشه لأغراضه ونواياه، أما بالنسبة للعراق فيطمئن الشعب العراقي وجيشه إلى عراقي ولكنهم لا يطمنون لحكومته والوصى على العرش لقربانه وحسن تقاهمه مع الملك عبد الله^(١).

ب - القوات العربية المسلحة: كانت تقدر بنحو خمسة آلاف وكان يمكن للعرب تجنيد مئة ألف إذا وجد السلاح^(٢)، لتصميمهم على التضحية بالمال والأنفس لنصرة قضيتهم.

حيث كان يعوز العرب الأسلحة الأوتوماتيكية التى تتناسب مع أسلحة اليهود كالبرن والتومى ومدفع الماكينة وكذا الهاون، ولهذا السلاح الأثر الفعال ضد المستعمرات اليهودية المستحكمة تمامًا عن القرى والمدن العربية، ويذكر عصام المصرى فى هذا الشأن أن: "الجميع يتلطفون على الحصول عليه مهما كلفهم ذلك.. وتبيع السيدات حليها أو ترهن مصاعها لشراء الأسلحة لرجالها للذود عن حياض بلادهم ضد الصهيونيين، ورغم وصول السلاح بكميات وفيرة من مصر إلا أنه ما زال غير كاف إلى جانب سيطرة السيارات المدرعة اليهودية على الطرق التى تصل الشمال بالجنوب ومضايقه المناطق الجنوبية فالطريق الموصل من بئر سبع إلى غزة ويافا كان تحت رحمة هذه السيارات الصهيونية"، لذلك طلب اليوزباشى عصام حلمى المصرى من وزير الدفاع الوطنى أن يدبر لهم من السلاح ما يؤثر فى هذه المصفحات ويشل نشاطها، خصوصًا أن نقص الأسلحة والذخائر له أثر سلبي فى تقرير مصر فى القضية الفلسطينية من الوجهة السياسية.

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم المعلومات - مذكرة "عن شعور عرب فلسطين نحو الدول العربية".

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم الأمن - مذكرة "من مندوبها بالعريش فى ١٠ يناير ١٩٤٨".

ج - التدريب والقيادة: كان ينقص العرب التدريب والخبرة في استخدام أسلحتهم والأرض، وكان يرى عصام حلمي: "لو أشرف على تدريبهم أناس مختصون، وأمكن تدريبهم في مكان بعيد عن الاضطرابات لأمكن استغلال روحهم المعنوية وشجاعتهم الطيبة".

كذلك كان يعوز العرب التدريب على أعمال النسف والتدمير وكيفية إزالة الأسلاك الشائكة وعمل فتحات فيها، مع تخليصها من مصادم المغفل التي كانت تتواجد بها أحياناً والتغلب على تلافى الوقوع في شرك حقول الألغام.

د - عدم السرية: لأن من طبائع العرب الفخر الذي كان يسيء إليهم أحياناً، فكلما أرادوا نسف غرض من الأغراض والهجوم على إحدى المستعمرات اليهودية أعلنوا عن عزمهم ما كان يساعد اليهود بمضاعفة الاستعدادات ومقابلة المهاجمة بدفاع قوى يكسر شوكة المهاجم مع تكبيده الخسائر الفادحة؛ فيضيع مبدأ المفاجأة وتكون النتيجة فشلاً ساحقاً للعرب.

هـ - هجمات العرب: ما هي إلا أنواع الهجمات اليدوية أو الفردية التي يقوم بها العرب دون سابق تنظيم أو قيادة مفكرة منظمة؛ ما يكون سبباً في تكبيدهم الخسائر، والمفروض الاحتفاظ بهذه القوة من الرجال والأسلحة لاستخدامها في المكان والوقت المناسب واستخدام مبادئ المناورة والخداع.

و - المدن العربية: كانت غير محصنة بعكس المستعمرات اليهودية لعدم وجود الأسلاك الشائكة والألغام وأكياس الرمل اللازمة لعمل هذه التحصينات، وإنما اكتفى العرب بسد الطرق الموصلة إلى مدنهم بعمل بوابات ومتاريس على الطرق، مع تفتيش العربات والتأكد من شخصيات المارين وعمل احتياطات مؤقتة للأمن وكان هذا غير كاف.

٢٠ - استعدادات اليهود لقيام دولتهم والنزاع العربي المنتظر فقد تضمن التقرير أيضا بحث الأمور الآتية:

أ - القوات الصهيونية: تتركز في الهاجانا وعددها ما يقرب ٥٠٠٠٠ رجل مدربين أكمل تدريب، ولديهم الأسلحة الصغيرة الأوتوماتيكية كالبرن ومدفع Sten والأخير كان يصنع بئل أبيب، وجميع المستعمرات الصهيونية كانت محصنة بالأسلاك الشائكة والألغام وبعضها كان يحوى أربع نشم خرسانة مسلحة للضرب منها بالبرن، كما يوجد وسط كل مستعمرة برج مرتفع للمراقبة وبه مزاغل لعدد كبير من الأسلحة الأوتوماتيكية يلجأ إليه السيدات والأطفال في حالة الهجوم، فضلاً عن ذلك فإن جميع المنازل بدخل المستعمرة كانت محصنة بأكياس الرمل وبها مزاغل على المنافذ، على الرغم من كل هذه التحصينات فقد تمكن العرب أكثر من مرة من اختراقها، وجميع المستعمرات الجنوبية كان اتصالها باللاسلكى فقط، وفي حالة قطع هذه المواصلات أو تلفها يكون الاتصال بإشارات ضوئية متفق عليها بينها.

ب - طريقة تموين المستعمرة: كانت تزود المستعمرات بمأكل ووقود لنحو شهر، إن لم تكن أكثر، ومعظم المستعمرات بها مستلزمات من المأكل (المزارع - للرعى).

وكانت تستخدم الطائرات اليهودية في تموينها بما تحتاجه من التموينات أو الأسلحة أو الذخيرة أو الإمداد بالرجال حيث مهدت الأرض لنزول الطائرات.

وفي تلك الفترة - بعد صدور قرار التقسيم وموقف الدول العربية المجاورة لفلسطين منه - تم ترحيل النساء والأطفال من المستعمرات الجنوبية "لمنطقة النقيب" إلى بلدة تل أبيب أو خارج فلسطين، لذلك حرصت القنصليتان المصريتان بالقدس وحيفا على عدم مساعدتهن في منحهم جوازات سفر إلى القطر المصري.

كما كان يوجد بكل مستعمرة نحو ٤٠٠ من الهاجانا للدفاع عنها، ومزودة بعربات مصفحة جهزت محلياً في تل أبيب، ويتراوح عددها بين اثنين وثلاثة،

وكانت تستعمل فى إحضار المؤن والنخائر والتعيين إلى هذه المستعمرات عن طريق الجبل فى بعض الأحيان متجنباً المناطق العربية، وأحياناً أخرى كانت تسير على الطريق العام إلى حيفا وغزة.. وهذه السيارات كانت عناء شديداً لعرب الجنوب، كما اشترى اليهود كميات كبيرة من البصل من سوريا إلى تل أبيب ونقلوها كي يستعملوها فى عمل القنابل المسيلة للدموع أو الغازات الخائفة، كما كان كل يهودى يحتفظ فى منزله بكمامة واقية، وما كان يخشاه العرب هو استعمال الغازات الخائفة ضدهم وليس لديهم ما يقيهم منها.

وقام اليهود بعمل دروع من الصلب لجميع سيارات النقل التى تسير على الطرق العامة بفلسطين، خصوصاً التى تسير بين القدس وتل أبيب ويافا وحيفا والدروع على أجنابها بارتفاع رأس الجالسين بها، كما كانت توضع أمام السائق ألواح سميكة من الزجاج غير القابل للكسر تحيط بها شبكة من الأسلاك السميكة، وقد صنعت هذه الدروع بتل أبيب، أما عربات العرب فلم يجر بها تحصين، كما عمل اليهود على قطع مواصلات العرب بين القدس وجنوب فلسطين، بإقصاء العرب من منطقة الطالبية بالقدس وأرسلت إنذارات بضرورة الجلاء عنها وإلا تنسف دورهم ويقضى عليهم، وفعلاً رحل عنها عدد كبير من العرب، واليهود ليسوا بمهاجمين ولكنهم أصحاب مكر وخداع وقد برعوا فى أعمال النسف والتدمير، زد على ذلك كثرة التدريب ولا يستبعد عنهم القيام بشتى الحيل من بذل المال لضعاف النفوس أو تضحياتهم بشرفهم (استخدام النساء) نظير تنفيذ مآربهم شرطاً أن تكون بكل تكتم، وعلى الرغم من ذلك لا يجرؤ اليهود على منازل العرب وجهاً لوجه، نظراً لما لاقوه منهم من شجاعة.

وقد علق اليوزباشى عصام حلمى على تلك الترتيبات:

"وتدل ترتيبات اليهود على أن النية كانت مبيتة عندهم منذ أمد بعيد حتى يجيء اليوم الذى يتمكنون فيه من إنشاء دولة تجمع أشتاتهم، فعندما تنتظر إلى

مستعمراتهم فى جميع أراضى فلسطين تراها قد أقيمت على مرتفعات أو مواقع استراتيجية أو تكتيكية يمكنها التحكم تمامًا والإشراف على القرى وقطع المواصلات عنها".

ج - التسليح: تمكنوا من الحصول على كمية وافرة من أنواع الأسلحة الأوتوماتيكية والعادية كالحاون ٣ بوصات والبرن ومدفع الماكينة (فى المستعمرات المهمة) والتومى والاستن والبندقية والألغام والقنابل اليدوية، كما كانت لديهم طائرات تستعمل فى مهاجمة القرى العربية بإلقاء بعض أنواع القنابل عليها.

د - التدريب: أ - برعوا فى تدريبهم على أعمال النسف والتدمير تحت ستار تغيير الزى بزي عربى أو ملابس عسكرية بوليس أو جيش، ولل سيدات اليهوديات اليد الأكبر فى بعض الأوقات وذلك بوضع المتفجرات فى المكان المراد نفسه.

ب - سرقة بعض السيارات وتغيير معالمها بالمتفجرات والإتيان بها بجوار المبنى أو الجبهة المراد نسفها ثم تركها بعد إشعال الفتيل بها حتى تصيب الهدف.

ج - التضليل باستخدام أشياء يمكن إخفاء المتفجرات بها كأوعية الألبان، وكانت لديهم قوات بحرية تقوم بأعمال حراسة سفن المهاجرين وإدخالهم فلسطين باستخدام القوة عند الضرورة، كما كانت لديهم سرية جوية مهمتها الاتصال بين السرايا المتحركة على طرق النقب وأعمال الاستطلاع وربط المستعمرات المنعزلة.

٣ - السياسة البريطانية بفلسطين:

يذكر عصام حلمى: لقرار الحكومة البريطانية الجلاء.. يتم تسريح الموظفين العرب واليهود من المصالح الرسمية.. ويتم بنشاط إجلاء جميع المهمات العسكرية البريطانية من فلسطين.. فبعضها أرسل بالحملات الميكانيكية إلى منطقة فايد.. والأخرى تم شحنها عن طريق ميناء حيفا إلى قبرص ومالطة.. والبلاد فى حالة

من الفوضى تكاد تكون بلا حكومة والبوليس البريطانى والعربى لا هم له إلا المحافظة على الحملات التى تمر بين المستعمرات اليهودية أو القرى العربية، والأهالى سواء من العرب أو اليهود يحملون السلاح علنًا وعلى مرأى من رجال البوليس فى الشوارع العامة، والسياسة البريطانية تهدف إلى إنكاء نار الثورة بين العرب والصهيونيين، وبين جنود الجيش البريطانى عدد كبير يعطف على العرب ويمدونهم بالمساعدة بحكم نعمتهم على الصهيونيين".

وإزاء تلك الأوضاع المتردية فى فلسطين أرسل اليوزباشى عصام حلمى المصرى مذكرة إلى وزير الدفاع الوطنى طلب فيها ضرورة إنشاء قيادة فى الجنوب (منطقة النقب) على أن يعمل بها المصريون المتطوعون لمناسبة الجو والأرض ومشابقتها بالمناطق المتاخمة لحدود وادى النيل، وسرعة القضاء على المستعمرات الصهيونية الحديثة والمتاخمة لحدود مصر الشرقية خصوصًا أنهم كانوا يحتفظون بقواتهم وأسلحتهم ونخيرتهم للوقت الذى يروونه مناسبًا لاستخدامها فيه^(١).

وقد أسس طلبه بناء على ما توصل إليه من النتائج الآتية:

١ - حاجة العرب الماسة إلى النجدة السريعة خشية انهيار مقاومتهم وضعف روحهم المعنوية.

٢ - سيزداد نشاط الصهيونيين بتوجيه ضربات قوية إلى العرب فى منطقة حيفا والقدس لكسر الروح المعنوية، كما وضعوا الخطط لاحتلال المرافق العامة والسيطرة على البلاد عقب جلاء الإنجليز مباشرة.

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة مرفوعة إلى وزير الدفاع الوطنى من البكباشى محمد نوح من إدارة المخابرات العربية واليوزباشى عصام حلمى المصرى قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا فى ١٩٤٨/٢/٢٣.

الواقع أن المطالبة بضرورة وجود قيادة للجنوب كان أمراً ضرورياً تقتضيه أمور عدة:

أولاً: انعدام الحالة الدفاعية لعرب فلسطين عن أراضيهم:

فقد سبق أن تقدم العرب بطلب المساعدة بالسلاح من مصر، عقب صدور التقسيم وشعورهم بخطورة موقفهم وبأنهم مجردون تقريباً من كل سلاح وتنظيم، وكانت تتلخص مطالبهم من مصر:

١ - مدهم بالهاون ٣ بوصات تمكنهم من ضرب مدينة تل أبيب.

٢ - السماح بإرسال عشرة من رجالهم إلى محافظة سيناء بالعريش بحجة أنهم بوليس للمحافظة، على أن يقوم رجال الجيش المصرى بتدريبهم على استعمال الهاون ٣ بوصة.

٣ - نقل الجرحى العرب إلى الأراضي المصرية للعلاج والنقاة.

٤ - إنشاء مركز لتدريب العرب، ويقوم رجال الجيش المصرى بتدريبهم لتفتهم العظيمة بضباطه.

كما طلب الدكتور الخالدي من قنصل مصر أن يتوسط لدى حكومته كي ترسل بأسرع ما يمكن كمية من السلاح ولوازمها إلى العريش، لتتولى الهيئة العربية العليا توصيلها من الحدود المصرية إلى داخل فلسطين وتسليمها للأهالى، وبالفعل أرسل القنصل العام إلى المسؤولين بضرورة مد عرب فلسطين بالسلاح لا بالنقود، وهذا ما جاء فى نص رسالته الآتية: "إن منحت الدول العربية فلسطين نقوداً فمن أين تشتري الأسلحة ولا فائدة من أن يشتري عربى فلسطينى سلاحاً من عربى فلسطينى آخر؟! وإنما المفيد أن يشتري الأسلحة من خارج فلسطين وتتولى الدولة العربية شراءها سواء من مخلفات الجيش البريطانى أو من غيره، والاعتماد على الجيش العربى الأردنى لحماية البلاد العربية الفلسطينية التى أصبحت داخلة فى التقسيم اليهودى حسب التقسيم ولو مقابل ضم البلاد العربية الفلسطينية إلى

شرق الأردن خير من أن يصبح أكثر من أربعمئة ألف عربى. فلسطينى تحت رحمة اليهود" (١).

واستجابة لطلب عرب فلسطين وتوصية القنصل العام المصرى بالقدس أرسلت مصر فى ٣١ يناير عام ١٩٤٨ حمولة أربعة لوريات من الأسلحة والذخائر والكساوى لتسليمها إلى العرب فى العريش لإرسال إلى فلسطين.

ثانياً: انعدام الثقة المصرية بعرب فلسطين، فعلى الرغم من العطف المصرى على عرب فلسطين فإن التعامل معهم كان بحذر، بعد أن ضبطت محافظة سيناء خمسة من الأعراب منهم شخص يدعى بطرس الصاغ وكان يتجسس لحساب الحكومتين البريطانية والصهيونية (٢)، ومنهم من كان يبيع الأسلحة والأراضى لليهود، ويقوم كثير منهم بتهريب الأغنية إلى اليهود وهذه كانت تجارة رابحة لديهم، وقد حذر القائد "فوزى القاوقجى" مفوض مصر بدمشق "مصطفى السعدنى" من خطورة الاعتماد عليهم لافتقار الفلسطينيين لشخصية قوية تتولى زعامتهم، وانقسام زعماء فلسطين فيما بينهم، وتغليب العوامل الشخصية فى تصرفاتهم، ونجاح السياسة الصهيونية المرسومة لإضعاف معنويات العرب وإتلافها، ومساعدة الانتداب البريطانى للصهيونيين فى تنفيذ هذه الخطة بإحكام وعدم اهتمام الدول العربية بالقضية فى الوقت المناسب بصورة عملية (٣).

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - تقريران لقتصل مصر العام بالقدس إلى الديوان الملكى فى ٨ ديسمبر ١٩٤٧، ٩ ديسمبر ١٩٤٧.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة خاصة لجميع الوحدات وعدد الضباط وقواد الأسلحة فى يناير ١٩٤٨.

(٣) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - برقية المفوضية الملكية المصرية بدمشق - مصطفى السعدنى - فى ملحق المفوضية الملكية المصرية حول حديثه مع القائد العربى فوزى القاوقجى فى ٢٦ مايو ١٩٤٨.

لذلك اعتبر العرب بالجنوب طابورًا خامسًا ورؤى ضرورة إدخال عناصر مستنيرة تجيد اللغة العبرية سرًا بين اليهود^(١).

ثالثًا: اهتمام اليهود بمستعمراتهم القريبة من الحدود المصرية - الفلسطينية، وهذا ما ذكره القائ مقام حسين سري عامر أركان حرب سلاح الحدود الملكي في تقريره عن مقابلة تمت بينه وعبد القادر الحسيني بمكتب محافظ سيناء، حيث خرج من المقابلة بالمعلومات الآتية: "توجد أسلاك شائكة على الحدود بين مصر وفلسطين وتلي هذا منطقة مشتركة عرضها ٣ كيلو مترات بها معسكرات للجيش البريطاني، يتفرع الطريق من أبي عجيلة عابرًا الحدود مارًا بالمنطقة المشتركة ويسير داخل منطقة "الدنجور"، وعلى بعد ٣ كيلو مترات من الحدود المشتركة (٦ كيلو مترات من الحدود المصرية) كان يوجد عدد من المستعمرات اليهودية وتوجد إحداها على الطريق وهي زراعية وبها نحو ١٥٠ يهوديًا مسلحًا، كما كان يوجد في جنوبها على بعد ٣ كيلو مترات مستعمرة أخرى بها ٢٥٠ يهوديًا وعلى ٢٧ كيلو مترًا جنوبًا مستعمرة أخرى بها نحو ١٠٠٠ يهودي مسلح، ويتفرع طريق آخر من أبي عجيلة (جنوب الطريق السابق) إلى بئر سبع حيث يمتد إلى عدد من المستعمرات اليهودية والأرض بين المستعمرات منبسطة، ولكن كان يوجد مرتفع على بعد نحو ٧٠ ياردة من المستعمرتين الأوليتين يسمى جبل الدنجور.

وكان يوجد حول غزة ثلاث مستعمرات يهودية كالآتي:

أ - بيت حانون على بعد ٩ كيلو مترات من غزة.

ب - دير سيند على بعد ١٠ كيلو مترات من غزة.

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم المعلومات - مذكرة عن عقد اجتماع يوم ٣١ أكتوبر ١٩٤٧ - بالعريش بمنزل محافظ سيناء وبعض الضباط القائمين بالحركة العربية بجنوب فلسطين.

ج - هوج (سمسوم) على بعد ١٩ متراً من غزة وبهذه المستعمرات نحو ٢٠٠٠ يهودى مسلح، وجميع المصانع اليهودية حول تل أبيب.

أما الطرق: فتوجد بفلسطين الطرق الآتية وجميعها مرصوفة وتصلح لسير الحملات وهى:

رفح.. يافا / رفح.. غزة / غزة.. بئر سبع / أبو عجيلة.. بئر سبع / بئر سبع.. الخليل / الخليل.. القدس / بئر السبع.. غزة / غزة.. يافا..^(١).

رابعاً: السياسة البريطانية فى فلسطين، التى كانت تحت على النزاع المسلح بين العرب واليهود، وتغضض عنها عن سرقات يقوم بها العرب من مستودعات الأسلحة الخاصة بالجيش^(٢).

وما شجع أيضاً على الاضطراب والفوضى، تكرار إعلان بريطانيا إنهاء انتدابها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وموعد جلاء آخر فرقة من قواتها فى أغسطس ١٩٤٨ وأنها لن تقبل تدخل أى سلطة سواء تابعة للأمم المتحدة أو لأى دولة أخرى ما دام الانتداب قائماً، ومن ناحية أخرى تحركت القوات البريطانية تمهيداً لتنفيذ ما أعلنته بالجلاء من فلسطين إلى القناة سواء بالقطارات أو الحملات، وتم حصر القوات والمهمات التى نقلت فى خلال الفترة من ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧ إلى ٢ يناير ١٩٤٨ نحو ٥٦٠٦ عساكر، ٣٨٥ ضابطاً، ١٤٠٥ عربات بضاعة مشحونة جرارات وسيارات نقل وذخائر ومهمات^(٣).

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ تقرير من أركان حرب سلاح الحدود الملكى قائمقام حسين سرى عامر ١٨ فبراير ١٩٤٨ - حول مقابلته لعبد القادر الحسينى بمكتب محافظ سيناء.

(٢) محفظة رقم (١٨٥٠) - أوشيف سرى رقم ١٣٩/١٤٢ / ١ - ٣ - هيئة الأمم المتحدة - القضايا - قضية فلسطين وعرضها على الهيئة - ٢١ سبتمبر ١٩٤٧.

(٣) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم الأمن - تقرير مندوبها بالقتال.

٣ - غيار القوات الموجودة بمعسكر التدريب بالعريش كل ثلاثة أيام:

ونتيجة لهذه الظروف مجتمعة، ضعف العرب وعجزهم عن حماية أنفسهم ومن ثم عدم قدرتهم على منع تقدم اليهود إلى داخل حدود الدولة المجاورة - مصر - نظراً لقوتهم واستعدادهم، وانعدام الثقة المصرية في ولاء عرب فلسطين وأخيراً موقف بريطانيا السلبى فى إدارة انتدابها، الأمر الذى يتطلب معه تحركاً سريعاً من القيادة المصرية لحماية حدودها الشرقية بنفسها بقيام قيادة مصرية فى الجنوب ومهمتها سرعة القضاء على المستعمرات الجنوبية المتاخمة لها.

على أن مسألة قيام قيادة فى الجنوب - منطقة النقب - كان من الصعب تحقيقه فى تلك الفترة نظراً لسياسة الحكومة المصرية التى كانت ترى الاكتفاء بأخذ الاحتياطات العسكرية على الحدود المصرية - الفلسطينية، لذلك اتخذت القيادة المصرية بعض الإجراءات لحين انتهاء الانتداب، بالعمل على غيار القوات الموجودة بمعسكر التدريب بالعريش كل ثلاثة أيام على الوجه التالى: تتحرك جميع الوحدات المتحركة ومعها الأسلحة الشخصية فقط للضباط والجنود أما باقى الأسلحة والمعدات الموجودة بالعريش فتسلم للوحدات التى ستقوم بالغيار، ويسرى هذا الإجراء على جميع الوحدات عدا الكتيبتين ٦ و ٩ بنادق مشاة، تتحرك بجميع أسلحتها ومعداتنا إلى محطتها الجديدة (رفح)^(١).

يتضح من ذلك الإجراء أن ك ٦ و ٩ بنادق مشاة كان يتم إعدادهما كى تتوليا مهمة التقدم شرقاً إلى فلسطين تحت ستار غيار القوات الموجودة بمعسكر تدريب بالعريش، ويتأكد ذلك مع تطور الأحداث السياسية فى فلسطين منذ صدور التقسيم حتى دخول الجيوش النظامية، حيث لم يواكبه تصاعد من الاستعدادات العسكرية حيث ظلت قوة الجيش المصرى لم يطرأ عليها أى تغيير أو زيادة،

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٦ - أمر إدارى رقم ٣٦٤ - بخصوص غير القوات الموجود بمعسكر التدريب بالعريش فى ١٢ فبراير ١٩٤٨.

اعتباراً من ديسمبر عام ١٩٤٧ حتى مايو عام ١٩٤٨؛ عندما أعلنت التعبئة العامة وشكلت وحدات احتياطية للطوارئ^(١)؛ لأن الأمر متعلق بسرية تحركاتها سواء بالنسبة إلى الحكومة المصرية أو الملك عبد الله وبريطانيا.

لذلك جاء صدور الأمر لكل من ك ٦" بندق مشاة (رئيس أركانها جمال عبد الناصر)، وك ٩" بندق مشاة (رئيس أركانها عبد الحكيم عامر)، ك ١" بندق مشاة (رئيس أركانها زكريا محيي الدين) بدخول فلسطين عند إقرار اشتراك القوات النظامية المصرية، لأنها كانت موجودة على الحدود^(٢).

كما عقد مؤتمر بإدارة العمليات الحربية في ٢٩ فبراير عام ١٩٤٨ لبحث موضوع حراسة الشاطئ الشمالي لسيناء أمام العريش للتصدى لتسرب أى أفراد غير مرغوب فيهم عبر البحر، قد يقومون بأعمال تدمير أو خلافه للمرافق المهمة بمنطقة العريش، حيث كانت المناطق المعرضة لذلك معسكر تدريب العريش ومخازن ذخيرة قوات الجيش المصرى (بعد نقلها خارج المعسكر)، وكوبرى السكة الحديد عند وادى العريش، وقد توقع الهجوم عن طريق لنشات صغيرة ينزل منها أفراد فدائيون لعمل التخريب ضد هذه الأهداف، ومن خلال المؤتمر اقترحت أساليب عدة للمقاومة:

أولاً: يقوم سرب السلاح الجوى الملكى الموجود بالعريش بعمل طلعتين للاستكشاف يومياً، الأولى عند الفجر، والثانية عند الغسق لاستطلاع أى تحركات بحرية فى اتجاه العريش والتبليغ عنها للقوات البرية.

ثانياً: تمنع الملاحة أمام بلدة العريش لجميع السفن ومراكب الصيد فى قوس، مركزه محطة السكة الحديد ونصف قطره ٦ كم وذلك من الغروب حتى الشروق.

(١) إبراهيم شكيب: حرب فلسطين ١٩٤٨. رؤية مصرية - ص ١٥١.
(٢) عبد الوهاب بكر: الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ص ٣٨٢.

ثالثًا: تعزز قوة سلاح الحدود الملكي بالعريش بفصيلة هجانية، للقيام بأعمال مراقبة القطاع المذكور من الشاطئ حسب الاتفاق والترتيب الذي يتم بين قيادة معسكر التدريب ومحافظة سيناء.

رابعًا: تقام ثلاثة أبراج مرتفعة للمراقبة في المواضيع التي يتم الاتفاق عليها مع قيادة المعسكر ومحافظة سيناء.

خامسًا: توزع الأنوار الكاشفة التي بالعريش حيث تستطيع أداء واجبها الأصلي مع إضاءة المنطقة المحظور الملاحة فيها في أثناء الليل.

سادسًا: تتخذ رئاسة معسكر العريش اللازم لضمان الاتصال بينها وبين قوات المراقبة من الهجانة والطيران.

سابعًا: تتخذ رئاسة المعسكر بالعريش بالاتفاق مع محافظة سيناء جميع التدابير اللازمة لتشديد الحراسة حول المرافق الحيوية ومراقبة الشاطئ بالمنطقة المحرمة أمام بلدة العريش^(١).

- الموقف العربي والدولي من مصر إزاء تسليحها للمفتى:

الموقف العربي: عندما قابل طه الهاشمي نائب القائد العام لتحرير فلسطين، اليوزباشي عصام حلمي المصري قائد قوة الحراس بالقدس وحيفا في ١٥ مارس ١٩٤٨، أثار "طه الهاشمي" موضوع اتفاق مصر مع الجامعة العربية على تعهدها بإرسال ٢٠٠٠ بندقية و ٥٠ طلقة ذخيرة لكل بندقية، وأوضح أنه، للأسف، وصل منها ١٢٠٠ بندقية ووجد أنها غير صالحة للاستعمال، نظرًا لاستهلاكها وكثرة استعمالها السابق قبل إرسالها، إلى جانب مساعدة مصر الفعلية في قضية فلسطين

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ح / ١٢ - إجراءات المؤتمر المنعقد بإدارة العمليات الحربية يوم ١٩٤٨/٢/٢٩ لبحث موضوع حراسة الشاطئ الشمالي لسيناء أمام العريش.

سواء بالمال أو العتاد، إثر ذلك توجه اليوزباشى عصام حلمى المصرى" إلى المفوضية المصرية بدمشق وتحدث مع المسؤولين بخصوص الأسلحة التى أرسلتها مصر لفلسطين وأوضح حقيقة الموقف: "إن مصر قامت بتسليم العدد بحالة جيدة إلى فضيلة المفتى وتصادف أن قام أعوان فضيلة المفتى بجمع الأموال من أهالى فلسطين العرب بغرض شراء أسلحة لهم، ولما أحضر هؤلاء الأعوان الأسلحة للأهالى وجدوا الأخيرون غير صالحة للاستعمال، وطالب هؤلاء الأعوان إما بتغييرها وإما بإعادة المبالغ السابق جمعها، ولما وصل لعلم المفتى ذلك سلمهم الأسلحة السابق إرسالها من مصر واستعاد الأسلحة السابقة واحتفظ بها، ولما طالبت الهيئة العسكرية بسوريا نصيب ما تبرعت به مصر من الأسلحة لتسليمها إلى القوات التى تم تدريبها فقدم إليها الأسلحة غير الصالحة للاستعمال على أنها هى التى أرسلتها مصر.. وهكذا انتشرت دعاية سيئة لمصر وللمصريين بأن ما تطوعت به مصر من الأسلحة لإنقاذ فلسطين لم يستعمل لعدم صلاحيته مطلقاً"^(١).

وقد ثبت فيما بعد صحة ما ذكره اليوزباشى عصام المصرى إثر وقوع انفجار فى مخزن الأسلحة ببيت المفتى بالزيتون أن الحكومة المصرية قد زودته بالفعل بـ ٢٠٠٠ بندقية حديثة حتى توزع على جيش الجهاد المقدس، ولم يرسل منها سوى ١٢٠٠ بندقية واحتفظ ببقية الأسلحة فى بيته^(٢).

ويبدو أن العميد طه الهاشمى أراد الإيقاع بين الحكومة المصرية والمفتى فى تلك الفترة ليحول دون مساعدتها له عسكرياً وسياسياً، كجزء من التنافس الهاشمى العلوى، فلماذا لم ترجعها اللجنة العسكرية ما دامت عديمة الفائدة، والواقع أن إمداد المفتى بالسلاح ومساعدته هى جزء من سياسة "الملك فاروق" المناهضة لسياسة

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم الأمن - مذكرة عن تقرير مرفوع من اليوزباشى عصام حلمى المصرى قائد قوة الحراسة بالقدس وحيفا - المؤرخ فى ١٩٤٨/٣/١٥.

(٢) صلاح العقاد: قضية فلسطين - للمرحلة الحرجة ١٩٤٥ - ١٩٥٦ - ص ٥٨.

الملك عبد الله في فلسطين، وبمناخبة اعتراف بشرعية سلطة المفتى الذى يمثل غالبية عرب فلسطين، ويمكن تتبع ذلك منذ مؤتمر عالية ٧ - ١٠ أكتوبر عام ١٩٤٧ حيث ظهرت بوادر الانقسام فى المشرق العربى حول كيفية معالجة القضية الفلسطينية، فبينما اتخذت الأردن والعراق موقفاً معادياً للكيان الفلسطينى، نجد مصر والسعودية يؤيدان فكرة كيان فلسطينى وتستجيبان للدعوة التى وجهها أمين الحسينى إلى مؤتمر عالية بتأسيس جيش فلسطينى تحت قيادته، ولم يقتصر الخلاف على مبدأ الكيان الفلسطينى بل وشمل نوعية الزعامة الفلسطينية، فبينما رفضت الدولتان الهاشميتان زعامة الحسينى تبنتها مصر فى تلك الحقبة وتحفظت الحكومة المصرية إزاء المشاركة فى اللجنة العسكرية التى انبثقت عن المؤتمر^(١)، واكتفت بمشاركة موظف مدنى.

وهذا ما أكدته رسالة السفارة البريطانية إلى السكرتير الأول لحكومة الانتداب بالقدس فى أكتوبر ١٩٤٧، عندما كانت تستفسر عن المدى الذى تكون فيه مصر مهتمة بمساعدة عرب فلسطين، فأجابت : "إنه على الرغم مما يعانيه الجيش المصرى من نقص الأسلحة والمعدات، فإنه ليس مستحيلاً أن السلطات الحربية المصرية إذا دُعيت تستطيع أن تمد المقاتلين فى فلسطين بآلاف من البنادق وكمية مماثلة من ذخيرة الأسلحة الصغيرة ويمكن أن تفعل هذا بطريقة سرية، حيث أظهرت التقارير السرية أنه كانت هناك حركة مرور للأسلحة المهربة من الصحراء الغربية خلال مصر"^(٢).

(١) عبد الوهاب بكر: الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥٦ ص ٥١.
(٢) محفظة رقم (١٢) حيث رقم ٥ - مذكرة مرفوعة إلى وزير الدفاع الوطنى من البكباشى محمد نوح من إدارة المخابرات الحربية واليوزباشى عصام حلمى المصرى قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا فى ٢٣ فبراير ١٩٤٨.

أما الموقف الدولي من الإمدادات المصرية للمفتى: فقد جرت مقابلة بين سفير أمريكا وأحمد خشبة باشا في ٣ مارس عام ١٩٤٨، وقد بدأها سفير أمريكا بقوله: "إنى موفد من حكومتى لأرجو الحكومة المصرية أن تقطع معونتها عن الفلسطينيين، وإذا لبث هذا الرجاء فسيكون لفعلها أثر حسن فى بلادى وييسر لها اتخاذ ما أرجو أن يكون لمصلحة القضية؛ فأجابه أحمد خشبة باشا: "إن الصهيونيين فى فلسطين على أتم استعداد حربي ويملكون جيشاً يقدر بنحو ٥٠٠٠٠ فرد مزودين بالسلاح فى فلسطين، والجيش القائم تحت السلاح يبلغ نحو ١٥٠٠٠ جندي ولكن الصهيونيين يحتفظون بنحو ٣٥٠٠٠ فرد، وإن لم يكونوا الآن تحت السلاح فهم مدربون كامل التدريب مزودين بالأسلحة الحديثة تحت سمع الإنجليز وبصرهم، بينما كانوا فى غابة اليقظة على العرب ومنعهم من كل تدريب وجردوهم من كل سلاح، وأزيدك علماً إننا لا نرى فى قرار التقسيم خطراً على فلسطين وحدها بل وإن العرب جميعاً يؤمنون بأن فى تنفيذ هذا القرار الطامة الكبرى عليهم جميعاً وتهديداً لسلامتهم وأمنهم واستقلالهم، وليسوا هم الراغبون فى القتال وإنما ما سيفعلونه مضطرين إذ لا يجدون سبيلاً سواه، وإذا وصلهم تأكيد قاطع بالعدول نهائياً عن هذا التقسيم لوجدتهم مسارعين إلى إعادة الطمأنينة"^(١)، ويتضح من إجابة أحمد خشبة باشا أن سياسة الحكومة فى معونة عرب فلسطين ستستمر باستمرار الإصرار على تنفيذ قرار التقسيم الذى لم تقتصر خطورته على عرب فلسطين بل ويتعدى إلى أمن وسلامة الأقطار المجاورة ومن بينها مصر، ويؤكد هذا ما جاء فى تقرير اللواء الركن إسماعيل صفوت أن الحكومة المصرية سلمت فى ٢٣ مارس ١٩٤٨ (٥٠٠) بندقية وكميات لا بأس بها من العتاد^(٢)، أى بعد المقابلة بين السفير الأمريكى ووزير الخارجية المصرى.

(١) محفظة رقم (٢٥٨) - مقابلة بين أحمد خشبة وزير الخارجية المصرية وسفير أمريكا فى ٣ مارس ١٩٤٨.

(٢) تقرير لجنة التحقيق النيابية - تقرير إسماعيل صفوت فى ٢٣ مارس ١٩٤٨ - ص ١٢٩ - ١٣٠، ١٣٧.

وأمام الفشل الأمريكي فى إيقاف مساندة مصر لعرب فلسطين عسكرياً، أدلى مستر "وارن أوستن" مندوب أمريكا فى مجلس الأمن بأن "الموقف فى فلسطين يهدد السلام الدولى بالخطر، من الواجب أن يستشير المجلس المملكة المتحدة التى تعد مسؤولة عن حماية فلسطين باعتبارها دولة الانتداب.. وأن مجلس الأمن مسؤول وفقاً للميثاق عن تقرير مدى الخطر الذى يهدد السلام الدولى فى فلسطين وفقاً للمادة ٤٠ من الميثاق، ومن ثم تصدر التوصيات اللازمة الخاصة بهذه المادة بفرض العقوبات الاقتصادية أو غيرها من العقوبات غير العسكرية التى قررتها المادة الحادية والأربعون أو تتخذ التدابير العسكرية التى قررتها المادة الثانية والأربعون من ميثاق الأمم المتحدة، وعلى الرغم من أن لمجلس الأمن سلطة استخدام التدابير غير العسكرية لتسوية الحالة، فإن له كذلك سلطة استخدام القوات المسلحة متى فشلت الوسائل الأخرى غير العسكرية، وإذا ما قرر مجلس الأمن أن هناك خطراً على السلام العالمى فستكون جميع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة، أيًا كانت وجهات نظرها، ملزمة بمعاونة المجلس فى حماية السلام والقضاء على الحالة التى تهدد السلام الدولى، ومعنى هذا أن مهمة مجلس الأمن هى حماية السلام لا فرض القسمة".

وعلى الرغم من أن تقرير لجنة فلسطين الذى رفع إلى مجلس الأمن عن حالة الأمن فى البلاد لم يزعم أن ثمة تهديداً للسلام العالمى أو خرقه، فقد طالبت الولايات المتحدة من مجلس الأمن:

أولاً: قبول الخطوات التى طالبت الجمعية العمومية مجلس الأمن باتخاذها وفقاً لتوصية الجمعية العمومية فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ فى حدود سلطة المجلس.

ثانياً: تأليف لجنة تمثل مجلس الأمن تضم الأعضاء الخمس الدائمين، للنظر على الفور إذا كانت الحالة فى فلسطين تهدد السلام الدولى بالخطر.

وقرر مجلس الأمن إحالة مسألة فلسطين إلى اللجنة المؤلفة من أعضاء الدول الخمس الكبرى ولكن رفضت بريطانيا الاشتراك في أعمال اللجنة حيث أعلن مستر "كريتش جونز" وزير المستعمرات البريطانية معللاً أسباب الرفض: "إن حالة الأمن العام في فلسطين قد تفاقمت منذ صدور قرار التقسيم ويرجع إلى نشاط جماعات خارج حدود فلسطين، أما اليهود فباستمرار الهجرة غير الشرعية وتحمل البريطانيون، في محاولتهم السيطرة على الموقف، خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، ولا تستطيع سلطات الانتداب أن تسمح بفتح ميناء لدخول المهاجرين اليهود أو تمارس لجنة فلسطين مهامها أو تسمح بتأليف ميليشيات في الدولة اليهودية المستقبلية، في الوقت الذي ستظل فيه مسؤولية الأمن وإدارة البلاد ملقاة على عاتق دولة الانتداب في العمل على نقل السلطة في فلسطين إلى أيدي السلطات العربية واليهودية المحلية وذلك بتأليف قوة من رجال البوليس من رجال العرب واليهود وبنقل الإشراف على المنشآت المهمة إلى تلك السلطات"^(١).

- رد فعل مصر إزاء الموقف العربي والدولي:

أ - الإعداد للتقدم شرقاً:

واجتمع الممثلون الدائمون للدول الكبرى في مجلس الأمن من الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا والصين دون اشتراك بريطانيا وأدرج في جدول أعمالهم الأمور الآتية:

أولاً: هل هناك ما يهدد السلم العالمي في فلسطين؟

ثانياً: مشكلة تنظيم حكومة مؤقتة.

ثالثاً: تنظيم الميليشيات.

(١) السياسة - ١ مارس ١٩٤٨.

رابعاً: مسألة إرسال القوة الدولية لفلسطين^(١).

ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة شارعة في تنفيذ قرار التقسيم في ظل ستار تحقيق السلام العالمى، وكان لذلك رد فعل لدى إدارة العمليات الحربية فى التعجيل بإجراءات الإعداد للتقدم شرقاً، حيث طلب اللواء موسى لطفى مدير العمليات الحربية والمخابرات من رئيس الإمدادات والتموين إعداد الآتى:

أولاً: تجهيز مشروع لإنشاء منطقة رأس سكة حديد بالعريش بغرض التموين، مع الأخذ فى الاعتبار الأمور الآتية:

- ١ - هذه المنطقة ستقوم بتموين مجموعة لواء مشاة متقدم شرقاً.
- ٢ - تتخذ القوة الموجودة بالعريش أساساً لتكملة مرتب مجموعة اللواء.
- ٣ - عمل ترتيبات تجهيز مجموعة اللواء الخط الثانى بالعريش.
- ٤ - تعتبر محطة العريش "رأس السكة الحديد" لجمع حاجات القوة.
- ٥ - يحتفظ فى منطقة "رأس السكة الحديد" بكمية الاحتياطيات من التعيينات والمياه والخيرة والمفرقات والبتترول والمهمات والأسلحة الصغيرة والعربات تكفى لمدة سبعة أيام.

ثانياً: تبنى الخطط على أساس ترتيبات الحرب للوحدات من الأفراد والأسلحة.

ثالثاً: ترسل جماعة لاستكشاف لمنطقة "رأس السكة الحديد" بالعريش لوضع خطة توزيع الوحدات الإدارية بها، على أساس أن القوات الموجودة ستخلى معسكراتها عند التقدم على أن ترسل هذه المشروعات قبل ٢٠ مارس عام ١٩٤٨^(٢).

(١) الإخوان المسلمون - ٩ مارس ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ١٢ - رئاسة هيئة أركان حرب الجيش - إدارة العمليات الحربية - قسم العمليات - ٢ مارس ١٩٤٨ - مذكرة من اللواء موسى لطفى مدير العمليات الحربية إلى رئيس الإمدادات والتموين.

وبناء على تعليمات مدير العمليات الحربية، قدم أمين رفعت رئيس الإمدادات والتموين مشروع استكشاف منطقة رأس السكة الحديد بـ (العريش) وذلك: بتخصيص ٥ مجموعات للقيام بالاستكشاف يرمز لها بـ "أ"، "ب"، "هـ"، "و"، "ز" من بينها ك ٦ وك ٩ بنادق مشاة تعملان على إمداد مجموعات الاستكشاف بجميع حاجاتها من العربات الجيب والمهمات من الأسلحة والمهمات الملكي، على قبول الأمانة وترتجع بعد نهاية المشروع مباشرة، كما توفر لهم التعيينات والوقود والخدمات الطبية، على أن ترسل القوات المتحركة يوميات مفصلة لهذه الرئاسة عن بيان القوة وصورة منها لكل من إدارة الجيش وإدارة العمليات وسلاح خدمة الجيش الملكي^(١).

ولقد واكبت تلك الاستعدادات اتفاق الفريق "طه الهاشمي باشا" نائب القائد العام لجيش تحرير فلسطين مع اليوزباشي عصام حلمي المصري في ٩ مارس ١٩٤٨ على أن النية متجهة إلى تكليف مصر بمهمة قيادة المنطقة الجنوبية لفلسطين لواء (غزة - بنر سبع)^(٢)، خصوصاً أن قوات المتطوعين كانت تتركز في ثلاث جبهات فقط:

المنطقة الوسطى أو المثلث العربي بقيادة فوزى القاوقجي.

المنطقة الشمالية أى منطقة الخليل بقيادة الرئيس الأول أديب الشيشكلي.

المنطقة الغربية أى منطقة شفا عمر بقيادة شكيب الجركسي^(٣).

(١) محفظة رقم ٤ - ١ - ٢٦ / س ج / ١٢ - أمر إداري رقم ٣٦٥ - الموضوع "مشروع استكشاف بناء على تعليمات العمليات الحربية رقم ٤ لسنة ١٩٤٨، من أمين رفعت رئيس الإمدادات والتموين إلى مدير إدارة العمليات الحربية" اللواء موسى لطفي.

(٢) محفظة رقم (١٢) حديث رقم ٥ - إدارة المخابرات الحربية - قسم الأمن - تقرير مرفوع من اليوزباشي عصام حلمي المصري قائد قوة الحراسة بالقنس وحيفا - للمؤرخ في ١٥/٣/١٩٤٨ إلى مدير المخابرات الحربية.

(٣) تقرير لجنة التحقيق النيابية في قضية فلسطين - التقرير الثالث الذي قمنه اللواء الركن إسماعيل صفوت في ٢٣ مارس ١٩٤٨ - ص ١٣٠.

ب - قرار الاستعداد العسكري دون علم السلطات العليا - الحكومة المصرية والبرلمان - للاشتراك في العمليات الحربية في فلسطين بعد ١٥ مايو ١٩٤٨:

في ١٢ مارس ١٩٤٨ قدمت اللجنة الخماسية من الدول الصغرى (لجنة فلسطين)، والتي وافقت على التقسيم، تقريراً إلى مجلس الأمن تلقى فيه المسؤولية على الحكومة البريطانية لعدم تعاونها معها وما سببته من اضطرابات، كما ألقت باللوم على الدول العربية خارج فلسطين التي ترسل الأسلحة والمساعدات فتساعد في الاضطرابات، وانتهت إلى القول إنه في حالة عدم وجود قوات من الأمم المتحدة كافية لتنفيذ قرار التقسيم؛ فإن نهاية الانتداب البريطاني ستقترن بالاضطرابات والفوضى وإخلال الأمن^(١).

وإثر ما انتهى إليه تقرير لجنة فلسطين - وفي اليوم نفسه - طلب وزير الدفاع من اللواء موسى لطفي مدير العمليات الحربية والمخابرات عمل تقرير للموقف عن مدى تدخل الجيش المصري في فلسطين لمساعدة الدول العربية، وفي ١٦ مارس ١٩٤٨ رفع اللواء موسى لطفي مذكرة بذلك إلى كل من وزير الدفاع ورئيس هيئة أركان حرب الجيش محدداً يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ موعداً لبدء العمليات الحربية، وقد جاء فيه أن تنفيذ هذا التقرير يتوقف على عاملين:

العامل الأول: يختص بالاستعدادات التي يمكن عملها داخل الجيش دون مساعدة - السلطات العليا - الحكومة المصرية والبرلمان.

أما العامل الثاني: فيختص بتنفيذ مطالب الجيش من السلطات العليا ليكون قادراً على تنفيذ هذه العملية.

(١) صلاح العقاد: قضية فلسطين. المرحلة الحرجة ٢٩٤٥ - ١٩٥٦ ص ٥٢.

بالنسبة إلى العامل الأول، كان يرى أن الاستعدادات اللازمة بخصوصه تتلخص بحسب ترتيبها:

١ - تحديد الوحدات التي ستشارك في العمليات.

٢ - تكملة مرتبتها على قدر المستطاع من معدات وأسلحة وأفراد على حساب باقى وحدات الجيش.

٣ - قيامها بتدريب انفرادى خاص بطبيعة عملها المنتظر، وكذا بتدريب مشترك يصل إلى مرحلة الكتيبة فى محطاتها الأصلية.

٤ - تجميع هذه الوحدات فى منطقة ما فى وقت معين لتتدرب مع بعضها حتى مرحلة اللواء.

٥ - تخزين مطالب القوة الإدارية فى منطقة "رأس السكة الحديد" فى الوقت نفسه الذى تتخذ فيه الخطوات السابقة.

ولما كانت هذه الاستعدادات وإن كانت تدخل ضمن اختصاص رئاسة الجيش، إلا أنها حتماً ستحدد به عن الطريق المتبع من الوجهة السياسية فى التنظيم والتسليح والتدريب، كما أنها تستلزم مصاريف مالية إضافية وتنازل من السلطات المدنية عن بعض المساعدات التى يقدمها إليها الجيش، لذا كان من الضرورى الحصول على الموافقة للتنفيذ.

أما بالنسبة إلى العامل الثانى، وكان يتلخص فى مطالب الجيش من السلطات العليا وهى كالآتى:

١ - الحصول على العربات المطلوبة بتقدير الموقف.

٢ - التصرف فى موقف الذخيرة.

٣ - العمل على سد الاحتياجات الإدارية وما يلزمها من التصدقات المالية.

٤ - تخفيف مطالب السلطات المدنية.

ودون تنفيذ هذه المطالب يشك في مقدرة الجيش على تشكيل القوة اللازمة، كما لا يمكن دونها متابعة العمليات الحربية.

ومضى أسبوعان على تقديم تلك المذكرة وما بها من تقدير للموقف، ولم يجر أى تنفيذ لما فيه من طلبات، ولما كانت المدة الباقية غير كافية لذلك رأى ضرورة التصديق، ولو على الأقل، على ما يدخل ضمن اختصاص رئاسة الجيش وإلا أصبح تنفيذ هذه العملية غير ممكن فى الميعاد المحدد إلا بصعوبات جمة قد تعرض الخطة لتعقيد خطير.

أما فيما يختص بشأن دخول القوات النظامية المصرية إلى فلسطين فكان يرى أن يتم على الوجه الآتى:

١ - يتخذ قرار جماعى بدخول قوات جميع الدول العربية باسم "جيش القوات العربية لإنقاذ فلسطين".

٢ - توحيد القيادة ولا مانع من أن يكون الملك عبد الله مشرفاً على هذه القيادة باسم البلاد العربية، باعتبار أن جيشه موجود فعلاً بأرض فلسطين ولسابق تجربته فيها.

٣ - على كل دولة من الدول العربية أن تقدم للقيادة العامة كل ما يلزمها من جنود وعتاد فى حدود طاقتها.

٤ - يجب على جميع الدول أن تحشد قواتها التى تشترك بها فى أقرب نقطة من الحدود الفلسطينية قبل أول مايو.

٥ - فى حالة قطع الإعانة المالية عن الدولة الأردنية؛ فإن دول الجامعة العربية تعوضها بمثلها^(١).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج - مذكرة مرفوعة من اللواء موسى لطفى من العمليات والمخابرات إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بالنيابة - إبريل ١٩٤٨.

ويتضح من تقدير اللواء موسى لطفي للموقف بأنه وضع في اعتباره الأمور الآتية:

أ - إن توقيت دخول الجيش المصرى فلسطين يكون فى يوم ١٥ مايو عام ١٩٤٨، موعد ابتداء العمليات الحربية، يوافق الموعد الذى حددته بريطانيا لإنهاء انتدابها، وإعلانها أنها لن تقبل تدخل أى سلطة تابعة للأمم المتحدة أو لأى دولة أخرى ما دام الانتداب قائماً واستمرارها فى إدارة المناطق التى تحتلها قواتها؛ لأنها تعتبر من يقدم على التدخل فى وقت وجودها عملاً موجهاً إليها، لذا ينتظر كل من العرب واليهود يوم نهاية الانتداب كى ينفذ كل فريق ما أزمع عليه خصوصاً أن بعض الدول العربية مثل مصر وشرق الأردن والعراق مرتبطة معها بالتزامات بمقتضى المعاهدات المعقودة معها، ما يحرج موقفها ويفتح المجال لتدخل قوات الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وروسيا بحجة أن هناك تهديداً للسلم العالمى.

ب - وضع فى اعتباره موقف الحكومة المصرية من مسألة التدخل العسكرى المصرى فى فلسطين وانعكاس ذلك على الاستعدادات العسكرية المصرية، لذلك وضع احتمالين للاستعدادات التى يمكن عملهما داخل الجيش سواء بمساعدة السلطات العليا أو دونها مما يدخل ضمن اختصاص رئاسة الجيش، ونظراً لأهمية عامل الوقت فى إنجاز مطالب الجيش وصعوبة الحصول على تصديق الحكومة المصرية على مطالبه، رأى الاعتماد على رئاسة الجيش، وكان يرى أن أقصى ما يمكن للجيش تقديمه سواء فى الأفراد نحو ٢٢٩٢ ضابطاً أو ٤٩١٣٩ من الرتب الأخرى ومجموعة لواء مشاة (ثلاث كتائب) وعدد أفرادها ٣٠٠ ضابط و ٧٠٠ صف وعسكرى بمن فيهم الاحتياطى اللازم لهم؛ على أن يتم تسليحهم من الأسلحة الموجودة بالجيش عدا الأسلحة الآلية الخفيفة، التومى والمنفعية المضادة للدبابات عيار ١٨ رطلاً، التى لا يتيسر إعداد احتياطى كاف منها خصوصاً أن حالة الأسلحة بالجيش عموماً كانت أقرب إلى الاستهلاك من كثرة الاستخدام، وفى الوقت نفسه لا يتوافر لباقى وحدات الجيش من أسلحة سوى البندقية والرشاش البرن.

لذلك أكد اللواء موسى لطفى على ضرورة موافقة السلطات العليا لتحقيق مطالبه سواء من الذخيرة أو الاحتياجات الإدارية والمالية.

ووفق ما جاء فى الخطة العامة فيما يتعلق باشتراك السلاحين الجوى والبحرى، رأى اللواء موسى لطفى ضرورة البت فى الأمر لإعطاء قائد القوة الفرصة الكافية لوضع خطته التفصيلية بناء على ذلك الاشتراك.

لذلك عقد مؤتمر بإدارة العمليات الحربية فى ١٦ مارس عام ١٩٤٨ لتقدير موقف السلاحين الجوى والبحرى وتحديد مهامهما، حيث حددت مهام السلاح الجوى بالاستكشاف الجوى بواسطة الأسراب الأولى بطائرات سينفير ماركة ٩ والأسراب الأربعة المجهزة بطائرات "أنسون ودوف" وضرب الأهداف الأرضية بالسربين الثانية والسادسة وكانا مجهزين بطائرات سينفير ماركة ٩ وكان عدد الطائرات المستعملة بالأسراب المذكورة نحو ٢٣ طائرة.

أما السلاح البحرى الذى كان مكوناً من كاسحتى ألغام متوسطة والسفينة "الأميرة فوزية" وثلاثة زوارق نقلات ثقيلة واحتياطى سفينة "الملك فاروق" وزوارق نقلات ثقيل، فتحددت مهمته بمراقبة تل أبيب وحماية ميناء البحر المتوسط بواسطة كاسحة ألغام وإنزال نحو سريتين من الجيش ومراقبة الساحل أمام القاعدة (العريش)^(١).

ج - رأى اللواء موسى لطفى أن تولى الملك عبد الله القيادة يهدف إلى عدم توريط الجيش المصرى فى عمليات فلسطين وترك العبء على جيش شرق الأردن لجملة اعتبارات أهمها:

١ - إنه جيش منظم تنظيمًا إنجليزيًا ومسلح تسليحًا جيدًا.

(١) إبراهيم شكيب: حرب فلسطين ١٩٤٨، رؤية مصرية - ص ١٥٥.

٢ - إن بريطانيا تشرف عسكريًا وماليًا على هذا الجيش، وأنه إذا قام بعملياته قد تغمض عينيها وتعززها سرًا^(١).

ولم يكن هذا رأى اللواء موسى لطفى فقط بل ورأى اليوزباشى عصام حلمى المصرى أيضًا قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا، حيث كان يرى "وجوب الاستفادة من قوة حدود شرق الأردن التى سرحت بضم أكبر عدد منهم.. فهم أشداء البأس مدربون أحسن تدريب ويخشى الصهيونيون بأسهم ويتجنبون دائمًا الاحتكاك بهم"^(٢).

ومن ناحية أخرى إن شرق الأردن البلد الوحيد الذى ليس عضوًا فى هيئة الأمم، ويمكنه العمل بحرية دون التأثير بضغط العقوبات الاقتصادية والعسكرية^(٣).

ولما كان النقراشى باشا يعترض على فكرة دخول الجيش المصرى إلى فلسطين لمواجهة العصابات الصهيونية والاقتصار على مساعدة عرب فلسطين أدبيًا وماديًا وعلى وجود فرق مصرية على الحدود، لذلك طلب "النقراشى" مقابلة الملك فاروق عقب إصدار لجنة فلسطين قرارها فى ١٢ مارس عام ١٩٤٨ ضرورة استخدام جيش دولى فى تنفيذ قرار التقسيم، وكان النقراشى من الذين أحسوا بمأزق الملك خصوصًا أن التقارير الواردة إليه من أجهزة الدولة، بما فيها وزارة الداخلية التى يتولى أمرها بجانب رئاسة الوزارة تقول: إن هناك رأيًا عامًا فى مصر يتصاعد تأييده للقضية الفلسطينية، وإن عمليات الإرهاب التى تمارسها المنظمات الصهيونية فى فلسطين نجحت فى إثارة الكوامن من صلات وروابط، ولقت

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢١ - تقرير للقائمقام (أ. ح) حافظ بكري عن المؤتمر العسكرى الذى عقد بعمان فى أول مايو ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة مرفوعة إلى وزير الدفاع الوطنى من اليوزباشى عصام حلمى المصرى قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا فى ٢٣ فبراير ١٩٤٨.

(٣) الكتلة - ٢٨ إبريل ١٩٤٨.

نظر الملك فاروق إلى أن وزير الدفاع الوطنى الجديد محمد حيدر باشا يجرى تصرفات فى الجيش دون إبلاغه.

وبالتحديد فى ١٤ مارس عام ١٩٤٨ تمت المقابلة بين النقراشى والملك فاروق وطبقاً لما يرويه "حسن يوسف - وكيل الديوان الملكى - حول هذه المقابلة: "قال رئيس الوزراء للملك إنه جاء بطلب توجيهاته فيما يتعلق بالموقف المصرى من قضية فلسطين خلال الأسابيع المقبلة التى يبدو أنها ستكون حافلة، وكانت بداية حديثه مع الملك هو سؤاله صراحة ما إذا كان "مولانا" يتصور موقفاً تتدخل فيه القوات المصرية مباشرة فى فلسطين، ورد الملك أنه ليس فى فكره شئ نهائى، لكنه متأكد من أننا لا نستطيع أن نقف متفرجين على ما جرى فى فلسطين وهو أمر يهم مستقبلنا وأمننا".

وقال النقراشى: "إنه يفهم ذلك، وهو من انصار المساعدة بكل وسيلة إلا اشتراك الجيش رسمياً فى حرب عبر الحدود"، وأهم أسباب عدم الاشتراك رسمياً أنه فى أثناء جولات المفاوضات مع الإنجليز ومطالبتهم بالجلء، كان الإنجليز يرفضون طلبه بحجة أن ضرورات الدفاع عن الشرق الأوسط لا تسمح بوجود فراغ على قناة السويس بتركها دون حماية عسكرية، وكان "النقراشى" يرد عليهم دائماً بأن الجيش المصرى يملك القدرة والقوة لملء الفراغ على قناة السويس، وإذا (لا قدر الله) لم ينجح فإنه يسقط حجة المفاوضات المصرى تماماً.

وختم الملك قائلاً: "هل تظن يا باشا أننا نستطيع إرسال قواتنا عبر حدودنا إلى فلسطين ببساطة؟ إن القوات الإنجليزية سوف تتصدى لمنعنا من ذلك على قناة السويس، وإذا تركونا نمر من كوبرى الفردان على قناة السويس عندما نقول لهم إننا نريد فقط تعزيز القوات فى سيناء، فإنهم لن يتركونا عند رفح ولن يسمحوا بتجاوز خط الحدود وعساكرهم موجودة ناحيتنا فى سيناء وعلى باب رفح إلى فلسطين ولهم مطار كبير بجوار منطقة العوجة وهو مازال عاملاً".

وخرج رئيس الوزراء من مقابلته مع الملك وقال لحسن يوسف الذى كان يقوم بتوصيله إلى الباب الخارجى للقصر: "إن مولانا أراح بالى وأدعو الله أن يريح باله دائما"

ولم يترك "النقراشى باشا" موقفه مكتوماً، وإنما كرره فى جلسات أمام مجلسى النواب والشيوخ: "إن الجيش المصرى إلى جانب دعوة ملء الفراغ على قناة السويس غير مستعد للتدخل فى فلسطين على الأقل بسبب النقص فى الأسلحة والذخائر وما سعى إلى شرائه خصوصاً من إيطاليا - لا يكفيه لتعويض النقص"^(١).

على أن إجراء الاستعدادات دون علم "النقراشى باشا" بها، على الرغم من يقين الملك فاروق بأن هدف النقراشى حل المسألة المصرية، ويرجع ذلك إلى أن الملك فاروق كان أكثر قدرة وتأثيراً فى السياسات الخارجية عندما تكون فى السلطة إحدى حكومات أحزاب الأقلية مثل الأحرار الدستوريين أو السعديين أو الكتلة الوفدية أو الحزب الوطنى أو حكومات رؤسائها محايدين، أو من رجال القصر مثل حكومات حسين سرى أو حسن صبرى أو على ماهر، ومثال ذلك، أنه عندما قطعت حكومة حسين سرى علاقتها بحكومة فيشى دون استشارة القصر، حدثت أزمة سياسية كبيرة بينها وبين الملك انتهت بالإطاحة بهذه الحكومة التى نتج عنها حادثة ٤ فبراير عام ١٩٤٢ المشهورة.

الواقع أنه كان ملحوظاً منذ عام ١٩٢٢ أن القصر حريص، غاية الحرص، على التدخل فى المسائل الخارجية ورسم السياسات الخارجية ويتمثل ذلك، أكثر ما يتمثل، فى أن السلك الدبلوماسى كانت تتم تعييناته من خلال القصر.

فى حين كان يقيد سلطة القصر فى الوصاية على السياسة الخارجية، وجود حكومة غالبية من الوفد التى كانت ترفض أى وصاية من جانب الملك، على الرغم مما كان يثيره الملك من صعوبات بشأن السياسة الخارجية وعلى سبيل المثال، حينما أقامت حكومة النحاس عام ١٩٤٣ علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى،

(١) محمد حسنين هيكل: العروش والجيش - ص ٤٧ - ٤٩.

قدم القصر احتجاجات على أساس أن هذا الإجراء دون استشارته، غير أن الحكومة الوفدية لم تبال بهذه الاحتجاجات، كذلك قيد التدخل البريطاني سلطة القصر في الوصاية على السياسة الخارجية المصرية^(١).

ولا شك أن النقراشي قد تحمل الكثير من تصرفات القصر خلال عهد وزارته الثانية، ويذكر التاريخ منها:

تعيين "إبراهيم عبد الهادي" وكيل الهيئة السعدية رئيساً للديوان دون استشارة رئيس الحكومة، وتعيين "كريم ثابت" مستشاراً للإذاعة رغم معارضة النقراشي، ولجوء الأمير عبد الكريم الخطاطبي في أثناء عبور الباخرة الفرنسية التي كانت نقله في قناة السويس في أول يونيو عام ١٩٤٧ إلى "حمى الفاروق"، ما أغضب الحكومة الفرنسية وكان لجوء الرجل إلى "حمى الفاروق" قد تم تدبيره دون استشارة النقراشي وموافقة.

لكن حدة الخلاف بين القصر والنقراشي ما لبثت أن خفت وتلاشت عندما أعلن النقراشي في ٢٧ يناير عام ١٩٤٧ عرض قضية البلاد على مجلس الأمن، وما شهدته فترة ما بعد عرض القضية من عطف الملك، ووجه إليه الأمر الملكي التالي: "لقد أدبت واجبك وكل ما في وسعك وقد سجل التاريخ سعيك واسمك في خدمة مصر، وإذا قام كل مصري بواجبه كما قمت لأدركت البلاد غايتها وحقت مطالبها"^(٢).

وبعودة المفاوضات مرة أخرى أجرى القصر تعديلاً وزارياً تولى فيه النقراشي باشا الرئاسة والمالية والداخلية وأحمد خشبة باشا تولى الخارجية، تأكيداً على تمسك القصر وبريطانيا بالنقراشي تغادياً لعقبة الوزارة القومية^(٣).

(١) د. عائدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٩.

(٢) د. سيد عبد الرزاق يوسف عبد الله: محمود فهمي النقراشي ودوره في السياسة المصرية وحل جماعة الإخوان المسلمين ١٩٤٨ - ص ٤١٦.

(٣) الكتلة - ٩ فبراير ١٩٤٨.

- تولى مصر القيادة الجنوبية للمتطوعين في فلسطين وأسبابها:

أولاً: المعاهدة الأردنية - البريطانية في ١٥ مارس ١٩٤٨:

بإصدار "لجنة فلسطين" قرارها في ١٢ مارس ١٩٤٨ - نتيجة للاضطرابات التي وقعت بفلسطين بضرورة وجود قوات من الأمم المتحدة لتنفيذ قرار التقسيم منعاً للاضطراب والفوضى والإخلال بالأمن التي تعقب نهاية الانتداب - سارع كل من شرق الأردن وبريطانيا في توقيع معاهدة دفاع مشترك في ١٥ مارس ١٩٤٨، ومدتها ٢٠ عاماً بعد فترة من المباحثات بدأت عقب صدور قرار التقسيم حيث سافر الوفد الأردني الذي يضم توفيق أبو الهدى وفوزي الملقى والأمير عبد المجيد حيدر إلى لندن، وعاد الوفد الأردني إلى عمان، يحمل مشروع المعاهدة لعرضها على المجلس النيابي الأردني الذي أقرها وتم توقيعها في ١٥ مارس ١٩٤٨، إذ وقعها كل من توفيق أبو الهدى والسير الكسنجر كركبرايت وزير بريطانيا المفوض في عمان^(١).

وعلق الملك عبد الله على توقيعها بقوله: "معاهدة شرف وكرامة وصدقة"^(٢)، وقد نظر الملك فاروق إلى المعاهدة باعتبارها حدثاً عاماً وليس حدثاً داخلياً يخص شرق الأردن وإنما لها تأثيرها أيضاً في مصر، حيث تعنى إيذاناً ببداية تنفيذ الملك عبد الله لمشروعه بضم القسم العربي إلى مملكته، فقد اشتملت المعاهدة على مواد سياسة وعسكرية ضارة لمصر، منها المادة الأولى: يتعهد فيها كل منهما ألا يتخذ أحدهما إزاء الدول الأجنبية موقفاً لا يتفق مع التحالف القائم مع الطرف الآخر، أو أن تكون من شأنه إثارة مصاعب له ما يعنى توافق السياسة الخارجية لشرق الأردن وبريطانيا. والمادة الثانية: يؤلف لمصلحة الدفاع المشترك بين الطرفين المتعاقدين مجلس استشاري مشترك دائم مهمته:

(١) د. محمد عبد المنعم عامر: من مشكلات اليوم.. الملك عبد الله وأطماعه غير المشروعة في

سوريا وفلسطين - ص ٢٥.

(٢) المقطع - ٢٥ مارس ١٩٤٨.

أ - رسم الخطط المتفق عليها لصالح البلدين من الوجهة الاستراتيجية.

ب - التشاور فوراً في حالة خطر يهدد بحرب.

ج - التشاور بشأن التدريب والإمداد بالعتاد^(١).

ويتضح من ذلك أن القرار الذي اتخذته بريطانيا بعرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة ونهاية الانتداب لا يعنى عدم قدرتها على مواصلة سياستها الاستعمارية في الشرق الأوسط وتخليها عن مستعمراتها وممتلكاتها، بل يعنى تخليها عن أساليبها العتيقة وتحولها إلى سياسة جديدة، فجندت جميع العناصر الرجعية للوصول إلى هدفها وتنفيذ سياستها، فشنت حملة كبيرة تحت إشراف البريجادير كلايتون رئيس المخابرات الإنجليزية للعمل على توسيع شقة الخلاف بين العرب واليهود^(٢).

ونشط البريجادير كلايتون عقب صدور قرار التقسيم، وأصبح يحلو له العمل دائماً في البلد الذي يجتمع فيه ممثلو الدول العربية - اجتماعات عالية وصوفى ودمشق وبغداد وعمان - ولوحظ أن وجوده يصحبه دائماً الاختلاف في وجهات النظر، وإذا تعذر حضوره الاجتماعات لجأ إلى المقابلات الخاصة في عمان والقاهرة وبغداد، والأدهى أنه يتجسس لحساب الصهيونيين ويتقابل في فلسطين مع رئيس الدعاية الصهيونية^(٣)، وقد توافق ظهوره مع بداية اتخاذ الدول العربية قرارات عسكرية خاصة بدخولها فلسطين، تشكيل الحكومة البريطانية جيشاً عربياً جهزته بالأسلحة والأموال لغزو فلسطين واحتلالها عقب جلاء القوات البريطانية، متمثلاً في جيش الملك عبد الله - اللواء العربى - تحت إشراف جلوب باشا^(٤).

(١) الإخوان المسلمون - ١٨ مارس ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ٢٠ مارس ١٩٤٨.

(٣) الكشكول الجديد - ٢٢ ديسمبر ١٩٤٧.

(٤) البلاغ - ٢٠ مارس ١٩٤٨.

ويذكر كلايتون في رسالة له للسفير البريطاني في القاهرة عن خطة الأردن لاحتلال القسم العربى من فلسطين عقب جلاء القوات البريطانية عنها حيث يقول: "حينما لمحت إلى خطر نشوب حرب ثالثة متسائلاً عن مدى استعدادهم للمساهمة فى المجهود الحربى المنتظر من خلال منحنا قواعد حربية فى بلادهم ومنح قواتنا حق المرور والإقامة فيها، وأوضحوا عدم استطاعتهم ذلك، وقد لمست من أحاديثى مع رئيس وزراء شرق الأردن أن له رأياً مخالفاً لرأى رؤساء حكومات البلاد العربية فى مسألة تقسيم فلسطين وأدلى باقتراحات يرى أنها لو نفذت لأمكن تنفيذ قرار تقسيم فلسطين دون أن تعترض البلاد العربية وتحتفظ بريطانيا بمراكز استراتيجية فى شرق الأردن وفلسطين ومن ثم إرهاب سوريا ولبنان وجعلهما خاضعتين لنفوذنا.. وترمى الاقتراحات التى صرح بها رئيس وزراء شرق الأردن إلى أنه عندما يتم جلاء القوات البريطانية عن فلسطين تنفيذاً لقرار هيئة الأمم تتسحب معها القوات الأردنية فى فلسطين ويقدم الضباط الإنجليز استقالتهم ويعتزلون العمل رسمياً فى الجيش على أن يبقوا فى البلاد.. ومما لا شك فيه أن الثورة ستشدد فى فلسطين وسيتدفق عليها المتطوعون من جميع البلاد العربية، عندئذ تعلن الحكومة الأردنية قرارها الذى يقضى بزحف القوات الأردنية على فلسطين بحجة تخليصها من الصهيونيين، ولا شك أن الجيش الأردنى مدرب تدريباً حسناً فمتى اخترقت قواته أراضي فلسطين فمن المعقول أن ينضم إليه المتطوعون الذين سيكونون خاضعين لرئاسة الجيش الأردنى، مما تقدم يتبين أن تنفيذ الشرط الأول من اقتراح رئيس الوزراء الأردنى، لن يثير رغبة البلاد العربية، أما فيما يختص بالقسم الثانى من الاقتراح فيرمى إلى أنه كلما تم لهذه القوات احتلال بلدة من بلدان فلسطين يعلن ضمها إلى المملكة الأردنية وستعمل القوات الأردنية جاهدة على احتلال البلاد التى تقع فى القسم العربى وستحاشى مهاجمة القرى اليهودية، وأنها ستقوم من وقت لآخر بهجمات خفيفة على هذه القرى لمنع الشبهات عنها، وعندما يتم احتلال المنطقة العربية من فلسطين فإن الحكومة الأردنية ستقوم بالاتصال

بزعماء اليهود في فلسطين لحليم على تقديم الضمانات الكافية بعدم محاولة توسيع دولتهم أو الإغارة على القرى العربية المتاخمة لمنطقتهم^(١).

ويؤكد هذا الاتفاق ما صرح به مفتي فلسطين لكامل عبد الرحيم وكيل وزارة الخارجية المصرية حول موقف شرق الأردن من المسألة الفلسطينية بأن الملك عبد الله يتبع سياسة ظاهرة هي معارضة التقسيم ومسايرة دول الجامعة في قراراتها في هذا الشأن، وسياسة خفية ترمى إلى موافقته على التقسيم بشرط أن يضم إلى مملكته الجزء العربي حيث حلم بتوسيع رقعة ملكه وأنه على اتصال باليهود، وقد وصل إلى علمه أن قائد الجيش الأردني في جنوب فلسطين أقام حفل شاي دعا إليه رؤساء بلديات هذه المنطقة وبعض الوجوه والأعيان وقد قام قائد عام الجيش العربي بنفسه في ركب عسكري برحلة في جنوب فلسطين زار من خلالها رؤساء البلديات، وعرض عليهم أن يرسل للقتال معهم ضابطاً وضباط صف وجنوداً أردنيين مجهزين بكامل ما يلزمهم من السلاح، كما أبلغهم أنه على استعداد لإرسال ما يطلبونه من أسلحة وعتاد، وعقب انتهاء الرحلة تقدم ضابط أردني يدعى "راضى" ومعه اثنان من ضباط الصف إلى اللجنة القومية بيافا عارضاً نفسه ومن معه للتطوع في صفوف المجاهدين ولكن قائد المنطقة لم يقبلهم، ورأى المفتي في ذلك نذيراً واضحاً عن نيات شرق الأردن في احتلال فلسطين الجنوبية الغربية وأن حكومة شرق الأردن ما كانت لتستطيع الإقدام على مثل هذا العمل دون أن تكون مدفوعة في ذلك بالبريطانيين الذين يرون أن من مصلحتهم توسيع رقعة هذه المملكة التي يتمتعون فيها بالنفوذ والقواعد الحربية^(٢). ثم تلا ذلك تقدم شرق الأردن بطليها للانضمام إلى عضويتها.

(١) البلاغ - ٧ مارس ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - وزارة الخارجية - مكتب وكيل الوزارة - مذكرة حول مقابلة بين كامل عبد الرحيم وكيل الوزارة بمنزله ومفتي فلسطين - عن شؤون فلسطين وبخاصة موقف شرق الأردن من المسألة الفلسطينية - القاهرة - ١٦ مارس ١٩٤٨.

ولأن الملك، طبقاً للدستور، يباشر سلطته بواسطة وزرائه^(١)، نشطت وزارة الدفاع للنظر فى مدى تنفيذ الملحوظات والنقص فى وحدات العريش ومن بينها: ك ٦ بندق مشاة وهى ضمن الكتائب المعدة لدخول فلسطين عند التقدم شرقاً، ونظراً لضرورة سرعة ترحيل عربات إلى ك ٦ بندق مشاة، أرسل أمين رفعت رئيس الإمدادات والتموين أمراً إلى كل من قائد قسم القاهرة ومدير سلاح خدمة الجيش الملكى ومدير سلاح الأسلحة والمهمات الملكى ومدير سلاح الصيانة، بترحيل هذه العربات بحيث تتواجد فى العريش يوم ٢٠ مارس وقيام ضابط من السلاح مع هذه العربات لتسليمها للكتيبة^(٢).

ويتضح من هذه الإجراءات، مدى الاستعدادات التى كانت تجرى داخل الجيش دون مساعدة السلطات العليا - الحكومة المصرية - وذلك بتكملة مرتبات الوحدات على قدر المستطاع من معدات وأسلحة وأفراد على حساب باقى وحدات الجيش وتحديد الوحدات التى تشترك فى العمليات الحربية خصوصاً الاهتمام بـ ك ٦ بندق مشاة، ويتم ذلك ضمن التغيير المعتاد للأسلحة والعربات المرحلة.

ثانياً: التراجع عن التقسيم إلى الوصاية:

فى ١٩ مارس عام ١٩٤٨ وافق مجلس الأمن على مشروع القرار الأمريكى بإلغاء قرار التقسيم ما دام بدا واضحاً أن قرار الجمعية العامة للتقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ لا يمكن تنفيذه بالطرق السلمية وأن مجلس الأمن ليس لديه الاستعداد لتنفيذه، لذلك أوصى المجلس:

(١) حسن يوسف: القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ - ١٩٥٢ - ص ٦١.
(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ١٢ - رسالة من أمين رفعت رئيس الإمدادات والتموين إلى قائد قسم القاهرة ومدير سلاح خدمة الجيش الملكى ومدير سلاح الأسلحة والمهمات الملكى ومدير سلاح الصيانة الملكى - خاص بترحيل عربات إلى ك ٦ بندق مشاة بالعريش - ١٦ مارس ١٩٤٨.

أولاً: بفرض وصاية مؤقتة على فلسطين تحت وصاية المجلس.

ثانياً: عقد جلسة خاصة للجمعية العامة.

ثالثاً: إلى أن تعقد هذه الجلسة يجب أن تصدر تعليمات إلى "لجنة فلسطين" لتوقف جهودها لتنفيذ مشروع التقسيم.

رابعاً: دعوة العرب واليهود إلى إجراء هدنة في فلسطين.

خامساً: مناشدة بريطانيا البقاء كدولة منتدبة تحت إشراف الأمم المتحدة إلى حين التوصل إلى حل نهائي لقضية فلسطين^(١).

وقد دعم هذا القرار ما جاء بتقرير لجنة فلسطين في ١٢ مارس ١٩٤٨ بأنها لا تستطيع تنفيذ القرارات إلا إذا زودها مجلس الأمن بجيش دولي لفرض سلطتها في الأرض المقدسة^(٢).

وتشير جريدة التايمز إلى أن المستر مارشال وزير الخارجية أبلغ لجنة العلاقات الخارجية أن أمريكا أيدت التقسيم من قبل لتقنها في أن العرب واليهود سيقبلان الموقف الجديد دون أي ضغط خارجي، وقد ثبت أن هذا لم يكن صحيحاً، وبدأ أن تنفيذ التقسيم سيتطلب قوات عسكرية كبيرة وهذا معناه أن تنفيذ التقسيم يتطلب ضرورة اشتراك القوات الروسية، وأن التجارب الدولية أثبتت أن القوات الروسية عندما تدخل مكاناً ما فإنها تميل إلى البقاء، فيه وأن هذا لو حدث فلا بد من أن يزيد الضغط على تركيا واليونان وعلى آبار البترول العربية، ما اضطر الولايات المتحدة إلى تغيير سياستها بشأن التقسيم^(٣).

كما وصرح متحدث أمريكي بأن مجلس الأمن لا يستطيع تنفيذ مشروع القسمة لأن "لجنة فلسطين" التي ستنفذ المشروع ليست حكومة شرعية في الأرض

(١) محمد فائز القصرى: قضية فلسطين. وثائق فلسطين - ص ٩٢١.

(٢) الكتلة - ١٣ مارس ١٩٤٨.

(٣) البلاغ - ٢٣ مارس ١٩٤٨.

المقدسة، أما وصاية الأمم المتحدة فستكون بمثابة حكومة شرعية وعلى ذلك يمكن تنفيذ القسم، وأن الدول الوصية أو هيئة الأمم نفسها هي التي سوف تتولى أمر التنفيذ إذا أصبحت حارسة على فلسطين. ومن ثم تهدف أمريكا من الوصاية المؤقتة عقد هدنة عسكرية وأخرى سياسية بين العرب واليهود^(١).

ويقوم المشروع الأمريكي إلى حد كبير على أساس المشروع الخاص بالوضع النولي لمدينة القدس، بإخضاع فلسطين لانتداب ٥٧ دولة هي أعضاء هيئة الأمم المتحدة، خصوصاً أن الاتحاد السوفييتي لم يكن ممثلاً في هذا المجلس (الوصاية) على اعتبار عدم قانونية أو شرعية هذا المجلس من وجهة نظره.

أما الخطوط الرئيسية للمشروع فتتلخص فيما يلي:

- ١ - تعيين حاكم لفلسطين له سلطة تنفيذية، ويخضع لإشراف مجلس الوصاية التابع لهيئة الأمم المتحدة.
- ٢ - تشكيل مجلس للإدارة يتكون من الموظفين الذين يرى الحاكم تعيينهم كالكسريز الأول، والمالي، والنائب العام.
- ٣ - من حق الحاكم أن يكون قوة بوليس خاصة للمحافظة على الأمن في فلسطين.

على أن هناك ثلاث نقط لم تحدد في المشروع:

- ١ - الهجرة.
- ٢ - الحكم الذاتي المحلي.
- ٣ - الحالة الاقتصادية في فلسطين ككل.

(١) المقطع - ٢٣ مارس ١٩٤٨.

وتبقى مسألة الهجرة حبر عثرة في المشكلة الفلسطينية. خصوصاً إن كان هناك ميل بأن يسمح لخمسـة آلاف يهودى بالهجرة إلى فلسطين شهرياً فى خلال ذلك العام ثم يعاد النظر بعد ذلك فى سياسة الهجرة بصفة عامة.

أما الحكم الذاتى فيكون من خلال تشكيل وحدات محلية للحكم الذاتى تتمتع بسلطات واسعة فى الإدارة المحلية، وأن يظل النظام الاقتصادى الذى وضعه البريطانيون معمولاً به مع تغيير مهم هو أن ترتبط فلسطين بالاقتصاد الدولى بدلاً من ارتباطها بالكتلة الإسترلينية^(١).

ويهدف المشروع إلى منح الوصاية لثلاث دول من دول الغرب واستبعاد روسيا وبذلك يكون للولايات المتحدة النصيب الأكبر فيها ولبريطانيا وفرنسا على أن تستمر هذه الوصاية مدة خمس سنوات، بعد أن حاولت الولايات المتحدة إقناع بريطانيا بالبقاء بدفع نفقات الاحتلال البريطانى فى فلسطين؛ لكن بريطانيا عارضت ذلك^(٢)، وترى روسيا أن تراجع أمريكا كان من أجل الحصول على البترول والقواعد العسكرية فى الشرق الأوسط^(٣)، حيث أعلن المستر هارولد إيكس وزير الداخلية: "أن الزيت سوف يعوز الولايات المتحدة بعد خمسة عشر عاماً"^(٤) فضلاً عن أن فلسطين بقعة استراتيجية ذات تأثير فى حوض البحر المتوسط^(٥).

وعبر محمود فوزى بك - مندوب مصر فى الأمم المتحدة - عن موقف مصر من تلك الوصاية الدولية على فلسطين: "لا يمكن أن يسلموا بتقسيم فلسطين

(١) البلاغ - ٣ إبريل ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ٨ إبريل ١٩٤٨.

(٣) الشمس - ١٩ إبريل ١٩٤٨.

(٤) البلاغ - ٢٠ مارس ١٩٤٨.

(٥) الأهرام - ١٨ يونيو ١٩٤٧.

مهما وضع هذا القرار فى قالب معسول فلا فارق بين أن تشطر البلاد إلى شطرين أو تقسم إلى أجزاء صغيرة^(١)، ثم تقدم فارس الخورى مندوب سوريا - بطلب باسم الدول العربية إلى مجلس الأمن بطلب وصاية الدول العربية على فلسطين لكونها متاخمة لها ثم للروابط التى تربطها بها من جهة أخرى، لحين البت فى الأمر من قبل مجلس الأمن^(٢).

وأيد الهدنة فى فلسطين بشروط:

١ - حل جماعات الهاجانا، ارجون، شتيرن الصهيونية.

٢ - وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقفا تاما.

٣ - إجلاء الصهيونيين الذين دخلوا فلسطين بطريقة غير شرعية^(٣).

ويرجع طلب الولايات المتحدة إلى عقد هدنة نتيجة لحصار قوات الفلسطينيين والمجاهدين للقدس الجديدة ومنعهم الماء والزاد، وكانت عزائم اليهود تشير إلى الضعف والانهيار فتقدمت جموع اليهود إلى مستر ترومان طالبة بالتدخل^(٤).

ثالثاً - إعلان لجنة فلسطين تواصل عملها لتأليف حكومة يهودية:

يعهد إليها الحكم فى الدولة اليهودية فى فلسطين عند انتهاء الانتداب حيث إنها تعارض قرار الوصاية الذى يعد إقراره بمثابة إلغاء عمل اللجنة الخماسية التى تعمل على إقرار التقسيم^(٥).

(١) الإخوان المسلمون - ٢٥ مارس ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ١٣ إبريل ١٩٤٨.

(٣) الكتلة - ٢٠ مارس ١٩٤٨.

(٤) صالح مسعود أبو بصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن - ط ٢ - دار البيادر - ١٩٨٨ - ص ١٤٠.

(٥) الكتلة - ٣٠ إبريل ١٩٤٨.

رابعاً - شروط الوكالة اليهودية لقبول الهدنة:

إلا إذا عقدت طبقاً لمشروع التقسيم الذى قرره الجمعية العمومية^(١)، وأصدرت الوكالة اليهودية قرارها برفض قرار إلغاء التقسيم الذى صدر فى ٢٤ مارس عام ١٩٤٨ الذى ينص على: "إن الوكالة تعلن رفضها لأى اقتراح من شأنه تأجيل أو منع إقامة الدولة اليهودية، ولذلك فإنها تعترض على نظام الوصاية وتطلب أن يعترف بها كحكومة إسرائيل بحيث ينتهى الانتداب فى موعده المحدد ١٥ مايو وتتداول الدولة مع المنظمة على هذا الأساس"^(٢).

خامساً - إحياء اليوزباشى عصام حلمى المصرى قائد قوة الحراسة:

سبق أن طلب اليوزباشى عصام حلمى المصرى قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا من خلال مذكرة أرسلها إلى وزير الدفاع الوطنى نتيجة للاستعدادات التى يقوم بها الصهيونيون لمواجهة ما قد ينشب بينهم والعرب من نزاع مسلح، بضرورة تعيين قائد عام مصرى للجبهة الجنوبية من فلسطين - منطقة النقب - لخطورة هذه الاستعدادات على أمن مصر وأنه يجب التصدى لها خارج مصر فى داخل حدود فلسطين على أن يعمل بها المصريون المتطوعون لمناسبة الجو والأرض ومشابهتهما بالمناطق المتاخمة لحدود وادى النيل من أجل سرعة القضاء على المستعمرات الصهيونية الحديثة والمتاخمة لحدود مصر الشرقية^(٣).

ونتيجة لما سبق ذكره، تولت القيادة المصرية الجبهة الجنوبية لفلسطين فى ٢٣ مارس ١٩٤٨ فى أثناء افتتاح مجلس الجامعة العربية فى دورته الثامنة فى بيروت^(٤)، والتى تولاها عبد الواحد سبل بك - أحد مديرى العمليات الحربية

(١) الكتلة - ١٩ مارس ١٩٤٨.

(٢) محمد فائز القصرى: قضية فلسطين وثائق فلسطين - ص ٩٢٣.

(٣) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة مرفوعة إلى وزير الدفاع الوطنى من البكباشى محمد نوح من إدارة المخابرات الحربية - واليوزباشى عصام حلمى المصرى قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا فى ٢٣ فبراير ١٩٤٨.

(٤) تقرير لجنة التحقيق النيابية فى قضية فلسطين - التقرير الثالث الذى قدمه اللواء الركن إسماعيل صفوت فى ٢٣ مارس ١٩٤٨ - ص ١٦٩.

السابقين وهي تشمل غزة - بنر سبع وكان يعاونه القائد العراقي عبد الحق الغزاوي^(١).

كما عقد مؤتمر برئاسة هيئة أركان حرب الجيش في ٢٠ مارس ١٩٤٨ لبحث استكمال الوسائل الإدارية لقوات العريش برئاسة عثمان الميذي.

وتقرر فيه أن تقوم العمليات الحربية بالاشتراك مع إدارة الجيش ببحث حراسة معسكر ك ٦ المشاة بقصد إرسال أكبر قوة منها إلى العريش، على أن يبحث المهندسون والأشغال من ذلك الوقت ما يحتمل طلبه من مهمات لإصلاح الكبارى على طرق التقدم داخل فلسطين (طريق رفح - غزة - الموجة - بنر سبع)^(٢).

كما قرر رئيس هيئة أركان حرب الجيش ضرورة تمثيل كل من رئاسة الإمدادات والتأمين وإدارة العمليات الحربية، بتعيين مندوب من كل منها لمساعدة رئاسة القوات بالعريش في كل ما تصادفه من عقبات، وقد استقر الرأي على وجود ضابط من كل من هاتين الإدارتين بالعريش، على أن يصير تغييرها من آن لآخر، ويبدأ في تنفيذ هذا البرنامج اعتباراً من ٣ إبريل ١٩٤٨^(٣).

(١) المقطع - ٢٤ مارس ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ١٢ - قرارات المؤتمر المنعقد برئاسة هيئة أركان حرب الجيش في ٢٠ مارس ١٩٤٨ لبحث استكمال الوسائل الإدارية لقوات العريش.

(٣) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ١٢ - مذكرة من رئاسة أركان حرب الجيش إلى مدير مكتب الدفاع الوطني في ٢٧/٣/١٩٤٨.

الفصل السابع

موقف القصر من التدخل العسكرى العربى فى فلسطين

- موقف القصر من إقرار التطوع فى ظل جامعة الدول العربية:

- ١ - البيان الذى ألقاه إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى على رؤساء الوفود العربية.
 - ٢ - تكليف المقدم أحمد عبد العزيز باستكشاف المنطقة الجنوبية لفلسطين تمهيداً للتقدم.
- موقف القصر من الاجتماعات العسكرية العربية ووضع ترتيبات دخول الجيوش النظامية العربية لإنقاذ فلسطين:
- اجتماع عمان وقرار تولى الملك عبد الله قيادة جيش التحرير العربى ورسالة الملك عبد الله للملك فاروق.
- اجتماع الزعفران:

- أ - قرار التدخل العسكرى للمتطوعين المصريين تحت قيادة الملك عبد الله.
- ب - استكشاف المقدم أحمد عبد العزيز للمنطقة الجنوبية حربياً وإدارياً وسياسياً وتوصياته.

- المؤتمر العسكرى الأول - ١ مايو ١٩٤٨ - بعمان "قصر الرغدان" - وقرار الاشتراك بقوات نظامية عربية ما عدا القوات المصرية كقوات متطوعة، ورسالة الملك عبد الله للملك فاروق لتعيين قائد عام مصرى لجميع القوات المسلحة للدول العربية.

- اجتماع دمشق ١٠ مايو ١٩٤٨:
- تقدم قوات المتطوعين المصريين في فلسطين لعمل ستارة أمام القوات النظامية المصرية:
- أ - معركة كفار ديروم ١١ مايو ١٩٤٨.
- ب - عدم قبول أحمد عبد العزيز فكرة الانضمام إلى الجيش المصري عند دخول فلسطين.
- ج - موقف الملك عبد الله من قرار تدخل الجيش المصري.

- موقف القصر من إقرار التطوع فى ظل جامعة الدول العربية:

١ - البيان الذى ألقاه إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى على رؤساء الوفود العربية:

فى أعقاب مذبحة دير ياسين فى ٩ إبريل ١٩٤٨ وقرار اللجنة السياسية للجامعة العربية فى ١٢ إبريل ١٩٤٨ بالزحف إلى فلسطين بعد أن يتم الجلاء البريطانى ، لإقرار الأمن والنظام بفلسطين من خلال تولى حاكم عسكرى لإقرار الأمن، وآخر مدنى يتولى الإدارة المدنية ومشاركة الحكومة المصرية فى الحركة فى ظل جامعة الدول العربية، وقد تمثل رد فعل القصر إزاء التدخل العسكرى العربى فى فلسطين من خلال البيان الذى ألقاه إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى على رؤساء الوفود العربية فى أثناء مقابلتهم للملك فاروق وجاء فيه: "إذا دخلت جيوش عربية فلسطين لإنقاذها ، فإن جلالة الملك يود أن يفهم بصراحة أنه يجب النظر إلى هذا التدبير كحل مؤقت خال من أى صفة من مواصفات الاحتلال أو التجزئة فى فلسطين، وأنه بعد تمام تحريرها تسلم إلى أهلها ليحكموها كما يريدون"^(١).

وقد علق الملك عبد الله على ذلك البيان بقوله: "أنه لنطق كريم فاه به ملك عظيم، ففلسطين هى فلسطين ولأهلها الكلمة الأخيرة فيما يعود عليها، ولا شك أن فلسطين والأردن فى كفة واحدة وشرق الأردن ترى أن أى مساعدة من أى دولة عربية تقدم لفلسطين مساعدة لشرق الأردن"^(٢). كما صرح أيضا بأن فلسطين وشرق الأردن فى كفة واحدة هى ساحل وشرق الأردن"^(٣).

(١) الإخوان المسلمون - ١٤ إبريل ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ١٥ إبريل ١٩٤٨.

(٣) المقطم - ٢٣ ديسمبر ١٩٤٧.

ويفهم من ذلك البيان أنه تحذير غير مباشر للملك عبد الله الذي كان يسعى إلى تنفيذ مخططه بتوسيع ملكه بضم القسم العربي من فلسطين بمقتضى قرار التقسيم عام ١٩٤٧ إلى مملكته بتأييد من بريطانيا مقابل حصولها على قواعد في منطقة الشرق الأوسط في شرق الأردن وفلسطين، من خلال امتداد التزامات المعاهدة بينهما إلى الأرض الجديدة وهذا ما يأمله البريطانيون، وبذلك يتحقق ما تم الاتفاق عليه بين توفيق أبو الهدى رئيس الوزراء الأردني وكلايتوك رئيس المخابرات الإنجليزية في أثناء إجراءات مفاوضات عقد معاهدة دفاع مشترك في ١٥ مارس ١٩٤٨^(١)، لذلك جاء في بيان إبراهيم عبد الهادي باشا التأكيد أن فلسطين دولة عربية مستقلة ذات سيادة دولية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

٢ - تكليف المقدم أحمد عبد العزيز باستكشاف المنطقة الجنوبية:

ويرجع تكليفه بتلك المهمة إلى أمرين:

أ - قرار مجلس الأمن في ١٧ إبريل ١٩٤٨ بإيقاف جميع الأعمال العسكرية.

ب - تقرير اللواء سليمان عبد الواحد قائد الجبهة الجنوبية إلى رئيس الديوان الملكي والأمين العام للجامعة عن الحالة في المنطقة الجنوبية من فلسطين في ٨ إبريل ١٩٤٨.

أ - بالنسبة إلى قرار مجلس الأمن في ١٧ إبريل ١٩٤٨ بإيقاف جميع الأعمال العسكرية سيكون تنفيذه من طرف واحد هو العرب، ما يعود بالفائدة على اليهود الذين نشطوا بتغيير الموقف الأمريكي من التقسيم إلى الوصاية في جمع الأسلحة واستيرادها واستجلاب المهاجرين المدربين على الأعمال العسكرية^(٢).

(١) البلاغ - ٧ مارس ١٩٤٨.

(٢) الإخوان المسلمون - ١٩ إبريل ١٩٤٨.

(ب) التقرير الذى وصل إلى الملك فاروق من قيادة اللواء الجنوبى (فلسطين - غزة) عن حالة المنطقة الجنوبية بفلسطين وتوصياته عن طريق رئيس الديوان الملكى^(١)، وغيرها من التقارير التى حرص الملك على الإطلاع عليها منذ صدور تقرير اللجنة الأنجلو - أمريكية وما قبلها وقد تضمن التقرير أمور عدة:-

١ - دور السياسة البريطانية فى إنكفاء الثورة بين العرب والصيونييين، ومن ثم يعد ذلك إخلالاً بمهمتها فى المحافظة على الأمن والنظام مادام انتدابها على فلسطين قائماً.

٢ - إن اللجان القومية التى تقوم مكان الحكومة المحلية تشعر بعجزها لعدم وجود قوة تفرض إرادتها وتنفذها بالقوة إذا لزم الأمر ، وهى موجودة فى كل بلدة وتتألف من الأعيان، ما يعنى انعدام النظام الإدارى بفلسطين.

٣ - الانقسامات ظاهرة بين الشعب، حيث يتنازع تياران أحدهما مع شرق الأردن والآخر مع سماعة المفتى وهو التيار الغالب، ويرجع ذلك إلى ازدياد نفوذ الملك عبد الله مع أماله المعروفة فى سوريا الكبرى وشعور بعض الأهالى بأنه هو الذى يستطيع إنقاذهم من اليهود وأن مصير فلسطين إليه ولذا، كانوا يحاولون التقرب منه بشتى الوسائل وعلى رأسهم موظفو حكومة الانتداب هم ومديرو البلديات كرشدى الشوا الذى ذهب على رأس وفد لطلب المساعدة والحماية من الملك عبد الله، وشجع هذا الاعتقاد ظهور قوات الملك عبد الله من وقت إلى آخر فى أنحاء فلسطين دون معارضة من أى جهة، أما غالبية الشعب ذاته فكان فى جانب الحاج أمين الحسينى وهو، كما هو معروف، ليس على وفاق مع الملك عبد الله وهذه الغالبية هى التى تقدم التضحيات المادية والروحية وتسعى بشق

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم (٥) - وزارة الدفاع الوطنى - إدارة المخابرات الحربية - تقرير من قيادة اللواء الجنوبى فلسطين. غزة - عن حالة المنطقة الجنوبية بفلسطين إلى رئيس الديوان الملكى فى ٨ إبريل ١٩٤٨.

الأنفس للتسليح والجهاد بأموالها وجهودها، بينما أغلب ما يوزعه مندوبو الملك عبد الله على الأهالي لم يدفعوا ثمنه^(١).

٤ - عقيدة الأهالي أن مصر هي الوحيدة التي تستطيع الأخذ بيدهم، وتهديدهم بأنه إذا لم تتخذ إجراءات حاسمة وسريعة لتأمين هذه المنطقة من العدوان من جانبها؛ فإنهم سيلجئون إلى شرق الأردن أو الاتفاق مع اليهود، وتتجلى الخطورة في أن الأهالي لا يدينون بولائهم لأحد إلا لمن ضمن لهم الحماية والأمان حتى لو تحالفوا مع أعدائهم وأعداء مصر - اليهود وشرق الأردن، ويفسر هذا القائد العربي "قوزي للقواقجي" من خلال حديثه مع مصطفى السعدني في ملحق المفوضية الملكية المصرية في دمشق في ٢٦ مايو عام ١٩٤٨، أن قوة اليهود عام ١٩٤٨ غير قوتهم عام ١٩٣٦، كما أن معنوية عرب فلسطين في عام ١٩٤٨ أصبحت منهارة متخاذلة بينما كانت قوية مرتقعة في عام ١٩٣٦، بينما كان من المنتظر أن يهب مليون عربي من السكان في وجه اليهود ويقوموا بعرقلة حركاتهم العسكرية، إذ يراهم على العكس غالبية مستكينة كأن هذه الحرب لا تعنيهم، وأقلية تتعاون مع اليهود:

أ - التجسس لحسابهم حتى لو أدى الأمر إلى طعن إخوانهم العرب من الخلف.

ب - بيع الأسلحة والأراضي إلى اليهود.

ج - يقوم كثير من عرب فلسطين بتهريب الأغذية إلى اليهود وهذه تجارة رابحة لديهم، ولهذا حذر من الاعتماد على هؤلاء العرب.

ويرجع انحلال الروح العربية في فلسطين إلى الأسباب الآتية:

أ - افتقار الفلسطينيين إلى شخصية قوية تتولى زعامتها.

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - ملف د - تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ بواسطة (أ. ح) أحمد عبد العزيز قائد عام قوات المتطوعين المصريين والليبيين مقدم إلى الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام والفريق محمد حيدر.

ب - انقسام زعماء فلسطين فيما بينهم وتغلب العوامل الشخصية في تصرفاتهم.

وفى هذا الشأن يذكر اليوزباشى عصام حلمى المصرى - قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا - أن عمدة لواء الخليل "الشيخ الجعبرى" اشتكى له من سوء سياسة المفتى، حيث كان يوزع السلاح على الأهل والأقارب دون النظر إلى خطورة الموقف فى بعض جهات فلسطين التى كان يهددها الصهونيون تهديداً مباشراً مثل حيفا ويافا والخليل، ما جعل عدداً غير قليل من الأهالى ينددون بهذه السياسة التى تثير الضغائن بين أهالى فلسطين^(١).

ج - نجاح السياسة الصهيونية المرسومة لإضعاف معنويات العرب وإتلافها.

د - مساعدة الانتداب البريطانى للصهونيين فى تنفيذ هذه الخطة بإحكام.

هـ - عدم اهتمام الدول العربية بالقضية الفلسطينية فى الوقت المناسب بصورة عملية^(٢).

و - الحالة الدفاعية فى المنطقة الجنوبية معدومة من قبل القرى العربية، حيث كان يوجد حرس وطنى من الأهالى قليل العدد ومسلح تسليحاً ارتجالياً، إلى جانب ضعف دفاعات القرى العربية.

فى حين أسس اليهود مستعمراتهم فى مواقع استراتيجية صحيحة فأقاموها فى مراكز تتحكم على الطرق الرئيسية، ويمكن لمستعمرات عدة أن تحشد قوامها ليلاً فى نقطة معينة دون تدخل من العرب وبصورة تمكنها من التعاون مع بعضها البعض، وبالألغام فى المستعمرات المهمة، وبها الأسلحة المضادة للدبابات والأسلحة

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥ - مذكرة مرفوعة إلى وزير الدفاع الوطنى من البكباشى محمد نوح من إدارة المخابرات العربية واليوزباشى عصام حلمى قائد قوة الحراسة بقنصليتى القدس وحيفا فى ٢٣ فبراير ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم (٥) - المفوضية الملكية المصرية بدمشق - مصطفى السعدنى ملحق المفوضية الملكية فى دمشق - حديث مع القائد العربى فوزى القاوقجى فى ٢٦ مايو ١٩٤٨.

الصغيرة ودشم بالخرسانة المسلحة، غير أن قوة المستعمرات الجنوبية لم تظهر بعد، لأنها لم تهاجم جدًّا ولم يأت دورها، وهذا لا يعنى أنها ضعيفة بل إن العدو لا يظهر قواته إلا بالقدر اللازم حتى الساعة الحاسمة ساعة تدخل الجيوش المنظمة^(١).

٦ - حصول اللواء عبد الواحد - قائد اللواء الجنوبي بفلسطين، غزة - من خلال مقابلته مع القائد البريطاني، على الضوء الأخضر بالسماح للقوات المصرية بدخول فلسطين والسيطرة على قطاع غزة وفق قرار تقسيم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ دون تخطي حدوده.

حيث يذكر اللواء عبد الواحد في تقريره عن تلك المقابلة: "دعوة رئيس بلدية غزة له في داره وسيكون قائد الجيش الإنجليزي موجودًا للتعرف لأن المواقع الدبلوماسية تحول دون زيارته في مقر عمله.. ولقد استفدت فعلاً من هذه الجلسة القصيرة.. لم يخص المنطقة من وسائل الدفاع شيئاً يذكر.. والسبب في إهمال هذه المنطقة أنهم جعلوها من نصيب مصر".

ما يعنى رغبة بريطانيا في إعطاء هذا الجزء من فلسطين لمصر لتأمين حدودها الشرقية من داخل الأراضي الفلسطينية، كما كانت سياسة الحكومة المصرية ترمى إلى تطهير المناطق المتاخمة لحدود مصر من الصهيونيين - صحراء النقب - وبذلك تكون كل الأراضي التي تكتسبها الجيوش العربية من حق العرب، فقد جاء في رسالة اللواء موسى لطفي مدير العمليات الحربية إلى اللواء عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش بالنيابة في ٢ يونيو ١٩٤٨ الآتي: "من الضروري أن تتقدم الجيوش المصرية وتقطع الاتصال بين منطقة النقب ومنطقة (نل أببيب) حتى إذا ما أعلنت الهدنة كانت منطقة النقب من حق القوات العربية"^(٢).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - ملف د - تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل بواسطة (أ. ج) أحمد عبد العزيز للأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام والفريق محمد حيدر.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - رسالة من اللواء / موسى لطفي مدير العمليات الحربية إلى اللواء عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش بالنيابة في ٢ يونيو ١٩٤٨.

وهذا ما ذكره الدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته: "لاحظت وأنا أتابع البلاغات الرسمية أن الجيوش العربية لا تلقى مقاومة، لأنها تتقدم في المناطق التي خصصها قرار الأمم المتحدة للعرب من أهل فلسطين، وأنها لم تبلغ الأجزاء التي عينت لإسرائيل فيما خلا أجزاء من منطقة النقب، ومنطقة النقب صحراء غير مأهولة فيما عدا محلات صغيرة أنشأها اليهود، عند ذلك دار بخاطري أن القوات المصرية تكون أكثر إقداماً على القتال وعلى التضحية في الحرب إذا ما علمت أن منطقة النقب التي تحتلها ستضم إلى مصر"^(١).

غير أن هذا الأمر لا تقبله بريطانيا لما يمثله لها ذلك الحزام الصحراوي الواسع، خط دفاع أول عن قناة السويس ودفعاً للخطر الشيوعي عن المنطقة، خصوصاً أن عام ١٩٤٧ شهد إفلاساً سياسياً بالنسبة إلى بريطانيا لخروجها من الهند وفلسطين ومن ثم لا تستطيع الخروج من مصر؛ لأن ذلك يعنى الخروج من منطقة الشرق الأوسط، ويرجع اعتراض بريطانيا على سيطرة مصر على تلك الصحراء، لأن ذلك يعنى استغناء مصر عن مساعدة بريطانيا في الدفاع عنها لكن وجودها في النقب وقيام دولة يهودية يضطر مصر إلى طلب عقد المعاهدة - دفاع مشترك - التي مادامت تعلن اعتراضها توقيعها باعتبارها تنتقص من سيادتها وكرامتها، إلى جانب المعاهدة البريطانية - الأردنية في ١٥ مارس ١٩٤٨ التي كانت بمثابة الباب الخلفي لبقائها في فلسطين واستمرار توليها الدفاع عن القناة.

وترجع رغبة بريطانيا في إعطاء ذلك الجزء - قطاع غزة - لمصر، مقابل تخلي القصر عن مساندته للمفتى والإذعان لقرار التقسيم وقيام الدولة اليهودية وضم الضفة الغربية للملك عبد الله.

وفي ذلك الشأن طلب مستر "تشابمان أندروز" الوزير المفوض والقائم بأعمال السفارة البريطانية في مصر مقابلة حسن يوسف - وكيل الديوان الملكي

(١) محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية - ج ٣ - ص ٤٥.

وكاتم سر مجلس البلاط - في ٩ سبتمبر عام ١٩٤٨ ودار بينهما حديث يرويه حسن يوسف: "قال مستر "تشابمان أندروز": إنه اتصل لعلمه عن اجتماعات اللجنة السياسية بجامعة الدول العربية أن النية متجهة إلى إقامة دولة عربية برئاسة المفتي وأن عزام والباجه جي (رئيس وزراء العراق) يعملان على حمل اللجنة على إقرار ذلك"، ويرى مستر "أندروز" بصفته الشخصية أن الحكومة البريطانية تعارض في ذلك كل المعارضة لأن المفتي لا يمكن الوثوق به.. وسألت مستر "أندروز": كيف تحل المشكلة، فقال: إنه يرى أن تترك المناطق التي احتلها الجيش المصري لمصر وما احتلته القوات الأردنية للأردن وأن تحاصر المنطقة المخصصة لليهود.. وأن تضمن الأمم المتحدة حدودها الضيقة فإذا ما حدثتهم أنفسهم بالاعتداء فإن المعاهدة المصرية - الإنجليزية كفيلة بتدخل بريطانيا.

قلت له: إننا لم نر هذا التدخل عندما اشتبكنا أخيراً مع اليهود، فقال: لأن تلك ظروف مختلفة، لأننا كنا نخشى أن ترفع أمريكا الحظر المفروض على توريد السلاح لدول الشرق الأوسط.

فقلت له: إن من العسير أن تجد زعيماً عربياً يعلن موافقته على قيام دولة يهودية ويعترف بها، فقال: إن الحال لا يتطلب اعترافاً وإنما مجرد الإدعان لقرار صادر من هيئة الأمم.

وفي نهاية الحديث أكدت له ما سبق أن أعلنته الدول العربية من تنزهها عن الأطماع الإقليمية في فلسطين وعدا هذا فإن القطاع الصغير الذي احتلته مصر لا يغنيها شيئاً مادامت منطقة النقب مكتظة بالمستعمرات اليهودية، فقال: إن لمصر الحق في الاستيلاء على النقب، فسألته: هل هذا يخرق الهدنة، فأجاب: بالنفي وإنما يكون بطريق مبادلة السكان فيحتلها اللاجئون العرب مقابل الأماكن التي يجلون عنها في الشمال، وبعد قليل تلقيت من تشابمان أندروز كتاباً شخصياً قال فيه: "إن انجلترا على استعداد في الظروف الحاضرة لأن تغمض عينيها عما يتسرب من

السلاح من مخازن الجيش البريطاني في منطقة القناة إلى القوات المصرية المحاربة في فلسطين..^(١)

ما يعنى الحصول مقدماً على موافقة مصر على مشروع برنادوت - الوسيط الدولي - الذى أعلن عقب اغتياله في ١٧ سبتمبر عام ١٩٤٨، وما يتضمنه من إقرار التقسيم.

فالساسة البريطانية قائمة على أسس ميكافيلية، وما عرف أن بريطانيا ما احترمت معاهدة أو التزاماً دولياً إلا أن تكون لها في ذلك مصلحة مباشرة - قرار التقسيم - ولهذا لا يجب النظر إلى المشكلة على أنها مشكلة عسكرية فحسب، ذلك لأن الناحية السياسية فيها أدق وأعمق منها وأن أى حل لهذه المشكلة لا ترضى عنه بريطانيا محكوم عليه بالفشل حتماً^(٢) لأسباب عدة منها:

أ - إن خطة إنشاء دولة يهودية في فلسطين هدف بريطاني غربي، والضيق من تجاوزات عناصر عسكرية صهيونية - مسألة تثير المشاعر لكنها ليست كافية لتغيير الخطط.

ب - إن التفكير الاستراتيجي البريطاني بعد الحرب كان مشغولاً بمنطق أنه إذا كان الانسحاب الإمبراطوري ضرورياً من بعض المناطق، فالأفضل أن تترك الإمبراطورية وراءها نزاعات محلية وإقليمية تستنزف جهد الأطراف وربما يجعلها في أشد حاجة إلى الإمبراطورية الأم والانتقال بالنزاع إلى درجة الصراع^(٣).

٧ - بالنسبة إلى القوات الشعبية الموجودة للإسهام في الدفاع عن فلسطين ومدى استعدادها، فقد أوضح اللواء سليمان عبد الواحد عدم استطاعتها القيام بعمليات حربية ناجحة، للعقبات الكثيرة القائمة في طريق تسليحها ونقلها وإعاشتها

(١) حسن يوسف: القصر ودوره في السياسة المصرية ١٩٢٢ - ١٩٥٢ ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(١) محفظة رقم (٢٥٣) - ملف رقم (٨) - براغ - مذكرة القائمقام كمال الدين صلاح.

(٢) محمد حسنين هيكل: العروش والجيش - ص ١٠٠ - ١٠٣.

وتدريباً وقيادتها، ويذكر في هذا الشأن خالد محيي الدين في مذكراته "والآن اتكلم" جاء فيه: "وتم الاتفاق مع الجامعة العربية على إقامة مركز تدريب للمتطوعين العرب في هايكستب.. نقص الذخيرة أدى إلى القيام بعمليات ضرب نار للتدريب مرة واحدة.. هكذا كان التدريب القتالي مفتقداً"^(١).

وختم اللواء سليمان عبد الواحد تقريره، مؤكداً أنه ليس في طاقة الهيئات الشعبية بحالتها إنقاذ فلسطين، إنما الإنقاذ بيد القوات المسلحة المنظمة وعندئذ تتجو فلسطين وتتجو مصر بنجاتها.

وبناء على تلك الأمور، تم إبلاغ المقدم أحمد عبد العزيز شفوياً بواسطة وزير الدفاع وبعلم الأمين العام لجامعة الدول العربية، تعيينه قائداً عاماً لقوات المتطوعين المصريين والليبيين لإنقاذ فلسطين في ١٩ إبريل ١٩٤٨^(٢)، خصوصاً أنه كان يقود الكتيبة الأولى التي كانت تعمل في النقب^(٣).

على أن إبلاغه شفوياً يدل على قياسه بمهمة عسكرية سرية، واتضح ذلك من سرعة تقديم التقرير بعد أربعة أيام من التعيين في ٢٢ إبريل عام ١٩٤٨ لإحراز نصر عسكري سريع بالتقدم في النقب إلى بئر سبع، رغبة في توسيع منطقة القيادة المصرية بأن يتولى اللواء سليمان عبد الواحد (سبل) منطقة غزة والمقدم أحمد عبد العزيز منطقة بئر سبع، وبذلك تتحقق خطة مشروع محمد حيدر باشا بالنقد شرقاً إلى فلسطين (غزة - بئر سبع) والسيطرة على لواء غزة.

لكن واجهتهم عقبات تحول دون تنفيذ ذلك، فقد اتضح له أن القوات التي كانت يتولى قيادتها - المصرية والليبية - لا تصلح من ناحية التجهيز والتسلح والتشكيل لتحقيق المأمورية التي كلفت بها لمقابلة الاحتمالات التي تتعرض لها في

(١) خالد محيي الدين: والآن اتكلم - ط ١ - ص ٥٢، ٧٣.

(٢) عبد الوهاب بكر: الجيش المصري وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥٢ - ص ٦٣.

(٣) محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيوني - ص ٣٣٤.

أثناء عملها؛ لأن تجهيزها كان يجرى ارتجالاً دون أساس، وقد توصل إلى ذلك من خلال مشاهداته وتحرياته ومعلوماته التي جمعها من المخابرات المصرية والجامعة العربية والمفتى أمين الحسيني واللواء سليمان عبد الواحد سبل، الذي كان قائداً وقتئذ للمنطقة الجنوبية بفلسطين - وتحقيقاً لسرعة إنجاز ملاحظاته التي رفعها للأمين العام للجامعة العربية ووزير الدفاع ليكونا على بينة بحقيقة الموقف، وطالب باستكمال التسليح الذي يعتبر الحد الأدنى للقوة التي تحت قيادته^(١).

- موقف مصر من الاجتماعات العسكرية العربية لوضع ترتيبات دخول الجيوش النظامية العربية فلسطين لحل مشكلاتها:

اجتماع عمان:

إثر سقوط حيفا وقرب سقوط يافا العربية في أيدي الصهيونيين، الذين شرعوا في ضربها بالمدافع الثقيلة، عقد اجتماع بعمان برئاسة الملك عبد الله، واشترك فيه الأمير عبد الله الوصي على عرش العراق ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان، وتوفيق أبو الهدى رئيس وزراء شرق الأردن، وأرشد العمري وزير الدفاع العراقي واللواء صالح صائب رئيس أركان حرب الجيش العراقي واللواء إسماعيل صفوت، واتفقوا بالإجماع على قرار الدخول؛ ولكن ليس بقوات نظامية وإنما يكتفى بأن تسلم وتُعهد بقيادة جيش التحرير العربي إلى الملك عبد الله ملك شرق الأردن ومن ثم تنتقل القيادة من دمشق إلى عمان.

ويبدو أن الملك عبد الله أراد إنقاذ ما تبقى من القسم العربي بمقتضى قرار التقسيم مادام اليهود في نشاط مستمر للسيطرة على المناطق العربية، خصوصاً

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ - / س ج / ٢٢ - ملف د - تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ بواسطة (أ. ح) أحمد عبد العزيز مقدم إلى الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام والفريق محمد حيدر.

الضفة الغربية، فقد أرسل إلى السير آلان كنجهام الآتي: 'يوجه نظر الحكومة البريطانية إلى مركز القدس الشريف والناصرية وبيت لحم، وأن الأمانة يجب أن تودع في أيدينا عند انتهاء مدة الانتداب وألا يفعل بالمدينة المقدسة وبيافا ما فعلوه بغيرهما، مع نصحي للجهات اليهودية بألا يتسببوا فيما يضر رغبتهم في الاستيطان بفلسطين تحت اسم الوطن القومي؛ فإذا أوقفوا التعديات وقبلوا المفاوضات على أن تكون لهم حقوق المواطنين في الدولة الفلسطينية^(١). ويتضح من الرسالة أن الأمر بيد بريطانيا، ففي مقدورها وقف هذه التعديات بعدم تسليم اليهود الموائئ والسماح للجيش الأردني بدخول الضفة الغربية^(٢)، لكن المحاولة فشلت.

لذلك قدمت قرارات عمان الضمانات التي تحمل الملك فاروق والمملكة العربية السعودية على الموافقة على تدخل الملك عبد الله عسكرياً دون تحقيق أطماع سياسية، حيث وضعت الخطة بأن يحتل اللواء العربي أجزاء من فلسطين احتلالاً مؤقتاً، ثم انسحاب الملك عبد الله منها^(٣) بعد القتال وإجراء استفتاء ليتمكن أهالي فلسطين من تقرير مصير بلادهم بحرية، واحترام جميع دول الجامعة العربية لميثاق الجامعة ومنع أي دولة من هذه الدول من محاولة ضم جزء أو أجزاء من البلاد المجاورة لبلادها^(٤).

ووافقت الدول المجتمعة في عمان على نقل مقر قيادة جيش التحرير العربي من دمشق إلى عمان، على أن يتولى شرق الأردن القيادة على اعتبار أنه البلد الوحيد الذي ليس عضواً في هيئة الأمم المتحدة ويمكنه العمل بحرية تامة دون التعرض لعقوبات اقتصادية أو سياسية.

(١) صلاح العقاد: قضية فلسطين. المرحلة الحرجة ١٩٤٥ - ١٩٥٦ - ص ٦٦.

(٢) المقطم - ٢٤ إبريل ١٩٤٨.

(٣) صلاح العقاد: المرجع نفسه - ص ٦٦.

(٤) البلاغ - ٢٨ إبريل ١٩٤٨.

وبناء على ذلك فقد تقرر أن يسافر الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ومعه رسالة ملكية من الملك عبد الله إلى الملك فاروق وبصحبة رياض الصلح رئيس وزراء لبنان واللواء صالح صائب^(١)، ورسالة أخرى من جميل مردم إلى الملك فاروق سلمها أحد العسكريين إثر انعقاد مؤتمر عسكري بدمشق بحضور الأمير عبيد أرسلان وزير الدفاع اللبناني والسيد فؤاد شهاب قائد الجيش اللبناني وأحمد الشرباتي وزير الدفاع السوري والفريق طه الهاشمي^(٢).

وتهدف الرسالة إلى الحصول على قرار بالإجماع وتصديق القاهرة على قرارات عمان؛ خصوصًا أن الملك فاروق يدرك تمامًا خفايا سياسة الملك عبد الله ورغبته في ضم القسم العربي إليه وتوسيع مملكته ومن ثم إقرار التقسيم وجعله حقيقة واقعة وقيام دولة يهودية على الحدود الشرقية لمصر، لذلك يخشى الملك فاروق تدخل الملك عبد الله عسكريًا بمفرده بحجة إنقاذ فلسطين ثم يعلن ضم الجزء العربي إلى مملكته ويضع الجميع أمام الأمر الواقع، من ناحية أخرى يخشى الملك عبد الله أن يقود الملك فاروق الرأي العام العربي ضده لذلك حرص على موافقته.

اجتماع الزعفران:

أ - قرار التدخل العسكري للمتطوعين المصريين تحت قيادة الملك عبد الله:

تتابعت الأنباء السيئة عن سقوط حيفا في أيدي اليهود واتساع نطاق هجومهم على يافا والقدس وعكا بصورة أزعجت العالم العربي وأسخطته على بطء السياسيين المسؤولين في التدخل الفعلي الحاسم، فتعددت الاجتماعات في عمان ودمشق وأخيرًا القاهرة، حيث عقد اجتماع الزعفران الذي قرر فيه التدخل العسكري المسلح من خلال المتطوعين تحت قيادة الملك عبد الله، بعد أن تبين سوء نية

(١) البلاغ - ٢٥ إبريل ١٩٤٨.

(٢) السياسة - ٢٦ إبريل ١٩٤٨.

بريطانيا فى إتاحة الفرصة لليهود لتنفيذ مشروع التقسيم، كما بدا جليًا فى جلاتهم عن حيفا فجأة حتى كانت قوات اليهود على أتم الاستعداد للسيطرة على الموقف ومباغطة العرب^(١).

ومع إعلان بريطانيا، تغطية لموقفها، أنها سوف تجلو عن فلسطين، تم تنسيق العمليات الحربية بين الدول العربية فكان المتفق عليه أن تجتاز القوات المصرية الحدود المصرية - الفلسطينية للعمل فى المنطقة الواقعة بين غزة والحدود المصرية.

أما دور سلاح الطيران المصرى فهو إصدار الأوامر لأحد أسراب الطيران الحربى باحتلال مطار اللد وعندما يفرغ من هذه المهمة، يعهد إلى القوات المصرية المحافظة على هذا المطار وحراسته واستخدامه فى العمليات الحربية، كما تصدر الأوامر لعدد من السفن الحربية المصرية بالإبحار صوب ميناء حيفا لمحاصرته وقطع الاتصال البحرى بين القوات الصهيونية والإمدادات التى تتلقاها عن طريق البحر من الهيئات الصهيونية الدولية^(٢)، خصوصًا بعد ضبط باخرة إيطالية - إيزابيلا - كانت تهرب الأسلحة ليهود فلسطين ووصلت إلى ميناء الإسكندرية فى طريقها إلى فلسطين وبتفتيشها عثر على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر تبين أنها مهربة للصهيونيين بفلسطين، إلى جانب الأسلحة المهربة إليهم من تشيكوسلوفاكيا وغيرها من دول الجنوب الشرقى فى أوروبا^(٣).

وتم الاتفاق على أن تتعاون الجيوش العربية كافة فى العمل فى مناطق القدس وحيفا ويافا^(٤)، لإنقاذ ما تبقى من فلسطين.

(١) الإخوان المسلمون - ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

(٢) البلاغ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

(٣) الإخوان المسلمون - ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

(٤) البلاغ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

- تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية للمقدم أحمد عبد العزيز من الناحية الحربية والإدارية والسياسية وتوصياته:

وبتتسيق الأعمال الحربية بين الدول العربية، عهد وزير الدفاع المصرى محمد حيدر والأمين العام لجامعة الدول العربية إلى المقدم أحمد عبد العزيز - قائد عام القوات المصرية والليبية المتطوعة - باستكشاف المنطقة الجنوبية من النواحي الحربية والإدارية والسياسية تحسباً للتقدم شرقاً إلى فلسطين، وقد لوحظ أن تقارير القيادة المصرية فى العريش كانت ترفع إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بالنيابة لكن مؤشراً عليها من الفريق حيدر بما نصه (سرى جداً - لمقابلة عزام شخصياً للتفاهم) ما يعنى أن تقارير القيادة المصرية فى العريش لم تكن تلقى العناية الكافية من القيادة العامة بقدر ما تعنى حيدر^(١) وعزام وعلى رأسهم الملك فاروق.

ورفع المقدم أحمد عبد العزيز تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين فى ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ إلى الأمين العام عبد الرحمن عزام وصورة منه للفريق محمد حيدر فى الأول من مايو ١٩٤٨، إلحاقاً بتقريره المختصر عن نتيجة الاستكشاف الذى قدمه فى ٢٢ من إبريل ١٩٤٨ عقب تعيينه قائداً عاماً للقوات المصرية والليبية المتطوعة فى ١٩ من إبريل ١٩٤٨.

وينقسم ذلك التقرير إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: - الغرض من الاستكشاف.

القسم الثانى: التحركات والأعمال التى أجريت فى أثناء الاستكشاف.

القسم الثالث: الملاحظات على الجبهة الجنوبية من النواحي الحربية والإدارية والسياسية والخطط التى اقترحها فى هذه النواحي.

(١) عبد الوهاب بكر: الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥٢ - ص ٦٣.

القسم الرابع: الملاحظات على تجهيز وإعداد المتطوعين وتوصياته نحوها.

أما بالنسبة إلى القسم الأول والغرض من الاستكشاف فقد أوضح للمقدم أحمد عبد العزيز أنه يهدف أولاً إلى التحقق شخصياً من الحالة ومن المعلومات التي استقاها من مصر، وثانياً: لبناء الخطط على أساس صحيح.

أما بالنسبة للقسم الثاني، فقد حدد أن محور تحركه في حدود الجبهة الجنوبية، وحدودها من الشمال الكلى داخل المجلد - الفالوجا - الخليل - إلى البحر الميت، من الشرق - البحر الميت ثم حدود شرق الأردن، من الجنوب - الحدود المصرية، من الغرب - البحر الأبيض المتوسط.

لكنه اقتصر في استكشافه على قطاع غزة لسرعة العودة إلى القاهرة لبدء الأعمال الحربية المطلوبة بإلحاح لإنقاذ الموقف، حيث استغرقت مدة الاستكشاف أربعة أيام من ٢٥ إلى ٢٨ إبريل ١٩٤٨، ومن ناحية أخرى لخطورة المرور على الطرق في شمال غزة وإلى بئر السبع ونشاط الدوريات المصفحة اليهودية عليها، حيث كان يبلغ طول قطاع غزة من حدود مصر جنوباً إلى حدود الدولة الدخيلة - إسرائيل - شمالاً خمسة وعشرين ميلاً ويبلغ عدد القرى ٥٤ و ١٧ مستعمرة، وأكثف القرى سكاناً: رفح - أسدود - دمرة - حمامة - جباليا، وأكثف المستعمرات سكاناً: عين نفثة، بياتعبيية، كفارو ابرغ، بتسارون - نقبا^(١)، وأهم مدن القطاع مدينة غزة^(٢).

وفيما يختص بالقسم الثالث الخاص بالملاحظات على الجبهة الجنوبية والخطط المقترحة فتناول الآتى:

-
- (١) جميل الشقيري: قضية فلسطين الحربية والسياسية - مطبعة مصنع الإسكندرية للكراس - ١٩٦٢ - ص ٨٣.
- (٢) محمد الشاعر: الحرب الفدائية في فلسطين على ضوء تجارب الشعب في قتال العصابات - مطبعة الغريب - بيروت - ١٩٦٧ - ص ٩٢.

أولاً: الملاحظات الحربية:

١ - عن العدو ومستعمراته: حيث كانت توجد مستعمرات يهودية عدة بالجبهة الجنوبية وقد أسسها اليهود في مواقع استراتيجية صحيحة، أما الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المستعمرات فهو تعطيل وإبعاد أى قوة تحاول الاقتراب من منطقة التقسيم اليهودية حتى يتم احتلالها بواسطة القوات اليهودية الرئيسية بل وإضافة أى جزء آخر يمكن الاستيلاء عليه، تمشيًا مع الخطة "دال" التى تقوم على تلك الأهداف، وترجع هذه الاستعدادات إلى يقين القائمين على الأمور بالوكالة اليهودية بضرورة الاعتماد على أنفسهم فى تأسيس دولتهم، والدفاع عنها لأن الوجود البريطانى فى فلسطين واعتمادهم عليه فى حمايتهم قابل للزوال مهما طال الوقت.

٢ - القوات العربية: يوجد بالقرى العربية حرس وطنى من الأهالى قليل العدد ومسلح تسليحًا ارتجاليًا لا فكرة فيه ولا توحيد، ومن ثم يعجز عن منع المستعمرات اليهودية من أى اعتداء جدى ومن تحقيق دوره لمساعدة الجيش اليهودى فى الوقت المناسب.

٣ - أما قوات المتطوعين بالمنطقة الجنوبية فكانت ضعيفة أيضًا وعبرة عن:

أ - ٢١٧ فردًا من "الإخوان المسلمين" بمعسكرات النوصيرات بقيادة الشيخ "محمد فرغلى" واليوزباشى احتياط "محمود عبده"، وأسلحتهم ٢ بوزو و ٢ هاون ٦٠ مم وبعض تومى وبرت والباقي بنادق ٣٠٣ والنخيرة محدودة، ولا يتلقون أوامره إلا من الشيخ "فرغلى" حسب ما يترأى له، ولا سلطة لقائد المنطقة عليهم، ولديهم أفكار حربية وجبهة نوعًا ما تكفى تعسكرهم خارج غزة ويقظتهم فى الحراسة وتمكنهم من إخفاء قوتهم الحقيقية، وقد اشتبكوا فى قتال مع اليهود ولا سيما فى معركة "كفار ديروم".

ب - ١١٩ فردًا من "جماعة أنصار الحق" بقيادة الشيخ أبو العزائم بمطار غزة، وهؤلاء كانت حالتهم سيئة جدًا من ناحية الملابس والتسلح - كلهم دراويش -

ولم يكتفوا أكثر من عشرين يوماً ورحلوا منها دون أن يقوموا بأى عمل يذكر، كما وجدت وحدات صغيرة من الجيش الأردني ترابط في أماكن مختلفة بالجبهة الجنوبية منها سرية بغزة - السرية السادسة مشاة - ومعها اثنان من الضباط الأردنيين هما مصطفى الجبور وعيسى الزعمت، وكثيراً ما أذرت المناضلين ومدتهم بالعتاد في أعمالهم ضد اليهود التي انحصرت في عرقلة سير القوافل اليهودية والحيلولة دون وصول المؤن والأسلحة إلى المستعمرات الواقعة في جنوب فلسطين^(١).

وكانت توجد قيادة للمنطقة الجنوبية تعرف بقيادة لواء الجنوب تولاهما "اللواء سليمان عبد الواحد سبل" من قبل جامعة الدول العربية ويعاونه القائممقام عاهد بك السخن وهو ضابط بالمعاش من الجيش الأردني، وهذه القيادة تكاد تكون معدومة بعد سفر اللواء سبل إلى مصر حيث لم يمكث سوى بضعة أيام وعاد إلى مصر عندما رأى قلة السلاح والعتاد إلى جانب الفوضى الضاربة أطنابها في كل ناحية، أما عاهد بك السخن فكان كثير الانتقال بين مصر وفلسطين وتشغله الأعمال الإدارية كثيراً عن الأعمال الحربية.

لذلك تقدم المقدم أحمد عبد العزيز بعدد من الخطط الحربية لإنقاذ الموقف على الوجه الآتي:

أ - وجوب إرسال قوات نظامية عبر المنطقة الجنوبية إلى الشمال لمنع العدو من الاسترسال في احتلال المناطق التي يحتلها الإنجليز، ويجب أن تكون القوات ميكانيكية وبها وحدات مدرعة وطيران وبحرية وتكتسح المستعمرات اليهودية التي تهدد طريق مواصلاتها، ويقوم سلاح الطيران المصري برسم المستعمرات جيداً وطبع صور فوتوغرافية استعداداً لما يأتي به المستقبل، ويرى أن القوة التي تشكلت بالعريش بقيادة الأميرالاي أحمد الموارى تقى بالغرض.

(١) عارف العارف: النكبة، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢ - ج ٢ - ص ٣٩٤.

ب - وجوب تقوية المتطوعين الموجودين في الجبهة الجنوبية، بإرسال قوة وقيادة من المتطوعين، ووضعهم تحت قيادة عسكرية واحدة وتسليحهم بأقل عدد ممكن من الأسلحة التي يستغنى عنها الجيش المصري.

ثانيًا: الملاحظات الإدارية:

١ - احتياطات الأمن خصوصًا في غزة معدومة، والأهالي منقسمون وقليلو الوطنية وقبض على جواسيس لليهود بين السكان.

٢ - الانقسامات ظاهرة بين العائلات الكبيرة، ويقوم بعض الأفراد بعرقلة أعمال اللجنة القومية والقيادة بغزة بتوزيع منشورات تحط من هيئة القيادة وتحرض على الخروج على اللجنة، وساعد في ذلك وجود الانقسامات وبلبله الأفكار في المصير المجهول.

لذلك رأى تعيين حاكم عسكري للمنطقة بصفة رسمية وتتبعه اللجان القومية وتعطى له سلطة الحكم بالإعدام ووضع مناطق الجبهة تحت الأحكام العسكرية، ويمكن لرئاسة القوات المتطوعة الاتصال به ومعاونته، كما عليه مساعدة القوات النظامية وتهيئة كل ما يمكن لمساعدتها عند تحركها، وينتخب مركز إدارته، ويصدر المنشورات اللازمة للمحافظة على وحدة البلاد والقضاء على الطابور الخامس، ويستغل الموارد المحلية لمعاونة المتطوعين والقوات النظامية إذا دخلت فلسطين وإعطاء الضباط المتطوعين جوازات مرور دائمة في الحدود حتى لا تعرف أخبارهم وتحركاتهم ولا تتعطل أعمالهم.

ثالثًا: الملاحظات السياسية

كانت توجد عوامل سياسية تؤثر في الموقف الحربي لأي قوة تحاول الدفاع عن فلسطين، الشعب نفسه يتنازع؛ أحدهما مع شرق الأردن وفي هذا الفريق بعض كبار الموظفين والملاك، والآخر مع سماحة المفتي وهو الغالب^(١).

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم (٥) - تقرير من قيادة اللواء الجنوبي بفلسطين غزة - عن حالة المنطقة الجنوبية لفلسطين إلى رئيس الديوان الملكي في ٨ إبريل ١٩٤٨.

خصوصاً أنه معروف مساندة الملك للمفتى فى حين يقف موقف المناهض لنشاط الملك عبد الله فى تحقيق مشروعه "سوريا الكبرى"، لذلك يحذر من "هذه الانقسامات إن لم يوضع لها حد بأعمال حربية ضد اليهود فسيقول الأهالى وسوف يقول التاريخ معهم إنهم فى هذه المحنة الوطنية الإسلامية انصرف الزعماء لتحقيق مآربهم الخاصة على أى صورة بدلاً من أن يتحدوا ويعملوا ضد اليهود".

وينضح من ذلك خشية المقدم عبد العزيز استخدام القوات المحاربة كأداة لتصفية حساب بين الملك عبد الله والملك فاروق على أرض فلسطين بمحاربته ومحاربة أعوانه من الفلسطينيين، والانصراف عن الهدف الأساسى للتدخل وهو إنقاذ فلسطين من الصهيونية وإعادة الأمن والنظام، باعتبار أن الأعمال الحربية فرع من فروع السياسة وأداة من أدواتها.

أما القسم الرابع والخاص بالملاحظات على تجهيز المتطوعين الذين يقودهم مصريون وليبيون - فرأى أنه لم تدرس لوازم قوات المتطوعين جيداً من البداية من ناحية التسليح والتجهيز للتحرك والعمل فى الميدان كقوة، وخلص إلى أن نجاح العمليات الحربية يتوقف ٧٠% على الاستعدادات والتجهيزات والتدريب السابق للأعمال الحربية^(١)، لذلك اتجهت وزارة الدفاع الوطنى إلى بحث استكمال قوات معسكر التدريب بالعريش وسرعة وصولها وتقرر تحرك القوات الآتية إلى العريش عن طريق السكة الحديد: ك ١، ٦، ٩ بنادق مشاة، واستكمال مرتبات الخط الأول واحتياطه من الذخيرة والمفرقات بأنواعها للقوات قبل التحرك، وقيام سلاح الإشارة الملكى بإصلاح الخطين الأول والثانى لجميع الأجهزة اللاسلكية للقوات المتحركة^(٢).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ / ملف د - تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ - بواسطة (أ. ح) أحمد عبد العزيز قائد قوات المتطوعين المصريين والليبيين - مقدم إلى الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام والفريق محمد حيدر.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٦ - أمر إدارى رقم ٣٦٦ من رئاسة الإمدادات والتموين فى ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

- المؤتمر العسكرى الأول - ١ مايو ١٩٤٨:

إثر ما تقرر فى اجتماعات عمان والقاهرة، نشرت "اليونايتد برس": "إن الجامعة العربية قررت ألا ترسل قواتها النظامية إلى فلسطين ولكنها ستكتفى بأن توكل قيادة جيش التحرير العربى إلى الملك عبد الله ملك شرق الأردن، وأن اللواء العربى سيكون فى طليعة الهجوم العربى.. على أن تعززه قوات المجاهدين العرب غير النظامية.. قدموا من مختلف البلاد العربية.. وبنقل مقر قيادة جيش التحرير من دمشق إلى عمان"^(١).

وبناء على التعليمات الصادرة من وزير الدفاع التى تقضى بانتداب كل من القائمقام حافظ بكري واليوزباشى عصام حلمى المصرى لتمثيل مصر فى المجلس الأعلى للدفاع والاشتراك فى المباحثات العسكرية فى عمان، تولى القائم بأعمال المفوضية المصرية بعمان "كمال الدين صلاح" تقديم الضابطيين المصريين إلى الملك عبد الله الذى أحسن استقباليهما قائلاً: "أهلاً بأبنائى وأبناء الفاروق - إن الأمة العربية تعلق على مصر أطيب الآمال.. وبعد أن يتم لنا خلاص فلسطين يتجه العالم العربى كله نحو مصر لشد أزرها لتحقيق آمالها التى هى آمال العرب جميعاً"^(٢).

ورفع القائمقام "حافظ بكري" تقريراً عن المؤتمر العسكرى الذى عقد بقصر الرغدان فى الأول من مايو عام ١٩٤٨، فى أعقاب تطور الحالة فى فلسطين بعد موافقة ممثلى العرب واليهود فى ليك سكسس على طلب مجلس الأمن بوقف إطلاق النار فى البلدة القديمة بالقدس لمدة مؤقتة، غير أن اليهود أملوا فى أن يتمكنوا عن طريق هذا القرار، من تزويد الحى اليهودى فى البلدة بالمؤن وإذ كان قد انتضى أسبوعان على آخر قافلة وصلت إلى القدس مزودة بالمؤن، وأبرقت لجنة الهدنة بفلسطين التى ألفها مجلس الأمن - من قناصل الدول الثلاث فى القدس، أمريكا وفرنسا وبلجيكا بمقتضى قرار ٢٧ إبريل عام ١٩٤٨ - لمراقبة

(١) البلاغ - ٢٥ إبريل ١٩٤٨.

(٢) الأهرام - ٢ مايو ١٩٤٨.

قرار مجلس الأمن تقول: "إن القتال لم يتوقف لا في القدس ولا في الجديدة ولا في غير القدس حيث قاموا بهجوم شديد على حي القطمون قاصدين احتلاله"^(١)، وقد تضمن تقرير القائمقام حافظ بكري خلاصة ما بحثه من خلال المؤتمر العسكري والذي جاء فيه:-

١ - اجتماع الهيئة العسكرية الممثلة لجميع الدول بقصر الملك عبد الله لبحث الموقف العسكري، وكانت الهيئة تتألف من اللواء إسماعيل صفوت باشا قائد جيش التحرير، ورئيس أركان حرب الجيش السوري واللبناني والعراقي والأردني والقائمقام حافظ بكري ممثل الجيش المصري وضابط الاتصال بين الجيش المصري وجيوش الدول العربية.

٢ - قامت الهيئة ببحث موقف القوات المسلحة لكل دولة، في حالة التدخل السريع، وأوضح الممثل العسكري المصري للهيئة أن القوات المجهزة بمنطقة العريش تقدر بمجموعة لواء كاملة وما معها من الأسلحة المساعدة والإدارية، وما يمكن أن يقدمه السلاح الجوي بالتعاون مع القوات الأرضية، واستعدادها للعمل من الأول من مايو عام ١٩٤٨.

٣ - ما أسفر عنه الاجتماع من قرار الاشتراك بجيوش نظامية ما عدا مصر، لكن دون الوصول إلى قرار بشأن الأمور الآتية:
أولاً - موعد التدخل.

ثانياً - القيادة.

فبالنسبة إلى قرار الاشتراك بجيوش نظامية، رأى حافظ بكري صعوبة تحقيق ذلك للتفاوت في التنظيم والتسليح بين الجيوش العربية حيث قال: "تختلف القوات النظامية للدول العربية في تنظيمها وتسليحها فبعضها منظم ومسلح تنظيمًا

(١) فلاح خالد علي: الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وتأسس إسرائيل - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨٥ - ص ١٨٦ - ١٨٧.

وتسليخًا فرنسيًا مثل قوات لبنان والآخر إنجليزى مثل العراق وشرق الأردن والبعض خليط بين هذا أو ذاك مثل القوات السورية.. عمليات فلسطين تحتاج كثيرًا إلى وحدات من المهندسين.. وهذه غير متوافرة فى كل من سوريا والعراق وشرق الأردن ومعدومة تمامًا فى لبنان..^(١).

وصرح عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية فى مقابلة له مع الملك عبد الله، عندما سأله الأخير عن قوة مصر بـ : "إن قوة النار فيها قوية وقد تدخل فلسطين باسم متطوعة أو سافرة حسب الظروف الدولية، فقال الملك عبد الله يلزم أن تكون قوة مصر محترمة لأن أماننا خصمًا يحسب حسابه ولا أريد أن يقع الحمل على وانهزم"، فأكد له عزام أن الهزيمة هى للعرب وستعمل كل دولة، وفق قرارات الجامعة، كل ما فى طاقتها وهو منتظر وصول ممثل الجيش المصرى لوضع خطة التعاون على أساس صحيح^(٢).

أولاً - موعد التدخل:

أما فيما يختص بموعد التدخل، فقد ذكر حافظ بكري فى تقريره "أن تحديد هذا الموعد يؤثر فيه ثلاثة عوامل:

أ - العامل السياسى: وهذا متروك أمره للهيئات السياسية للدول العربية لتحديد.

ب - العامل العسكرى: وهو يقضى بالتدخل فورًا بقصد الحصول على نصر حاسم سريع يقضى على آمال الصهيونيين فى إقامة دولة يهودية ووضع هيئة الأمم المتحدة أمام الأمر الواقع.

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢١ - تقرير القائمقام (أ. ح) حافظ بكري عن المؤتمر العسكرى الذى عقد بعمان فى الأول من مايو ١٩٤٨.

(٢) محفظة - رقم (٢٥٨) - رسالة واردة بالرمز من عمان بالبريد الجوى من عزام باشا حول موقف الملك عبد الله وصلت فى ٣٠ إبريل ١٩٤٨.

ج - عامل الروح المغنوية بين البلاد العربية: وهذا يقضى بسرعة التدخل أيضاً^(١).

ثم تناول القائمقام حافظ بالتفصيل شرح كل عامل على حدة حيث قال:

أ - بالنسبة إلى العامل السياسى: تعرضت الهيئة العسكرية فى بحثها للعوامل السياسية القريبة والبعيدة التى يحتمل أن تؤثر فى قضية فلسطين وتدخل الدول العربية بقواتها المسلحة.

وقررت ترك تحديد موعد التنفيذ للهيئة السياسية للدول العربية، واستدعيت اللجنة السياسية للاجتماع من رؤساء حكومات سوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن ووزير الدفاع السورى وعبد الرحمن عزام ما عدا الحكومة المصرية، برئاسة الملك عبد الله.

وبالنظر إلى تدابير إنقاذ فلسطين والعمل الحربى داخلها قبل ١٥ مايو عام ١٩٤٨، نجد منذ اجتماعات عمان التى عقدت ابتداء من يوم ٢٩ إبريل عام ١٩٤٨، والحكومة المصرية حريصة على حضور ضابط اتصال - حافظ بكري - بين الجيش المصرى وجيوش الدول العربية وليس رئيس أركان حرب الجيش المصرى على غرار حضور أقرانه من رؤساء أركان الجيوش العربية مثل الجيوش السورية واللبنانية والعراقية والأردنية.

ويرجع ذلك إلى قرار "النقراشى باشا" بعدم رغبة مصر فى الاشتراك الفعلى فى الحرب، لأن مصر تكتفى بالمعاونات الأدبية والمادية لأهالى فلسطين، وتكتفى بإيجاد فرق مصرية على حدود فلسطين^(٢)، وحتى التطوع لم يقره إلا تحت ضغط

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢١ - تقرير القائمقام (أ. ح) حافظ بكري عن المؤتمر العسكرى الذى عقد بعمان فى الأول من مايو ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٢٥٨) - أحاديث صاحب الدولة حسين سرى باشا فى أغسطس ١٩٤٩ - مقابلة بين وزير الخارجية ونورى السعيد - الاثنين - ٢٢ أغسطس ١٩٤٩.

الحوادث في فلسطين والرأى العام المصرى في ١٢ إبريل ١٩٤٨ مستترا وبصفة غير رسمية في ظل الجامعة العربية ضمن جيش التحرير العربى الخاص بها؛ لأن النقراشى باشا يضع في اعتباره النتائج الدبلوماسية والحربية المترتبة على التدخل الرسمى للقوات النظامية المصرية^(١).

ب - بالنسبة إلى العامل العسكرى وموعد التدخل: فقد أوضح القائمقام حافظ بكري أنه كان يجب التدخل على الفور بقصد الحصول على نصر حاسم سريع والقضاء على آمال الصهيونيين، في حين كان يسود اتجاهان لدى الممثلين العسكريين، اتجاه تنزعهم سوريا ولبنان ويقضى بالتدخل العسكرى الفورى قبل نهاية الانتداب البريطانى في ١٥ مايو عام ١٩٤٨، أما الاتجاه الثانى فتتزعهم مصر والأردن والعراق ويقضى بالتدخل العسكرى بعد نهاية الانتداب البريطانى تفاديا للنتائج الدبلوماسية والحربية المترتبة على ذلك.

وقد ذكر القائمقام حافظ بكري بالنسبة إلى الاتجاه الأول: فقد مالت حكومتا سوريا ولبنان ميلاً شديداً لبدء عمليات قواتها المسلحة قبل ١٥ مايو للفوز بنصر عسكرى سريع يضع هيئة الأمم المتحدة أمام الأمر الواقع، ويقطع عليها التردد الملموس في اجتماعات مندوبى مجلس الأمن، وهذا العامل استخدمه الصهيونيون للسبب نفسه، وحددا ٨ مايو تاريخاً لبدء تدخلهما، وخصوصاً بعد الاقتراح البريطانى بتأليف حكومة مؤقتة تتولى مقاليد السلطة بفلسطين بعد الانتداب، وقد اتفقت الجمعية العامة بعد أسبوعين من المناقشات، على أن تأخذ بواحد من الحلول الآتية:

١ - إما أن تؤكد القرار الصادر في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ وتعلن تأييدها الجديد لخطة التقسيم التى ينحاز إليها إلا الاتحاد السوفيتى وغيرها من البلدان الصغرى.

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٣ - مذكرة مرفوعة من وكيل وزارة الخارجية إلى وزير الدفاع الوطنى في ٢٧ إبريل ١٩٤٨ بمناسبة ما سيتقرر من اشتراك فرق مصرية من الجيش.

٢ - وإما أن تقبل مشروع الوصاية الذي قدمته أمريكا الذي لم يلق تأييداً ويتضاءل الأمل يوماً بعد يوم في قبوله.

ورأى محمود فوزى - مندوب مصر لدى الأمم المتحدة - أنه يجب النظر بحذر للاقتراح البريطاني بتأليف لجنة مؤقتة تتولى مقاليد السلطة بفلسطين بعد الانتداب، وبشرط أن يتبعه التقيد بالتزامات سياسية ويؤدي إلى انتهاء قرار التقسيم والوصاية الأمريكية والوصول إلى إنشاء دولة عربية في فلسطين.

ونتيجة لعدم الوصول إلى حل في مسألة فلسطين فقد عاد مستر "وارن أوستن" مندوب أمريكا حاملاً تعليمات حكومته بالتخلي عن مشروع الوصاية لصعوبة الحصول على نسبة ثلثي الأصوات المطلوبة لتأييد المشروع، ومن ثم جاءت محاولات الولايات المتحدة بمد أجل الانتداب عشرة أيام وعقد هدنة من خلال هذه المدة التي يستفيد منها الصهاينة لجلب السلاح والقادرين على حمله، كما يكون التزام تنفيذها من طرف واحد وهو العرب^(١).

كما أشار المشروع الأمريكي إلى تأليف لجنة مكونة من مندوبين بريطانين وأمريكا وفرنسا وبلجيكا للدخول في مفاوضات مع الدول العربية، لكن اعترض على ذلك مستر بيفن وصرح في مجلس العموم بـ: "لن تعدل بريطانيا عما اعتزمته عن التخلي عن الانتداب يوم ١٥ مايو ويتطلب التغيير موافقة البرلمان ولا يكفي للعدول عنه مجرد قرار من مجلس الوزراء"^(٢)، ما يعنى توقع حدوث فوضى وإخلال بالأمن والنظام في فلسطين، وعلى أثر ذلك طلبت حكومتنا سوريا ولبنان إنجاز ما اتفق عليه بشأن دخول فلسطين قبل ١٥ مايو وجرى اتصالات بالملك عبد الله، فأوفد الأخير رسولا خاصا إلى دمشق، يحمل رده فهو يشترط

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٣ - رسالة شفوية من الأمين العام لجامعة الدول العربية إلى وزير الدفاع الوطني في ٦ مايو ١٩٤٨.
(٢) الأهرام - ٥ مايو ١٩٤٨.

لتنفيذ ذلك أن يكون بالإجماع باشتراك مصر مع توحيد القيادة التي طلب أن يتولاها مصري^(١).

أما الاتجاه الثاني : فيذكر القائمقام حافظ بكري، أنه كان يتزعمه كل من مصر والأردن والعراق، وكان يقضى بالتدخل العسكري بعد انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ مايو عام ١٩٤٨، حتى لا يقع صدام بين البريطانيين والعرب.

ثانياً - القيادة: الواقع أنه لم يحدد من خلال ذلك الاجتماع القائد العام الذي يتولى إدارة العمليات الحربية في فلسطين، ولكن انتهت اللجنة السياسية برئاسة الملك عبد الله إلى ترك تقدير الموقف للقائد العام فيما يختص بعامل الوقت وموضوع توحيد وتنسيق القيادة العليا للقوات المسلحة والعلاقة بينها وقوات جيش التحرير وموضع الخطة العامة وتفصيلاتها وكذا واجبات كل قوة من قوات الدول العربية النظامية، والمدى الذي يمكن أن تعمل في نطاقه عند التدخل المسلح، وكان الوقت عاملاً حيويًا وضروريًا للبت في تعيين هذه القيادة بأسرع ما يمكن، وطلب وزير خارجية شرق الأردن من القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية بعمان إرسال تلغراف للقاهرة يلتمسون فيه تعيين قائد عام مصري لجميع القوات المسلحة للدول العربية^(٢).

ثم وجه الملك عبد الله رسالة إلى الملك فاروق عن طريق فوزي الملقى وزير خارجية الأردن، تتضمن الشكر لملك مصر على اهتمامه بقضية فلسطين، ثم طلب الإسراع في انتداب قائد عام مصري لتولى القيادة العامة للجيش العربية عند اقتحام فلسطين وأنهى الملك عبد الله رسالته بقوله "وافقت على اختيار قائد مصري لتولى قيادة الجيوش العربية، رغبة مني في جمع الصفوف وتوحيد الكلمة؛ ولأنني

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ - س ج / ٢٣ - رسالة سنوية من العام لجامعة الدول العربية إلى وزير الدفاع الوطني في ٦ مايو ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٣ - تقرير القائمقام حافظ بكري عن المؤتمر العسكري الذي عقد بعمان في الأول من مايو ١٩٤٨.

لا أميز بين عربى وعربى فى ميدان الجهاد.. ويجده حسن النية والقصد فى طلبه هذا لأنه يعتقد أن مصر إن وعدت أنجزت وإن جانبها مأمون ولا يخشى منها غدر" (١) ويفهم من تلك الرسالة أن الملك عبد الله لم يكن راغباً فى ترشح مصر لتولى القيادة العامة للجيش العربية، ولكنه تحت ضغط الإجماع العربى بضرورة إسناد تلك المهمة إلى مصر، اضطر إلى كتابة تلك الرسالة.

من ناحية أخرى حتى تثق مصر بأنه ليست له مطامع فى فلسطين وقد أفضى إليه الأمين العام للجامعة العربية "عبد الرحمن عزام" وأن الملك فاروق والحكومة الملكية قد أبديا كل ثقة به ولن يتركاه وحده وأن القوات المصرية ستتعاون تعاوناً كاملاً معه بل ومن الممكن أن توحد قيادتها، فسر لذلك كثيراً (٢).

ولم يرسل الملك فاروق الرد على رسالة الملك عبد الله إلا قرب انعقاد اجتماع دمشق فى ١٠ مايو عام ١٩٤٨، وجاء رده من خلال رسالة سلمها لفوزى الملقى - وزير الخارجية الأرنؤى - وقد جاء فيها: "إن الرأى استقر نهائياً على إسناد قيادة جيش التحرير إلى جلالة الملك عبد الله على أن تقوم إلى جانب جلالته هيئة أركان حرب مصرية" (٣)، والى تألفت من القائمقام عبد الحميد بك غالب، قائد السرب الجوى حليم زكريا، القائمقام حافظ بكرى واليوزباشى عصام حلمى المصرى (٤)، وذلك إلى حين يستكمل الجيش المصرى استعدادده ويفاجأ الملك عبد الله بدخول قواته ليس كقوات متطوعة ولكن كقوات نظامية.

واللافت للنظر أنه على الرغم من يقين الملك فاروق بأن لشرق الأردن مطامع فى فلسطين سبق أن أعلنتها، ومع ذلك فقد وافق على أن يتولى الملك عبد الله

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٣ رسالة شفوية من الأمين العام للجامعة الدول العربية إلى وزير الدفاع الوطنى فى ٦ مايو ١٩٤٨. الأهرام ٥ مايو ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٢٥٨) رسالة واردة من عمان بالبريد الجوى من عزام باشا حول موقف الملك عبد الله - وصلت فى ٣٠ إبريل ١٩٤٨.

(٣) الأهرام - ١٢ مايو ١٩٤٨.

(٤) الأهرام - ١٧ مايو ١٩٤٨.

القيادة العامة بشرط أن تكون إلى جانبه هيئة أركان حرب مصرية، والواقع أن ذلك القرار جاء بناء على إجماع السياسة والعسكريين المصريين على ذلك.

حيث يشير القائمقام حافظ بكري في تقريره عن ذلك بقوله: "يميل ممثلونا السياسيون في البلاد العربية طبقاً للمعلومات التي لديهم إلى عدم توريط الجيش المصري في عمليات فلسطين وترك هذا العبء وأكثره على جيش شرق الأردن لجملة اعتبارات أهمها:

أ - إنه جيش منظم تنظيمًا إنجليزيًا ومسلح تسليحًا جيدًا.

ب - إن بريطانیا تشرف عسكريًا وماليًا على هذا الجيش وأنه إذا قام بعملياته فقد تغمض بريطانیا عينها وتعززها سرًا

ج - التنافر الشديد بين ملك شرق الأردن والمفتى.

د - إن شرق الأردن لها مطامع في فلسطين سبق أن أعلنتها^(١)، وذلك أيضًا ما جاء على لسان السيد إدوارد عطية سكرتير المكتب العربي في لندن: "بأن فلسطين وشرق الأردن كانتا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى دولة واحدة ولم تقطع أوصال تلك الدولة إلى دويلات صغيرة إلا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وأوضح مطامعهم لا تقتصر على فلسطين وحدها بل إلى سائر الدول العربية، وفي الوقت الذي أرسل فيه الملك عبد الله رسالته للملك فاروق طالبًا بتولى ضابط مصري القيادة، أرسل برقية للسكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة جاء فيها: "إن المصائب التي تقع في فلسطين فوق ما يتصوره العقل البشري وإنني لوائق من أن الشعب اليهودي عامة يرغب في أن يعيش صديقًا للعرب، وأن أعلن استعدادنا لإعطاء اليهود في فلسطين القومية العربية في دولة موحدة وإسهاماتهم في جميع مرافق الحياة مع تمتعهم بإدارة خاصة في مناطق معينة وبهذا تنتهي المذبحة ويعيش السكان في سلام وأمن"^(٢).

(١) محفظة رقم ١٢٤ - ٢٦ / س ج / ٢١ - تقرير القائمقام حافظ بكري عن المؤتمر العسكري الذي عقد بعمان في الأول من مايو ١٩٤٨.

(٢) الأهرام - ٥ مايو ١٩٤٨.

ويفهم من ذلك عدم نية الملك عبد الله في محاربة اليهود ولكن تقسيم فلسطين معهم سلمياً، وقد صرح مع بداية الحرب بأنه "لم يكن نيتنا أن نحارب.. دفعنا إلى الحرب دفعا"^(١)، على الرغم من أن القيادة العليا من مصر فيها بعض المزايا الآتية:

أ - إظهار الكفاءة المصرية ورفع شأن قوتها المسلحة بين الدول العربية.

ب - هذه القيادة ستكون موضع احترام وتقدير جميع القوات العسكرية للبلاد العربية وبالأخص سوريا ولبنان.

ج - يستطيع القائد المصرى العام ألا يورط القوات المصرية أكثر مما تستلزمه سلامة تلك القوة ونصيبها فى العملية^(٢).

أما رأى العسكريين المصريين وعلى رأسهم المقدم أحمد عبد العزيز قائد عام القوات المصرية والليبية المتطوعة لإنقاذ فلسطين، فقد رأوا أن هناك عوامل سياسية تؤثر فى الموقف الحربى لأى قوة تحاول الدفاع عن فلسطين:-

١ - ازدياد نفوذ الملك عبد الله مع آماله المعروفة فى سوريا الكبرى وشعور بعض الأهالى بأنه هو الذى يستطيع إنقاذهم من اليهود، ويتصور البعض أن مصير فلسطين إليه ولذا يحاولون التقرب منه بشتى الوسائل.

٢- إن غالبية الشعب ذاته فى جانب الحاج أمين الحسينى وهو كما هو معروف ليس على وفاق مع الملك عبد الله خاصة أنه معروف أيضاً مساندة الملك فاروق للمفتى ومناهضته لنشاط الملك عبد الله، لذلك حرص المقدم أحمد عبد العزيز على أن يبعد القوات المحاربة عن الانقسامات الداخلية، ورأى إذا أريد القيام بأى عمل حربى يجب أن يوجه من البداية وإلى النهاية ضد اليهود وهم العدو الحقيقى وإلا فلا داعى للتقدم طوعاً بقصد احتلال قسم من فلسطين باعتبار أن الأعمال

(١) أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين - ص ٢٦٤، ٢٨٣.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢١ - تقرير القائمقام حافظ بكرى عن المؤتمر العسكرى الذى عقد بعمان فى الأول من مايو ١٩٤٨.

الحربية فرع من فروع السياسة وأداة من أدواتها وضع الخطط السياسية التي يجب اتخاذها عند تقدم القوات المحاربة بتحقيق التعاون بين كل القوات المصرية وأى قوات أو أعوان لشرق الأردن في الأراضي الفلسطينية باتفاق سرى إذا لزم، منعاً للاصطدام وتحقيقاً للمساعدة عند اللزوم^(١).

ومن ناحية أخرى فلإدراك الملك فاروق أن بريطانيا لا توافق على قرار دخول القوات المصرية إلا تحت قيادتها الممثلة في الظاهر في قيادة الملك عبد الله، في حين أن القيادة الفعلية لـ "جلوب باشا" قائد القوات الأردنية، لذلك جاء رده بتأييده وتأييد حكومته لتولى الملك عبد الله القيادة وإلى جانبه هيئة مستشارين عسكريين مصريين.

اجتماع دمشق ١٠ مايو ١٩٤٨ - وضع الخطة العسكرية:

بناء على المعلومات الواردة من حاكم منطقة غزة اللواء "سليمان عبد الواحد سبل بك" بأن الحكومة ستسحب من دارها وجميع مراكز البوليس في الجنوب يوم ٥ مايو ١٩٤٨ وليس لدى العرب القوة الكافية لاحتلال هذه المراكز، وسيحاول اليهود احتلالها كما يحاولون احتلال النقاط المهمة في المنطقة للسيطرة وعرقلة دخول الجيش المصرى حيث تتدفق الإمدادات بكثرة للجنوب، وألغم يهود مستعمرة الدنجور الطريق بين رفح وخان يونس لمنع أى تحركات لغزة^(٢).

وكلف وزير الدفاع الوطنى، القائمقام حسين سرى عامر أركان حرب سلاح الحدود الملكى بجمع معلومات عن الجزء الجنوبى من فلسطين لاحتتمال القيام

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ - س ج / ٢٢ / ملف د - تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ - بواسطة (أ - ح) أحمد عبد العزيز مقدم إلى الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام والفريق محمد حيدر.

(٢) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم (٥) إدارة المخابرات الحربية - قسم الأمن - معلومات من مندوب المخابرات بالعريش فى الأول من مايو ١٩٤٨.

بعمليات حربية، وجاء في تقريره الذي رفعه في ٢ من مايو عام ١٩٤٨ عدد المستعمرات اليهودية القريبة من الحدود المصرية ومدى حصانتها والقوة الموجودة بها حيث يقول:

١ - توجد مستعمرة يهودية على مسافة ثمانية كيلو مترات شمال غزة محصنة تحصيناً قوياً وتحكم تماماً طريق غزة - يافا.

٢ - توجد مستعمرة تسمى (بيان تعبية) على طريق المجدل - الخليل، هي أيضاً محصنة تحصيناً قوياً، وتوجد بها مصانع لإصلاح الأسلحة الصغيرة وتعمل ذخيرتها تحت الأرض.

٣ - توجد بعدها، على الطريق نفسه، مستعمرة (نجبا) وهي مركز تجمع جميع القوات المدرعة في القسم الجنوبي من فلسطين، وهي أيضاً محصنة تحصيناً قوياً.

٤ - توجد مستعمرة بجوار (عراق المنشية) قريبة من الطريق نفسه، وفيها مستودعات للأسلحة والذخائر ولا يقل تحصينها عن سابقتها.

هذه هي المستعمرات اليهودية الأربع المهمة التي إذا فرض القيام بعمليات حربية فمن الواجب تدميرها، أولاً: حتى تشل حركة القوات الصهيونية في الجزء الجنوبي من فلسطين، أما بقية المستعمرات الستة والثلاثين فأمرها هين ولا تستطيع الثبات إذ قضى على هذه المستعمرات الأربع.

٥ - يوجد عند اليهود كتيبة جنود هابطة بالمظلات وقد تستعمل هذه الكتيبة لإحداث ارتباك في مؤخرة القوات المهاجمة أو النزول ببعض أنحاء القطر لإحداث تخريبات في المرافق العامة أو ارتباك في الأمن العام، فمن الواجب أن يكون عند القائد للقوة المصرية معلومات عنها للاستعداد لها كما تخطر القوات المسؤولة عن الأمن الداخلي للاستعداد لها أيضاً^(١).

(١) محفظة رقم (١٢) - حديث رقم (٥) - مذكرة مرفوعة إلى محمد حيدر باشا وزير الدفاع الوطني من قائمقام حسين سري عامر (أ. ح سلاح الحدود الملكي) في ٢ مايو ١٩٤٨

ويبدو من مذكرة القائمقام حسين سرى عامر أن المعلومات التي جمعها كانت مكتملة لما انتهى إليه القائد أحمد عبد العزيز الذي انتهى في استكشافه للمنطقة الجنوبية عند قطاع غزة، بينما شملت مذكرة القائمقام حسين سرى عامر لواء غزة الذي يضم قطاعي غزة - بنر سبع بل والصحراء الفلسطينية "النقب"، ما يدل على أن هدف القيادة المصرية السيطرة على حدود الجبهة الجنوبية التي تشمل من الشمال الكلى: المجدل - الفالوجا - الخليل إلى البحر الميت، من الشرق البحر الميت ثم حدود شرق الأردن، من الجنوب الحدود المصرية، من الغرب البحر الأبيض^(١).

ومع توتر الحالة في القدس، رفعت لجنة الهدنة تقريراً في ٣٠ إبريل بذلك لمجلس الأمن، وتقرر عقد مباحثات الهدنة في القدس وتم الاتفاق في أريحا بين البريطانيين والعرب على وقف إطلاق النار، وتألف الوفد العربي لوضع شروط الهدنة من: تقى الدين الصلح وحسين سراج وكيل الخارجية الأردنية وأحمد حلمى باشا وأحمد فراج طايح قنصل مصر في القدس واصطحب معه حافظ بكرى بك واليوزباشى عصام حلمى للمصرى، واصطدمت المباحثات بمسألة تموين اليهود القاطنين في هذه المدينة، وأعرب الجانب العربى عن موافقته على وقف إطلاق النار إذا تعهد الطرف الثانى بذلك، وفى مقابل ذلك وضع اليهود شروطاً لهدنة دائمة بحرية الانتقال بين تل أبيب وحائط المبكى فى المدينة القديمة، وإبعاد جميع العرب الأجانب من فلسطين^(٢)، وفشلت المباحثات التي كانت تدور حول إعلان الهدنة فى مدينة القدس كلها وانتهت إلى الاستمرار فى المباحثات حتى الوصول إلى النتيجة المطلوبة.

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / م ج / ٢٢ / ملف د - تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ - بواسطة (أ. ح) أحمد عبد العزيز مقدم إلى الأمين العام للجامعة عبد الرحمن عزام الفريق محمد حيدر.
(٢) الأهرام - ٨ مايو ١٩٤٨.

على غرار "هدنة القدس" تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية بمشروع جديد بعد أجل الانتداب لمدة عشرة أيام بعد انتهاء الانتداب البريطاني على أن تعقد هدنة شاملة في خلال تلك الفترة، وتألّف لجنة مكونة من مندوبي بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وبلجيكا للدخول في مفاوضات مع الدول العربية^(١).

وصرح الملك عبد الله بـ "إنني أرفض كل هدنة شاملة لأن هذا تسليم بمطالب الصهيونيين على طول الخط وما زلت عند رأيي الأول وهو الدخول بجيشي بعد ١٥ مايو عام ١٩٤٨ بالإجماع".

كما سأل الملك عبد الله، عبد الرحمن عزام عن موقف الحكومة المصرية فأجاب: "إنني أنتظر عودة الضابط المصري إلى عمان"^(٢).

إثر ذلك تباحث عبد الرحمن عزام مع كمال الدين صلاح القائم بأعمال المفوضية المصرية بعمان، وأرسل الأخير برقية بالشفرة إلى الجهات المختصة في مصر^(٣).

كما أرسل عبد الرحمن عزام رسالة شفوية إلى وزير الدفاع الوطني - محمد حيدر - يذكر فيها: "سئلت عن موقف الحكومة المصرية فلم أستطع جواباً وقلت إنني أنتظر عودة الضابط المصري حافظ بكري إلى عمان لأتبين الأمر والمفهوم أن الجيش العربي الأردني سيقا تل والعراق أخذ في زيادة قوات جيشه، وقد حشدت سوريا ولبنان ما لديهما على الحدود ووعده سماحة المفتي الذهاب إلى فلسطين مع الزعماء الفلسطينيين لاستنهاض الهمم تمهيداً للعمل الحاسم"^(٤).

(١) الأهرام - ٥ مايو ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ - / س ج / ٢٣ - رسالة شفوية من الأمين العام لجامعة الدول العربية إلى وزير الدفاع الوطني في ٦ مايو ١٩٤٨.

(٣) الأهرام - ٨ مايو ١٩٤٨.

(٤) المصدر نفسه - الملف نفسه - رسالة شفوية من الأمين العام لجامعة الدول العربية إلى وزير الدفاع الوطني في ٦ مايو ١٩٤٨.

خصوصًا بعد أن وافقت اللجنة السياسية التابعة للجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة بأغلبية ٣٣ صوتًا ضد ٧ أصوات على اقتراح قدمته كوبا بتأليف لجنة فرعية جديدة لتضع الخطط اللازمة لإقامة حكومة مؤقتة لفلسطين لضمان استمرار الخدمات الضرورية فيها بعد انتهاء الانتداب البريطاني^(١).

وأوضح عزام في رسالته الشفوية لوزير الدفاع: "يتساءل الجميع عن موقف مصر هل أرسلت جنودًا بصفة متطوعين كمقدمة لتدخلها، ولماذا لم يعد الضابط المصرى حافظ بكري إلى عمان فى الموعد الذى طلب منه أن يعود فيه؟ الرأى العام فى البلاد العربية متأثر جدًا بسبب المذابح البشعة المستمرة التى يذهب ضحيتها النساء والأطفال العرب فى كل مكان فى فلسطين وهى ترمى إلى مجرد النيل من معنويات العرب وإرهابهم"^(٢).

كما أرسل عزام باشا رسالة إلى أحمد خشبة باشا وزير الخارجية لترغيب وترهيب مصر بضرورة التدخل، بقواتها النظامية، حيث أشار فيها إلى "أنه بمجرد دخول القوات المصرية ستسارع إنجلترا وأمريكا فى عقد هدنة خوفًا من تدخل روسيا ونجدة اليهود ومن ثم وقف القتال"، أما الترهيب فتمثل فى تصميم الملك عبد الله على دخول فلسطين عقب إنهاء الانتداب البريطانى واحتلال القسم العربى وضمه لمملكته، ومن ثم إقرار التقسيم وقيام دولة يهودية على الحدود الشرقية لمصر، ويرجع الملك عبد الله مسؤولية الفشل فى إنقاذ فلسطين بأكملها إلى باقى الدول العربية^(٣).

وبالفعل قدم إلى عمان الضابط المصرى حافظ بكري واليوزباشى عصام حلمى المصرى ورحب بهما الملك عبد الله^(٤)، بعد أن وصل فوزى الملقى وزير

(١) البلاغ - ٥ مايو ١٩٤٨.

(٢) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / م ج / ٢٣ - رسالة شفوية من الأمين العام إلى وزير الدفاع الوطنى فى ٦ مايو ١٩٤٨.

(٣) إبراهيم شكيب: حرب فلسطين. رؤية مصرية - ص ١٢٣ - ١٢٥.

(٤) الأهرام - ٢ مايو ١٩٤٨.

الخارجية الأردنية حاملاً معه رسالة من الملك فاروق بإسناد قيادة جيوش التحرير إلى الملك عبد الله على أن تقوم إلى جانب جلالته هيئة أركان حرب مصرية^(١).

ووصلت هيئة أركان الحرب المصرية إلى عمان في ٩ مايو عام ١٩٤٨ التي تألفت من القائمقام عبد الحميد غالب وقائد السرب الجوي حليم زكي، وعقد اجتماع عسكري للبحث في مدى إسهام مصر في معركة إنقاذ فلسطين واشترك في الاجتماع اليزرباشي عصام حلمي المصري والقائمقام حافظ بكرى ثم توجهوا للمشاركة في الاجتماع العسكري الذي عقد في دمشق^(٢).

وفي ١٠ مايو عام ١٩٤٨ عقد المؤتمر العسكري بقصر رئاسة الجمهورية السورية بدمشق برئاسة صالح صائب باشا رئيس أركان حرب الجيش العراقي، وبحضور ورئيس أركان حرب الجيش الأردني واللواء نور الدين محمود باشا من الجيش العراقي واللواء إسماعيل صفوت باشا ومندوب الجيش السوري أحمد الشراباتي ومندوب الجيش اللبناني الأمير مجيد أرسلان والمندوب المصري عبد الحميد غالب.

ورفع القائمقام حافظ بكرى تقريراً عن خلاصة ما بحثه المؤتمر العسكري بدمشق من إعادة النظر في الموقف العسكري العام ووضع الترتيبات الخاصة بإعادة الأمن والنظام في فلسطين وخطة دخول الجيوش العربية فقد ذكر في تقريره أنه تم الاتفاق على الآتي:

١ - اتخاذ التدابير الضرورية لضمان عدم تدخل القوات الشعبية بقصد النهب والسلب أو تعطيل تحرك القوات النظامية مع كفالة إدارة البلاد المحتلة بطريقة تضمن سلامة القوة، ما يعنى تولى حاكم عسكري وآخر إداري من قبل القوات العربية القادمة لإنقاذ فلسطين إلى جانب اللجان القومية لإعادة الأمن والنظام بها.

(١) الأهرام - ١٢ مايو ١٩٤٨.

(٢) الأهرام - ١٠ مايو ١٩٤٨.

٢ - تبقى منطقة حيفا وميناؤها خارج الحدود بالنسبة إلى أى عمليات حربية لتمرکز القوات البريطانية فى منطقة الميناء.

٣ - حشد القوات فى مناطق الحشد وإجراء الاستكشافات الضرورية، وقد اتخذ هذا الإجراء قبل إقراره فى ذلك الاجتماع من قبل وزير الدفاع المصرى وبعلم الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام بتكليف أحمد عبد العزيز بعد تعيينه فى ١٩ إبريل ١٩٤٨ قائدًا عامًا لقوات المتطوعين المصريين والليبيين باستكشاف الجبهة الجنوبية من فلسطين حيث رفع تقريره الأول فى ٢٢ من إبريل ١٩٤٨ ثم الثانى فى الأول من مايو عام ١٩٤٨.

٤ - وضعت الخطة العسكرية لدخول القوات النظامية العربية، وكانت مهمة الجيش المصرى أن يتقدم إلى المجدل مع تأمين جناحه الأيمن عند بئر سبع - الخليل لتطهير تلك المنطقة، والمرابطة بصفة أساسية فى غزة - بئر سبع، ولكن فى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ - تغيرت الخطة - حيث أصدرت القيادة العامة أوامر الحركة للجيش العربية حسب الخطة الجديدة وكانت مهمة الجيش المصرى أن يحتشد على حدوده فى منطقة العريش هدفه المجدل، ويناط بالبحرية المصرية واجب مراقبة السواحل الفلسطينية وفرض الحصار عليها بالتعاون مع القوة الجوية المصرية وإسداء المساعدة اللازمة للجيش المصرى عند تقدمه^(١)، دون تأمين جناحه الأيمن وفق قرار التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧.

وقد أوضح القائمقام حافظ بكري فى تقريره أنه: "ما زالت الحالة السياسية تؤثر بشكل واضح فى الخطط العسكرية وبالأخص الموعد الذى يجب أن تنفذ فيه لجملة اعتبارات أهمها:

أ - المدى الذى يجب أن تصل إليه القوات النظامية فى تدخلها المسلح.

ب - ما ينتظر أن تقوم به القوات النظامية إذا تدخلت قوات خارجية.

(١) فلاح خالد على: الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وتأسيس إسرائيل - ص ١٩٣

ج - الاحتياطات التى لم تتخذ حتى ذلك الوقت لقفل موانئ حيفا وتل أبيب فى وجه الإمدادات اليهودية أو مهاجرى اليهود غير الشرعيين الذين قد يتسربون إلى فلسطين عن طريق هذين الميناءين.

د - ما يجب أن يتخذ داخل البلاد العربية المشتركة قواتها فى القتال فعلاً لتأمين الجبهة الداخلية ضد عناصر اليهود المتطرفة.

هـ - تبادل الثقة بين البلاد العربية وبعضها البعض من أول الشوط لآخره لتنفيذ الغرض المشترك*.

وختم تقريره بالتوصية الآتية: إعطاء تعليمات سريعة لقوات المتطوعين بالتقدم فى فلسطين لعمل ستارة أمام القوات النظامية واستكشاف مراكز المقاومة أو تطهير الجيوب، وتكون هذه القوة على اتصال وثيق بقيادة القوة النظامية التى تعمل أمامها استعداداً للتحرك لمناطق الحشد فى ظرف ساعتين وإصدار أمر إنذارى بذلك للقوات المصرية على أن يكون ذلك ابتداء من ١٢ مايو ١٩٤٨^(١)، ما يعنى بداية اشتراك وحدات من الجيش المصرى فى القتال.

مع العلم أن تحرك كتيبة المقدم أحمد عبد العزيز جاء قبل اختيار الدول العربية للقيادة العامة ووضع خطة تحرك الجيوش العربية التى تقرر فى مؤتمر دمشق العسكرى ١٠ مايو عام ١٩٤٨^(٢).

وبالفعل تقدمت القوات المتطوعة المصرية وبمجرد وصولهم إلى العريش حضر لاستقبالهم الشيخ "محمد فرغلى" عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين والصاغ محمود لبيب قائد عام جوال الإخوان المسلمين وعضو مكتب

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢١ - ملف هـ - تقرير القائمقام حافظ بكرى عن خلاصة ما بحثته الهيئة العسكرية للدول العربية عن الموقف فى فلسطين عن المؤتمر الذى عقد فى سوريا - ١١ مايو ١٩٤٨.

(٢) تألفت كتيبة أحمد عبد العزيز من يوزباشى حسن فهمى عبد المجيد وكمال الدين حسين وملازم أول خالد فوزى ومصطفى كمال صدقى من المخابرات وملازم معروف أحمد الحضرى والنجيب عبد المنعم عبد الرؤوف وطبيب جراح د. محمد حسين غراب.

الإرشاد "محمود عبده" قائد متطوعي الإخوان المسلمين في بئر سبع، ونصحوا المقدم أحمد عبد العزيز بأن تدخل الكتيبة فلسطين عبر السكة الحديد مطفئتين أنوار السيارات حتى لا تشعر القوات الإنجليزية بهم فتعرض لهم، وتم العبور صوب خان يونس وقضوا يومين في جمع المعلومات عن العدو بمعاونة شيخ العرب مصطفى أبو مدين^(١).

وفي ٧ مايو ١٩٤٨ أصدرت قيادة قوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين البلاغ رقم ٢ الذي جاء فيه: "حول اشتباك إحدى دورياتها مع قافلة للعدو مكونة من ٧ سيارات مصفحة على بعد ٢ كيلو متر شمال شرق قرية دير البلح وكانت القافلة مستجلبة من مستعمرة ديروت إسحاق إلى مستعمرة كفار ديروم الواقعة على بعد ٢ كيلو متر شمال النصيرات وقد أرغمت القافلة على الانسحاب وبلغت خسائرنا قتيلاً وجرحين من المتطوعين المصريين"^(٢).

ومع ظهور المتطوعين بالجبهة الجنوبية ازداد مرور الطائرات مجهولة الجنسية التي تخالف أوامر الدخول في المناطق الممنوعة، ورفع كبير ضباط العمليات للطيران تقريره في ٤ مايو ١٩٤٨ بأن قوات المدفعية المضادة بالعريش ليست لديها أوامر بالضرب على الطائرات مجهولة الجنسية وطلب صدور هذه الأوامر ليسهل على المدفعية المضادة والقوة الجوية بالعريش عملهما للدفاع عن المطار^(٣).

ورغم ذلك حامت طائرتان يهوديتان فوق موقع المتطوعين المصريين لتموين مستعمراتهم من الجو تفادياً لدوريات المتطوعين واستكشاف نشاطهم في المنطقة من تنظيم الحرس الوطني الفلسطيني وتدريبه على الأعمال المنتظرة^(٤).

(١) عبد المنعم عبد الرؤوف: أرغمت فاروق على التنازل عن العرش - ط ١ - الزمراء للإعلام العربي - القاهرة - ١٩٨٨ - ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) محفظة رقم (٣) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - ملف د - البلاغ الرسمي رقم ٢ - الصادر من قيادة قوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين - ٧ مايو ١٩٤٨.

(٣) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٦ - مذكرة من اللواء موسى لطفي مدير العمليات الحربية والمخابرات إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش - ٩ مايو ١٩٤٨.

(٤) محفظة رقم (٣) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - ملف د - البلاغ الرسمي رقم ٤ - الصادر من قيادة قوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين - ١٠ مايو ١٩٤٨.

- تقدم قوات المتطوعين المصريين فى فلسطين لعمل ستارة أمام القوات النظامية المصرية:-

أ - معركة كفار ديروم بقيادة المقدم أحمد عبد العزيز قائد عام قات المتطوعين:

وفى فجر يوم ١١ من مايو عام ١٩٤٨ هاجمت قوات المتطوعين مستعمرة "كفار ديروم" الواقعة بين غزة وخان يونس والتي تتحكم فى المواصلات بينهما، وهى أقرب مستعمرة يهودية إلى خطوط المواصلات المصرية وأن القضاء عليها حيوى لحماية حركة القوات المصرية على الطريق الساحلى المتجهة إلى الشمال. وهذا ما لاحظته المقدم أحمد عبد العزيز منذ إجراء استكشافه للجبهة الجنوبية فى ٢٦ - ٢٧ إبريل عام ١٩٤٨، صغر مساحتها مع دقة وسائل دفاعها وأهمية أبراجها فى السيطرة على جميع الجهات وتعاونها وإشرافها على الطريق الرئيسى بين رفح وغزة وتبعد نحو ٥٠٠ م منه ويمكنها تعطيل المرور به إذا أرادت^(١)، والتي ظلت مصدر قلق وازعاج للأهالى وكبدتهم خسائر كثيرة، كما كبدت الإخوان المسلمين ١٢ شهيداً فى هجومهم عليها فى ١٥ إبريل عام ١٩٤٨.

ومع قرب تقدم الجيوش النظامية، كلف المقدم أحمد عبد العزيز النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف باستكشاف تلك المستعمرة، ورفع الأخير تقريراً تضمن معلومات عنها وخطتين للاقتحام لتختار القيادة إحداها جاء فيه: "الخطوة الأولى: حصار مستعمرة كفار ديروم ومنع أى إمدادات تصل إليها أو تخرج منها حتى تضطر إلى التسليم.. الخطوة الثانية: اقتحام واحتلال المستعمرة واختار المقدم احمد عبد العزيز الخطوة الثانية^(٢).

(١) البلاغ - ١١ مايو ١٩٤٨.

(٢) انظر الملحق رقم (١١).

(٢) عبد المنعم عبد الرؤوف: أرغمت فاروق على التنازل عن العرش - ص ٤٩

وجاء تقديم الخطتين بناء على النتيجة التى توصلوا إليها من الهجوم الأول على المستعمرة، لذلك عندما وصل أحمد عبد العزيز مع كتيبته أشار عليه قادة الإخوان المسلمين الذين وصلوا قبله وفشلوا فى هجومهم على كفار ديروم فى ١٥ إبريل عام ١٩٤٨ - إلى أنه لا فائدة ترجى من هذه الهجمات، الأفضل الاكتفاء بمهاجمة خطوط المواصلات العبرية ونسف أنبوب المياه فى النقب وإرغام اليهود بهذه الوسيلة على خوض المعركة خارج مستعمراتهم فى ميادين مكشوفة، لكن المقدم أحمد عبد العزيز لم يأخذ بنصيحتهم وقرر مهاجمة المستعمرة، ومن المؤكد أنه كان يأمل بإحراز انتصار سهل على هذه المنطقة الموجودة فى حالة حصار منذ عدة أشهر والواقعة على بعد أكثر من ١٠ كم من النقطة الاستيطانية العبرية الأقرب إليها والمحمية بنحو ثلاثين شخصاً فقط معظمهم من الشبان، وعلى هذا أرسل الدوريات الأولى لتقوم بجولات استطلاعية، ووضعت خطة هجوم كانت تقضى بنسف المستعمرة بالمدافع لمدة عشر دقائق ثم القضاء على اليهود الباقين على قيد الحياة على يد قوة اقتحام مشكلة من المشاة.

وقد وصف أحد قادة الإخوان الذى قاد قوة الاقتحام الهجوم وأسباب فشله: "إن القصف المدفعى الممهد الذى كان من المفروض أن يبدأ وفقاً للخطة فى الساعة ٢,٠٠ بدأ فى الساعة ٤,٣٠ وكان سبب التأخير أن ضابط المدفعية لم يحكم تصويب مدافعه إلى الهدف فى اليوم السابق، واضطر إلى انتظار بزوغ الفجر ليصوب المدافع ويشرع فى القصف وأخيراً عندما تم تصويب المدفع، لم تصب أهدافها، وبقيت أبراج الحراسة والمواقع اليهودية سليمة وكان ينبغى تأجيل إلا أن الأوامر التى أعطيت كانت قاطعة وتقضى بمواصلة القتال ولم يكن عبد نفسه فى ذلك الوقت فى المكان وكان يدير المعركة من قيادته بخان يونس تبعد ٨ كم، وبالإضافة إلى القصف المدفعى، أطلقت مدافع الهاون عدداً من تحت ستار الدخان وتقدم المقاتلون إلى النقطة وترك المدافعون عن كفار

المهاجمين يقتربون إلى مسافة قصيرة وعندما وصلوا إلى سياج الأسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرات فتحوا عليهم نيراناً كثيفة أوقعت في صفوفهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى وأصيب جميع المقاتلين الذين كلفوا بتفجير السياج لإحداث فجوات فيه وحدث ارتباك في صفوف الإخوان أشعله المدافعون عن كفار ديروم كما ينبغي.. ولسوء الحظ سقطت فجأة وسط المقاتلين قذائف مدفعية صادرة عن المؤخرة، أطلقها رجال المدفعية المصريون.. واتضح أن النيران الموجهة إلى كفار ديروم أصابت مقاتلي الإخوان وأوقعت فيهم خسائر كبيرة، وعندما تدهورت معنويات الإخوان وانسحبوا بعد أن خسروا سبعين قتيلًا وخمسين جريحًا تركوا في ساحة المعركة ما أحدث تأثيراً سيئاً في نفوس زملائهم المقاتلين وبعث فيهم الكآبة وانتشر نياً صمود كفار ديروم بسرعة في أنحاء النقب والجنوب، فرفع معنويات المدافعين، وبث الثقة في أنفسهم بقدرتهم على مجابهة الغزاة المصريين^(١).

ويروى النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف: "أنه في أثناء الاقتحام استشهد ثمانية وأربعون متطوعاً وذلك للأسباب الآتية:

١ - سوء التدريب على جميع المستويات.

٢ - ضعف تأثير مدفعية الهاوتزر والهاونات والمدافع ٢ رطل في دشم ومدركات العدو الإسرائيلي.

٣ - تفوق العدو الإسرائيلي على قواتنا في حرب العصابات، وتمسكنا بالعمليات الحربية النظامية، وعندما تقدمت قوات الجيش المصري على الطريق الزراعي للقريب من مستعمرة كفار ديروم بقيادة محمد عبد الكريم قوبلت بنيران مركزة بأمر قائد الكتيبة المقدم أركان حرب سيد طه (الضبع الأسود)، ولكن المستعمرة لم تستسلم لصلابة دشم العدو.

(١) أحمد خليفة: حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ للرواية الإسرائيلية الرسمية - ص ٥٤٤ - ٥٥٧.

وبنظرة فاحصة إلى ضباط كتيبة المتطوعين يتضح أن غالبيتهم من أسلحة
معاونة وليس منهم من درس كطالب بمدرسة المشاة.. حيث تلقى أحدث أساليب
الحرب العالمية الثانية كالإعداد لمهاجمة وتدمير الدشم الحصينة وقتال المنازل
وتطهير القرى والتسلل ليلاً ونهاراً.

وأصدر المقدم أحمد عبد العزيز أمراً بسحب وإنقاذ المصابين حول مواقع
العدو ونقل جثث الشهداء، فتحركت فصيلتان بقيادة الملازم أول "معروف الحضري"
والآخر "حسن جحل" قائد جماعة الهاون وهو من متطوعي الإخوان المسلمين:
"استطعنا سحب عدد كبير من المصابين وعدد قليل من الشهداء وكان من بين
المصابين معروف الحضري وكمال الدين حسين.. وتم ترحيل الضابطين وباقي
المصابين من الإخوان المسلمين إلى مستشفى غزة.. ولم يتم الاستيلاء على
المستعمرة"^(١).

ورغم الفشل في إحراز نصر في معركة كفار ديروم، صدر البلاغ رقم ٥
من قيادات قوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية يوم ١١ مايو عام ١٩٤٨ جاء فيه:
"هاجمت قوات المتطوعين في فجر يوم ١١ مايو مستعمرة كفار ديروم الواقعة بين
غزة وخان يوسف التي تتحكم في المواصلات بينهما والتي ظلت مصدر قلق
وإزعاج للأهالي وكبدتهم خسائر كثيرة، كما كبدت الإخوان ١٢ شهيداً في هجومهم
عليها في إبريل الماضي، فدمرناها بنيران المدفعية وهجمات المشاة لتكون عبرة
للمستعمرة المجاورة التي تعتدى على الأهالي وتمنعهم من حصد محاصيلهم، وقد
استقبل الأهالي قوات المتطوعين وهي عائدة إلى قاعدتها بالهتاف والدعوات لمصر
وللملك فاروق وقد ألقى العدو عدة قنابل من إحدى طائراته على ميدان المعركة
وبلدة خان يونس ولكنها لم تحدث خسائر"^(٢).

(١) عبد المنعم عبد ثرؤف: أرغمت الملك فاروق على التنازل عن العرش - ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) محفظة رقم (٣) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ / ملف د - البلاغ الرسمي رقم (٥) - الصادر
من قيادة قوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين في ١١ مايو ١٩٤٨.

يتضح من البلاغ أن المقدم أحمد عبد العزيز يسير على السياسة التي رسمها من خلال تقرير استكشافه للمنطقة الجنوبية في ٢٦ - ٢٧ إبريل عام ١٩٤٨ ورفعها للأمين العام ووزير الدفاع الذي جاء فيه:

١ - إن الأعمال التي تضطر القوات المصرية متطوعة أو نظامية إلى عملها يجب تبريرها دائماً في الجرائد على أنها أعمال يقتضيها الدفاع وحماية الأهالي العرب من اعتداءات وفظائع اليهود.

٢ - يلزم أخذ مصور من القوات المتطوعة أو النظامية، لرسم ما يلزم لمساعدة قضية فلسطين والدعاية لمصر والقوات المصرية ورفع الروح المعنوية، وسوف تكون هذه المسألة من ضمن ما يساعد الحكومة في دعايتها وخططها^(١).

ويفهم من ذلك أن الهدف الخفي من معركة كفار ديروم هو القضاء عليها باعتبارها أقرب مستعمرة إلى خطوط المواصلات المصرية ودقة وسائل دفاعها وإشرافها على الطريق الرئيسي بين رفح وغزة ومن ثم كانت مصدر قلق لمصر أكثر من فلسطين، وأيضاً جاء في تقرير المقدم أحمد عبد العزيز إلى وزير الدفاع في ١٦ مايو عام ١٩٤٨ أسباب اتباعه تلك السياسة: "تتعلق بأمور تتصل بمجهودات وتضحيات.. هؤلاء الأبطال الذين استشهد منهم الكثير..، ورداً على ما جاء في جريدة المصري التي كتبت تقول: "والمعروف أن مناقشات عديدة نشبت في الأيام الماضية بين هذه المستعمرات وقوات المتطوعين دون نتيجة بسبب بعد رمى أسلحة اليهود وافتقار القوات المتطوعة إلى المدفعية وقد حاول المتطوعون عزل هذه المستعمرات ومهاجمة القوافل التي تمونها ولكن مجهوداتهم في هذا السبيل لم تكلل بالنجاح بسبب قوة تسليح هذه القوافل" وجاء رد المقدم أحمد عبد العزيز: "والحقيقة أن قوات المتطوعين لديها ترؤب مدفعية ميدان هاوتزر ٣,٧ بوصة (٤ مدافع) - وترؤب مدفعية مضادة للدبابات (٤ مدافع - ٢ رطل) وقد نجح

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ / ملف د - تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦-٢٧ إبريل ١٩٤٨ بواسطة (أ. ح) أحمد عبد العزيز مقدم إلى الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام والفريق محمد حيدر.

المتطوعون فى تحطيم قوافل التمويل بين المستعمرات التى فى مواجهتهم والمجاورة لطريق رفح - غزة وقد أفلحوا بفضل المدفعية المضادة للدبابات من تدمير عدة قوافل للعدو والاستيلاء عليها وعزل هذه المستعمرات تماماً، كما أمنوا الطريق من رفح إلى غزة مما يسهل على قوات الجيش المصرى التقدم نحو غزة دون التعرض لتدخل العدو".

ونشر الأمر العسكرى الخاص الذى رُقِيَ فيه بعض الجنود والضباط وجاء فيه: "أمر عسكرى خاص: تقديراً لأعمال البسالة التى قام بها المذكورون فى التعليمات الحربية بفلسطين صار ترقيةهم إلى الرتب المذكورة: المتطوع يوزباشى معروف الحضرى يكون صاعاً اعتباراً من ١٤ مايو عام ١٩٤٨ م. ثان عبد العزيز بحقيقى حماد يكون ملازماً أول اعتباراً من ١١ مايو.. شاويش أحمد عبد الجليل يكون باشاويش اعتباراً من ١١ مايو.."

وطالب وزير الدفاع بالتحقيق مع من شوه أعمال جنوده الأبطال ولوث دماء الشهداء وأساء إلى أرواحهم بينما تتلهم لتلف لسماع أخبارهم والتعرف على أعمالهم المجيدة، وأكد "أن هذه الافتراءات خيانة وطنية عظمى.. واثق من أن معاليكم ستجرون تحقيقاً وتوقعون جزاء رادعاً يريحنا ويريح جنودنا وشهداءنا وأرى نشر ما ثروته من خطاى هذا حتى يعلم الجميع حقيقة الأمر ويكشفون الأعياب الخونة"^(١).

ويتضح من ذلك أثر ما ينشر فى الروح المعنوية سواء داخل الميدان (الجنود والضباط) أو خارجه (الرأى العام المصرى)، وقد أكد تلك السياسة مؤتمر عمان العسكرى فى الأول من مايو عام ١٩٤٨، حيث أوصت الهيئة العسكرية بضرورة فرض رقابة شديدة على الأنباء التى تذاع عن تحركات القوات النظامية

(١) محفظة رقم (٣) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - ملف د - تقرير من (أ. ح) - أحمد عبد العزيز رئيس قوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفلسطين إلى وزير الدفاع الوطنى. تل المنطار... ١٦ مايو ١٩٤٨.

وبالأخص وقت وجود المتطوعين حتى لا تتعرض تلك القوات للخطر أو يتأثر نجاح العمليات الحربية بسبب هذه الإذاعات المخلة^(١).

لذلك قرر المقدم أحمد عبد العزيز تنفيذ الخطة الأولى التي سبق أن عرضها النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف التي تقضى بحصار مستعمرة كفار ديروم ومنع أي إمدادات تصل إليها أو تخرج منها حتى تضطرها إلى التسليم، ويروى النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف: "فى أثناء حصارنا للمستعمرة شوهد شخص يخرج من شمال المستعمرة مرتدياً ملابس بدوية وبالقبض عليه واستجوابه اتضح أنه يجيد اللغة العربية ومعه جهاز لاسلكى والنقط لقواتنا إشارة.. وأن نجدة ستصل إلى المستعمرة فأمر القائد أحمد عبد العزيز بالاستيلاء عليها، فتحركت مجموعتان من الإخوان المسلمين بقيادة م. أول حسن فهمى عبد المجيد الذى صوب قنيفتين على عجلتى الونش الأمامى.. وأبيدا عن آخرهما وتم سحب جميع العربات المصفحة والونش إلى معسكر النصيرات"^(٢).

إثر وصول معلومات بأن العدو يستعد للاستيلاء على العوجة (الفالسطينية) للتحكم فى طريق اقتراب القوات المصرية إذا حاولت اجتياز الحدود والنقلم إلى بنر سبع، أسرع قوة منفصلة من المتطوعين إلى احتلال العوجة وقامت بحركة التفاف واسعة النطاق فى أثناء الليل قام بها قائد المتطوعين شخصياً، وفى الفجر احتلت هذه القوة منطقة استراتيجية مهمة تتحكم فى طرق عدة مهمة للعمليات المنتظرة، واستمرت دورياتها فى الشمال فى أعمال الاستكشاف والتربص بقوافل العدو^(٣).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - ملف د - تقرير (أ. ح) أحمد عبد العزيز عن استكشاف المنطقة الجنوبية بفالسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨
(٢) عبد المنعم عبد الرؤوف: أرغمت فاروق على التنازل عن العرش - ص ٥٠.
(٣) محفظة رقم (٣) - ١ - ٢٦ - / س ج / ٢٢ - ملف د - البلاغ الرسمى رقم (٧) - الصادر من قيادة قوات المتطوعين بالجبهة الجنوبية بفالسطين.

وترجع تلك الخطوة نتيجة لما تقرر فى المؤتمر العسكرى بدمشق فى ١٠ مايو عام ١٩٤٨ بتقدم المتطوعين بعمل ستار أمام القوات النظامية بغرض الحصول على نتائج عسكرية لصالح قضية فلسطين قبل أن يكون تدخل هيئة الأمم أو مجلس الأمن حقيقة واقعة، وتحرك المتطوعون إلى معسكر البريج بغزة، وتم توزيعهم فى اتجاهين، الاتجاه الأول: بقيادة المقدم أركان حرب محمد زكريا الوردانى ومعه النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف، واختار المقدم زكريا موقع القيادة لنفسه فى العوجة، أما الاتجاه الثانى: فكان بقيادة المقدم أحمد عبد العزيز ومعه جميع ضباط الجيش المتطوعين فى بنر سبع وعهد إلى المجاهد محمود عبده - قيادة الإخوان - القيام بأعمال حرب عصابات ضد العدو فى منطقة بنر سبع وما حولها، وواصل أحمد عبد العزيز السير إلى بيت لحم ولحقه معروف الحضرى ومعه جميع مدافع الهاوتزر وعددها أربعة والمدافع المضادة للدبابات وتمركزوا جميعاً فى بيت لحم.

وأرسل النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف لاحتلال العسلوج واستخدامها قاعدة للقيام بعمليات فدائية ضد مستعمرات العدو وطرق تموينه وينكر عبد المنعم عبد لرؤوف: كان عدد قواتى فى العسلوج ٧٤ متطوعاً منهم ٢٠ جزائرياً و١٩ لبنانياً والباقي من متطوعى الإخوان المسلمين ولم يكن لدينا أى مدفع مضاد للدبابات والمصفحات والدشم الحصينة وتقع قرية العسلوج فى وسط صحراء النقب، ولذلك فهى تمثل موقعاً استراتيجياً مهماً، وتبعد العسلوج ٥٠ كم عن العوجة على الحدود المصرية حيث موقع المقدم زكريا الوردانى القائد الثانى للمتطوعين وتبعد عن ميناء غزة ٦٥ كم وعن مدينة بنر سبع ٢٥ كم وعن مدينة بيت لحم ١٢٥ كم مركز القيادة العليا للمتطوعين بقيادة أحمد عبد العزيز، ولم يكن هناك اتصال لاسلكى بينى وبين القيادة العليا فى بيت لحم ولكن يتم عن طريق القيادة الثانية العوجة".

واستكشف وجود أربع مستعمرات معادية وكثرة الحركة حولها وتوقع العدو فيما يملكه من المصفحات، وحضر من القيادة حسن فهمي عبد المجيد ومعه مدفعان مضادان للدبابات وهما كل ما لدى قيادة المتطوعين، وأمضى أربع ساعات في استكشاف الطرق المحيطة بهم وكانت خطته لمقاتلة العدو والدفاع عن العسلوج كالآتي:

أ - كماشة ليلية ضد دبابات ومصفحات ومشاة العدو.

ب - نقطة ملاحظة للإبلاغ عن تحركات العدو أولاً بأول لمعرفة نواياه.

ج - احتلال الموقع الحيوى فى العسلوج المشرف على الطريق البرى شمالاً إلى بئر سبع وجنوباً إلى العوجة.

د - احتلال مئذنة مسجد العسلوج للضرب على أى تجمعات للعدو تتجح فى التسلل إلى العسلوج، ولكن نظراً لقسوة الحياة فى العسلوج طلب الجنود الليبيون اللحاق بإخوانهم الجزائريين إلى مقر القيادة العليا فى بيت لحم وامتنعوا عن الاشتراك فى أى شىء بما فيه أداء واجبهم فى خطة الدفاع واحتلال الموقع الحيوى للدفاع عن العسلوج^(١).

وتم الإخفاق فى وقف نشاط اليهود المستمر فى الجبهة عملاً بالخطة "دال" التى صدقت عليها قيادة الهاجانا فى ١٠ مارس عام ١٩٤٨ التى تقرر العمل فى منطقة النقب على الوجه التالى: "احتلال بئر سبع وفرض الحصار على غزة والسيطرة على طرق المواصلات ومصادر المياه التى تستخدمها القوات العربية المهاجمة من الحدود المصرية.. وتقر الخطة مبدأ السيطرة على مناطق الدول العربية والدفاع عن حدودها بواسطة عمليات هجومية"، وهذا ما عبر عنه بن جوريون فى ٦ أكتوبر عام ١٩٧٤ "احتلال البلد كله أو جزئه الأكبر والاحتفاظ بالمناطق المحتلة حتى التوصل إلى اتفاق سياسى رسمى.. والاحتفاظ بمواقع رئيسية فى عدد من طرق المواصلات"^(٢).

(١) عبد المنعم عبد الرؤوف: أرغمت فاروق على التنازل عن العرش - ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) مجلة شؤون فلسطينية - حنة شاهين - حرب العام ١٩٤٨ - رؤية عربية وعالمية. مراحل

الحرب - ص ٥٩، ٥٤، ٦٥.

ب - عدم قبول المقدم أحمد عبد العزيز فكرة الانضمام إلى قيادة الجيش المصرى عند دخوله فلسطين:

عندما دخل الجيش المصرى فلسطين فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ بقيادة اللواء أحمد محمد على الموالوى، طلب من أحمد عبد العزيز قائد عام قوات المتطوعين المصريين والليبيين الانضمام إلى الجيش المصرى لكنه رفض، عندئذ طلب اللواء الموالوى منه تولى قيادة منطقة بئر سبع لحماية ميمنة الجيش المصرى من الالتفات، وما أن تولى قطاع بئر سبع حتى قام بالهجوم على مستعمرتى العمارة وبيت إيشل^(١).

ويرجع رفض أحمد عبد العزيز طلب الموالوى إلى :-

١ - أنه على دراية بموقف الحكومة المصرية من التدخل العسكرى لحل مشكلة فلسطين، خصوصًا أن وجهة نظر "النقراشى باشا" أن تحل المشكلة الفلسطينية بالطرق الدبلوماسية وعدم تعزيز صفو العلاقة مع بريطانيا والولايات المتحدة^(٢)، وتخوفه من النتائج الحربية والدبلوماسية فى حالة قرار التدخل العسكرى^(٣)، ومن ثم اتسم موقف الحكومة بالطابع السلمى القانونى.

وانعكس ذلك على مسألة تسليح المتطوعين عند إقرار التطوع تحت ضغط رأى العام المصرى والحوادث فى فلسطين ومجلس الأمن.

حيث يذكر المقدم أحمد عبد العزيز فى تقرير استكشافه للجبهة الجنوبية من فلسطين فى ٢٦ - ٢٧ إبريل عام ١٩٤٨: "لم تدرس لوازم قوات المتطوعين جيدًا من البداية من ناحية التسليح والتجهيز للتحرك والعمل فى الميدان كقوة فلما بدأ تحركها للعمل ظهر مبلغ النقص الكبير فى تجهيزها، كما ظهرت نتائج سياسة الارتجال المتبعة فى تجهيز هذه القوات، فالأسلحة ناقصة وبعضها لم يصرف للجنود إلا قبل تحركهم للعريش بأسبوع فكان تدريبهم عليها ناقصًا.. وتحركت القوة إلى العريش دون عربة إسعاف وأى أجهزة لا سلكية مع أهميتها لأى نوع من

(١) فلاح خالد على: الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وتأسيس إسرائيل - ص ٨٩ - ٩١.

(٢) د. عابدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٣) محفظة رقم (٤) مذكرة وزارة الخارجية إلى وزارة الدفاع الوطنى فى ٢٧ إبريل ١٩٤٨.

العمليات الحربية.. لتولى نفس لجنة الشراء القديمة عملياتها، وهى بكل أسف لجنة لمست فى أعضائها كثرة الكلام وقلة العمل والمجهود وسرعة الارتباك والتخلى عن المسؤولية.. فإذا سألت من المسؤول عن تجهيز هذه القوة إلى أن استلمتها للعمل بها تهرب الجميع.. وحدث تغيير فى بعض الأعضاء مثل الصاغ أحمد فؤاد من العمليات الحربية وهو حسب ما أعرفه أكفأ ضابط لمثل هذه العملية، وكان فى الإمكان الاستعانة به دون أن يتأثر عمله بالجيش.. لقد كان تجهيز المتطوعين من المصريين واللبيين درسًا عمليًا نافعا وأظهر لنا عيوبًا كثيرة لا مندوحة من التخلص منها حتى تضمن النجاح لأى قوة إذ إن نجاح العمليات الحربية يتوقف ٧٠% على الاستعدادات والتجهيزات والتدريب السابق للأعمال الحربية^(١).

٢ - اختلاف الهدف من الدخول بينه وبين الحكومة المصرية والقصر، فبينما ترى الحكومة المصرية أن مهمة القوات المصرية كقوات بوليسية تعمل على تأديب العصابات الصهيونية وتطهير المنطقة المجاورة للحدود المصرية - صحراء النقب - من المستعمرات الصهيونية والسيطرة عليها من خلال حاكم عسكري وآخر إدارى لإعادة النظام وتولى الإدارة فى تلك المنطقة إلى حين الوصول إلى حل عادل فى مجلس الأمن، يرى القصر فى القوات المحاربة أداة لمحاربة الملك عبد الله وأعدائه فى فلسطين، فى حين يرى القائد أحمد عبد العزيز أنه إذا لم يكن الهدف هو ضرب اليهود لإنقاذ فلسطين فإن القتال يتجرد عندئذ من معناه النبيل وإلا فلا داعى للتقدم تطوعًا بقصد احتلال قسم من فلسطين.

٣ - الإجراءات التى صاحبت قرارات اللجنة السياسية التى نصت على "أن الجيوش العربية هى الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين وإنقاذ عروبته لذلك قررت حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية فى فلسطين وإيقاف نشاطها وإيعادها عن أرض المعركة"^(٢).

(١) محفظة رقم (٤) ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ / ملف د - تقرير عن استكشاف المنطقة الجنوبية بفلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل ١٩٤٨ بواسطة (أ. ح) أحمد عبد العزيز.
(٢) وزارة الإعلام: نظرات على الانتصارات العسكرية الوطنية - ص ٨.

فى حين كان رأى القائد أحمد عبد العزيز سواء اشترك الجيش المصرى أو لم يشترك لإنقاذ فلسطين فإن موقف تسليح قوات المتطوعين لن يتغير بل يجب العمل على وحدة قيادة المتطوعين فى الجبهة الجنوبية لأهمية الدور الذى تلعبه هذه القوات بحماية القرى المهددة، واعتراض أى قافلة للعدو وعمل التدمير اللازم ومهاجمة أى مستعمرة يرى ضربها.. وتعمل على تنظيم الحرس الوطنى فى القرى المختلفة للتعاون معها ومدّها بالأخبار^(١).

٤ - من الخطط السياسية التى رأى المقدم أحمد عبد العزيز أن تتبعها الحكومة عند التدخل العسكرى سواء بجيوش نظامية أو متطوعين: تحقيق التعاون بين كل القوات المصرية وأى قوات أو أعوان لشرق الأردن فى الأراضى الفلسطينية باتفاق سرى إذا لزم، ويجب أن تحدد منطقة عمل القوات المصرية ولمن يكون النفوذ فى الجبهة الجنوبية منعاً للاصطدام وتحقيقاً للمساعدة عند اللزوم، إذ توجد قوات أردنية فى نواح كثيرة بالجبهة الجنوبية ويجب تحديد موقفها، ولكن بتولى الملك عبد الله القيادة العامة وهى سورية والفعالية لبريطانيا من خلال القائد "جلوب باشا" لا يتحقق ما أراده وهو التعاون؛ لكن الخضوع لإرادة بريطانيا التى تؤثر حتماً فى تحركات الجيش المصرى داخل فلسطين وموقف بريطانيا المعروف من قرار التقسيم فهى واضحة المشروع ومن ثم تسعى لتنفيذه بتقييد تحركات الجيوش داخل المنطقة المخصصة للدول العربية.

ج - موقف الملك عبد الله من قرار تدخل الجيش المصرى:

هاجم اليهود بيت دراس فى منطقة غزة وأجهزوا على جميع من فيها وكان بعض النساء حبالى فعوملن بنفس ما عوملت به نساء دير ياسين، وأعملوا فى القرية نهباً ثم هدموا جميع البيوت بالنسف بالديناميت أو دكاً بالمدفعية^(٢).

(١) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ - ملف د - تقرير استكشاف المنطقة الجنوبية فلسطين ٢٦ - ٢٧ إبريل بواسطة (أ. ح) أحمد عبد العزيز.

(٢) جميل الشقيرى: قضية فلسطين الحربية والسياسية - ص ١٣٣.

وباعتبار منطقة غزة منطقة عربية وفق قرار التقسيم وقربها من الحدود المصرية ما يعنى اقتراب الخطر الصهيونى وتهديده للحدود المصرية.

عندئذ التقى النقراشى الملك فاروق فى تلك الفترة مرتين على التوالى فى ظرف ثلاثة أيام، ثم بدا النقراشى يقول برأى مختلف، بأمر من الملك، حيث راح يدافع عن قرار دخول الجيش إلى فلسطين بحماسة بدت غريبة لكثيرين من المقربين إليه بمن فيهم السيدة قرينته حيث أسر إليها بأنه على وشك أن يقدم استقالته لأنه لا يرغب فى تحمل مسؤولية دخول الجيش المصرى إلى فلسطين، وطرح هذه الاستقالة فى لقاء مع الملك لكن الملك قال له: "يا باشا أنت بذلك تضرب الجيش فى ظهره"، وطوى النقراشى حديث الاستقالة واندفع إلى النقيض وبأمر من الملك جرى عرض الخطة على اجتماع بقصر عابدين وتم إقرارها بحضور النقراشى وحيدر وعزام^(١).

وبقرار اشتراك القوات النظامية المصرية فى حرب فلسطين، اجتمع الملك عبد الله بجولدا مايرسون ليلة ١١ - ١٢ مايو عام ١٩٤٨ وتعهد بعدم تجاوزه حدود المنطقة المخصصة للعرب بمقتضى قرار التقسيم^(٢).

وفى ١٤ من مايو أصدرت القيادة العامة أوامر للجيش العربية ومنها للجيش المصرى حسب الخطة الجديدة بأن يحتشد على حدوده فى منطقة العريش وهدفه المجدل على خلاف الخطة الموضوعة فى دمشق ١٠ مايو عام ١٩٤٨ بأن يتقدم الجيش المصرى إلى المجدل مع تأمين جناحه الأيمن عند بنر سبع - الخليل لتطهير هذه المنطقة^(٣)، والمرابطة بصفة أساسية فى غزة - بنر سبع^(٤).

(١) محمد حسنين هيكل: العروش والجيش - ص ٨٥.

(٢) مجلة شؤون فلسطينية - حنة شاهين - حرب العام ١٩٤٨ رؤية عربية وعالمية مراحل الحرب - ص ٧٣

(٣) محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢١ - ملف هـ - تقرير القائم مقام حافظ بكري عن خلاصة ما بحثته الهيئة العسكرية للدول العربية بقصر الرغدان عن الموقف فى فلسطين من ٢ مايو ١٩٤٨ إلى ١١ مايو ١٩٤٨.

(٤) محفظة رقم (٩) - مذكرة من وزارة خارجية المملكة الأردنية الهاشمية إلى المفوضية الملكية المصرية فى ٣ يونيو ١٩٤٨.

الخاتمة

تهدف هذه الدراسة إلى بيان موقف القوى السياسية في مصر وفي مقدمتها القصر والحكومة المصرية من قرار الاشتراك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ والظروف التي أدت إلى اشتراك مصر في تلك الحرب، وقد انتهت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أولاً: كيف أتاح الموقع الجغرافي لفلسطين لأن يتحكم لحد بعيد بمصير مصر عسكرياً وسياسياً، ومن ثم نلاحظ دائماً الارتباط بين تطور مصر السياسي والتقلبات التي مرت بحياة فلسطين في خلال تلك الفترة.

ثانياً: عدم وجود اختلاف جذري بين الموقف الرسمي والشعبي لمصر وإن كان هناك خلاف في سياسة المواجهة خاصة بين القصر والحكومة المصرية.

وكانت نقطة الخلاف بينهما أن فلسطين كانت تتعرض في تلك الفترة إلى خطر مزدوج الذي يتمثل في الانتداب البريطاني، والأطماع الصهيونية، ودار الجدل حول أي من الخطرين يستحق المواجهة أولاً، فكان من يرى أن الانتداب هو أساس البلاء وأن اقتلعه يؤدي تلقائياً إلى زوال الخطر الصهيوني، وهذا الرأي تبنته الحكومة المصرية الرسمية، بينما كان الرأي الشعبي والقصر يرى أن الواقع السياسي يجعل مجابهة الصهيونية هي الطريق الممكن.

ومن ثم كانت هناك خطتان لحل مشكلة فلسطين، الخطة الأولى للحكومة المصرية التي اتسمت بطابع سلمى قانونى فى إطار يتفق مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة إلى حين الوصول إلى الحل العادل مع محاربة النشاط الصهيونى فى الداخل ومساعدة الفلسطينيين بالمال والسلاح، وتركهم يواجهون بقدراتهم الذاتية قيام

الدولة اليهودية، أما خطة القصر وقوى الشعب فكانت تحبذ تدخل الجيوش النظامية للدول العربية، وقد تغلبت الخطة الثانية على الأولى بعد أن أصبحت قضية فلسطين تؤثر في أوضاع مصر الداخلية.

ثالثاً: أهمية مؤتمر أنشاص الذى وضع السياسة التى تسير عليها الحكومات العربية عند دخول قواتها الأراضى الفلسطينية، فكانت مهمة الجيش المصرى وغيره من الجيوش العربية فرض وصاية عربية على فلسطين بإنشاء إدارة مدنية عربية مؤقتة تحت رعاية الدول العربية، ليس فى ظل جامعة الدول العربية التى لم تكن لها شخصية دولية معترف بها عالمياً، بتولى حاكمين من القوات العسكرية العربية أحدهما عسكري لإعادة الأمن والآخر إدارى لإعادة النظام وتتبعه اللجان القومية لحين الوصول إلى حل عادل.

رابعاً: تمسك الملك فاروق بمساندة المفتى الذى يمثل الغالبية فى بلاده حتى يتم إعلانه رئيساً لدولة فلسطين المستقلة، ثم يطلب معاونته العسكرية والمالية والاقتصادية باعتباره الملك الوحيد الذى وقف إلى جانبه قبل الحصول على الاستقلال عند لجوئه إلى مصر، فضلاً عن شعور أهالى فلسطين تجاه مصر ومليكها، وبذلك يمكن أن يمهد إلى اتفاق بتكوين اتحاد بين مصر وفلسطين على أساس السيادة المشتركة ووحدة الدفاع والسياسة الخارجية، تعويضاً عن الوحدة بين مصر والسودان؛ لأن الإنجليز يقفون حجر عثرة ويشجعون دعاة الانفصال بوعدهم بالاستقلال، ومن ثم يتحقق الأمن القومى لمصر بتأسيس دولة عربية إلى الشرق منها ومن ناحية أخرى كى يتصدى إلى تحركات الملك عبد الله للانفراد بالوضع فى فلسطين وما يتبعه من قيام الدولة اليهودية بما يضر بأمن مصر.

خامساً: ولأن انعدام الثقة كان متوافراً بين البلاد العربية بخاصة بين مصر وشرق الأردن، لم يبق بعد ذلك سوى النشاط الفردى الذى أداه كل الجيش على حدة، فكانت الخطة العسكرية التى وضعتها القيادة المصرية لتحركات الجيش

المصرية تتمثل في السيطرة على صحراء النقب التي تصل مصر بشرق الأردن، لأن قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ - جعل تلك المنطقة من نصيب الدولة الصهيونية.

سادساً: موقف بريطانيا من التدخل المصري في فلسطين، فقد شجعت به أن أغمضت عينها عن سرقة الأسلحة والذخائر من مخازن الجيش البريطاني في القناة، وحددت قطاع غزة ليكون من نصيب مصر، على ألا يتجاوز الجيش المصري حدود التقسيم المقررة للدولة العربية الفلسطينية وعدم إثارة قضية جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس في ظل تلك الظروف الدولية الطارئة ولحين الانتهاء منها والوصول إلى حل، وبالإذعان التام لأي قرارات تصدر من هيئة الأمم المتحدة، وفجأة تنبّهت الحكومة البريطانية إلى سرقات الأسلحة والمعدات عند تجاوز الجيش المصري الحدود المقررة له بإحكام السيطرة على صحراء النقب، ومن ناحية أخرى لكسر شوكة الجيش المصري وحجة الحكومة المصرية في مفاوضاتها مع بريطانيا وإسكات الصوت الداعي للجلاء والاضطرار إلى عقد معاهدة الدفاع المشترك معها.

ولهذا لا يجب النظر إلى المشكلة على أنها مشكلة عسكرية فحسب بل إن الناحية السياسية فيها أدق وأعمق وأن أي حل للمشكلة لا ترضى عنه بريطانيا محكوم عليه بالفشل حتماً.

قائمة المصادر

أولاً وثائق غير منشورة:

أ - قوائم المشير عبد الحكيم عامر - محافظ رقم:

١ - محفظة رقم (١) - ١ - ٢٦ / س ج / ٦.

- محفظة رقم (١) - ١ - ٢٦ / س ج / ١٨ - ملف أ، ملف د.

- محفظة رقم (١) - ١ - ٢٦ / س ج / ٣٠ - ملف ب.

٢ - محفظة رقم (٢).

٣ - محفظة رقم (٣) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ ملف د.

٤ - محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٥ / س ج / ١٢ ملف أ

- محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٦.

- محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢١ ملف هـ.

- محفظة رقم (٤) - ١ - ٢٦ / س ج / ٢٢ ملف د

- محفظة رقم (٤) - ١ - / س ج / ٢٣.

٥ - محفظة رقم (٦).

٦ - محفظة رقم (١٢) - حديث رقم ٥.

٧ - محفظة رقم (١٣) - ج - ٥.

ب - وثائق رئاسة مجلس الوزراء - محفظة رقم ٩ - من ١٩٤٨/٥/٢٢ - ١٩٤٨/١٢/٤.

ج - وثائق وزارة الخارجية المصرية - وفيما يلي أرقام المحافظ التي تم استخدام وثائقها:-

١ - محفظة رقم (٢٥٣) - ملف رقم ٨.

٢ - محفظة رقم (٢٥٨) - مقابلات وأحاديث الوزير أحمد خشبة باشا في ١١ مارس ١٩٤٨، وأحاديث حسن سرى في ٢٢ أغسطس ١٩٤٩.

٣ - محفظة رقم (١٣٣١).

٤ - محفظة رقم (١٥٦٧) - المفوضية الملكية المصرية - مقابلات ومذكرات في أكتوبر ١٩٤٨.

٥ - محفظة رقم (١٥٨٠) - أرشيف سرى رقم ١٣٩ - ١٤٢ / ١ - ٣ - هيئة الأمم المتحدة - قضية فلسطين وعرضها على الهيئة في ١٩٤٧/٩/٢١.

د - وثائق وزارة الداخلية - وفيما يلي النشرات التي تم استخدامها:

إدارة المطبوعات - رقابة الصحف الشرقية - خلاصة أخبار الصحف الشرقية العربية.

- النشرات أرقام ٦، ٧، ١٦، ٢١ لسنة ١٩٤٧.

ثانيًا: وثائق منشورة:

١ - الأمم المتحدة: منشأة القضية الفلسطينية وتطورها ١٩١٧ - أبحاث للجنة المعنية بممارسة الشعب للفلسطينية لحقوقه تحت إرشادها - نيويورك - ١٩٩٠.

٢ - تقرير لجنة التحقيق النيابية في قضية فلسطين - مطبعة الحكومة - بغداد - ١٩٤٩.

٣ - مضابط مجلس الشيوخ (من عام ١٩٤٧ إلى ١٩٤٨).

مضابط مجلس النواب (من عام ١٩٤٧ إلى عام ١٩٤٨).

٤ - وزارة الإرشاد القومي: ملف وثائق فلسطين (مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية من عام ١٩٣٧ - ١٩٤٩) - الهيئة العامة للاستعلامات - القاهرة - ١٩٦٩.

٥ - وزارة الإعلام: نظرات على الانتصارات العسكرية الوطنية المصرية - مطابع الهيئة للاستعلامات - القاهرة - ١٩٩٢.

٦ - وزارة الدفاع الوطنى الجيش اللبنانى (الأركان العامة الشعبى الخامسة): القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى - ط١ - بيروت - ١٩٧٣.

ثالثاً: مذكرات شخصية:

- ١ - أحمد فراج طايح: صفحات عن فلسطين - دار ومطابع الشعب - القاهرة - د. ت.
- ٢ - السيد فرج (بوزباشى): جيشنا فى الميدان - ط ٢ - مطبعة التوكل - القاهرة - ١٩٤٩.
- ٣ - حسن يوسف: القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ - ١٩٥٢ - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - مطابع الأهرام التجارية - القاهرة - ١٩٨٢.
- ٤ - خالد محيى الدين: والآن أتكلم - ط ١ - مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٩٢.
- ٥ - دافيد بن جوريون: إسرائيل.. تاريخ شخصى، ترجمة مركز البحوث والمعلومات - ج ١.
- ٦ - دافيد بن جوريون: يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٩، ترجمة سمير جبور - ط ١ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت - ١٩٩٣.
- ٧ - عبد اللطيف البغدادى: مذكرات عبد اللطيف البغدادى - ج ١ - المكتب المصرى الحديث - القاهرة - د. ت.
- ٨ - عبد الله التل: كارثة فلسطين - ج ١ - ط ١ - دار القلم - القاهرة - ١٩٥٩.

- ٩ - عبد المنعم عبد الرؤوف: أرغمت فاروق على التنازل عن العرش - ط١- الزهراء للإعلام العربى - القاهرة - ١٩٨٨.
- ١٠ - كريم ثابت: عشر سنوات مع فاروق ١٩٤٢ - ١٩٥٢ - ط١- دار الشروق - القاهرة - ٢٠٠٠.
- ١١ - محمد حسين هيكل: عهد فاروق.. مذكرات فى السياسة المصرية - ج ٢ - مطبعة مصر - القاهرة - د. ت.
- ١٢ - محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية - ج ٣ - ط٢ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٩٠.
- ١٣ - محمود رياض: الأمن القومى للعربى بين الإنجاز والفشل.. أمريكا والعرب - ج ٢ - ط٢ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨٧.
- ١٤ - مناحم بيجن: الإرهاب، ترجمة معين أحمد محمود - ط٢ - دار الميسرة - بيروت - ١٩٨٨.
- ١٥ - مذكرات وايزمان: زعيم إسرائيل، ترجمة أحمد الشقيرى - مكتب الأمين العام المساعد بجامعة الدول العربية - القاهرة - د. ت.
- ١٦ - وايزمان: مذكرات وايزمان، ترجمة فتح الله محمد مشعشع - دار البقطة العربية لتأليف والترجمة والنشر - ١٩٥٢.

رابعاً: الدوريات العربية:

- الإخوان المسلمون (١٩٤٧ - ١٩٤٨).
- الأهرام (١٩٤٧ - ١٩٤٨).
- البلاغ (١٩٤٧ - ١٩٤٨).
- الجماهير (١٩٤٧).
- الدفاع الوطني (١٩٤٧ - ١٩٤٨).
- السياسة (١٩٤٨).
- الشمس (١٩٤٧).
- الوقائع المصرية (١٩٤٨).
- مصر (١٩٤٧ - ١٩٤٨).
- مجلة شؤون فلسطينية - العدد ١٩١ - فبراير ١٩٨٩، العدد ٢٠٦ - مايو ١٩٩٠.
- مجلة العالم العربي - العدد ٤٠ - ١٠ أغسطس ١٩٤٩.

خامسًا: رسائل علمية غير منشورة:

- ١ - صموئيل لبیب سیحہ: السیاسة المصریة تجاه المشکلة الفلستینیة ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - رسالة دکتوراه أجزیت بجامعة أسیوط - کلیة آداب سوهاج - ١٩٩٢.
- ٢ - عاصم محمد علی حسنی: حکومة عموم فلستین وضم الضفة الغربیة للأردن ١٩٤٨ - ١٩٥٠ - رسالة ماجستیر أجزیت بآداب عین شمس - ٢٠٠١.

سادسًا: المراجع العربیة

- ١ - إبراهیم شکیب: حرب فلستین. رؤیة مصریة - ط ١ - دار الزهراء للسلام العربی - القاهرة - ١٩٨٦.
- ٢ - أحمد حمروش: قصة ثورة ٢٣ یولیو.. مصر والعسکریون. مجتمع جمال عبد الناصر. عبد الناصر والحرب - ج ١ - الهيئة المصریة العامة - القاهرة - ١٩٩٢.
- ٣ - أحمد خلیفة: حرب فلستین ١٩٤٧ - ١٩٤٨ الروایة الإسرائیلیة الرسمية - ط ١ - شركة الخدمات النشریة المستقبلیة - قبرص - ١٩٨٤.
- ٤ - أسعد رزوق: إسرائیل اکبری - مطبعة الغربی - بیروت - ١٩٦٨.

- ٥ - أنيس القاسم: التحدى الإسرائيلي ومواجهته ١٩٦٩ - جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية - للمطبعة الفنية الحديثة - القاهرة - د. ت.
- ٦ - أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين - منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية - بيروت - ١٩٦٩.
- ٧ - أنيس صايغ: فلسطينيات - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٨.
- ٨ - أنيس صياغ: فلسطين والقومية العربية - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٦.
- ٩ - تهاني هلسة: دافيد بن جوريون - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٨٦.
- ١٠ - جالينا نيكيسيا: دولة إسرائيل دار الهلال - د. ت.
- ١١ - جميل الشقيرى: قضية فلسطين الحربية والسياسية - مطبعة مصنع الإسكندرية للكراس - ١٩٦٢.
- ١٢ - جوان كوماى: دليل إسرائيل - هيئة الاستعلامات بوزارة الإعلام - د. ت.
- ١٣ - جوزيف أبو خاطر: لقاءات مع جمال عبد الناصر فى صميم الأحداث - ط ٢ - دار النهار للنشر - بيروت - ١٩٧١.

- ١٤ - جيفرى أروفسن: واشنطن تخرج من الظل.. السياسة الأمريكية تجاه مصر ١٩٤٦ - ١٩٥٦، ترجمة سامى الرزاز - دار البنادق للنشر والتوزيع - د. د. ت.
- ١٥ - د. حسن أبو طالب: عروبة مصر بين التاريخ والسياسة، ندوة (مصر والعروبة وثورة يوليو) - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - د. د. ت.
- ١٦ - حسن جميل: بطلان الأسس التى أقيم عليها وجود إسرائيل على الأرض العربية وسلامة الموقف العربى من القضية الفلسطينية - ط٢ - دار الجمهورية - بغداد - ١٩٦٨.
- ١٧ - حسن صبرى الخولى: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين - المجلد الأول - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٣.
- ١٨ - رفيق محمد رفعت: تطور القضية الفلسطينية تاريخياً وبشرىاً - المطبعة العالمية - القاهرة - ١٩٧٥.
- ١٩ - رفعت سيد أحمد: وثائق حرب فلسطين. الملفات السرية للجنرالات العرب - مكتبة مدبولى - القاهرة - ١٩٨٩.
- ٢٠ - سامى أبو النور - دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر ١٩٣٧ - ١٩٥٢ - مكتبة مدبولى - القاهرة - د. د. ت.

- ٢١ - سعدى بيسو: إسرائيل جنائية وخيانة - ط٣ - ١٩٥٧.
- ٢٢ - د. سيد عبد الرزاق يوسف عبد الله: محمود فهمى النقراشى ودوره فى السياسة المصرية وحل جماعة الإخوان المسلمين - ١٩٤٨ - ط١ - مكتبة مدبولى - القاهرة - ١٩٩٥.
- ٢٣ - شفيق رشيدات: فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٨.
- ٢٤ - صالح مسعود أبو يصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن - ط٣ - دار البيادر - ١٩٨٨.
- ٢٥ - صلاح العقاد: قضية فلسطين المرحلة الحرجة ١٩٤٥ - ١٩٥٦ - المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة - ١٩٦٨.
- ٢٦ - عارف العارف: النكبة - نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود - ج١ - المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٥٢.
- ٢٧ - د. عايدة سليمة: مصر والقضية الفلسطينية - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٦.
- ٢٨ - د. عبد الحميد موافى: مصر فى جامعة الدول العربية - دراسة فى الدول الأكبر فى التنظيمات الإقليمية ١٩٤٥ - ١٩٧٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٣.

- ٢٩ - عبد العظيم رمضان: الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦
- الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٧.
- ٣٠ - عبد العظيم رمضان: العلاقات المصرية - الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٧٩
- الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٢.
- ٣١ - عبد الوهاب بكر: الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥٢
- دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٢.
- ٣٣ - عبد الله إمام: وجيه أباطة صفحات من النضال الوطنى - ط١ -
عربية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٩٥.
- ٣٤ - د. عصام شحنة: فلسطين الدولة. جنور المسألة فى التاريخ - مركز
الأبحاث - نيقوسا - ١٩٨٥.
- ٣٥ - على الدين هلال: مشروعات الدولة الفلسطينية - مركز الدراسات
السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة - ١٩٧٨.
- ٣٦ - على إمام عطية: الصهيونية العالمية.. أرض الميعاد - ط١ - مكتبة
القاهرة الحديثة - القاهرة - ١٩٦٣.
- ٣٧ - على شلش: اليهود والماسون فى مصر - ط١ - دار الزهراء
للإعلام العربى - القاهرة - ١٩٨٦.
- ٣٨ - عودة بطرس عودة: القضية الفلسطينية فى الواقع العربى - المطبعة
الفنية الحديثة - القاهرة - ١٩٧٠.

- ٣٩ - فايز صايغ: فلسطين وإسرائيل والسلام - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٧٠.
- ٤٠ - د. فلاح خالد على: الحرب العربية - الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٤٩. تأسيس إسرائيل - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨٥.
- ٤١ - لارى كولتير وروميل لايرز: يا قدس، ترجمة سلمان موسى - ط١ جمعية عمال المطابع التعاونية - عمان - ١٩٨٣.
- ٤٢ - د. لطيفة سالم: الملك فاروق وسقوط الملكية ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - ط١ - مكتبة مدبولي - القاهرة - ١٩٨٩.
- ٤٣ - محمد الشاعر: الحرب الفدائية في فلسطين على ضوء تجارب الشعب في قتال العصابات - مطبعة الغرب - بيروت ١٩٦٧.
- ٤٤ - محمد العابدی وآخرون: فلسطين أرضاً وشعباً وقضية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - د. ت.
- ٤٥ - محمد حسنين هيكل: العروش والجيوش. كذلك انفجار الصراع في فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٤٩ قراءة في يوميات الحرب - ط١ - دار الشروق - القاهرة - ١٩٩٨.
- ٤٦ - محمد حسنين هيكل: ملفات السويس. حرب الثلاثين عام - ط١ مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٨٦.

٤٧ - محمد رضا محرم: عروبة مصر وأعباؤها، ندوة (مصر والعروبة وثورة يوليو) - مركز دراسات الوحدة العربية بيروت - د. ت.

٤٨ - محمد عبد المنعم عامر: الملك عبد الله وأطماعه غير المشروعة في سوريا.. من مشكلات اليوم - دار الرعايا والنشر - القاهرة - ١٩٤٩.

٤٩ - د. محمد عبد الرحمن فرج: تحالف الصهيونية والاستعمار مقدماته ونتائجه - الكتاب الأول - المؤسسة المصرية العامة - القاهرة - ١٩٦٤.

٥٠ - محمد عزة دروزة: القضية ومراحلها - ج ٢ - المكتبة المصرية - بيروت - ١٩٦٠.

٥١ - محمد على حلة: فلسطين في جامعة الدول العربية ١٩٤٥ - ١٩٥٦ - مطبعة الحسين الإسلامية - القاهرة - ١٩٨٨.

٥٢ - محمد على علوبة: فلسطين وجارتها أسباب ونتائج - ط ١ - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة - ١٩٥٤.

٥٣ - محمد عودة: فاروق بداية ونهاية - دار الهلال - القاهرة - ١٩٩٥.

٥٤ - محمد فائز القصري: قضية فلسطين. وثائق فلسطين - وزارة الإرشاد القومي - القاهرة - د. ت.

٥٥ - محمد فائز القصري: مأساة العالم العربي عرض وتحليل ونقد - المطبعة التعاونية - دمشق د. ت.

- ٥٦ - محمد فيصل عبد المنعم: أسرار ١٩٤٨ - مكتبة دار الهنا للطباعة
القاهرة - ١٩٦٨.
- ٥٧ - محمد فيصل عبد المنعم: فلسطين والغزو الصهيوني - مكتبة القاهرة
الحديثة - القاهرة - ١٩٦٨.
- ٥٨ - محمد نمر الخطيب: حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية - دار المكتبة
- بيروت - ١٩٦٩.
- ٥٩ - محمد نمر الهوارى: سر النكبة - مطبعة الحكم - الناصرة -
١٩٩٥.
- ٦٠ - محمود العابدى: بين أمريكا وفلسطين - مطبعة جمعية عمال المطابع
التعاونية - عمان - ١٩٦٧.
- ٦١ - محمود دياب: الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني
المعاصر - مطبوعات القاهرة - القاهرة - ١٩٧٦.
- ٦٢ - ميخائيل سليمان وآخرون: فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون
إلى كلينتون - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٥٦.
- ٦٣ - د. نبيل عبد الحميد أحمد: اليهود فى مصر بين أيام إسرائيل
والعنوان الثلاثى ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - مركز وثائق وتاريخ مصر
المعاصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩١.
- ٦٤ - وديع تلحوق: دولة إسرائيل - ط ١ مطبعة دمشق - ١٩٥٠.

- ٦٥ - د. يوسف صايغ: ملف القضية الفلسطينية.. فلسطين عربية - مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٥.
- ٦٦ - د. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة - ١٩٧٥.
- ٦٧ - يونان لبيب رزق: مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية.. (٣) موقف بريطانيا من الوحدة العربية ١٩١٩ - ١٩٤٥ - ط ١ - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ١٩٩٩.

المؤلفة فى سطور

أسماء محمد محمود على حسن

- مواليد بورسعيد ١٩٧٥/٧/٢٣.
- حاصلة على ليسانس الآداب قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس عام ١٩٩٨.
- حاصلة على درجة الماجستير فى الآداب قسم التاريخ عام ٢٠٠٤ عن موضوع "موقف مصر من حرب ١٩٤٨".
- تُعد حاليًا لنيل درجة الدكتوراه عن موضوع "العلاقات المصرية العراقية".
- حاصلة على منحة المتفوقين (من غير المعيّدين) خلال سنوات التسجيل للحصول على درجة الماجستير .
- عملت رئيسًا لفريق لجنة التوثيق بمشروع الاحتفال بملوية النادي الأهلى.
- تعمل باحثة بمركز الدراسات التاريخية لدار الشروق.

